الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة
وزارة التّعليم العاليّ والبحث العلميّ
جامعة مولود معمري– تيزي وزو
كليّة الآداب واللّغات
قسم اللّغة العربيّة وآدابها

التّخصص: اللّغة والأدب العربيّ.
الفرع: لغويّ.

أطروحة لنيل شهادة الدّكتوراه

إعداد الطّالب: فرحات بلولي.

الموضوع:

خطاب الصِّحافة الرِّياضيَّة الجزائريَّة
-دراسة تداوليَّة-

لجنة المناقشة:

أ.د.مسعود صحراوي، أستاذ التّعليم العاليّ، جامعة الأغواط.......................رئيسًا.

أ.د.صالح بلعيد، أستاذ التّعليم العاليّ، جامعة تيزي وزو ....مشرفًا.

أ.د.أحمد عزوز، أستاذ التّعليم العاليّ، جامعة وهران...................عضوًا ممتحنًا.

أ.د.ة. سعاد بسناسي، أستاذة التّعليم العاليّ، جامعة وهران.............عضوًا ممتحنًا.

د.ة. ذهبية حمو الحاج، أستاذة محاضرة قسم "أ"، جامعة تيزي وزو....عضوًا ممتحنًا.

د. لخضر روبحي، أستاذ محاضر قسم "أ"، جامعة المسيلة.............عضوًا ممتحنًا.

تاريخ المناقشة:2014/10/22م

إهداء

إلى التي خُلقتُ في رحمها

وترعرت في حضنها

وغادرتني... دون أدنى تدبير منها

إلى والدتي:

خليجة قاضي (1935م-2010م)

إلى الذي غادر البلاد

والعباد

من أجلي، ومن أجل غيري من إخوتي

إلى والدي:

الحاج إسماعيل بلولي (1932م-2013م)

في طريق هذا البحث غادرتما، وفي نهايته أهديه لكما

... رحمكما الله، وجعلكما من أهل الجنة خالدين آمين آمين آمين يارب العالمين...

شكر وعرفان

حظيت هذه الأطروحة بإشراف قمتين من قمم اللّغويات وهما:

أ.د. محمد يحياتن رحمه الله.

أ.د. صالح بلعيد أطال الله عمره.

وهذا قد لا يحصل إلا نادرًا، وأنا لم أكن إليه مبادرًا، بل الله وحده من قرر ذلك بأن استدعى الأول إلى عرشه العظيم، ووجهني إلى الثّانيّ بقدرته العزيز العليم.

وعلى ذلك أتوجه لهما بالشّكر الجزيل على صبرهما، وتجاوزهما لما يكون قد بدر مني، وأسأل الله أن أكون قد وفقت لتمثيلهما كما هو مطلوب في الأماني.

مقدمة: بسم الله الرّحمن الرّحيم والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين؛ خاتم الأنبياء والمبعوثين، العلم لله في القلم وفي الشّفاه، ومن أتاه منه الكثير فقد غنم، وبشرور الدّنيا قد علم، ومن بعضها يكون قد سلم، أما بعد:

بدأ اهتمامي بالصِّحافة الرِّياضيّة منذ فترة غير قصيرة؛ إلى درجة لا يمكنني بالضّبط تحديد أو اقتراح فترة معيّنة لاتصالي بها كقارئ، وليس هذا بدعة لشاب مولع بالرّياضة وما يحيط بها، ولباحث مهتم بالصِّحافة في عصر يتسم بالانتقال السّريع للمعلومات، وفي زمن يتصف بالتّخصص في التّخصصات، ويجب الاعتراف، في هذا الاتجاه، أنّ الصِّحافة المتخصصة التي جذبت أكثر القرّاء في الجزائر –وربما في كلّ البلدان العربيّة– هي الصّحافة الرّياضيّة؛ لهذا كان انسحابي إلى قراءتها ثم إلى تحليلها شيئا منطقيّا، فهممتُ في غير ما مرة إلى قلب ظواهرها على أوجهها، وكنتُ كلّ مرة أجد كمًا كبيرًا من القضايا المتصلة بها التي تستدعي البحث والتّمحيص، وخاصة أنّ الدّراسات اللّغويّة التي في هذا النّوع من النّصوص نادرة لعدم اهتمام اللّغويين بها.

وقد شاع الحديث عن مصطلح التّداوليّة في محيطي العلميّ الذي نشأتُ فيه، وكنتُ أرغب، منذ مدة، معرفة محتويات هذا المفهوم الذي شغل فكري وفكر من أوصلوه إليّ، وإن كنت لا أحتفظ –أيضا– بأوّل اتصال لي بهذا المفهوم؛ لكنّني أعترف أنّه شغل بالي لفترة طويلة؛ تعود إلى ما قبل دراسات الماجستير؛ دون أن أتمكن من إمساك أطرافه ولا وسطه، وهو ما جعلني، كلّ مرة، أضعه نُصب عيني كمشروع لغد آت.

كانت تلك أولى أسباب التّوجه رويدا رويدا إلى ما أنا فيه، وإن كنتُ قد مررت على سلالم كان لا بد منها: من تعلُم المنهج والتّمكن من أشياء أخرى؛ كنتُ أحوج إليها أكثر من الغوص في هذا العمل، وبعد اجتماع الظّروف، تكوّنت في ذهني فكرة إخضاع النّص الصّحافيّ الرّياضيّ للآليّة التّداوليّة أو العكس؛ أي إخضاع التّداوليّة للنّص الصّحافيّ، ففكرتُ في الأمر واستشرتُ غيري بالتّلميح والجهر حتى استوى الرّأي على دراسة الخطاب الصّحافيّ الرّياضيّ الجزائريّ دراسة تداوليّة، وأنوه

–هنا– بكلّ الاستشارات التي وجهتني في غير ما مرة، ونبهتني إلى بعض المطبّات التي كنتُ بها جاهلا –في أحيان كثيرة– أو متساهلا معها –في أحيان أخرى–.

وكان لا بد، قبل استقرار الرّأي على الأمر، من التّمحيص في مدى أهميّة هذا الموضوع كمجال من مجالات البحث، وبعد أخذ ورد في خلجات نفسي؛ تراءت لي أهميّته الجوهريّة؛ وهي –أساسا– في تقديم هذا النّوع من الخطاب إلى جماعة اللّغويين الذين ضربوا صفحا عن دراسته رغم شيوع قراءته، وربما إذا قيس بعدد قرّائه، فهو أكثر مقروئية من الأدب الذي يحظى في ميدان اللّغة العربيّة بدراسات عديدة؛ بل كثيرة، لذلك كان لا بد أن أوجه إليه أصابع التّداوليّة؛ لعلها تلامسه، وتفضح أسراره بما يشرح أهم أسباب ولع الشّباب، وأكثر قرّاء الصّحافة المتخصصة، بهذا اللّون من الصّحافة.

ويبدو لي، في الاتجاه نفسه؛ أي تقديم هذا الخطاب إلى اللّغويين، أنّ الذّهاب إلى مثل هذا الخطاب الصّحافيّ، سيفتح الأبواب على الأنواع الأخرى من الصّحافة المتخصصة؛ لكي تتبوأ مكانة في الدّراسات اللّغويّة الحديثة، بعدما اكتسبت فيها الصّحافة العامة مكانة هامة.

وقد يكون تقديم آخر ما وصلت إليه التّداوليّة من أهم زوايا الظّل التي تجعل هذا البحث مرغوبا ومحبذا، فإن كانت التّداوليّة كمفهوم قد شقت طريقها إلى الجامعة الجزائريّة منذ فترة –لا أجازف بتحديدها لكن قد تفوق العشر سنوات تقريبا– فإنّ تحديدها تحديدا واضحا لا يزال محل نقص كبير؛ ليس في البحوث العربيّة فقط؛ بل حتى في البحوث الغربيّة بشكل عام؛ لما يشوب هذا المصطلح من غموض في الحدود، وهو ما يمكن في حد ذاته أن يُشكل حصانا متميّزا لركوبه؛ والبحث في أقصى الدّنيا من أجل معرفته.

وتهيأتُ للعمل في هذا المجال، بعد اتضاحه في ذهني، فنظرتُ في بعض الأوضاع التي كانت مطروحة على بديهتي منذ مدة، فقلبتها على أوجهها حتى اكتمل جس النّبض، بعد ذلك، فظهرت أمامي العديد من مواضع الإشكال التي تستحق الوقوف والانتباه، وإنجاز الحفريات اللازمة في الاتجاهات المختلفة؛ لفهم الأمور وشرحها، ومما طرح نفسه عليّ بإلحاح؛ ما يتصل بحدود التّداوليّة من حيث هي

دراسة، وهذه مسألة نظريّة بحتة، فما هي حدود هذا الدّراسة؟ وبعد ذلك؛ ما هي الآليات التي تتيحها التّداوليّة في تحليل الخطابات؟ أو –بتعبير آخر– ما هي الإجراءات التّطبيقيّة التي تقدمها التّداوليّة لمقاربة الخطاب الصّحافيّ الرياضيّ؟ ورأسا على ذلك، كيف تُطبق هذه الإجراءات؟ وما هي الأشياء التي يمكن أن توضحها في الخطاب الصّحافيّ الرياضيّ؟ أو بالأحرى: ما هي الخدمات التي يمكن أن تقدمها التّداوليّة في تحليل الخطاب الصّحافيّ؟ وهل يمكن أن تشرح مثلا علاقة اللّغة بالسّياق، والعمليات النّفسيّة التي يقوم بها الإنسان لفهم اللّغة؟ وكيف تنظر إلى الطّابع الحجاجيّ للغة؟ وهل يمكن لها أن تفسر كيف للمتكلم أن يتكلم باسم شخص وأشخاص آخرين دون حضورهم ولا علمهم؟ تلك إذًا أهم القضايا التي سأحاول الإجابة عنها في هذا العمل.

ودرجت الأعمال العلميّة على أن يكون الابتداء –دائما– بمنطلقات افتراضيّة، وفي هذا الاتجاه؛ يمكن للتّداوليّة –التي ذاع صيتها في ميدان الدّراسات اللّغويّة والأدبيّة– أن يكون لها آليات، وقد تشرح هذه الآليات أكثر من ظاهرة ذات الصّلة بالخطاب الصّحافيّ الرّياضيّ، كما يمكن أن يكون من بين هذه الآليات ما يشرح الجوانب المتعددة التي تتدخل في استعمال وتأويل الخطاب الصّحافيّ الرياضيّ؛ واللّغة بشكل عام، فليس مستبعدا أن تقترح التّداوليّة مجموعة من الحلول لفهم كيفية تراتب المتكلمين في الخطاب مثلا، كما يمكن أن تقدم للدّارس ما يشرح عمليات الحجاج، وحتى عمليات تأويل المتكلمين للملفوظات...

واعتمدت، في سبيل التّعامل والتّفاعل مع هذه الإشكالات والافتراضات التي تطرحها الأطروحة ككلّ، على المنهج الوصفيّ التّحليليّ الذي يقوم –أساسا– على:

- وصف الظّواهر؛
- تصنيفها؛
- تقديم التّحاليل الموضوعيّة لما تطرحه؛
- تحديد العيّنات –إن اقتضى الأمر–.

وقد غلب الوصف –أحيانا– في عرض المفاهيم النّظريّة، ولكن تجاوزه التّحليل في شرح آليات إنتاج وتأويل اللّغة، كما اعتمدت في بعض المواضع على المنهج

التّاريخيّ، وخاصة في متابعة تاريخ الأفكار في مثل: عرض تاريخ الصّحافة الرّياضيّة، والظّواهر في تطورها مثل عرض الأفكار النّظريّة؛ وحتى في شرح بعض السّياقات.

ولا بد أنّ القارئ قد وقف، من خلال ما سبق من المقدمة، على تميُّز عملي هذا من حيث العيّنة التي يدرسها؛ والمتمثلة في الصّحافة الرّياضيّة الجزائريّة، وبات من المعلوم، في إطار المنهج الوصفيّ التّحليليّ الذي اتبعه في هذا العمل، أنّ دراسة كلّ هذه الصّحافة متعذر على الباحث؛ لأسباب معروفة عند الدّارسين من كثرة واتساع العيّنة من جهة، وضيق الوقت، ونقص الأرشيف... من جهة أخرى، لذلك عمدت إلى تحديد ما هو متيسر لي؛ وفقا لمعايير موضوعيّة مثل: الشّموليّة والتّمثيليّة... إلخ، وبعد متابعة لوضعيّة الصّحافة الرّياضيّة الجزائريّة؛ اخترت الصّحف النّاطقة بالعربيّة التّاليّة: (الهدّاف) (الخبر الرّياضيّ) (الشّباك) (هناك تعريف لهذه الجرائد في الباب الأول) ويعود هذا الاختيار -أساسا- إلى استقرار صدور هذه الجرائد في الفترة التي اخترتها؛ وهي التي تمتد من سنة (2009م) إلى سنة (2014م) وبشكل يسمح لي بتغطية كلّ فترة إنجاز هذا العمل (أشير إلى أنّ جريدة (الخبر الرّياضيّ) لم تتأسس إلا في 20 ماي 2010م، لذلك لن يرد ذكرها في الأمثلة التي سأدرسها في سنة (2009م) وهو ما جعلني أكتفي فيها بحدث واحد فقط).

وقد توجهت داخل هذه العيّنة إلى وضع تحديد آخر لأسباب شساعة المادة وصعوبة التّحكم فيها، فوقع اختياري على العيّنة المرتبطة بالأحداث؛ أي أنّني انتقيت مجموعة من الأحداث الهامة في عالم الرّياضة لدراستها حسب تغطيّة كلّ جريدة، وكان سبب اتجاهي لهذا الاختيار مرتبطا بتيسير التّحكم في السّياقات لما لها من دور في الدّراسة التي سأنجزها، لأنّ التّداوليّة من الدّراسات الحديثة التي تعطي أهميّة وأولويّة، في شرح عمليات إنتاج اللّغة وتأويلها، لهذا المتغيّر (السّياق) وعلى ذلك، توجهت إلى جمع الجرائد المذكورة مع انتقاء حدثيْن هاميْن في كلّ سنة من السّنوات المحددة سابقا (أضيف إلى الاستثناء السّابق اكتفائي بحدث واحد في سنة (2014م) لأنّ العمل وصل إلى نهايته في الشّهر الثّالث من هذه السّنة).

وكانت الأحداث التي وقع عليها اختياري كالتّالي:

1- **تأهل الجزائر إلى كأس العالم لسنة 2010م:** استعنتُ بالجرائد الصّادرة يوم 19 نوفمبر 2009م، وكان هذا الحدث هاما جدا في عالم كرة القدم الجزائريّة؛ لأنّ التّأهل كان بشق الأنفس، وفي مباراة فاصلة مع مصر في ميدان محايد؛ وهو الكائن في مدينة أم درمان السّودانيّة، وانتهت نتيجة المقابلة بواحد (01) مقابل صفر (00) لصالح الجزائر.
2- **تأهل الجزائر لنصف نهائيّ كأس إفريقيا سنة 2010م بأنغولا:** يعتبر هذا الحدث أول عودة للجزائر إلى المستوى العاليّ في القارة الإفريقيّة؛ بعد غياب لمدة عشرين (20) سنة، وكان ذلك بالفوز أمام منتخب كوت ديفوار بثلاثة (03) أهداف مقابل اثنين (02) ودرست الجرائد الصّادرة يوم 25 جانفي 2010م.
3- **نيل مولوديّة الجزائر بطولة الجزائر سنة 2010م:** يتعلق هذا الحدث الوطنيّ بالأنديّة الجزائريّة، وحصولها على الألقاب الوطنيّة، ورصدت في هذا الحدث الجرائد الصّادرة يوم الثّلاثاء 01 جوان 2010م التي تحدثت عن ترسيم نيل المولوديّة للّقب؛ بعد فوزها على مولوديّة باتنة بأربعة (04) أهداف مقابل صفر (00).
4- **فوز شبيبة القبائل بكأس الجزائر سنة 2011م:** يُشكل هذا الفوز –أيضا– حدثا وطنيّا بالمفهوم الرّياضيّ، وهو متعلق بكأس الجزائر، وليس بالبطولة الوطنيّة، وقد فازت فيه شبيبة القبائل على اتحاد الحراش بنتيجة واحد (01) مقابل صفر (00) وبالتّالي افتكت كأس الجمهوريّة، واستعملت في دراستي الجرائد الصّادرة يوم 02 ماي 2011م.
5- **نيل جمعيّة الشلف بطولة الجزائر سنة 2011م:** يتعلق هذا الحدث الرّياضيّ الوطنيّ بالفوز بالبطولة الوطنيّة التي تُنظم كلّ سنة، واستعنت بالجرائد الصّادرة يوم 26 جوان 2011م؛ والتي تحدثت عن فوز جمعيّة الشلف على اتحاد عنابة بأربعة (04) مقابل صفر (00) وبالتّالي تم ترسيم فوزها بالبطولة الوطنيّة؛ وهي الأولى في تاريخها.

6- **نيل وفاق سطيف لبطولة الجزائر سنة 2012م:** كان هذا الحدث في سنة سيطر فيها وفاق سطيف جزائريّا وعربيّا؛ فأصبح محل كلّ الأنظار، ودرست فيه الجرائد الصّادرة يوم 17 ماي 2012م.

7- **تأهل الجزائر إلى كأس إفريقيا لسنة 2013م:** يمثّل هذا الحدث نجاحا إفريقيا للفريق الوطنيّ الذي عاد إلى السّاحة العالميّة، وكان التّأهل على حساب المنتخب اللّيبيّ، وفحصت في هذا الحدث الجرائد الصّادرة يوم 16 أكتوبر 2012م.

8- **إقصاء الفريق الوطنيّ من كأس إفريقيا سنة 2013م:** شكل هذا الحدث صدمة لمناصري المنتخب الوطنيّ حيث بعد عودته للمستوى العاليّ مع المدرب رابح سعدان؛ انهار في أول اختبار مع المدرب (حاليلوزيتش) بأن خرج مبكرا في كأس إفريقيا 2013م، واعتمدتُ في دراستي على الجرائد الصّادرة يوم 28 جانفي 2013م.

9- **فوز اتحاد العاصمة بكأس الجزائر سنة 2013م:** يمثّل هذا الحدث فوز النّادي الجزائريّ اتحاد العاصمة بكأس الجمهوريّة الجزائريّة، واستعنت في دراستي بالجرائد الصّادرة يوم 02 ماي 2013م.

10- **فوز الجزائر بكأس أمم إفريقيا لكرة اليد سنة 2014م:** انتقيتُ هذا الحدث لاهتمامه بكرة اليد؛ عكس كلّ الأحداث السّابقة المتعلقة بكرة القدم، وكان هذا الإنجاز للمنتخب الوطنيّ أمام منتخب تونس، وقد جاء –أيضا– بعد غياب الجزائر لمدة عشرين (20) سنة عن التّتويجات بهذه الكأس، ودرستُ فيه الجرائد الصّادرة يوم الأحد 26 جانفي 2014م.

وأشير، بعد هذا السّرد، إلى أنّ اختيار هذه الأحداث ليس اعتباطيّا، فأوليتُ عناية خاصة لما هو وطنيّ، وفضلته عما هو جهويّ؛ لذلك كان نصف الأحداث (أي خمسة (05) منها) متعلقا بالفِرق الوطنيّة (كرة القدم وكرة اليد) وسعيتُ في هذا الانتقاء إلى الأخذ بأهم الأحداث في هذه الفترة، فاخترتُ أن تكون متعددة من حيث أهميّتها مثل كأس العالم وكأس إفريقيا، ومن حيث ايجابيّتها وسلبيّتها من إقصاء وتأهل، ومن حيث اللّعبة –أيضا– ككرة القدم وكرة اليد، أما النّصف الآخر من

الأحداث (خمسة (05) أحداث) فجهويّ من حيث إقليميّته، واخترت الصّفحات المتحدثة عن فوز خمسة فِرَق جهويّة/محليّة باستحقاقات وطنيّة؛ وهي ثلاثة (03) فرق فائزة بلقب البطولة الوطنيّة، والمتمثلة في جمعية الشلف ووفاق سطيف ومولودية الجزائر، كما انتقيتُ فريقيْن فائزيْن بكأس الجزائر؛ وهما اتحاد الجزائر وشبيبة القبائل، ولا بد –هاهنا– من الإشارة إلى أنّ كلّ حديث عن هذه الأحداث يتخلله كلام عن الفِرَق المنافسة، فحدث تأهل الجزائر إلى نصف نهائيّ كأس أمم إفريقيا له علاقة بمنتخب كوت ديفوار مثلا... وهذا ما يقدم صورة على اتساع العيّنة من حيث المعنيين بالمقالات التي درستها.

وناقشت حيثيات الموضوع الذي وددتُ من خلاله الإجابة عن كلّ الإشكالات التي طرحتها سابقا، والعيّنة التي حددتها آنفا، في مجموعة من النّقاط التي تشرح مفردات العنوان؛ وتنوّر القارئ –في إطار التّوجهات التي اخترتُها– وكان ذلك وفق التّسلسل المنطقيّ التّالي:

المقدمة.

- الباب الأول: الإطار النّظريّ للأطروحة؛
- الفصل الأول: مفهوم الخطاب الصّحافيّ (الرّياضيّ)؛
- المبحث الأول: المحتوى الصّحافيّ (الرّياضيّ) بالمنظور الإعلاميّ؛
- المبحث الثّانيّ: المحتوى الصّحافيّ (الرّياضيّ) والعلوم اللّغويّة؛
- الفصل الثّانيّ: قراءة في التّداوليّة وحدودها؛
- المبحث الأول: التّداوليّة أصولها ومدارسها؛
- المبحث الثّانيّ: التّداوليات التي تتبناها الأطروحة (التّداوليّة المدمجة والتّداوليّة العرفانيّة)؛
- الباب الثّانيّ: الخطاب الصّحافيّ (الرّياضيّ) والتّداوليّة (دراسة تطبيقيّة)؛
- الفصل الأول: الخطاب الصّحافيّ الرّياضيّ والتّداوليّة المدمجة؛
- المبحث الأول: تعدد الأصوات في الخطاب الصّحافيّ الرّياضيّ؛
- المبحث الثّانيّ: الطّابع الحجاجي للخطاب الصّحافيّ الرّياضيّ؛
- الفصل الثّانيّ: الخطاب الصّحافيّ (الرّياضيّ) ونظريّة الحصافة؛

- المبحث الأول: حصافة مصرحات الخطاب الصّحافيّ الرّياضيّ؛
- المبحث الثّانيّ: حصافة الأفعال الكلاميّة والنّصوص؛
- المبحث الثالث: الآثار السّياقيّة الأخرى (درجات الحصافة والشّطب)؛

خاتمة.

ولا بد، إحقاقا للحق، أن أشير إلى أنّ هناك أعمالا سابقة مهمة؛ سبقتني إلى طرح مجموعة من القضايا ذات الصّلة بالبحث الذي أُقدمه، سواء في الثّقافة الغربيّة أو في الثّقافة العربيّة، لكنّني أعيد التّأكيد –ابتداءً– على أنّني لم أطّلع على عمل –في المستوى الذي أنا فيه– يدرس الصّحافة الرّياضيّة دراسة تداوليّة ولا حتى لغويّة، فتُركز الأعمال التي وجدتها في الثّقافة الغربيّة على تقديم التّداوليّة؛ ويطغى عليها الطّابع النّظريّ، أما الأعمال العربيّة، فوجدت في بعضها ما يتقاطع مع عملي هذا في شيء أو أشياء، وأذكر من هذه الأعمال:

1- كتاب (التّداوليّة عند العلماء العرب –دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التّراث اللّسانيّ العربيّ–) ل(مسعود صحراوي): يتناول هذا الكتاب التّداوليّة من زاوية متميّزة تمزج بين المنظور العربيّ والأوربيّ للتّداوليّة، وقد خصص المؤلف عمله لنظريّة أفعال الكلام فقط دون التّداوليات الأخرى، ثم ركز أغلب جهده على تأصيل هذه النّظريّة في التّراث العربيّ الإسلاميّ؛ فوضعها في تقاطع مع نظريّة الخبر والإنشاء التّراثيّة في كلّ أبعادها؛ الأصوليّة منها والنّحويّة، ويتقاطع هذا الكتاب مع ما قمتُ به في موضوع التّداوليّة، لكن الاختلاف أوسع من حيث إن عملي هذا؛ يرتكز على استثمار آليات أخرى من التّداوليّة غير نظريّة أفعال الكلام –رغم أنّي أشرتُ إليها في عملي النّظريّ– كما أنّ هذا الاستثمار سيكون في الخطاب الصّحافيّ الرّياضيّ؛ وهو ما لم يقم به هذا الكتاب.

2- أطروحة الدّكتوراه الموسومة:« إستراتجية التّواصل: التّصريح والتّلميح في الخطاب السّياسيّ» للباحثة (ذهبية حمو الحاج): عالجت هذه الأطروحة بعض الأفكار التي تتقاطع مع عملي هذا، لكن أشير إلى أنّها اهتمت كثيرا المتضمنات وبنظريّة التّلفظ في تحليلها؛ مما يجعلها أقرب إلى تحليل الخطاب بالمنظور الفرنسيّ أكثر من اقترابها من التّداوليّة، وكان اهتمامها بالخطاب الصّحافيّ من حيث هو

كذلك قليل –أيضا–؛ لأنّها انطلقت في تحليلها من خطابات صحّافيّة وخطابات سياسيّة منشورة على شكل كتاب، كما أنّها لم تهتم بالصحّافة الرّياضيّة؛ لذلك لا يتقاطع عملي معها إلا في بعض الأشياء، وخاصة منها النّظريّة مثل: تقديمها للخطاب ومفهومه وأنواعه، والتّواصل ونظريات أفعال الكلام والتّلفظ.

3- أطروحة الدّكتوراه المعنونة:« معالم لدراسة تداوليّة وحجاجيّة للخطاب الصحّافيّ الجزائريّ المكتوب ما بين 1989 و2000» للباحث (عمر بلخير): يتقاطع هذا العمل مع عملي في بعض النّقاط؛ وخاصة النّظرة إلى الخطاب الصحّافيّ، لكن هذا العمل أخذ مجرى مشابها للأطروحة السّابقة من حيث الميل إلى تحليل الخطاب، وحضور النّظرة الاجتماعيّة الفرنسيّة بشكل أكبر؛ مع اختلاف جوهريّ بينه وبين العمل السّابق في التّوجه الحجاجي الغالب على عمل الباحث عمر بلخير، وبالتّالي أختلف معه من حيث المنطلق؛ لأنّ توجه بحثي تداوليّ بحت، إضافة إلى تكريسه للصحّافة الرّياضيّة، عكس هذه الأطروحة المهتمة بالصحّافة بشكل عام.

4- مذكرة الماجستير الموسومة:(انسجام الخطاب في مقامات "جلال الدين السّيوطي") للباحثة (فتيحة بوسنة): وقد تحدثت هذه المذكرة في جزئها النّظريّ عن التّداوليتيْن اللتيْن اعتمدتُهما؛ وأقصد بذلك التّداوليّة المدمجة والتّداوليّة العرفانيّة ممثلة في نظريّة الحصافة، لكنّها تحدثت على دراسات أدبيّة أخرى؛ مما جعل تركيزها متعدد غير قائم على تلك التّداوليتيْن فقط، وعلى العموم، يبدو أنّ عدم إتقان اللّغات الأجنبيّة أعاق هذا العمل، فكانت التّطبيقات قليلة وأغلبها متعلق بتلك الدّراسات الأدبيّة الأخرى، فانزوى حضور التّداوليتيْن المذكورتيْن، أما الاختلاف الجوهريّ بين هذه المذكرة وعملي هذا؛ فيكمن –أساسا– في التّفصيل الذي اعتمده في تقديم التّداوليّة بشكل عام، والتّداوليتيْن المذكورتيْن تنظيرا وتطبيقا، إضافة إلى اختلاف العيّنة التي فحصتها من حيث انصب اهتمامي على الصحّافة الرّياضيّة، أما هذه المذكرة فاهتمت بالمقامات؛ والبون شاسع بيننا في هذا.

وأخلصُ في نهاية هذا العرض إلى أنّ أطروحتي هذه مختلفة عن تلك الأعمال التي ذكرتها من جهة العيّنة؛ فانصب اهتمامي على الصحّافة المتخصصة؛ وبالضبط الصحّافة الرّياضيّة، أما من حيث المنهج، فقد اتجهتُ اتجاها تداوليّا بحتًا؛ مما جعل

بحثي يختلف عن هذه الأعمال، وخاصة في عنايتي بنظريّة الحصافة أو التّداوليّة العرفانيّة، بشكل عام، التي لم يكن لها نصيب ما في الأعمال المذكورة –رغم أنّ العمل الأول أشار إليها في فصله الأول الذي كان نّظريّا، والعمل الرّابع حاول تقديمها في بُعدها النّظريّ– إضافة إلى اهتمامي بالتّداوليّة المدمجة كقطب أساسيّ في التّداوليّة، عكس الأعمال السّابقة التي أشارت إليها؛ لكن لم تجعلها منطلقا في التّحليل.

وتتميّز البحوث العلميّة في هذا العصر باعتمادها على شتى أنواع المؤلفات لفهم موضوعاتها واستجلاء مكنوناتها وعضد حججها؛ ذلك أنّ العلم لم يعد يؤتى من العدم؛ بل هو بناء فوق بناء، ولما كان الأمر كذلك، لم أشذ على هذه الأعراف؛ فقد اعتمدت على عدد لا يستهان به من المؤلفات حسب الموضوعات المطروقة في عملي، ففي جانب الصّحافة ولغتها، استعنت كثيرا بالمؤلفات العربيّة حيث أخذت عن مؤلفين من مثل الباحث (أديب خضور) في كتب متعددة، وفي اللّغة اعتمدت على أعمال (صالح بلعيد) المتعلقة بلغة الصّحافة، أما في مسار التّداوليّة، وهو العمود الفقري لعملي هذا، فقد اعتمدت على كتب باللّغات الأجنبيّة أهمها كتب (أوزفالد ديكرو– Ducrot Oswald) من مثل:(Le dire et le dit) و(Les échelles argumentatives)، وكتاب (دان سبربر وديردر ولسن– Dan Sperber, Deirdre Wilson) الموسوم:(La pertinence (communication et cognition)، إضافة إلى بعض المعاجم الموسوعيّة مثل:(Concise encyclopedia of pragmatics) ل(جاكوب ل. ماي– Jacob L. May)...

وقد واجهتني أثناء إنجاز هذا العمل العديد من الصّعوبات؛ منها الموضوعيّ منها الذّاتيّ؛ سأكتفي في الجانب الذاتيّ بأعظم الصّدمات التي يمكن أن يتلقاها الإنسان؛ وهو فقدان الأقارب، فقد فقدت أعز ما لديّ في الأرض؛ وهما الوالديْن في ظرف ثلاث (03) سنوات كلّها داخل فترة إنجاز هذا العمل؛ ولا تسعني اللّغة للتّعبير عن ذلك... كما فقدت –أيضا– شخص المشرف الأول على هذه الأطروحة، وهو: الدّكتور محمد يحياتن... رحمهم الله جميعا.

أما الصّعوبات الموضوعيّة، فسأكتفي بالحديث الأبدي عن نقص المراجع، وخاصة منها المراجع باللّغة الإنجليزيّة، فلولا استفادتي من منحة للتّربص في فرنسا لما تحصلت على العديد من الكتب النّفيسة.

وسأختم مقدمتي هذه بتوجيه الشّكر إلى كلّ من ساعدني من قريب أو من بعيد بفكرة أو ببسمة أو بأيّة طريقة أخرى، وأخص بالذّكر الأستاذ الدّكتور (صالح بلعيد) الذي بذل أقصى ما يمكنه في سبيل جبر كل اعوجاج في هذا العمل، كما أشكر كلّ أعضاء مخبر الممارسات اللّغويّة في الجزائر، وخاصة (عبد القادر تواتي) و(عمر بورنان) و(مسعودة سليماني)... وأوجه شكري -أيضا- للأستاذتيْن (صوفي موارون–Sophie Moirand) من جامعة السّوربون و(سوندرين روبول–توري–Sandrine Reboule-Touré) من جامعة باريس (03) على نصائحهما.

شرفة: 2014/03/19م

الباب الأوّل:
الإطار النّظريّ للأطروحة.

الفصل الأوّل:

مفهوم الخطاب الصِّحافيّ (الرّياضيّ).

الفصل الأول: مفهوم الخطاب الصّحافيّ (الرياضيّ): سأعالج في هذا الفصل حيثيات الخطاب الصّحافي الرياضيّ، وسأنظر إليه من منظوريْن مختلفتيْن لكن متكاملتيْن في تفسيره، وهما المنظور الإعلاميّ والمنظور اللّغويّ.

المبحث الأول: المحتوى الصّحافيّ (الرّياضيّ) بالمنظور الإعلاميّ: عرفت الممارسة الصّحافيّة في أول نشأتها نوعا من الصّحافة التي تتحدث عن كلّ المسائل التي تهُم الإنسان، فسُمي ذلك النّمط من الصّحافة بالصّحافة العامة، لكن بدأت، مع مرور الوقت، تتخصص في ميادين بعينها؛ تاركة بذلك الميادين الأخرى لغيرها من الصّحف، فسُمي هذا النّفر من الصّحافة بالصّحافة المتخصصة؛ ومنها الصّحافة الرّياضيّة التي تُشكل موضوع هذه الدّراسة؛ وفي سبيل التّعريف بها، سأعرج قليلا على مفهوم الصّحافة المتخصصة أولا، ثم سأنغمس في مفهوم الصّحافة الرّياضيّة ثانيّا.

الفرع الأول: من الصّحافة العامة إلى الصّحافة المتخصصة: لم يكن الانتقال من الصّحافة العامة إلى الصّحافة المتخصصة، والرياضيّة بشكل خاص، مرورا سلسا، فثمة مراحل مر بها العمل الصّحافيّ لكي يصل إلى ما وصل إليه، ويمكن ترتيبها كالتّالي[1]:

- الصّحافة العامة التي تتحدث عن كلّ الموضوعات المهمة في المجتمع.
- إقرار أبواب داخل الصّحافة العامة لأهميّة تلك المواضيع.
- إقرار ملاحق بأكملها للجريدة؛ لأهميّة المواضيع التي تُخصص لها، وهي ملاحق مستقلة عن جسد الجريدة.
- نشأة جرائد متخصصة، ومن بعده جرائد متخصصة في التّخصص.

يُستخلص من هذا العرض أنّ الصّحافة العامة هي تلك الصّحافة التي تتحدث عن كلّ المجالات، أما الصّحافة المتخصصة؛ فغنيّ عن البيان أنّها تلك التي تُعنى بمجال ما؛ وقد عرّفها البعض على «... أنّها الصّحيفة أو الدّورية التي تتخصص بجزئيّة أي تخصص ما في فرع من فروع العلم أو الثقافة، وهذا استجابة لرغبة

---

[1]- صلاح عبد اللطيف، الصّحافة المتخصصة، ط 01. القاهرة: 2002م، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنيّة، ص 145.

وحاجة القطاع المعني، فمثلا يهتم المثقفون والأدباء بالأخبار والتحليلات حول ضروب الأدب المختلفة... وقد ازداد التّخصص إلى ظهور دوريات تهتم بجزئية من الأدب كأن تتخصص بالشعر...»[1] فينصب اهتمام الصّحافة المتخصصة بذلك على مجال بعينه، وهذا التّخصص إنّما كان له وجود لشيوعه في مجالات الحياة والعمل والممارسات المهنيّة في الزّمن الحاليّ[2]، فما كان للصّحافة إلا أن تواكبه، ولكن هذا لا يغطي عن أسباب أخرى كثيرة لظهور هذا النّمط من الصّحافة، وهو موضوع النّقطة المواليّة.

1: أسباب ظهور الصّحافة المتخصصة: يعتقد الدّارسون أنّ أسباب ظهور الصّحافة المتخصصة عديدة، ومن أبرزها ما يلي:

I- **عجز الصّحافة العامة:** سادت الصّحافة العامة التي تتحدث عن كلّ شيء دهرا من الزّمن، لكن بدأت الأوضاع تتطور شيئا فشيئا؛ بتأسيس الملاحق والصّفحات الخاصة الواحدة تلو الأخرى؛ مسايرة بذلك الطّبيعة البشريّة المتطورة، وهذا ما جعل هذه الصّحف تتكدس بالملاحق ويتضخم حجمها، ومنه بدأ النّاس يهجرونها، فكان أحد السّبل للخروج من المأزق؛ هو التّخصص في ميدان من الميادين.

II- **التّقسيم الاجتماعيّ للعمل:** عرفت المجتمعات الحديثة تطورا سريعا في شتى المجالات حتى أصبحت بعض النّشاطات التي كانت هامشيّة، في زمن ما، مهنة مهمة في الزّمن الحاليّ، وكان هذا نتيجة تطور المجتمعات، ونمو الإنسان من كلّ الجوانب، فأصبح من الضّرورة بمكان أن يتخصص كلّ في شعبة من شعب الإنتاج، ولم تَحِد الصّحافة عن هذا النّاموس الحياتيّ؛ فاتجه مالكو الشّركات الإعلاميّة إلى التّخصص.

III- **ولوج الإنسان إلى فضاءات معرفيّة جديدة:** استطاع العلم الإنساني في الفترة المعاصرة كسر الكثير من السّلاسل التي كانت مستعصية إلى زمن

---

[1]– عيسى محمود الحسن، الصّحافة المتخصصة، ط 01. عمان: 2010م، دار زهران ، ص 19.

[2]– أديب خضور، الإعلام الرّياضيّ (دراسة علميّة للتّحرير الرّياضيّ في الصّحافة والإذاعة والتّلفزيون) سلسلة المكتبة الإعلاميّة (09)، ط 01. دمشق: 1994م، ص 70.

ليس ببعيد، فأنجزت الكثير من الفتوحات العلميّة في شتى المجالات بوتيرة لم تشهد البشرية لها مثيلا، وهذا ما أدى إلى توسيع قائمة التّخصصات المعرفيّة الموجودة بشكل كبير، وهو الأمر الذي أجبر الصّحافة على مواكبته بأن أعطت الفرصة لكلّ تخصص أو كلّ تخصص فرعيّ –في بعض الحالات– للاستفادة من جريدة خاصة به.

IV- **ظهور وسائل إعلاميّة أخرى:** كانت الوسيلة الإعلاميّة الوحيدة في بدايات القرن الماضي هي الجريدة، وكان لها بذلك أن تكون عامة، وأن تسترعي انتباه القرّاء، لكن مع التّطور التّكنولوجيّ، ظهرت وسائط إعلاميّة أخرى مثل: الإذاعة ثم التّلفزيون والشّابكة... وهذا ما أدى بالصّحافة المكتوبة العامة إلى فقدان دورها الإخباريّ لصالح هذه الوسائل، فاتجهت، تفاديا للانقراض، إلى الملاحق المتخصصة، وهناك من بين الجرائد من تحول مباشرة إلى صحيفة متخصصة لتفادي المزاحمة[1]؛ وهو ما نجح كاستراتيجية من الصّحافة المكتوبة، لكن يبدو أنّ الإذاعة والتلفزيون –أيضا– متجهتان إلى التّخصص!

V- **انتشار التّعليم[2] وتطور المستويات الفكريّة:** ما من شك أنّ أهمّ ما جاءت به الحضارة الحديثة للإنسان هو إتاحة العلم لأغلب فئات المجتمع؛ في أغلب بلدان العالم، وهذا يعود إلى سقوط أنظمة الاستبداد تحت مسمياتها المتعددة وأنظمة الاستعباد والرّق في العالم، وقد كان لانتشار العلم وقعٌ كبير على المستويات الفكريّة للنّاس حيث أصبح متاحا لهم أن يفهموا القضايا بما لم يكن متاحا لهم سابقا، ووصلت، في المرحلة الحاليّة، أغلب الفئات إلى مستوى فكريّ تتطلع من خلاله إلى قراءة معمقة للأحداث؛ وليس مجرد القراءة العامة، وهو الشّيء الذي لا يتحقق إلا بالصّحافة المتخصصة.

---

[1]– رولان كايرول، الصّحافة المكتوبة والسّمعيّة البصريّة، تر: محمد مرشلي، سلسلة المجتمع، الجزائر: 1984م، ديوان المطبوعات الجامعيّة، ص 685.

[2]– عيسى محمود الحسن، الصّحافة المتخصصة، ص 37.

VI- **تطور طبيعة الأحداث وتغطيتها:** يبدو أنّ الأحداث والظّواهر قد فقدت بساطتها الأولى؛ فأصبحت معقدة؛ تتداخل فيها عوامل كثيرة، وهذا ما يستدعي إعلاما متخصصا متحكما في ناصية الأحداث تحكما كبيرا، كما أنّ التّغطيات أصبحت –أيضا– أكثر صعوبة لاتساع المدى الجغرافيّ للأحداث التي يتم تغطيتها؛ سواءً وطنيّا أو دوليّا؛ مما يستدعي –فعلا– التّخصص للتّمكن من متابعة كلّ ذلك الزّخم.

VII- **استغلال فعالية الإعلام في التّأثير على المجتمع:** لا يختلف اثنان أنّ الصّحافة والإعلام سلطة من السّلطات في هذا العصر، وثمة الكثير من الفاعلين منهم السّياسيون ورجال الأعمال ممن يقف وراءها لتحقيق مأرب من المآرب؛ كأن يوّجه الرّأي العام توجيها معيّنا أو غيره من الأهداف والأغراض... لكن مع تطور المستويات الفكريّة والتّعليميّة وحتى الاقتصاديّة، في بعض الأحيان، لم يعد بالإمكان التّأثير بمجرد الإعلام العام بل يجب الاهتمام بدقائق وحيثيات الشّبكات الاجتماعيّة المختلفة؛ والتّغلغلُ في أوساطها ليس ممكنا إلا بصّحافة متخصصة متحكمة في هذه الدّقائق والحيثيات.

2: مميّزات الصّحافة المتخصصة: تتميّز الصّحافة المتخصصة عن غيرها من أنواع الصّحافة بعدة مميّزات تجعل منها نمطا خاصا من الصّحافة، ومما تذكره الأدبيات ما يلي:

I- الموضوع المتخصص: تُعد المادة الصّحافيّة المتخصصة أو الموضوع أهمّ معيار لتمييز الصّحافة العامة عن الصّحافة المتخصصة، لذلك لا يمكن للصّحافة المتخصصة أن تقوم لها قائمة إن لم يكن لها موضوع خاص بها؛ تلتزم بعرضه في كلّ أعدادها؛ كأن يكون الموضوع الثّقافيّ أو السّياسيّ أو الأدبيّ أو الرّياضيّ... لكن الملاحظ أنّ الصّحافة المتخصصة لا تلتزم بالتّخصص بشكل تام، فثمة دائما شيء من المعلومات التي لا تدخل في التخصص، فقد يَرِد منها نزر ما على أن لا تتجاوز الصّفحة في كلّ الجريدة، وعلى أن يكون موضوعها مهما بالنّسبة للقارئ

المتخصص، ويحضر إلى ذهني –هاهنا– إضافة جريدة (الهدَّاف)[1] الجزائريّة المتخصصة في كرة القدم صفحة تتحدث عن الشّؤون الدّينيّة...

كما يجب الملاحظة أنّ الموضوع المتخصص قد ينقسم إلى مواضيع متخصصة أصغر حجما؛ تكون فرعيّة في زمن ما؛ لكن سرعان ما تصبح تخصصا مستقلا، بعد ذلك، فليس مستبعدا أن تجد صحيفة أدبيّة تتحدث عن شتى أنواع الأدب من شعر ونثر؛ ثم تتخصص في الشّعر فقط، أو صحيفة تتخصص في الرّياضة –بشكل عام– ثم تتخصص في كرة القدم فقط، وهو حال أغلب الصّحف الرّياضيّة الجزائريّة التي تهتم بكرة القدم فقط أو بشكل كبير.

ويمكن تعريف الموضوع، بشكل من الأشكال، كمجموعة من الأحداث التي تنتمي إلى مجال معيّن والتي تهتم الصّحيفة المتخصصة بعرضها، وقد قال عنه أديب خضور أنّه «... المادة، أو القصة، أو الأمر، أو الشأن، القائم والمتواجد في مجال معين...»[2] والأحداث الموجودة ليست قابلة كلّها للنّقل على المستوى الإعلاميّ؛ بل يختار الصّحافيّ منها ما يراه ملائما؛ حسب مقتضيات سياقيّة كثيرة.

II– الجمهور المتخصص[3]: إذا كان الموضوع متخصصا بالشّكل الذي رسمته في الميزة الأولى، فإنّ هذا النّوع من المعلومات لن يهتم بها –عادة– إلا المتخصصون؛ وهذا حال الصّحافة المتخصصة –فِعلا– التي تتوجه –عادة– إلى جماهير متخصصة؛ بل متخصصة تخصصا دقيقا –في بعض الأحيان– كأن تتوجه صحيفة أدبيّة إلى ناقد للشّعر؛ أي أنّ هذا القارئ أكثر تخصصا من الجريدة، وقد يكون العكس؛ أي ناقد أدبيّ يقرأ جريدة في الشّعر، لكن في كلتا الحالتين الأمر سيان تقريبا لتقاطع تخصص القارئ والجريدة، وهو من أهمّ مسببات التقائهما.

---

[1]– يُنظر موقعها على الشّابكة: http://www.elheddaf.com/ (2013/01/13م).

[2]– أديب خضور، الإعلام المتخصص...، ص 18.

[3]– عيسى محمود الحسن، الصّحافة المتخصصة، ص 30.

ويرى أغلب الدّارسين أنّ القارئ أو الجمهور في حالة الصّحافة المتخصصة ما هو إلا مفهوم افتراضيّ[1] يضعه الصّحافيّ في ذهنه كما تضعه الصّحيفة في استراتجيتها، فقارئ أيّة جريدة متخصصة ليست معالمه واضحة ولا محددة؛ لأنّه قد يكون قارئا للصّحافة العامة أو العكس، وقد تكون له هوايات أخرى... لكن المؤكد أنّ هذا القارئ يتميّز ببعض المميّزات من مثل[2]:

أ- هو جمهور ضيّق من حيث عدده لأنّه متعلق بالتّخصص في حد ذاته، فهو معروف في خصائصه العامة.

ب- هو جمهور متميّز بارتفاع مستواه في التّخصص المعني، وقد يضم الخبراء والفّنيين المتميّزين...

ت- هو جمهور معني وجاد؛ أي أنّ قارئ الصّحافة المتخصصة عادة ما يكون باحثا عن إشباع حاجة إعلاميّة ملحة.

ث- هو جمهور متابع وناقد؛ أي أنّه غالبا ما يكون من المتابعين للشّأن المتخصص؛ بل له نظرة ثاقبة وناقدة للميدان.

III- الصّحافيّ المتخصص: إذا كان الموضوع متخصصا والجمهور كذلك، فالوسيط -بمفهوم (صوفي موارو-Sophie Moirand)[3]- بينهما لا يمكن أن يكون إلا متخصصا؛ وإلا فسد النّقل وعجزت الوسيلة الإعلاميّة عن تحقيق مقاصدها الإعلاميّة والماديّة-الاقتصاديّة، لذلك يُعد الصّحافيّ المتخصص حجر الزاويّة في الصّحافة المتخصصة لما له من دور في قوْلبة المعلومة، واختيار أسلوب معالجتها بما يتناسب مع الجمهور والمادة المقدمة، ولإيجاد مثل هذا الوسيط؛ تقترح الأدبيات طريقتيْن:

---

[1]- يُنظر: (Dominique Maingueneau, Analyser les textes de communication, Paris: 1998, Dunod).

[2]- أديب خضور، الإعلام المتخصص...، ص 37.

[3]- Sophie Moirand, Les discours de la presse quotidienne (observer, analyser comprendre), coll. Linguistique nouvelle, 02 ed. Paris: 2008, Presse Universitaire de France, p 66.

أ- **إعلاميّ-متخصص:** يكون مثل هذا الإعلاميّ قد تكوَّن في ميدان علوم الاتصال ثم تمرّس أثناء التّطبيق، أو تكوَّن مرة ثانيّة أكاديميّا في ميدان ما كالأدب أو السّياسة...

ب- **متخصص-إعلاميّ:** يُكوَّن مثل هذا الإعلاميّ في تخصص ما كالأدب والاقتصاد... ثم يُلقن في الوسيلة الإعلاميّة أدبيات الكتابة الإعلاميّة أو قد يُكوِّن نفسه، مرة أخرى، في معهد للإعلام، ثم يُدمج كصّحافيّ متخصص.

3: أنواع الصّحافة المتخصصة: تنقسم الصّحافة المتخصصة إلى أنواع كثيرة، قد يكون من العبث محاولة حصرها في عدد معيّن نهائيّ من الأصناف، لذلك درجت الأدبيات على تقديم بعض الأنواع؛ على سبيل المثال وليس الحصر، وهو ما سأقوم به مع الاعتماد في ذلك على تقديم أشهر الأنواع.

I- الصّحافة الأدبيّة: قد تكون الصّحافة الأدبيّة (إلى جانب الصّحافة الدّينيّة) من بين أوائل أنواع الصّحف[1] التي عرفها الإنسان، ففي بدايّة نشأة الصّحافة كانت الكتابات أدبيّة في أغلبها، ثم تطورت إلى الكتابة الصّحافيّة المعروفة حاليّا، أما الكتابة الأدبيّة فقد انشقت في ما بعد؛ وأصبحت مستقلة -أحيانا- كالقصة والرّوايّة... أو كصّحافة متخصصة كالمجلات والجرائد المنتشرة عبر العالم، فمثلا في فرنسا هناك (المجلة الأدبيّة-LE MAGAZINE LITERAIRE)[2] المتخصصة في الأدب، وفي لبنان مجلة (الآداب)[3] وفي الجزائر توجد مجلة (الثّقافة)[*].

II- الصّحافة الدّينيّة: تشترك هذه الصّحافة مع النّوع السّابق في أسبقيّة الظّهور حيث كانت المعابد ومواقع ممارسة الدّين في أوربا مكانا لتداول المطبوعات الإخباريّة؛ وليست المساجد الإسلاميّة -أيضا- ببعيدة عن هذا النّوع من الممارسات

---

[1]- عيسى محمود الحسن، الصّحافة المتخصصة، ص 30.

[2]- يُنظر موقعها على الشّابكة: http://www.magazine-litteraire.com (2013/01/13م).

[3]- يُنظر موقعها على الشّابكة: www.adabmag.com (2013/01/13م).

[*]- يبدو لي أنّ الصّحافة الثّقافيّة في الجزائر، وربما في الوطن العربيّ، متعثرة جدا، فمجلة (الثّقافة) هذه التي تصدر عن وزارة الثّقافة الجزائريّة متذبذبة الصّدور والنّشر -أيضا- (لأكثر تفاصيل يُنظر: http://www.djazairess.com/alfadjr/197462).

التي تشبه الصّحافة الدّينيّة، أما في العصر الحديث، فهي واسعة الانتشار، لربما لا يخلو أي بلد من هذه النّوع من الصّحافة مثل جريدة (البصائر)[1] في الجزائر...

III- الصّحافة النّسائيّة: يمثل هذا النّوع من الصّحافة نمطا مستقلا من الصّحافة، وخاصة بعد ظهور الحركات النّسائيّة؛ وما رافقه من استقطاب، وتهتم هذه الصّحافة –عادة– بكلّ شؤون النّساء من مأكل وملبس وحياة عاطفيّة... وقد لا يخلو أي بلد من هذه الصّحافة منها مجلة (دزيريات)[2] في الجزائر، و(الجوهرة)[3] في قطر...

IV- الصّحافة الاقتصاديّة: هي نوع من أنواع الصّحف المتخصصة التي تهتم بعالم المال والأعمال، وتتابع كلّ دقائق هذا المجال؛ كأن تقدم تحولات البورصة اليوميّة وأسعار العملة ومؤشرات التّحول الاقتصاديّ في البلدان... وعلى غرار الأنواع السّابقة، قد لا يخلو أي بلد من الصّحافة الاقتصاديّة، أذكر منها مثلا:(تايمز المحاسبة–Finacial Times)[4] في بريطانيا، وجريدة:(رقم الأعمال– Le chiffre d'affaires)[5] في الجزائر...

V- صحافة الإثارة: هي تلك الصّحافة التي تهتم بكلّ الحوادث الغريبة التي تحدث في شتى مناطق العالم، فتعتمد كلّ ما هو مثير في تقديم مادتها الصّحافيّة، كما تعتمد على مخاطبة العواطف؛ وذلك بسرد قصص تبدو سريّة وشخصيّة، وكثيرا ما تكون غريبة وشاذة، في بعض الأحيان، منها (بانوراما حوادث)[6] في الجزائر.

VI- الصّحافة الرّياضيّة: تُعد هذه الصّحافة من أشهر أنواع الصّحافة المتخصصة في العالم، قد لا يخلو بلد من البلدان من هذا النّوع من الصّحافة، يهتم بالرّياضة

---

[1]– يُنظر موقعها على الشّابكة: http://www1.albassair.org/(13/01/2013م).

[2]– يُنظر: دزيريات، جانفي 2014م، ع: 80.

[3]– http://sada.pagesperso-orange.fr/alonyWEB2007/cultures/journale.htm (13/01.2013).

[4]– يُنظر موقعها على الشّابكة: http://www.ft.com/home/uk وتعريفها على موقع وكيبديا: http://fr.wikipedia.org/wiki/Financial_Times (13/01/2013م).

[5]– يُنظر موقعها على الشّابكة: /http://www.lechiffredaffaires.net (13/01/2013م).

[6]– يُنظر: بانوراما حوادث، من 13 إلى 19 فيفري 2014، ع: 301.

بمفهومها الواسع؛ وفي سبيل التّقرب أكثر منها؛ سأفرد لها ما يلي من البحث باعتبارها موضوع العمل ككلّ.

الفرع الثّانيّ: الصّحافة الرّياضيّة: تُشكل الصّحافة الرّياضيّة مجالا خصبا للاستثمار الإعلاميّ حيث تتربع على قدرات كبيرة للتّوزيع والتّأثير، وخاصة في مجتمعات العالم الثّالث الشّابة التي تهتم في أغلبها بالرّياضة، وفي سبيل معرفة هذه الصّحافة، سأحاول التّقرب من دهاليزها أكثر في هذا المبحث، فليكن التّساؤل أولا عن تعريف هذه الصّحافة: فما هي يا ترى؟

1: تعريف وأسباب ظهور الصّحافة الرّياضيّة: سأُخصص هذه النّقطة لتقديم الصّحافة الرّياضيّة تقديما أوليّا، وسأركز الجهد في اتجاه تعريفها وأسباب ظهورها.

I- تعريف الصّحافة الرّياضيّة: تعددت تعاريف الصّحافة الرّياضيّة، ككلّ المفاهيم الحديثة، حيث ثمة الكثير من التّحديدات التي أحسب أنّها متعلقة –أساسا– بمنطلقات كلّ باحث على حدة، فيُعرّفها الباحث أديب خضور مثلا ب« تلك الصّحافة التي تعالج أساسا الموضوعات الرّياضيّة والتي توجه أساسا إلى الجمهور المعني بالرّياضة والمهتم بها...»[1] وغني عن البيان أنّ هذا الباحث السّوريّ إنّما ركّز في تعريفه على مجال التّخصص الذي تنتمي إليه الصّحافة الرّياضيّة، لكن هناك من ركز على أمور أخرى، وهو ما يظهر في التّعريف التّالي الذي عرّف الإعلام الرّياضيّ ككلّ حيث يقول إنّه:« عملية نشر الأخبار والمعلومات والحقائق الرّياضيّة وشرح القواعد والقوانين الخاصة بالألعاب والأنشطة الرّياضيّة للجمهور بقصد نشر الثّقافة الرّياضيّة بين أفراد المجتمع...»[2] علما أنّ الصّحافة الرّياضيّة بالنّسبة لصاحبي هذا التّعريف ما هي إلا إعلام رياضيّ مكتوب أو مطبوع؛ أي يحتوي على كلّ الخصائص الواردة في التّعريف، ويبدو لي جليا أنّ واضعي هذا التّعريف الثّانيّ إنّما انطلقا من مهام وأهداف الإعلام والصّحافة الرّياضيّة لتعريفها، والتّعريف الأول لا يلغي الثّانيّ والعكس غير صحيح –أيضا–.

1– أديب خضور، الإعلام الرّياضيّ...، ص 87.

2– خير الدين على عويس، م.م. عطا حسن عبد الرحيم، الإعلام الرّياضيّ، القاهرة: د.ت، مركز الكتاب للنّشر، ج 01، ص 22.

ويمكن القول إنّ الصّحافة الرّياضيّة ما هي إلا ذلك النّمط من الصّحافة المتخصصة التي تُعنى بوصف وتحليل الحدث الرّياضيّ من كلّ جوانبه الوقائعيّة والقانونيّة والجّماهيرية والطّبيّة... وتقديمه في حلة يفهمها جمهوره الذي يكون في شغف للحصول عليه.

II- أسباب ظهور الصّحافة الرّياضيّة: يشير الدّارسون إلى أسباب عديدة كامنة وراء ظهور التّخصص في الصّحافة الرّياضيّة، ويمكن تلخيصها في ما يلي:

أ- تطور مكانة الرّياضة في المجتمع[1]: يرى الإعلاميون أنّ نظرة المجتمعات الحديثة قد تغيرت في اتجاه النّظر إلى الرّياضة على أنّها نشاط هام من نشاطات الإنسان، وقد تبع ذلك اهتمام من شرائح واسعة بمثل هذا النّشاط، بل اهتمت به الحكومات والدّول لما فيه من استقطاب واهتمام شعبيّ، وهذا ما ولّد سياقا مواتيا لتأسيس صّحافة رياضيّة تتابع هذا الشّأن.

ب- تعدد الرّياضات الممارسة[2]: كانت ممارسة الرّياضة في العصور القديمة مقتصرة على رياضات محليّة وجهويّة، وغالبا ما لا تتعدى في أحسن الأحوال الطّابع القطريّ، لكن، على نقيض ذلك، انتشرت في العصر الحديث بعض الرّياضات، وبلغت مبلغا عالميّا على غرار كرة القدم وألعاب القوى التي تُخصص لها تظاهرات عالميّة معروفة، تستهلك ما تستهلك من الأموال، وتستقطب أغلب سكان المعمورة، كما أنّ الكثير من الرّياضات المحليّة ارتقت إلى القطريّة أو أكثر... وصاحب هذه التّطورات ارتفاع في عدد ممارسي الرّياضات، وعدد متابعي النّشاطات الرّياضيّة... فاتسع الجمهور بشكل كبير، وكان ذلك كفيلا بالدّفع إلى ظهور الإعلام المتخصص في هذه الرّياضات أحدها أو جلّها أو كلّها.

ت- المنافسة الإعلاميّة: إذا كان تطور مكانة الرّياضة وتعدد ممارسيها متعلق بالموضوع الرّياضيّ، فإنّه، بالمقابل، هناك أسباب ذات الصّلة بالإعلام في حد ذاته حيث إن الممارسة الإعلاميّة، بعد أن وصلت إلى منتهى المنافسة في نقل الأخبار

---

[1]- المنظمة العربيّة للتّربيّة والثّقافة والعلوم، الإعلام العربيّ حاضرا ومستقبلا (نحو نظام عربيّ جديد للإعلام والاتصال)، تونس: 1987م، ص 106.

[2]- أديب خضور، الإعلام المتخصص...، ص 188.

وتحليلها بوسيلة الصّحيفة العامة؛ كان لزاما عليها –خاصة بظهور الإذاعة والتّلفزيون...– أن تجد لنفسها مخرجا آمنا من هذه المنافسة الكبيرة؛ فما كان لها إلا أن تبحث عن الاختصاص، وفي هذا المجال يتميّز الميدان الرّياضيّ بوفرة الجمهور وكثرته[1] وتميُّز الموضوع واتساعه... وهو ما كان سببا من أسباب اتجاه المؤسسات الإعلاميّة إليه.

2: نشأة الصّحافة الرّياضيّة: نشأت الصّحافة الرّياضيّة –حسب الأدبيات– في زمن ليس ببعيد عن زماننا هذا، ونظرا لحداثة ظهورها، فإنّه لمن الصّعوبة بمكان إيجاد تاريخ جامع لكلّ فترات ومراحل نشأتها ونموها، لكن ثمة بعض المحاولات التي اجتهدت في سبيل وضع هذا التّاريخ، رغم السّمة القُطريّة التي تتميّز بها؛ أي أنّها تهتم بتقديم تاريخ الصّحافة الرّياضيّة في بلد من البلدان، وهذا ربما ما يعيق وضع تاريخ مشترك للصّحافة الرّياضيّة على المستوى العالميّ –على الأقل لحد الآن– لذا سأحاول أن أقدم تاريخ الصّحافة الرّياضيّة في بعض البلدان؛ كنماذج وليس كتطور خطي سبقت فيه إحداهما الأخرى، ولا بد من الإشارة، ابتداءً، وبشكل عام، إلى أنّ ظهور الصّحافة الرّياضيّة إنّما كان في بدايته لظهور النّواديّ والمنافسات الرّياضيّة التي تسترعي انتباه الجمهور.

I- الصّحافة الرّياضيّة في المجتمعات الغربيّة: عرفت الحضارة الغربيّة –عموما– الصّحافة قبل المنطقة العربيّة؛ لذلك سأُقدِم بعض ملامح ظهور الصّحافة الرّياضيّة في هذه الحضارة، وسأركز على تقديم نموذج إنجليزيّ وآخر فرنسيّ؛ لكي تكون الصورة أكثر كمالا.

أ– الصّحافة الرّياضيّة في الولايات المتحدة الأمريكيّة: يُعتقد في الأوساط الأمريكيّة أنّ أولى المجلات المحليّة الأمريكيّة التي تُعنى بموضوع الرّياضة هي:(الفلاح الأمريكيّ– Amercain Farmer) و(مُسجل سباقات الخيل ومجلة الرّياضة– Turf Register and Sporting Magazine) اللتين صدرتا بين (1819م) و(1829م)

---

[1]– صلاح عبد اللطيف، الصّحافة المتخصصة، ص 145.

أما أول جريدة، فهي:(روح الأوقات–Spirit of the times)[1] التي ظهرت سنة 1831م؛ وكانت تهتم برياضة سباق الخيل ورياضات أمريكيّة محليّة كالكريكي... ويُقسم (معجم سير الأدباء–Dictionary of literary biography) كُتاب الصّحافة الرّياضيّة في القرن التّاسع عشر إلى مدرستين: الأولى جدّية والثّانيّة فكاهيّة، يتزعم كلّ واحدة منهما كاتب مشهور، وهما على التّوالي:(هانري شادويك– Henry Chadwick) و(ليونارد دانا واشبورن–Leonard Dana Washburn)[2] بل يُعد (شادويك) رافع مكانة (البايز بول) إلى مصاف اللّعبة الوطنيّة لاهتمامه بها، وذلك لكتابته مجموعة من المؤلفات عن هذه اللّعبة منها كتابه:(قواعد البايز بول– Base ball rules)[3] الذي نُشر سنة (1858م).

وقد تطورت الصّحافة الرّياضيّة الأمريكيّة، في ما بعد، بشكل كبير، وتأسست بعض الجرائد الرّياضيّة أهمها:

- (أخبار الرّياضة الوطنيّة السّريعة–National Speed Sport News)[4]؛
- (الأخبار الرّياضيّة– Sporting news)[5]؛
- (الرّياضيّة المصورة–Sports illustrated)[6].

لكن يلاحظ أنّ عددها قليل –حسب التّقديرات–[7] مقارنة بالبلدان الأخرى.

ب- الصّحافة الرّياضيّة في فرنسا: عرفت الصّحافة الفرنسيّة الصّحافة الرّياضيّة لأول مرة سنة (1854م) وذلك من خلال صحيفة تسمى (الرّياضة–Sport) التي

---

[1]- Margaret A. Blanchard, History of mass media in the United States (an encyclopedia), 01st ed. Chicago/London: 1998, Fitzroy Dearborn publishers, p 621.

[2]- Richard Orodenker, Dictionary of literary biography, V. one handred seventy-one (twentieth-centry American sportswriters), Detroit/ Washington, D.C/ London: 1996, Gale research, Pennsylvania stat university, p ix.

[3]- Richard Orodenker, Dictionary of literary biography, V. 241 (American sportswriters and writers on sport), USA: 2001, Gale group, p 73.

[4]– يُنظر موقعها على الشّابكة: http://www.nationalspeedsportnews.com/ (2014/01/13م).

[5]– يُنظر موقعها على الشّابكة: http://www.sportingnews.com/ (2014/01/13م).

[6]– يُنظر موقعها على الشّابكة: http://sportsillustrated.cnn.com/ (2014/01/13م).

[7]- http://sport-newspaper.blogspot.com/2006/08/american-sport-newspapers_15.html (12/01/2014).

أسسها الصّحافيّ (أوجن شابوس-Eugene Chapus)[1] وهو، حسب ما يُشار إليه، قد فشل في الأدب فاتجه إلى الرّياضة، ثم أسس، بعده بحوالي اثنتي عشرة (12) سنة، شخص آخر يدعى (ريشارد ليسليد-Richard Lesclide)[2] جريدة سماها (الدّراجة المصورة-Vélocipède illustré) ويعرِّف (جاك مارشون-Jacques Marchand) هذه الصّحيفة على أنّها تهتم بسباق الدّراجات، بل إنّها نظمت بعض السّباقات، كما أنّها تُشهر لبعض الشّركات، مع العلم أنّ هذا الصّحافيّ (ريشارد ليسليد) كان يكتب ويطبع وينشر بنفسه هذه الصّحيفة، كما أنّه كان أديبا متميّزا عكس (شابوس) المؤسس الذي لم يكن كذلك -لأصوله القوادالوبيّة-.

وعرفت الصّحافة الرّياضيّة في فرنسا -في ما بعد- تطورا كبيرا، فظهرت صحيفة (السّيارة-Auto) التي تحولت في ما بعد إلى (الفريق- Equipe)[3] وهي أحد أشهر الصّحف الرّياضيّة في العالم[4]، وهناك صحف أخرى مثل: صحيفة (فرنسا كرة القدم-France Football)[5] و(مجلة الخيل-Cheval magazine) و(تنس فرنسا-Tennis de France)[6]...

II- الصّحافة الرّياضيّة في المجتمعات العربيّة: تأخر ظهور الصّحافة الرّياضيّة في المجتمعات العربيّة؛ لانحطاط حضارتها، في البداية، ثم لخضوع بلدانها للاستعمار تحت مسمياته الكثيرة، فيما بعد؛ لكن بعد حركات التّحرر، تأسست جرائد رياضيّة كثيرة في معظم البلدان العربيّة.

أ- الصّحافة الرّياضيّة في مصر: عرفت مصر تأسيس الفرق منذ القرن التّاسع عشر إبان الانتداب البريطانيّ، فكانت الصّحافة، في ذلك الوقت، عامة غير

---

[1]- Evelyne Combeau-Mari, sport et presse en France (xix-xx siècle), Paris: 2007, Le publieur, p 341.

[2]- Jacques Marchand, Responsable… (Déontologie pratique et vécu du journalisme de sport, un métier parfois méprisé, souvent critiqué, et toujours envié), Paris: Pays basque: 2011, Atlantica, p 57.

[3]- يُنظر موقعها على الشّابكة: http://www.lequipe.fr/ وتعريفها على وكيبيديا: http://fr.wikipedia.org/wiki/L%27%C3%89quipe (2014/01/13م).

[4]- Jacques Marchand , Responsable…, p 59.

[5]- يُنظر تعريفها في وكيبيديا: http://fr.wikipedia.org/wiki/France_Football (2014/01/17م).

[6]- Encyclopédia universlis (France), corpus 18, Paris: 1995, p 944.

متخصصة، لكنّها تهتم بالنّشاط الرّياضيّ في إطار صفحات مخصصة لذلك، وتُعد صحيفة (المضمار)[1] التي تأسست سنة (1921م) أول مجلة مصريّة متخصصة في الرّياضة، فكانت تُقدم أخبارا عن كلّ الرّياضات مع التّركيز على كرة القدم وسباق الخيل.

وقد تطورت الصّحافة الرّياضيّة في مصر، بعد ذلك، وتأسست العديد من الجرائد والصّحف الرّياضيّة أشهرها: جريدة (الأهرام سبورت)[2] و(الكورة) و(الملاعب)[3] إضافة إلى مجلة (الأهرام الرّياضيّة)[4]...

ب- الصّحافة الرّياضيّة في الجزائر: تأخر ظهور الصّحافة الرّياضيّة في الجزائر مقارنة بكلّ البلدان السّابقة التي ذكرتها، فلم تعرف هذا النّمط من الصّحافة إلا في النّصف الثّانيّ من القرن الماضي، ويعود هذا التّأخر إلى خضوع الجزائر لويلات الاستعمار الفرنسيّ الذي لم يخرج منها إلا في سنة (1962م) تاركا وراءه خرابا ما وراءه خراب.

ويبدو أنّ أولى الصّحف الرّياضيّة -التي وصلني خبر وجودها[*]- كانت جريدة (الرّياضة والأحداث-Sport et actualité) التي كانت ملحقا للجريدة الأم (الجزائر الأحداث-Algérie actualité) وبدأ صدورها سنوات 1964م-1965م، وتبعتها مجلة (الهدف) الرّياضيّة التي كانت مخصصة كلّها للرّياضة؛ ومعظمها لرياضة كرة القدم، وكانت تصدر في الشّرق الجزائريّ، أما أول جريدة رياضيّة معرّبة في

---

[1]- خير الدين على عويس، م.م. عطا حسن عبد الرحيم، الإعلام الرّياضيّ، ص 99.

[2]- يُنظر موقعها على الشّابكة: http://sport.ahram.org.eg/ (2014/01/17م).

[3]- يُنظر موقعها على الشّابكة: http://www.koura.net.eg/ (2014/01/17م).

[4]- يُنظر موقعها على الشّابكة: http://ryadi.ahram.org.eg/ (2014/01/17م).

[*]- أشير إلى أنّني لم أجد أي كتاب يؤرخ للصّحافة الرّياضيّة في الجزائر رغم تنقلي إلى مكتبة معهد علوم الإعلام والاتصال في الجزائر العاصمة، وتنقلاتي الكثيرة إلى مكتبات جامعات: قسنطينة، سكيكدة، عنابة البويرة المتواجدة كلّها في الجزائر، كما تنقلت إلى مقرات الجرائد حيث سألت عن الأمر دون جدوى، فالمرجع الوحيد الذي وجدته هو حصة إذاعية أُنجزت سنة 2013م، وهي مصدري في ما يلي من التّأريخ.

الجزائر، فكانت جريدة (المنتخب) التي تأسست يوم 11 ديسمبر 1985[1]، ويمكن تبرير هذا النّقص الكبير في عدد الصّحف الرّياضيّة، في الفترة الممتدة ما بين الاستقلال إلى سنة (1990م)، بهيمنة الدّولة على القطاع الإعلاميّ أو ما يسمى بفترة الأحاديّة التي لم يكن من الممكن فيها تأسيس جرائد خاصة.

وبدأت تظهر الصّحف الخاصة؛ عامة كانت أو رياضيّة بعد التّفتح السياسيّ والإعلاميّ للجزائر الذي شرّعه دستور (1989م) فكانت الصّحف في البداية أسبوعيّة، ثم أصبحت مع مرور الوقت يوميّة، ومن الملاحظات التي يمكن تسجيلها على هذا الجيل الجديد من الصّحافة الرّياضيّة؛ هو صدور الجرائد بلغتيْن هما الفرنسيّة والعربيّة، ومن بين الجرائد الرّياضيّة المفرنسة، أذكر الجرائد التّالية:

- Compétition (المنافسة)[2]؛
- Maracana (ماراكانا)[3] (نسبة إلى الملعب البرازيليّ المشهور)؛
- Planète sport (كوكب الرّياضة)[4]؛
- Le buteur (الهدَّاف)[5].

وهناك جرائد معرّبة أيضا، أذكر منها تلك التي ستكون محور دراستي في هذا العمل والتي تُشكل عيّنة الدّراسة، وهي على التّواليّ:

- **الهدَّاف***: هي أشهر الجرائد الجزائريّة المتخصصة في الرّياضة، ويُعرفها أصحاب موقعها كالتّالي:« تأسست مؤسسة الهدَّاف الإعلاميّة يوم الفاتح نوفمبر سنة (1998م) تحت اسم صحيفة الهدَّاف التي تسلط الضوء على كلّ

1– الإذاعة الجزائريّة _ اليوم الوطنيّ للصّحافة_ الصّحافة الرّياضيّة في الجزائر بين الأمس واليوم، يُنظر: http://www.radioalgerie.dz/ar/2010-04-29-14-15-33/2010-04-29-14-19-51/25913-2013-10-22-21-30-04 (2014/01/17م).

2– يُنظر موقعها على الشّابكة: http://www.competition.dz/ (2014/01/17م).

3– يُنظر موقعها على الشّابكة: http://www.maracanafoot.com/ (2014/01/17م).

4– يُنظر موقعها على الشّابكة: http://planetesport.dz/ (2014/01/17م).

5– يُنظر موقعها على الشّابكة: http://www.elheddaf.com/ (2014/01/17م).

*– تصدر جريدة (الهدَّاف) في المكان نفسه مع (Le butteur) ولهما موقع واحد على الشّابكة، مما يوحي أنّهما جريدة واحدة، لكن يبدو حسب موقع الجريدتين أنّ الجريدة الأم هي (الهدَّاف) والموقع على الشّابكة يحمل هذه التّسمية، أما (Le butteur) فهي ملحق إعلاميّ لها ناطق بالفرنسيّة.

منافسات كرة القدم في الجزائر بصفة خاصة. وقد لاقت رواجا واسعا بين الجزائريين حتى احتلت صدارة الصحف الرياضية في الجزائر وال[م]غرب العربي، وتقدم سنويا منذ سنة (2001م) جائزة أفضل لاعب جزائري، وتعكف أيضا على تقديم جائزة أفضل لاعب عربي منذ (2007م)، ويصدر عن مؤسسة الهدَّاف ملحقين إعلاميين هما يومية "لوبيتور" الناطقة باللغة الفرنسية ويومية "الهدّاف الدولي" التي تقوم بنقل أخبار كرة القدم الدولية وتغطية أكبر المواعيد العالمية»[1] وتحتل –فعلا– جريدة (الهدَّاف) مكانة مميّزة في الصّحافة الجزائريّة حيث لها مقروئية كبيرة حسب الإحصائيات، فكانت في المرتبة الثّانيّة –من حيث المقروئية– وراء جريدة (الخبر) سنة (2006م)[2]، وفي المرتبة الرّابعة وراء كلّ من جريدة (الشّروق اليوميّ) و(الخبر) و(النّهار الجديد) سنة (2012م)[3] متقدمة في ذلك كلّ الجرائد المفرنسة، وكلّ الجرائد الرّياضيّة، وأغلب الجرائد المعرّبة غير الرّياضيّة، وهذا ما يبيّن مكانة هذه الصّحيفة لدى القرّاء.

وتُركز جريدة (الهدَّاف) جهودها –كثيرا– على تقديم الخبر في ميدان كرة القدم، لكن هذا لا يعني أنّها لا تقدم معلومات عن الرّياضات الأخرى، رغم أنّ هذا نادر جدا؛ يكون مرتبطا –أساسا– بالإنجازات الكبرى لهذه الرّياضات الأخرى مثل الفوز ببطولة عالميّة أو إفريقيّة؛ كالفوز ببطولة في كرة اليد أو أيّة رياضة أخرى.

- **الشّباك[4]**: هي الجريدة المعرّبة الأخرى التي ستكون محل دراستي، وهي مثلها مثل جريدة (الهدَّاف) تهتم بكرة القدم، ولكن على خلافها، تهتم جريدة (الشّباك) بكرة القدم الدوليّة وليس الجزائريّة*، أما ما له علاقة بالكرة

[1]– يُنظر موقعها على الشّابكة: http://www.elheddaf.com/ (2014/01/17م).

[2]– الخبر، الأربعاء 05 أفريل 2006م، ع: 4670، ص 15.

[3]– يُنظر: سفيان بوعياد/ حفيظ صواليلي:« 'الخبر' الأكثر مصداقية لدى الجزائريين» الخبر، الثّلاثاء 03 أفريل 2012م، ع: 6675.

[4]– يُنظر موقعها على الشّابكة: http://www.echibek.net/ (2014/01/17م).

*– تضع جريدة (الهدّاف) اليوميّة صفحة واحدة في آخر الجريدة متعلقة بالأخبار الرّياضيّة الدّوليّة، لكنّها تملك ملحقا دوليّا منفصلا عن هيكل الجريدة، ويباع كجريدة مستقلة.

الجزائريّة، فتُخصص له مكانا صغيرا، كما تخصص للرّياضات الأخرى أمكنة صغيرة –أيضا– لكن رغم ذلك، فهي أمكنة قارة؛ وليست نادرة كما هو الحال مع جريدة (الهدَّاف).

- **الخبر الرّياضيّ**[1]: تُمثل هذه الجريدة ملحقا إعلاميّا لجريدة الخبر، وقد تأسست في 20 ماي 2010م، وتقوم بتنظيم جائزة (الحذاء الذهبيّ) كلّ سنة؛ وتُقدم لأحسن هدّاف للبطولة الوطنيّة، أما من حيث المحتوى، فتُركز هذه الجريدة على كرة القدم الجزائريّة كموضوع أساس مثلها مثل جريدة (الهدّاف) اليوميّة، لكنّها تختلف عنها في تخصيص بعض الصّفحات للرّياضات الأخرى؛ مثلها مثل جريدة (الشّباك) ثم تتشابه –أيضا– مع (الهدّاف) اليوميّة في تخصيص صفحة أو صفحتين للأخبار الدّوليّة.

ويلاحظ في الفضاء الإعلاميّ الرّياضيّ الجزائريّ وجود العديد من المواقع الإلكترونيّة التي تهتم بالرّياضة في الجزائر وكرة القدم بشكل خاص؛ مثل موقع (الميدان) الذي يُعرّف نفسه على أنّه موقع أنصار الكرة الجزائريّة[2]، إضافة إلى موقع (الجزائر كرة القدم)[3]...

3: مهام الصّحافة الرّياضيّة: لا يمكن لنوع من أنواع الصّحافة أن يجد لنفسه مكانا إلا إذا كان له أركان ومميزات –حسب المنظور الذي قدمته أثناء حديثي عن الصّحافة المتخصصة– وإذا اكتملت في نوع من الأنواع؛ كما هو الحال في الصّحافة الرّياضيّة، فإنّه سيكون مؤهلا لأن يؤدي مهاما متعددة في المجتمع، فما هي مهام الصّحافة الرّياضيّة بالتّحديد؟

للإجابة عن هذا السّؤال، أشير إلى أنّ مهامها متعددة ومتشعبة؛ حسب المنطلقات الرّوحيّة والتّجاريّة–الماديّة وحتى السّياسيّة، في بعض الأحيان، التي ينطلق منها الدّارس، وأذكر منها –هاهنا– ما يلي:

---

[1]– يُنظر موقعها على الشّابكة: http://www.elkhabarerriadhi.com/ (2014/01/17م).
[2]- http://elmedan.com/fr/ (18/01/2014).
[3]- http://algerfoot.com/ (18/01/2014).

I- تقديم الخبر الرّياضيّ: تُعد هذه المهمة مهمة أوليّة لكلّ الصّحافة الرّياضيّة حيث عليها أن تتابع المستجدات، وتختار ما يليق منها للنّشر على أن يكون ذلك «... بتغطية الأحداث الرّياضيّة بشكل دقيق وشامل بما يعطيها معناها الحقيقيّ... ومن المبادئ الهامة في الخبر الموضوعيّة وعدم خلطه بالرأي...»[1] فيجب أن يقدم الخبر للقارئ بشكل يكون معه أقرب ما يمكن إلى حقيقته في الواقع؛ دون تدخل في حيثياته ولا تحوير لجزئياته.

II- الشّرح والتّحليل: إذا كانت عمليّة الإخبار من المهام الأوليّة لكلّ الصّحافة الرّياضيّة، فإنّ الشّرح والتّحليل من مهامه الأساسيّة –أيضا– لأنّ عمليّة الإخبار قد تقوم بها حتى الجريدة العامة، في بعض الأحيان، أو قد تكون الوسائل السّمعيّة البصريّة أسبق إلى ذلك؛ كتقديم معلومة عن فوز فريق في مقابلة، كما يمكن أن تكون الإذاعة أسبق الوسائل إلى إعطاء هذه المعلومة ثم يتبعها التّلفزيون، وأخيرا، في اليوم الموالي، تأتي الصّحافة الرّياضيّة.

وتتميّز الصّحافة الرّياضيّة، في خضم هذا التّنافس، بمهام الشّرح والتّحليل؛ أي تقدم رؤية للحدث، كما تقدم تفسيرا ونقدا وآراءً... ويكون ذلك ضمن زينة لفظيّة هادفة إلى إثارة العواطف وتلبية رغبات القارئ؛ فعلى الصّحافيّ أن يمتلك «شجاعة الأسد ودقة بائع المجوهرات»[2] وكلّ هذا لتنوير القارئ على طبيعة الحدث والخبر المُقدم؛ لأنّ الجمهور –الرّياضيّ خاصة– كثير الانتقاد، وهذا ما يتطلب تحليلا عميقا وأحكاما نقديّة متعددة لتنال رضا ذلك الجمهور[3]. ويعتقد الباحث أديب خضور، في هذا الشّأن، أنّ الصّحافة

---

[1]– خير الدين على عويس، م.م. عطا حسن عبد الرحيم، الإعلام الرّياضيّ، ص 105.

[2]– ديفيد روي، الرّياضة، والثّقافة ووسائل الإعلام (الثّالوث الصّعب) تر: هدى فؤاد، سلسلة قضايا في الدّراسات الثّقافيّة والإعلاميّة، ط 01. القاهرة: 2006م، مجموعة النّيل العربيّة، ص 264.

[3]– كورتيس ماكدوغال:« الصّحفيّ الرياضيّ وتغطية المباريات والمسابقات» في دراسات في الصّحافة الرّياضيّة (تغطية المباريات صحفيّا وإذاعيّا وتلفزيونيّا وتحرير الأخبار الرّياضيّة) مجموعة من الباحثين الأمريكيين، تر: أديب خضور، ط 01. دمشق: 1995م، ص 46.

الرّياضيّة العربيّة قد أخفقت في تجسيد هذه المهمة؛ وذلك لانحسار مقالاتها في الأنواع الإخباريّة[1] وهذا ما جعلها محلا للعديد من الانتقادات.

III- تقديم الرّياضة إلى القارئ: تعمل الصّحافة الرّياضيّة على تعريف الرّياضة في كلّ أبعادها للقارئ، فهي لا تهتم فقط بوصف الأحداث في سياق الإخبار؛ بل قد تقدم خدمات أخرى مثل: تقديم الفاعلين في الرّياضة كالمدربين واللاعبين... كما تتحدث عن تاريخ الرّياضات التي تتخصص فيها وقواعدها... فتُحدث الوثبة الاجتماعيّة المطلوبة السّائرة نحو النّهوض بالرّياضة على كلّ المستويات، وخاصة روح المنافسة الشّريفة والوطنيّة...

IV- التّرفيه والتّسليّة[2]: إذا كانت الصّحافة المتخصصة، بشكل عام، تمتلك قارئا وجمهورا جديّا وعالما... فإنّ الصّحافة الرّياضيّة تتميّز بجمهورها وموضوعها اللذين لا يتصفان بهاتين الميزتين، فرغم أنّ جماهير الرّياضة اتسعت، ويوجد من بينها المثقفون –في الوقت الحاليّ– إلا أنّ الموضوع الرّياضيّ لا يزال يُنظر إليه على أنّه غير جديّ وتسليّة فقط... لذلك يبدو أنّ من المهام الأساسيّة للصّحافة الرّياضيّة هو تقديم مساحة لتسليّة القرّاء، وخاصة أنّ الصّحافة الرّياضيّة بعيدة نسبيّا عن أهوال السّياسة والحروب...

V- فضح الخروقات الموجودة في الوسط الرّياضيّ[3]: قد يكون من مهام أيّة صّحافة أن تهتم بمراقبة كلّ ما يحدث في ميدانها، والكشف عن كلّ الخروقات الموجودة فيه، وهذا محاولة دائمة منها ومشاركة من قِبلها في إرساء مجتمع مبني على الشرعيّة والحق... وفي هذا الإطار، لا تشذ الصّحافة الرّياضيّة عن ذلك إلا في اختصاصها بمجال الرّياضة فقط، فهي تُتابع النّجوم وتترصد كلّ انحرافاتهم، كما تفضح كلّ الخروقات التي يكون المسيرون قد أقدموا عليها

---

[1]– أديب خضور، الإعلام المتخصص...، ص 207.

[2]– لاوسين سليمان، الصّحافة الرّياضيّة ومدى تأثيرها على انتشار ظاهرة إقالة واستقالة مدربي أندية القسم الوطنيّ الأول أكابر لكرة القدم الجزائريّة في الفترة الممتدة من 2005 إلى 2010 (دراسة تحليليّة وميدانيّة)، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر 03: معهد التربية البدنيّة والرياضيّة، 2012م/2013م، ص 56.

[3]– خير الدّين على عويس، م.م. عطا حسن عبد الرحيم، الإعلام الرّياضيّ، ص 107.

مثل بيع وشراء المقابلات والحكام... أو التّزوير والرّشاوى في عقود اللاعبين[1]....

4: أنواع الصّحافة الرّياضيّة: يمكن تصنيف الصّحافة الرّياضيّة إلى أنواع؛ تماما كما تُصنف الصّحافة العامة إلى أنواع، ويمكن النّظر إلى الصّحف الرّياضيّة من منطلقات متعددة؛ منها:

I- من حيث دوريّة الصّدور: تتصف الصّحف، بشكل عام، بالدّوريّة؛ لكن دوريتها مختلفة من صحيفة إلى أخرى وفق إمكانياتها البشريّة والماليّة... ومن أشهر الأنواع حسب معيار الصّدور:

أ- **الصّحيفة الرّياضيّة الأسبوعيّة:** تعتبر هذه الصّحيفة من أشهر أنواع الصّحف الرّياضيّة، بل كانت أغلبها في العالم العربيّ أسبوعيّا في بدايتها، وهو ما حدث مثلا في الجزائر، فكانت جريدة (الهدّاف) جريدة أسبوعيّة قبل أن تتحول إلى جريدة يوميّة، وتتميّز الصّحف الرّياضيّة الأسبوعيّة بتفضيل التّحليل والشّرح أكثر من الإخبار[2] عكس الصّحف اليوميّة.

ب- **الصّحيفة الرّياضيّة اليوميّة:** عرفت الصّحافة الرّياضيّة بعد ترسخها في أذهان القرّاء انتقالا من حيث الدّوريّة إلى اليوميّة، وهذا لكثرة تدفق المعلومة ونمو جمهور الصّحافة الرّياضيّة، ومن الجرائد الرّياضيّة اليوميّة جريدة (الشّبّاك) الجزائريّة، وجريدة (شباب ورياضة)[3] العراقيّة مثلا...

وتجدر الإشارة إلى أنّ الدّوريّة لا تقتصر على الصّحف الأسبوعيّة واليوميّة فقط؛ بل قد تكون شهريّة أو سنويّة لكن ركزت فقط على الأشهر منها.

II- من حيث المضمون: يمكن النّظر إلى الصّحافة الرّياضيّة من حيث المواضيع التي تتطرق إليها، فتنقسم، وفقا لذلك، إلى نوعين من أنواع الصّحافة على الأقل؛ وهما:

1- ديفيد روي، الرّياضة، والثّقافة ووسائل الإعلام...، ص 278.

2- أديب خضور، الإعلام الرياضيّ...، ص 99.

3- يُنظر موقعها على الشّابكة: http://www.sport-andyouth.net/ (2014/01/18م).

أ- **الصّحافة الرّياضيّة العامة:** يتميّز هذا النّوع من الصّحافة بتغطية كلّ أنواع الأحداث الرّياضيّة، فيُقدم المعلومة ويحللها في كلّ مجالات الرّياضة كالتّنس والتّجديف والملاكمة... وقد لا تصادف الدّارس، في بعض بلدان العالم العربيّ، مثل هذه الجرائد، لكن هذا لا يعدم وجودها أبدا، فأذكر منها مثلا جريدة (Planète sport-كوكب الرّياضة) الجزائريّة النّاطقة بالفرنسيّة -التي ذكرتها سابقا- وجريدة (الملاعب)[1] الصّادرة عن اللّجنة الأولمبيّة الوطنيّة العراقيّة والتي تهتم بكلّ الرّياضيات مهما كان نوعها، وهذا يعود إلى طبيعة المالك الذي يشرف على رياضات متعددة، كما أنّ الصّحف الرّياضيّة الغربيّة -المذكورة سابقا- عامة في معظمها كجريدة (الفريق-Equipe) الفرنسيّة.

ب- **الصّحافة الرّياضيّة المتخصصة:** إذا كانت الصّحافة الرّياضيّة متخصصة في حد ذاتها، فقد ظهر تخصص داخل هذا التّخصص، وهو حال معظم الجرائد العربيّة التي تتحدث عن كرة القدم لا غير، لكن قد تتخصص جريدة ما في رياضات أخرى كسباق الدّرجات أو سباق الخيل، وهذا هو التّخصص داخل التّخصص.

III- من حيث الجهة المالكة للصّحيفة: تختلف الصّحف الرّياضيّة من حيث الجهة التي تؤسس وتسير الصّحيفة[2]، ويمكن تمييز ثلاثة أنواع من الصّحف؛ وفق هذا المعيار:

أ- **الصّحف الرّياضيّة الحكوميّة:** وهي تلك الصّحف المملوكة للدّولة حيث تستثمر فيها أموالها، وبالتّالي هي التي تعيّن كلّ إطاراتها وعمالها، كما تحدد خطها التّحريريّ.

ب- الصّحف الرّياضيّة المملوكة للهيئات الأخرى: قد تصدر الصّحف الرّياضيّة عن جهات غير حكوميّة؛ لكنّها تُمثل هيئات معنويّة مستقلة ماليّا

---

[1]- يُنظر موقعها على الشّابكة: http://www.almla3eb.com/pag13.html (2014/01/18م).

[2]- لاوسين سليمان، الصّحافة الرّياضيّة ومدى تأثيرها...، ص 60.

مثل صحف النّواديّ الرّياضيّة، وصحف الاتحادات الكرويّة التي تسيّر رياضات بأكملها، والجمعيات...[1].

ت- **الصّحف الرّياضيّة الخاصة:** هي صحف لا تصدر لا عن الدّولة ولا عن هيئات المجتمع المدنيّ، بل يملكها مستثمرون وإعلاميون، بشكل عام؛ يموّلونها ويتحكمون في سيرها... وهو حال معظم الصّحف الرّياضيّة المعروفة عالميّا أو وطنيّا كصحيفة الخبر الرّياضيّ[2] الجزائريّة.

IV- من حيث الحيّز الجغرافيّ المغطى: يمكن أن تُصنف الصّحف الرّياضيّة بالنّظر إلى هذا المعيار إلى أنواع؛ تبعا لمدى تغطيتها للأحداث والجمهور الذي تتوجه إليه، وجرى التّفريق –هاهنا– بين:

أ- **الصّحافة الرّياضيّة المحليّة:** هي تلك الصّحافة التي تتوجه إلى جمهور لا يتعدى في مداه الجغرافيّ جهة من جهات بلد واحد، وإن كانت الجزائر لا تعرف مثل هذا النّوع من الصّحف، فهو موجود في بلدان أخرى، وخاصة الأوربية.

ب- **الصّحافة الرّياضية الوطنيّة:** هي الصّحافة التي توّزع على المستوى الوطنيّ؛ أي تستهدف جمهورا يقع في كلّ بقاع قطر واحد، وهذا النّوع من الصّحافة الرّياضيّة هو الأشهر، وأغلب الصّحف الرّياضيّة تنتمي إليه مثل صحيفة (الخبر الرياضيّ) الجزائريّة أو (المنتخب)[3] المغربيّة...

ويمكن الحديث عن الصّحافة الرّياضيّة الدوليّة لكنّها في الحقيقة صحافة رياضيّة وطنيّة؛ لديها طبعات خاصة في العالم، وهو من نتائج العولمة الإعلاميّة المهيمنة حاليّا.

الفرع الثّالث: التّحرير الصّحافيّ: نشأت الصّحافة في بداية أمرها في رحاب الأدب، واعتمدت على بعض صيّغه في الكتابة؛ فهي«... شكل آخر من العمل الأدبيّ، دون أن يعني ذلك أنّ كلّ ما تتضمنه الأنواع الأدبيّة يمكن تطبيقه على

---

[1]- خير الدين على عويس، م.م. عطا حسن عبد الرحيم، الإعلام الرّياضيّ، ص 111.

[2]- يُنظر موقعها على الشّابكة: /http://www.elkhabarerriadhi.com (2014/01/18م).

[3]- يُنظر موقعها على الشّابكة: /http://www.almountakhab.com (2014/01/18م).

الصّحافة»[1] فرغم انحدار الكتابة الصّحافيّة من الأصول الأدبيّة، إلا أنّها تطورت وأنشأت لنفسها طريقة خاصة بها؛ تشترك فيها –أحيانا– مع الأدب من حيث إنّهما نصين لغويين، ويفترقان من حيث الأهداف والإجراءات...

1: تعريف التّحرير الصّحافيّ الرّياضيّ: هناك أدب هام في علوم الإعلام والاتصال حول مسألة التّحرير الصّحافيّ، بشكل عام، وهناك الكثير من ذلك مما يمكن إسقاطه على التّحرير الصّحافيّ الرّياضيّ، وفي هذا الاتجاه، تمّ تعريف التّحرير الصّحافيّ الرّياضيّ على أنّه« العمليّة اليوميّة أو الأسبوعيّة حسب دوريّة الإصدار التي يقوم فيها المحرر الصّحفيّ الرّياضيّ بالكتابة الصّحفيّة الرّياضيّة أو المعالجة الصّحفيّة للمعلومات الرّياضيّة... ووضعها في الأشكال أو الأنماط أو القوالب الصّحفيّة الرّياضيّة المناسبة...»[2] فمن أهم مهام الصّحافيّ الرّياضيّ هو جمع الأخبار بمتابعة الأحداث واختيار أحسنها للنّشر، ثم تأليفها وفق قوالب معيّنة؛ لكي تُقدم للجريدة التي تتكفل –في ما بعد– بتنقيحها ونشرها –إن كانت صالحة للنّشر–.

ومما لا شك فيه أنّ الكتابة الصّحافيّة، كغيرها من أنواع التّحرير، تستدعي أصولا يجب أن تُحترم؛ كتوفر أي مقال صحافيّ على مقدمة وعرض وخاتمة وعنوان يختزل كلّ المعلومة أو يُقدم جزءا منها... لكن يجب أن أشير –هاهنا– إلى أنّ الأدبيات الصّحافيّة لا تعير اهتماما كبيرا لوجود المقدمة والخاتمة، بل يعتبرونها من العناصر غير الأساسيّة، فوجودهما مهم في توازن النّص الصّحافيّ، أما غيابهما فلا يثير جدلا، وهذا مرتبط بإكراهات العمل الصّحافيّ من مساحة وسرعة... إلى جانب ذلك، فالتّحرير الصّحافيّ يستدعي أنماطا من الكتابة لا يوجد لها أثرا في الأدب، ولا في غيره من أنواع الخطاب، ومن هذه الأنماط: الأنواع الصّحافيّة، فكرة الهرم المعتدل والمقلوب...

2: بعض القواعد المسيرة لعمليّة التّحرير الصّحافيّ: يمثل التّحرير الصّحافيّ نوعا من الفن الذي يهتم بتحويل الأحداث الرّياضيّة إلى نصوص صحافيّة رياضيّة، فلا

---

[1]– مجموعة من الكتاب الألمان والبلغار، دراسات نظريّة في علم الصّحافة، تر: أديب خضور، دمشق: 1986م، منشورات وزارة الثّقافة، ص 07.

[2]– خير الدين على عويس، م.م. عطا حسن عبد الرحيم، الإعلام الرّياضيّ، ص 137.

يمكن أن تكون عمليّة التّحويل هذه اعتباطيّة في صيرورتها، بل هناك قواعد وإكراهات تضع في طريق الصّحافيّ مجموعة من المعالم التي يجب احترامها؛ وإلا فشلت عمليّة التّحرير. وتُنتج هذه القواعد مجموعة من التّقنيات التي يستعملها الصّحافيون لتطبيق جيد لمهمة التّحرير، وهو ما سأفصل فيه في ما يلي.

I- القواعد العامة للتّحرير الصّحافيّ: يتميّز العمل الصّحافيّ بعدة قواعد خاصة بمهنة الصّحافيين، ويبدو أنّ الكثير منها متعلق بالتّحرير الصّحافيّ، أهمها:

أ- احترام الخط التّحريريّ للصّحيفة: تتوفر كلّ صحيفة من الصّحف على إيديولوجيّة معيّنة يريد مالكها أن يحققها على أرض الواقع، فرغم أنّ الصّحافيّ الرّياضيّ أكثر حرية من غيره، وخاصة من هم في الأقسام والصّحف السّياسيّة مثلا، فإنّه يكون تحت رحمة خط الصّحيفة في المجال الرّياضيّ أيضا؛ كأن تكون الصّحيفة مناصرة لفريقها الوطنيّ أو حتى للفريق المحليّ؛ فيجب أن يكون التّحرير الصّحافيّ موافقا دائما للخط التّحريريّ، ويتجلى ذلك في مطالبة الصّحافيّ بأن يتفادى كلّ ما من شأنه المساس بالفريق المحليّ أو الوطنيّ الذي تناصره الصّحيفة.

ب- احترام الحجم المطلوب: يلعب إخراج الصّحيفة دورا هاما في تحديد أحجام النّصوص الصّحافيّة، وغالبا ما تُعطى أوامر على أساس ضرورة احترام أحجام معيّنة من مثل: أن لا يزيد عدد كلمات الفقرة الواحدة (75) كلمة، وأن لا تزيد عدد جمل الفقرة عن أربع (04) وقد تكون جملة واحدة[1]، وغني عن البيان أنّ مثل هذه التّوجيهات لها دور مهم في تحديد طبيعة النّصوص المترتبة عن هذه القاعدة؛ من حيث قصر الجمل وعمليات الإضمار المتواصلة...

ت- مراجعة المعلومات الواردة في النّص الصّحافيّ الرّياضيّ: يؤكد الإعلاميون كثيرا على الخبر والمعلومة من حيث صحتها وجدتها ومنطقيتها وموضوعيتها... وإن كان هذا الأمر لا يؤثر في اللّغة بشكل مباشر، فإنّه يؤثر عليها بشكل غير مباشر؛ لأنّها توضع في المركز الثّانيّ من حيث الأفضليّة، وهذا يكون –في بعض الأحيان– كفيلا بتجاوزها.

---

[1]– عبد العزيز شرف، علم الإعلام اللّغويّ، سلسلة لغويات، ط01. القاهرة: 2000م، الشّركة العالميّة للنّشر–لونجمان، ص 262.

ث- تعديل لغة النّص: يُطلب -دائما- من الصّحافيين أن يتبعوا أسلوب الجريدة في الكتابة على المستوى اللّغويّ؛ سواء من حيث المصطلحات أو استعمال الأبنيّة، فتُقدم الصّحف -عادة- لغة متجانسة بين كلّ مقالاتها، وهذا ليس نتيجة لكتابة كلّ الصّحافيين باللّغة نفسها، إنّما هو وليد عمليات المراجعة التي تكون على مستويات، ومن قِبل صحافيين آخرين كالمدقق اللّغويّ ورئيس التّحرير... وهذا ما يؤثر مباشرة على اللّغة المستعملة في الصّحيفة بشكل عام.

II- تقنيات تطبيق القواعد العامة للتّحرير الصّحافيّ عند الصّحافيين الرّياضيين:

يعمد الصّحافيون الرّياضيون إلى مجموعة من التّقنيات لتطبيق القواعد السّالفة، ومنها:

أ- **الحذف والإضمار والاختصار:** يذهب الصّحافيون في سبيل احترام الحجم إلى تقنيات الإضمار حيث يتجنبون إعادة ذكر اسم الشخصيّة؛ وخاصة إن كانت ثلاثيّة أو رباعيّة الاسم، فيعوضونها بضمير من الضّمائر ربحا للمساحة، كما يلجأ الصّحافيون -أيضا- إلى الاختصار؛ وذلك بتفادي أي لف ودوران حول معلومة من المعلومات؛ وخاصة إن كانت المساحة المتاحة قصيرة جدا، فيذكرون أهم المعلومات؛ ويضربون صفحا عن ذكر أيّة معلومة جانبيّة؛ قد تأخذ منه مساحة زائدة، كما يلجأون إلى الحذف في حالات أخرى في مثل أوضاع أدوات التّعريف والظّروف...

ب- **المراجعة الذاتيّة للنّص:** يقوم الصّحافيون -عادة- بمراجعة أو مراجعات ذاتيّة للنّص؛ وذلك لتقويّة الأسلوب وتنقيته وتنقيحه، بإضافة مصطلحات وكلمات أو بحذف أخرى لمقتضيات الخط التّحريريّ أو خرقها للقانون -مما يُشكل جريمة من شأنها خلق متاعب للصّحافيّ نفسه أو للجريدة- أو لأنّها كلمات غريبّة لا يفهمها العامة... وهذه المراجعات لها نتائج كبيرة على لغة النّصوص الصّحافيّة لِما تُحدثه من تغيير -في بعض الأحوال-.

ت- **الجمل القصيرة بالألفاظ البسيطة:** يلجأ الصّحافيون، تفاديا للاستطالة والغموض، إلى الجمل القصيرة التي تُمكنهم من مراقبة النّص مراقبة صارمة، فيُمكنهم حذف أيّ جزء في أيّ وقت، كما يعتمدون على الكلمات

البسيطة المعروفة؛ تفاديا –أيضا– للعودة إلى طرحها جانبا والبحث عن كلمات مألوفة، وهذا ما يجبرهم –عادة– على الذّهاب إلى العاميّة؛ بما أنّها أقرب اللّغات مأخذا.

3: الأنواع الصّحافيّة: يشير (جون ميشال آدام–Jean-Michel Adam) إلى أنّ من الضّرورة بمكان الانطلاق من تصنيفات المهنيين في الصّحافة لمعرفة أنواع الخطابات حسب اعتقادهم، ثم الذّهاب إلى تصنيفها في مرحلة أخرى بالمنظور اللّغويّ[1]، وهو الشّيء الذي سأحاول القيام به –هاهنا– حيث سأقدم تصنيف الإعلاميين لأنواع المقالات.

يقع الصّحافيون، أثناء تكوينهم وأثناء عملهم، تحت وطأة ما يسمى بالأنواع الصّحافيّة التي هي قواعد أخرى –مضافة إلى ما سبق من القواعد التي ذكرتُها– وتتميّز هذه الأنواع الصّحافيّة بتعددها، كما أنّها تُشكل محورا مهما من محاور علم الصّحافة؛ لما لها من أثر في صياغة المادة الصّحافيّة، وهو الأمر الذي جعلني أضع لها هذه النّقطة المستقلة في البحث؛ لشرحها وعرضها في علاقتها مع اللّغة.

ويمكن تعريف الأنواع الصّحافيّة على أنها «... أشكال وطرق للتعبير تستعملها الهيئات السّياسيّة ووكالات الأنباء والصّحف والإذاعات ومحطات التّلفزيون... ويستخدم العلم الصّحفيّ اصطلاح (النّوع) ويقصد به ذلك الإنتاج الصّحفيّ الذي يملك صفات بنيويّة متميزة وثابتة نسبيا...»[2] وهذا يعني أنّ الأنواع الصّحافيّة قوالب يستخدمها الصّحافيون، أي أنّ ثمة طريقة في الكتابة؛ متكررة عندهم بالشّكل نفسه، وهو ما يسمح بملاحظة بعض الخصائص البنيويّة المشتركة بين النّصوص إلى درجة يمكن القول معها أنّ تلك الكتابات الصّحافيّة تنتمي إلى نوع واحد.

ولا بد من الإشارة إلى أنّ الأنواع الصّحافيّة ليست النّتاج الصّحافيّ كلّه، ذلك أنّ نصوصا صحافيّة مثل النّداءات ومواد التّسليّة... ليست أنواعا صحافيّة بأتم معنى الكلمة، لكنّها تدخل في النّتاج الصّحافيّ، فالأنواع تشمل أغلب صفحات

---

[1]- Jean-Michel Adam: « Unités rédactionnelles et genres discursifs: cadre générale pour une approche pour la presse écrite » in pratique, 1997, n°94, p 07.

[2]– مجموعة من الكتاب الألمان والبلغار، دراسات نظريّة في علم الصّحافة، ص 08.

ونصوص الصّحافة، ويعتد بها الصّحافيون والصّحف في تقديم المواد الصّحافيّة؛ وهذا مكمن أهميتها، لكنّها ليست النّتاج الصّحافيّ كلّه.

وقد لاحظ الإعلاميون في بحوثهم أنّ الأنواع الصّحافيّة متعددة، وتُقسم وفق معايير متعددة أيضا؛ منها: الخبر الصّحافيّ والحوار والتّقرير والمقال والتّعليق والرّوبرتاج... وهناك من يقسمها مثلا إلى الأنواع الفكريّة والأنواع الخبريّة[1] أو الأنواع الخبريّة والأنواع التّعليقيّة[2]... ويرى (آدام) أنّ أساس هذه التّفرقة هو تحمل الخطاب من قبل كاتبه[3] أي إنّ المعيار –هاهنا– معيار تلفظيّ.

كما استقر الإعلاميون في مجال الصّحافة الرّياضيّة على أنّ الأنواع الصّحافيّة وسيلة لا مفر منها، ويجب استخدامها لإنتاج نصوص ذات جودة، لكن ما هي الأنواع الأكثر ملائمة للصّحافة الرّياضيّة؟ يرى الأمريكيون أنّه يمكن « للمحرر الرّياضيّ أن يستخدم في كتابة الشّؤون الرّياضيّة كافة فنون الكتابة الصّحفيّة المعروفة من خبر وحديث وتحقيق ومقال، ولكن الصّحافة الرّياضية تتميّز بثلاثة فنون صّحفيّة وهي: فن التّقرير الرّياضيّ أو فن وصف المباريات وفن التّعليق الرّياضيّ وفن عمود (الثّرثرة) الرّياضيّة»[4] فإن كان رأي الأمريكيين على هذا الحال، فهل ينطبق هذا الأمر على الصّحافة الرّياضيّة العربيّة؟ يبدو لي أنّ الصّحافة الرّياضيّة العربيّة تستعمل الأنواع الثّلاثة المذكورة، لكنّها تضيف (الخبر) باعتبارها صحافة إخباريّة بشكل كبير، وبالتّالي سأركز –في ما يلي– على تعريف هذه الأنواع الأربعة.

I- الخبر الصّحافيّ: يُعد الخبر من أبسط الأنواع الصّحافيّة لصغر حجمه واهتمامه بموضوع واحد، فيركز على الحدث الآنيّ، ويقدمه بأسلوب مباشر وواضح؛ دون

---

[1]– يُنظر: أديب خضور، الإعلام المتخصص.

[2]- Nam-seong LEE, Identité langagière du genre (analyse du discours éditorial), Paris: 2003, L'Harmattan, p 17.

[3]- Jean-Michel Adam, Unités rédactionnelles et genres discursifs: cadre générale pour une approche pour la presse écrite, p 09.

[4]- Wolsely Roland and Champbell Laurence, Exploring journalism,

في فاروق أبو زيد، الصّحافة المتخصصة (السّياسة الخارجيّة، المرأة، الرّياضة، الجريمة، الفن)، القاهرة: 1986م، عالم الكتب، ص 82.

تدخل الصّحافيّ بتعليق أو شرح[1]، ويعتبر أول تماس –إن صح التّعبير– بين القارئ والحدث، ثم تأتي تفسيرات الحدث وشروحاته في الأنواع الصّحافيّة الأخرى.

ويتضمن الخبر الصّحافيّ ككلّ الأنواع الصّحافيّة مجموعة من العناصر هي: العنوان، المقدمة، العرض والخاتمة؛ ولكلّ عنصر تقنيات يتقنها الإعلاميون، أذكر منها[2]:

أ- **العنوان:** العنوان هو باب النّص الصّحافيّ؛ يولي له الإعلاميون أهمية كبيرة، ويمكن الملاحظة أنّ أغلب شروطه إنّما هي شروط لغويّة منها: الوضوح، الإيجاز، التّشويق... لكن يجب الإشارة إلى أنّه لا يُشترط فيه أن يمثل كلّ دلالات المقالة، أما في تقنيات وضعه؛ فيتم التّمييز بين أنواع كثيرة من العناوين منها: العنوان المختصر، العنوان الوصفيّ، عنوان الجملة المكتسبة، عنوان البديع، العنوان المقارن...

ب- **المقدمة:** هي الجزء الثّانيّ من الخبر؛ تلخص الخبر أو تقدم بعض جوانبه، وهي حلقة وصل بين العنوان والخبر، وتذكر الأدبيات الإعلاميّة أنّها أنواع –أيضا– منها: مقدمة التّصوير والتّعبير، مقدمة المقارنة، مقدمة التّساؤل، مقدمة الاقتباس....

ت- **العرض:** هو جسم الخبر، وهي مجموعة من الأحداث مرتبة ترتيبا معيّنا زمنيّا أو منطقيّا أو سببيّا... وهو المكان الطّبيعيّ للإجابة عن كلّ أسئلة الخبر المعروفة: من، ما، ماذا، متى، لماذا، كيف.

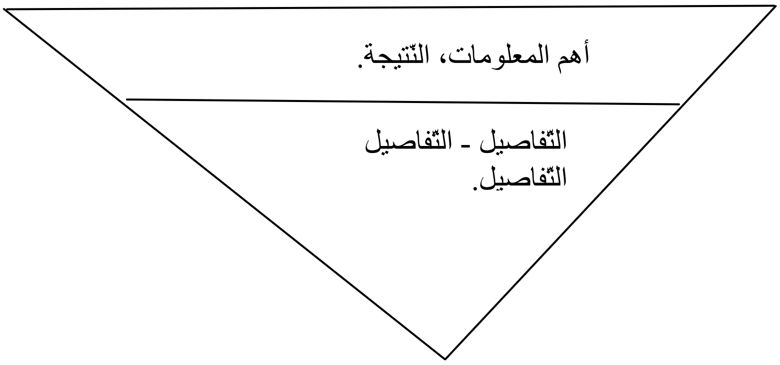
ويعتمد الإعلاميون في تحرير الخبر على عدة طرق منها: المستطيل الرأسيّ المعتدل، التّوازن التّحريريّ، الهرم المعتدل، الهرم المقلوب... وتعتبر طريقة الهرم المقلوب أنسب طرق كتابة الخبر حيث يبدأ الصحافي بكتابة أهم الأخبار والنّتيجة في البداية، ثم يقدم المعلومات الأخرى وفقا لأهميّتها، فيبدأ بالهامة إلى الأقل أهمية على الشّكل الذي تبيّنه الترسيمة رقم (01) التّالية:

---

[1]– أديب خضور، الإعلام الرّياضيّ...، ص 179.

[2]– خير الدّين على عويس، م.م. عطا حسن عبد الرحيم، الإعلام الرّياضيّ، ص 156-162.

الترسيمة رقم: 01



والغرض من هذا التّرتيب للمعلومات الهامة في البداية هو إمكانيّة حذف المعلومات غير المهمة في حالة عدم كفاية الحجم؛ فغالبا ما يجد القائمون على تصفيف المقالات في الجريدة مشاكل بسبب عدم موافقة أحجام المقالات لأحجام الصّفحات، لذلك يلجأ رئيس التّحرير إلى التّقليص من حجم المقالات؛ وفي حالة الهرم المقلوب لا يفكر القائم على الحذف كثيرا؛ بل سيتجه مباشرة إلى الجمل الأخيرة؛ لأنّها تتضمن أقل المعلومات أهميّة مقارنة مع ما هو وارد في بداية المقالة.

II- التّقرير الصّحافيّ: يتميّز هذا الصّنف من الأنواع الصّحافيّة باقترابه الكبير من الحدث، وشموليّة طرحه، واهتمامه بأهم حدث في الرّياضة ألا وهو المباريات، لذلك يُعرّف على أنّه فن يهتم بوصف المباريات[1] ويتراوح بين الذاتيّة والموضوعيّة ف«... يتمتع بقدر من الموضوعيّة، لأنّه يقدم الوقائع والمعلومات الآنيّة والجديدة ويضعها في سياقها العام ويربطها بالقضايا الأساسيّة، كما يتمتع بقدر من الذاتيّة لأنّه يقدم هذه الوقائع والمعلومات من رؤية الصّحافيّ كشاهد عيان...»[2] وغني عن البيان أنّ التّقرير الصّحافيّ يختلف عن الخبر الصّحافيّ من حيث تحليل المباراة؛ والتّحليل يستدعي تدخلا من الصّحافيّ الرّياضيّ، لكن رغم هذا التّدخل يبقى التّقرير الصّحافيّ الرّياضيّ من الأنواع الخبريّة التي تولي للخبر أهميّة كبيرة مقارنة باهتمامها بالتّحليل والشّرح.

[1]– فاروق أبو زيد، الصّحافة المتخصصة...، ص 82.

[2]– لاوسين سليمان، الصّحافة الرّياضيّة ومدى تأثيرها...، ص 65.

ويذكر الإعلاميون أنّ التّقارير الصّحافيّة الرّياضيّة أنواع منها[1]: التّقرير الإخباريّ؛ وهو الذي يهتم بالأحداث اليوميّة مثل ما ذكرتُه عن تغطية المباريات، وهناك التّقرير حول شخصيّة بما يشبه البورتريه، وهناك التّقرير الحي الذي يهتم بتفاصيل الأحداث؛ ويقلل نوعا ما من تدخل الصّحافيّ.

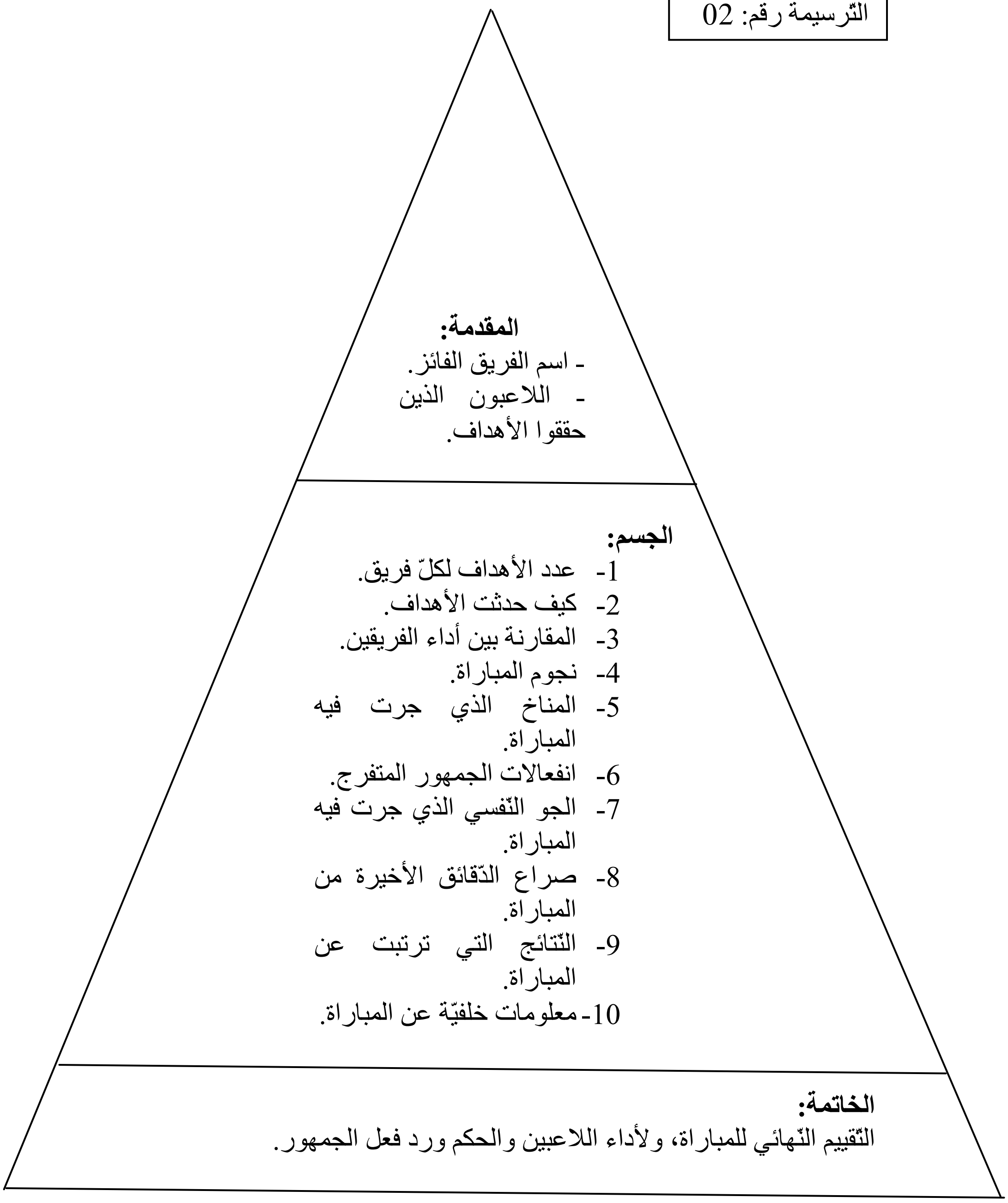
ولا يخرج التّقرير الصّحافيّ الرّياضيّ، من حيث الصّياغة، عن المعتاد من ضرورة توفره على مقدمة وعرض وخاتمة وعنوان يأتي في بداية التّقرير، وقد تظهر هناك عناوين فرعيّة؛ عكس الخبر الذي يخلو من هذه العناوين لقصره، ويرى الإعلاميون أنّ تقنية الهرم المعتدل هي الأصلح لكتابة التّقرير الصّحافيّ، فلوصف مباراة من المباريات يقترحون النّموذج الظّاهر في التّرسيمة رقم (02)[2]:

---

[1]– خير الدين على عويس، م.م. عطا حسن عبد الرحيم، الإعلام الرّياضيّ، ص 248.

[2]– فاروق أبو زيد، الصّحافة المتخصصة...، ص 83.

الترسيمة رقم: 02



ويجب الإشارة إلى أنّ التّقرير الصّحافيّ لا يتيح حذف آخر المعلومات الواردة في متنه؛ لأنّ تقنية الهرم المعتدل (الموجودة في التّرسيمة رقم (02) أعلاه) تجعل الخاتمة مهمة، عكس الهرم المقلوب الذي توضع في خاتمه أقل المعلومات شأنا.

III- التّعليق الصّحافيّ الرّياضيّ*: ينتمي الخبر والتّقرير الصّحافيين إلى الأنواع الإخباريّة التي تنقل الخبر، أما التّعليق الصّحافيّ الرّياضيّ فليس نوعا خبريّا؛ بل هو نوع فكريّ؛ يهتم بالتّحليل أكثر من الخبر ف« يهدف أساسا إلى تقديم رأي صريح وواضح، ومحدد ومعلن، إزاء حدث رياضيّ هام(،) يقدم الأدلة والحجج والبراهين والشواهد التي تؤكد صحة هذا الرأي...»[1] فيظهر جليا، من خلال هذا التّعريف، أنّ التّعليق الصّحافيّ يتدخل فيه الصّحافيّ بشكل كبير؛ يمكن معه ملاحظة طغيان التّعليق على الخبر في المقالة، ذلك أنّ الخبر قد تمّ عرضه في مقال آخر؛ سواءً على شكل خبر بسيط أو في جسم تقرير صّحافيّ رّياضيّ، وهنا يظهر العمل التّجانسيّ بين نصوص الصّحيفة الواحدة، فكلّ نوع يقوم بمهمة؛ تكون أساسا لنوع آخر أو تكملة له.

ولا يفلت التّعليق الصّحافيّ الرّياضيّ من الصّياغة العامة المطلوبة في أي نص صحافيّ؛ وهو تضمنه لمقدمة وعرض وخاتمة وعنوان... أما قالبه المعتاد، فهو الهرم المعتدل مثله مثل التّقرير✤، لكن –كما قلت– الفرق بينهما يكمن في درجة حضور المُحرر في كلا النّوعين، ودرجة حضور الخبر فيهما –أيضا–، فيمكن، من حيث المحتوى، أن يأتي كلّ ما هو وارد في الخبر أو التّقرير الصّحافيّ ملخصا في بعض الجمل كمقدمة للتّعليق، أما الجسم، فهو عمل تقيميّ شامل حيث يفحص الصّحافيّ طريقة اللّعب مثلا واللاعبين والحكم ومستوى المباراة... وتُخصص الخاتمة لاقتراحاته ونصائحه للجميع.

IV- العمود الصّحافيّ (الثّرثرة): يشترك العمود الصّحافيّ الرّياضيّ مع التّعليق في انتمائهما إلى الأنواع الصّحافيّة الفكريّة، لكن يختلف عنه في طبيعة الشّخصيّة التي تُحرره؛ فيكون التّعليق تحليلا موضوعيّا مكتوبّا من قِبل أي صحافيّ في الجريدة، أما

---

*– قد يعني التّعليق مواكبة المباراة ببعض الشّروح، وهو ما يُسمع في الإذاعة والتّلفزيون (يُنظر: ديفيد روي، الرّياضة، والثّقافة ووسائل الإعلام (الثّالوث الصّعب)) لكن لا استعمل –هاهنا– هذا المصطلح بهذا المفهوم؛ إنّما أتبنى مفهوم التّعليق في الصّحافة المكتوبة.

[1]– لاوسين سليمان، الصّحافة الرّياضيّة ومدى تأثيرها...، ص 67.

✤– يُنظر شكل الهرم المعتدل في شرحي للتّقرير الصّحافيّ السّالف.

العمود الصّحافيّ، فتضطلع به شخصيّة رياضيّة ذات حظوة وشأن في المجتمع الرّياضيّ؛ كأن يكون صحافيّا معروفا أو شخصيّة معروفة في عالم الرّياضة بشكل عام[1] وهو ما يُكسبه شعبيّة كبيرة.

ويتميّز العمود الصّحافيّ الرّياضيّ –أيضا– بطابعه الذّاتيّ من حيث يتكلم المُحرر مع جمهوره بشكل لا يظهر تماما أنّه بصدد حديث موضوعيّ، بل كأنّه في حديث جانبيّ «... ولعل ذلك هو السّبب في كون الصّحافة الأوربيّة تطلق عليه عمود (الثرثرة) حيث يتحدث الكاتب إلى القرّاء، كما لو كانوا أصدقاء يتجاذبون أطراف الحديث...»[2] وهذه الذّاتيّة إنّما مردها إلى طبيعة الشّخصيّة المحررة للعمود الصّحافيّ، فعادة ما تكون ذات حظوة –كما قلت– وصوتها مسموع، كما أنّ شهرتها ليست محل جدل ما، مما يتيح لها هامشا كبيرا من الحرية في الحديث.

ولا يخرج العمود الصّحافيّ عن الصّياغة المعتادة من مقدمة وعرض وخاتمة مع العنوان، لكن الاختلاف، كلّ الاختلاف، في طريقة عرض المادة التي –عادة– ما تكون ممزوجة بالسّخريّة، إضافة إلى طرح الذّكريات الشّخصيّة المتعلقة بموضوع العمود، كما يدلي كاتب العمود بانطباعاته، ويعلق على آراء سمعها أو تابعها في وسائل الإعلام الأخرى، ويمكن أن ينتقد وينصح...

ويجب الإشارة، في الأخير، إلى أنّه رغم هذا التّحري الدّقيق من قبل الإعلاميين في وضع هذه الأصناف إلا أنّ اللّغويين يعتقدون أنّ هذه التّصنيفات ليست على قدر كبير من الحصافة، وتحتاج إلى إعادة نظر أو ضبط... ويرى (آدام)[3]، في هذا الصّدد، أنّ منطق هذه التّصنيفات الإعلاميّة غير واضح ويصعب فهمه، وهذا يعود إلى تقاطع الكثير من المعايير في التّصنيف، وهو ما يستوجب التّمحيص[*] وقلب المسألة على أوجهها الكثيرة.

---

[1]– أديب حضور، الإعلام الرّياضيّ...، ص 338.

[2]– فاروق أبو زيد، الصّحافة المتخصصة...، ص 92.

[3]- Jean-Michel Adam, Unités rédactionnelles et genres discursifs: cadre générale pour une approche pour la presse écrite, p 11.

[*]– سأعود إلى تصنيفات اللّغويين في ما يلي من البحث.

الفرع الرّابع: لغة الصّحافة الرّياضيّة: تتميّز الصّحافة عامة، والرّياضيّة خاصة، بركوبها اللّغة؛ كما تفعل خطابات أخرى كالأدب وبعض العلوم... وهو الشّيء الأساس الذي جعلني أهتم بهذا النّمط من النّشاط الإنسانيّ باعتباري من المتخصصين بمتابعة حياة اللّغات في المجتمعات، والواقف أمام استعمال اللّغة في الصّحافة الرّياضيّة، سيلاحظ أنّ ثمة الكثير من المشتركات ومن المختلفات بينها وبين لغة الصّحافة العامة، وفي علاقتهما مع اللّغة الفصيحة وحتى اللّهجة التي يتحدث بها العامة، وهو الأمر الذي سأحاول أن أناقشه في هذه النّقطة لأهميّته.

ولا شك أنّ أهم السّمات اللّغويّة التي تقف عليها الصّحافة الرّياضيّة هي خصائص ذاتيّة، لكنّها قبل أن تستقل بخصائصها اللّغويّة، فهي تستعمل اللّغة العربيّة الإعلاميّة، لذلك يوجد بينها وبين لغة الصّحافة العامة تشابه معين؛ يسمح لي بطرح التّساؤل التّالي: ما هو مضمون هذا الاشتراك؟

1: خصائص لغة الصّحافة الرّياضيّة المستمدة من الصّحافة العامة: تشترك لغة الصّحافة الرّياضيّة مع لغة الصّحافة العامة في الكثير من الخصائص، وذلك لانتمائهما لفضاء لغة الإعلام واستعمالهما للّغة بشكل ما، ويمكن إيجاز هذه الخصائص المشتركة في محورين هما: الخصائص العامة للغة الصّحافة (غير البنويّة) والخصائص المتعلقة ببنيّة لغة الصّحافة.

I- الخصائص العامة (غير البنويّة) للغة الصّحافة: تتسم لغة الصّحافة العامة بشكل عام، والرّياضيّة بشكل خاص، ببعض الخصائص غير البنويّة التي يمكن إيجازها في ما يلي:

أ- استعمال العربيّة الميسرة[1]: تتوجه الصّحافة -عامة- والرّياضيّة -خاصة- إلى جمهور من القرّاء، وهذه الجماهير ليست متجانسة تماما، فجمهور الصّحافة الرّياضيّة مثلا فيه الكبير والصّغير والمتخصص وغير المتخصص[2]، رغم أنّ الغلبة

---

[1]- عبد القادر تواتي:« خصائص لغة الإعلام وسماتها» في أعمال مشروع: أثر لغة الإعلام في الواقع اللّغويّ الجزائريّ، منشورات مخبر الممارسات اللّغويّة في الجزائر، تيزي وزو-الجزائر: د.ت، ص 43.

[2]- أمين ساعاتي، أزمة الصّحافة الرّياضيّة (الأسباب... والعلاج)، ط 01. القاهرة: 1993م، المركز السعوديّ للدّراسات الاستراتجيّة، ص 09.

للشّباب ربما، فإنّه لا يمكن القول إنّ مستواهم اللّغويّ متجانس، ونظرا لهذه الاعتبارات، يذهب الصّحافيون إلى استخراج معدل وسط لهذه اللّغة التي يفهمها الجمهور، وهو ما يمكن تسميته بالعربيّة الميسرة أو المهذبة أو المبسطة[1] أو أي اصطلاح آخر يضع تراتبيّة معينة للمستويات اللّغويّة في العربيّة، المهم هو التّمييز بين المستوى الرّفيع[2] بتعبير (شارل فيرقسون–Charle A. Ferguson) وهو الفصيح ومستوى وضيع بتعبير الباحث نفسه؛ وهو العاميّة (الدّارجة) في العربيّة، فالصّحافة تعمل –دائما– على إيجاد توازن بين المستويين لكي تقترب إلى أكبر شريحة من القرّاء، وهذا ما جعلها تستحدث مستوى خاصا بها يأخذ من كلّ المستويات بطرف، وقد تتفق لغة الصّحافة الرّياضيّة –هاهنا– مع لغة الصّحافة العامة في شيء كثير؛ رغم ميل بسيط من الصّحافة الرّياضيّة إلى العاميّة.

ب– الطّابع المكتوب للغة الصّحافة[3]: تتميز لغة الصّحافة بكلّ ما يمكن أن تتميز به وسائل الاتصال التي تعتمد الكتابة كقناة للتّواصل، فهي تفقد الكثير من خصائص المنطوق كالنّبر والإشارة... لكنّها تكتسب وسائل أخرى للتّعبير كالبنط الغليظ وكلّ ما له علاقة بإعداد الصّفحة، وهي تقنيات إخراجيّة تعوّض الظّواهر العروضيّة المذكورة، كما تكتسب –أيضا– وسائل غير إخراجيّة للتّعبير، وخاصة ما له صلة بإمكانيّة إعادة قراءة المقال قبل نشره، وثمة مزايا كبيرة تترتب عن ذلك؛ كإمكانية التّصحيح والتّعديل، ووضع قرائن لغويّة تساعد على الفهم أو تصنع لُبسا مرغوبا...

ت– حواريّة اللّغة الصّحافيّة: تشترك الصّحافة العامة والرّياضيّة في نمط التّواصل المعتمد الذي يكون في اتجاه واحد؛ على الشّكل الذي وصفته الباحثة (صوفي موارون)[4] وهو انتقال المادة إلى قارئ عبر وسيط، فيكون الصّحافيّ وسيطا بين

---

[1]– صالح بلعيد:« دفاعا عن لغة الإعلام» في أعمال اليوم الدّراسيّ حول دور وسائل الإعلام في نشر اللّغة العربيّة وترقيتها المنظم يوم الاثنين 5 ربيع الثاني 1423هـ الموافق 15 يوليو 2002م، المجلس الأعلى للّغة العربيّة، الجزائر: 2004م، ص 110.

[2]- Charle A. Ferguson: «Diglossia» In language and social context, Selected reading edited by Pier Giglioli, London: 1972, Qenguin Books, p 232-234.

[3]- Maingueneau Dominique, Analyser les textes de communication, p 64.

[4]- Sophie Moirand, Les discours de la presse quotidienne (observer, analyser, comprendre), p 68.

المادة في الواقع –التي يمكن أن تكون حدثا أو شخصا يتحدث عن حدث...– والقارئ، ويجب الإشارة إلى أنّ هذا النّمط من الاتصال؛ ليس كما يمكن أن يتبادر إلى الأذهان على أنّه غير حواريّ أو غير تفاعليّ، بل هو تواصل حواريّ؛ وذلك على مستويين: الأول هو حوار الوسيط (الصّحافيّ) مع مضيفه الذي يحاوره، وحوار آخر مع القارئ؛ لأنّ القارئ رغم عدم حضوره الفيزيائيّ؛ فإنّه ماثل أمام الصّحافيّ على شكل تمثلات.

ث– النّزعة الإخباريّة: يُعد الخبر أهم شيء في عمل الصّحافيّ، فتجده يولي له الأهميّة القصوى لأنّه عماد نجاح الجريدة التي يعمل فيها، وقد أثّرت هذه المكانة المقدسة للخبر على الجانب اللّغويّ من حيث إنّ اللّغة لا تقع في مقدمة اهتمامات الصّحافيين، فيتجاوزون قواعدها وسمتها لأغراض الإخبار، فإعطاء الخبر بالسّرعة اللازمة يُبرر كلّ الخروقات –في رأيهم–.

ويجب الإشارة، في هذا الصّدد، إلى أنّ السّبق الصّحافيّ من أهم إنجازات الجرائد في عُرف أهل هذه المهنة، فيلهث الصّحافيون وراء تحقيقه طوال مشوارهم المهنيّ، وهذا ما يعرضهم للكثير من الإنزياحات اللّغويّة[1]، وهو ما يجعل مقام اللّغة مقاما ثانيّا يتقاسمه مع تقنيات التّعبير في المجال الصّحافيّ؛ وأعني بها الأنواع الصّحافيّة.

ج– التّأثر باللّغات الأجنبيّة جرّاء التّرجمة: تشترك الصّحافة العربيّة العامة منها والمتخصصة في التّأثر باللّغات الأجنبيّة، فالصّحف تُترجم باستمرار وبسرعة لا متناهيّة الأخبار التي تصلها عبر المواقع والوكالات الأجنبيّة، وعادة ما يكون ذلك في الدّقائق الأخيرة قبل دخول الجريدة إلى المطبعة، وهذا ما لا يُساعد الصّحافيّ على البحث عن المقابلات اللّغويّة المناسبة؛ وخاصة إن كانت بعيدة المنال؛ فيلجأ تارة إلى وضع كلمات جديدة أو التّعريب مباشرة كأسهل طريقة للتّواصل، وهو ما يبيّن أثار اللّغات الأجنبيّة بشكل جلي.

---

[1]– صالح بلعيد، اللّغة العربيّة العلميّة، الجزائر: 2002م، دار هومة، ص 130–131.

وأشير -هاهنا- إلى أنّ التّرجمة حتى إن كانت بطرق أخرى غير التّعريب؛ فإنّ آثارها تظهر بشكل جلي، وخاصة في عمليات الإلصاق[1] من مثل: على طول الخط، وغسل يديه من الأمر... كما يظهر كذلك في كثرة المصطلحات المركبة من مثل: حارس المرمى وضربة الجزاء...[2] والتّركيب كطريقة لوضع المصطلحات معروف أنّه من أساليب اللّغات الأوربيّة، وليس العربيّة التي تفضل الاشتقاق عن غيره من طرق الوضع، وهذا ما يبيّن درجة تأثير التّرجمة على الصّحافة بشكل عام، والصّحافة الرّياضيّة بشكل خاص.

II- الخصائص المتعلقة ببنيّة لغة الصّحافة: يمكن القول -عامة- إنّ لغة الصّحافة تمتاز بالبساطة والإيجاز والوضوح...[3] وهو أقل الخصائص البنويّة المتفق عليها ولكن هناك خصائص أخرى، وهو ما يمكن إيجازه في ما يلي:

أ- لغة الصّحافة عربيّة من حيث البناء النّحويّ: لا يختلف اثنان أنّ ما يُقرأ في الصّحافة المعرّبة عربيّة بلا شك؛ إنّما الاختلاف قد يكون في إجازة فرع من الفروع أو استحسان استعمال ما وفق آراء المدرسة والمذهب... فهي في الواقع «... اللّغة العادية التي يوظفها النّاس الطّبيعيون...»[4] والحال إنّ اللّغة العربيّة التي يتحدثها النّاس الطّبيعيون -بمصطلح اللّغويّ (صالح بلعيد)- إنّما هي لغة وسط -كما قلتُ سابقا- والتزامها النّحويّ ليس صارما تمام الصّرامة، كما هو الحال في خطب المساجد أو في فضاءات الشّعر والأدب، لكنّها مهما ابتعدت، فهي تحتفظ بأصول العربيّة كما هي؛ فالفاعل مرفوع أبدا وكذلك المضارع...

وتبدو، في إطار المنظور النّحويّ، جمل الصّحافة اسميّة، لكن هذا لا يعني أنّ الصّحافة لا تلجأ إلى الجملة الفعليّة، وإذا تم التّمحيص في موقع هذين البناءين النّحويين؛ فإنّهما ينتميان في كلّ أبعادهما إلى سمت العربيّة، ولا يخرجان عنها

---

[1]- عبد العزيز شرف، علم الإعلام اللّغويّ، ص 253.

[2]- عمر ديدوح، «دور الصّحافة الرّياضيّة الجزائرية في نشر اللّغة العربيّة» في مجلة اليوم الدراسيّ حول "دور وسائل الإعلام في نشر اللّغة العربيّة وترقيتها" المنظم يوم الاثنين 5 ربيع الثاني 1423هـ الموافق 15 يوليو 2002م، المجلس الأعلى للغة العربيّة، الجزائر: 2004م، ص 135.

[3]- عبد العزيز شرف، علم الإعلام اللّغويّ، ص 255.

[4]- صالح بلعيد: « دفاعا عن لغة الإعلام» ص 117.

البتة، لكن –عادة– ما يُنسب إلى لغة الصّحافة تحوير بعض القواعد القائمة من مثل: إضافة كلمة (نفس) إلى ما يراد تأكيده، وإضافة (واو) في بعض المواضع التي لم ترد فيها مثل: لا بد **و**أن...

ب– الاستعمال الصّحافيّ على المستوى الإفراديّ: يبدو لي أنّ أكثر الاتهامات الموجهة للغة الصّحافة، إنّما هي تقع على هذا المستوى من البنيّة اللّغويّة، فثمة من يتهمها بتجاوز القواعد الصّرفيّة، ومن يلومها على التّعريب والتّركيب، ومن يحملها وزر نشر المفردات غير العربيّة أو المقترضة، فإن كان هذا الأمر وارد لا أنكره، فيمكن رده لأسباب عدة كالسّرعة وقلة الحيلة اللّغويّة –ربما– لكن لا يجب التّهويل من الأمر؛ لأنّ هناك من الأحوال ما برره الكثير من اللّغويين على أساس أنّ ذلك من سمات التّغير اللّغويّ الذي تتصف به كلّ اللّغات، فيقول أحدهم:«... فلا بدع أن تكون في لغتنا العربيّة ألفاظ وأوضاع استقرت على توالي العهود فأصبحت بمنزلة الفصيح من كلامها...»[1] أي أنّ استعمال الألفاظ غير العربيّة إذا تم تكييفها واعتمادها لا يضر العربيّة في شيء؛ وخاصة إن كان عددها قليل، فالعرب قد اقترضوا من اللّغات الأخرى مثلهم مثل الشّعوب الأخرى.

وأشير في ما يتعلق –دائما– بالألفاظ غير المألوفة المستعملة في لغة الصّحافة إلى نوع آخر من الألفاظ، وهي ما يسمى بالمولّدات، فالصّحافة العربيّة تُقدم جهدا وتساهم إسهاما كبيرا في توليد الكلمات ووضع المصطلحات أو المساهمة في نشرها؛ وهي مفردات مبنية على نحو موافق للعربيّة؛ فيه إبداع ليس لي إلا أن أثمنه وأدعو لاستثماره لأنّه مشاع، فتُذكر مفردات من مثل: (برمجة) و(أقلمة) و(نمذجة) على وزن (فعللة)[2] كلّها كلمات من وضع الصّحافة أو من نشرها، ولم يرد مثلها في التّراث؛ وهي من حيث بنائها موافقة لأسرار العربيّة رغم أنّها مولّدة.

1– عبد العزيز شرف، علم الإعلام اللّغويّ، ص 249.

2– عبد القادر تواتي:« خصائص لغة الإعلام وسماتها» ص 30.

ت- استعمال الجمل القصيرة والبسيطة لغرض الإفهام: تستعمل الصّحافة الجمل القصيرة* لتيسير الفهم وعدم التّعقيد على القارئ، وخاصة إذا كان مستواه متواضعا، ولا بد –هاهنا- من الإشارة إلى أنّ الصّحافة الرّياضيّة؛ رغم أنّها صحافة متخصصة، فإنّها تملك جمهورا شابا؛ يتميّز مستواه اللّغويّ بالبساطة في أغلبه، لذلك يبدو، من حيث هذه الخاصيّة، أنّ الصّحافة الرّياضيّة تتميّز عن الصّحف المتخصصة الأخرى بهذا النّوع من الجّمهور؛ ما يملي عليها تكييف لغتها بما يشابه لغة الصّحافة العامة التي تتوجه لجميع شرائح المجتمع.

إنّ الجملة القصيرة –بنويّا- جملة سهلة الوصول إلى الأذهان، لكن إذا أضيفت إليها مفردات وتركيب بسيط كانت أقرب مأخذا، وهذا ما تقوم به الصّحافة حيث تجمع بين الأمرين؛ لكي تلج النّفوس بسلاسة وتحقق أغراضها ببراعة.

ث- الجمع بين الإيجاز والإطناب: إذا كانت الجملة القصيرة إيجازا يُطلب من ورائه الإفهام بأقل جهد، فإنّ الإفهام في بعض الأحوال يتطلب التّكرار والتّركيز على فكرة أو حادثة أو موقف؛ ويُستأنس –هنا- بالإطناب لغرض إيصال الفكرة بطريقة مقبولة بلاغيّا ومطلوبة إنسانيّا؛ في أحوال يُصبح فيه التّكرار سبيلا وحيدا لتحقيق ما يرمي إليه الصّحافيّ، ويوجَه الإطناب في أغلبه لإفهام القرّاء من المستوى الأضعف والذين لا تسمح لهم قدراتهم العلميّة واللّغويّة بالاكتفاء بمجرد الخبر البسيط.

ج- طغيان الأساليب الخبريّة على الإنشائيّة: تتسم لغة الصّحافة –بشكل عام كما قلتُ سلفا- بالاهتمام بوظيفة الإخبار، وخاصة الصّحف الرّياضيّة العربيّة، وتميل الصّحافة، تبعا لذلك، إلى استعمال الأساليب الخبريّة في معظمها؛ لملاءمة ذلك لمقتضيات الوظيفة المراد تحقيقها، كما يمتاز أسلوب الصّحافة بالمباشرة في غالبه، لكن هذا لا يعني أنّ الأساليب الإنشائيّة لا تظهر أبدا في الخطاب الصّحافيّ، بل لها آثار في بعض المواقع، وخاصة في الحوارات حيث

*- يشير الإعلاميون –كما أسلفت- إلى أنّ عدد كلمات الفقرة الواحدة يجب أن لا يتجاوز (75) كلمة، وأن لا تزيد عدد جمل الفقرة عن أربع (04) وقد تكون جملة واحدة، كما يجب أن يشتمل السّطر ما بين (30) و(35) حرف (يُنظر: خير الدّين على عويس، م.م. عطا حسن عبد الرّحيم، الإعلام الرّياضيّ، ص 141).

يلعب السّؤال دورا محوريّا، كما أنّها حاضرة في مقالات الرأي، لكن يبدو لي -عموما- أنّ حضور الأساليب الخبريّة أهم بكثير من حضور الأساليب الإنشائيّة.

ح- استعمال تقنية اللّبس اللّغويّ: تسمى مهنة الصّحافة مهنة المتاعب؛ لما تنشره من فضائح على مسمع كلّ المجتمع، وهو الأمر الذي يكلف الصّحافيين مشاكل كبيرة ومتابعات قضائيّة... وتفاديا لمثل هذه الصّراعات يلجأ الصّحافيون -في بعض الأحيان- إلى تقنيات الجمل المغلفة بلُبس ما؛ مع أنّ السّياق -عادة- ما يعطي فهما مقصودا ومحدودا، وهنا تحضر إلى ذهني الأفعال المبنيّة للمجهول التي تُعد مركبة متميّزة للصّحافيين، فعوض (قال فلان) يكتب الصّحافيون (قيل) أو (يُقال) ونحو ذلك، كما يلجأ الصّحافيون إلى الجمل التي تقبل تأويلات متعددة؛ ما يحيل إلى الجملة الشّهيرة في التّراث العربيّ الإسلاميّ «أيها النّاس إنّ معاوية بن أبي سفيان قد أمرني أن ألعن علي بن أبي طالب فالعنوه، فعليه لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين»[1] حيث لا يُعرف من هو المعني باللّعنة.

2: خصائص لغة الصّحافة الرّياضيّة: تتميّز لغة الصّحافة الرّياضيّة عن لغة الصّحافة العامة ببعض الخصائص التي يمكن إجمالها في ما يلي:

I- استعمال المصطلح الرّياضيّ: يحيل الحديث عن لغة الصّحافة المتخصصة، والرّياضيّة بشكل خاص، إلى نماذج من المفردات المستعملة في هذه الميادين؛ وهي تلك التي تسمى بالمصطلحات، فيتسم هذا النّوع من المفردات بحمولاتها الدّلاليّة الخاصة التي لا تتوافق، بالضرورة، مع ما هو متداول في اللّغة العامة.

ويُعرّف اللّغويون (المصطلح) على أنّه تلك الوحدة اللّغويّة التي تُستعمل في ميدان ما بمعنى واحد للّفظ واحد؛ بشكل لا يمكن معه حصول أي ترادف ولا اشتراك في ذلك الميدان[2]، ويُلاحظ أنّ كلّ ميدان له مصطلحاته، فالمفردة الاصطلاحيّة قد يكون لها معنى معين في هذا الميدان، وقد تعني معنى آخر في

---

[1]- أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسيّ، العقد الفريد، تح: وشر: محمد التّونجي، ط.01. بيروت: 2001م، دار صادر، مج: 04، ص 18.

[2]- يُنظر مثلا: محمود فهمي حجاري، الأسس اللّغويّة لعلم المصطلح، القاهرة: 1993م، دار غريب.

ميدان آخر من اللّغة نفسها، فتسافر المفردات بشكل تتخذ فيه في كلّ ميدان معنى خاصا متخصصا.

وتتخصص المفردات في ميدان الصّحافة الرّياضيّة، فتكتسب صفة المصطلح حيث تُنقل الكلمات من اللّغة العامة إلى اللّغة المتخصصة في الرّياضة لتصبح مصطلحا، ككلمة (الشّوط) التي كانت تُستعمل في اللّغة الدّينيّة للدّلالة على جزء من طقس دينيّ يخص الحج مثلا، ثم نُقلت للدّلالة على جزء من مقابلة بين فريقين أو لاعبيْن... ومن هنا، كان لا بد أن ينشأ عدد كبير من المصطلحات الخاصة بالرّياضة مثل المدرب واللاعب والملعب...

وقد اتسع الأمر في وقتنا الحاليّ إلى وضع مصطلحات خاصة بكلّ لعبة[1] كضربة الزاويّة، وضربة الجزاء في كرة القدم أو الضربة القاضيّة والجولة في الملاكمة... فيمكن الملاحظة –هاهنا– أن بعض المصطلحات مشتركة بين بعض الرّياضات من حيث هي كلمات، لكن من حيث هي معاني اصطلاحيّة؛ فالأمر ليس كذلك، وأمثل لذلك بمصطلح (جولة) الذي له استعمال في الملاكمة وكرة القدم معا؛ لكن بمعاني مختلفة، وهي:

أ- **في كرة القدم:** هو مجموعة من اللّقاءات بين كلّ فرق المستوى الواحد والتي تُعد –اعتباريا– كمقابلات جرت في اليوم نفسه –يمكن أن تؤخر مقابلة أو تقدم لكن اعتباريا تُعد على أنّها جرت في يوم واحد–، وكلّ البطولات في العالم تُقسم إلى جولات؛ فتبرمج البطولة الوطنيّة في الجزائر في ثلاثين (30) يوما؛ كلّ يوم يعادل (جولة) تُلعب فيه ثمان (08) مقابلات بين فِرق البطولة الوطنيّة المحترفة.

ب- **في الملاكمة:** (الجولة) في الملاكمة هي أوقات متقطعة خاصة للمبارزة أثناء المقابلة، ويخصص ل(لجولة) من دقيقتين إلى ثلاث دقائق[2] حيث يكون الملاكمان في حال المبارزة، وبعد هذا الوقت يستريح اللاعبان ثم

1– خير الدّين على عويس، م.م. عطا حسن عبد الرّحيم، الإعلام الرّياضيّ، ص 148.

2– يُنظر في تحديد هذه المدة: http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%84%D8%A7%D9%83%D9%85%D8%A9

يعودان إلى المبارزة، فتبدأ الجولة الثّانيّة، وهكذا دواليك إلى الجولة الثّانيّة عشر (12) وهي نهاية المقابلة –يمكن أن تنتهي المقابلة قبل الجولة الثّانيّة عشر (12) بالضّربة القاضيّة–؛ فالجولة في الملاكمة هي بضع دقائق من المبارزة، وليس يوما من أيام البطولة ككرة القدم.

وغني عن البيان أنّ الصّحافيّ الرّياضيّ يجب أن يكون متقنا لمثل هذه المصطلحات، لهذا جاء التّخصص في التّخصص؛ أي إنّ الصّحافة الرّياضيّة تستدعي –في بعض الأحيان– التّخصص في لعبة من الألعاب؛ لما آلت إليه الرّياضة من تشعب، وما تبعه من تعدد المصطلح وكثافته.

II- حضور العاميّة في لغة الصّحافة الرّياضيّة[1]: عرف ظهور الصّحافة الرّياضيّة –كما أشرت سابقا– في الولايات المتحدة الأمريكيّة أساليب تهكميّة وأساليب جديّة، كما كانت لغة الصّحافة الرّياضيّة في فرنسا مقسمة إلى أساليب أدبيّة وأساليب غير أدبيّة، وبشكل عام؛ نشأت لغة الصّحافة الرّياضيّة في أحضان لغة الأدب[2] في البداية، لكن مع مرور الزّمن، بدأت تستقل عنها تحت ضغط مجموعة من الإكراهات، ربما أهمها طبيعة الجمهور القارئ للصّحيفة الرّياضيّة؛ وهم الشّباب عموما، فظهرت، على أثر ذلك، اتجاهات إلى استخدام العاميّة بنسب متفاوتة، ويشير أديب خضور، في هذا الصّدد، إلى أنّ أول من استخدم مثل هذه الأساليب هو الصّحافيّ الأمريكيّ "تشارلز دريدان"[3] ومن بعده تبع التّابعون حتى أصبحت تقليدا يُتبع، وانتشر في كلّ لغات العالم.

ويرى الصّحافيون من جهتهم، تبعا للتّوجه السّابق، أنّ استعمال العاميّة إنّما هو نوع «... من أنواع التبسط والتقرب والتودد إلى القراء، ويرى البعض أنّ استخدام بعض الألفاظ والكلمات العاميّة تقوي الموضوعات الرّياضيّة... فهي توضح للقارئ

1– أديب خضور، الإعلام المتخصص...، ص 196.

2– ديفيد روي، الرّياضة، والثّقافة ووسائل الإعلام...، ص 280.

3– يُنظر: أديب خضور، دراسات في الصّحافة الرّياضيّة (تغطية المباريات صحفيّا وإذاعيّا وتلفزيونيّا وتحرير الأخبار الرّياضيّة).

الكثير من المواقف»[1] ويبدو، بناء على هذا القول، أنّ استعمال العاميّة في الصّحافة الرّياضيّة شيء، واقع وأسبابه متعددة –في رأيي– منها ما يلي:

أ– التّقرب إلى القرّاء الذين يتحدثون العاميّة في استعمالاتهم اليوميّة.

ب– تحقيق غاية الوضوح والبساطة التي يروم إليها النّص الصّحافيّ عامة –كما أسلفتُ– والرّياضيّ خاصة.

ت– استعمال اللّغة المألوفة في الأوساط الرّياضيّة أو تلك اللّعبة أو في جهة معيّنة تحب تلك اللّعبة.

وإذا كانت هذه الأسباب أسبابا مُعلنًا عنها، فإنّ هناك من الأسباب ما يمكن أن أضيفه إلى ذلك، مثل جعل اللّغة في المقام الثّانيّ أو أكثر بعد المعلومة الرّياضيّة، إضافة إلى البحث الدّائم عن السّبق الصّحافيّ؛ مما يؤدي –في بعض الأحيان– إلى التّضحية باللّغة؛ ولا أهمل –أيضا– المستويات اللّغويّة لبعض الصّحافيين التي ليست بالضّرورة في المستوى المطلوب...* وهذه الأسباب كلّها جعلت الصّحافة الرّياضيّة تتسم بمثل هذه اللّغة التي تملك شعبيّة كبيرة لدى الجماهير، لكنّها تقع في قفص الاتهام عند الذين ينادون بالصّفاء والنّقاوة اللّغويّة.

ويجب القول، إنصافا للصّحافة الرّياضيّة، أنّ اعتمادها على العاميّة ليس كبيرا يصل إلى درجة التّغطيّة على لغتها الفصيحة أو المهذبة؛ فاستعمال العاميّة لا يقع إلا في مواقع معيّنة؛ منها ما يمكن تبريره في علم الاجتماع اللّغويّ بوظائف عدة[2]، لكن استعمال اللّغة الفصيحة أو المهذبة هو الغالب والشّائع، ولم يُعرف قط –على حد علمي– عن جريدة أو صّحافيّ استعمل العاميّة فقط أو غلّب استعمالها في مقالاته إلى حد الآن.

ويبدو أنّ الأوضاع التي تتسرب فيها العاميّة إلى الخطاب الصّحافيّ الرّياضيّ معروفة، وهي من مثل:

---

[1]– خير الدّين على عويس، م.م. عطا حسن عبد الرّحيم، الإعلام الرّياضيّ، ص 147.

*– سبق الإشارة إلى هذه الأسباب.

[2]– يُنظر وظائف التّعاقب اللّغويّ مثلا عند (جون قامبرز) من خلال كتابه : John J. Gumperz, Sociolinguistique interactionnelle (une approche interprétative) présentation de Jacky Simoin, Université de la réunion: 1989, L'Harmattan.

أ- **المقولات والمسكوكات المشهورة:** تُعد الأمثال من أكثر القوالب اللّغويّة التي يستعملها الصّحافيون في مقالاتهم، والغرض منها -عادة- هو تقوية الحجـــة والتّقرب من حكم الجمهور، ومن أمثلة ذلك العنوان التّالي:

- "... مطالبه شرعية و"**اللي خاف سلم**"[1].

وغني عن البيان أنّ هذا المَثَل (اللّي خاف سلم) الوارد في المثال مثل عاميّ مشهور في الأوساط الشّعبيّة الجزائريّة، ويعني سلم من كلّ أذى من كان خائفا.

ويجب الإشارة -كذلك- إلى أنّ المسكوكات ليست الأمثال والحكم فقط، بـــل قد ترد بأشكال أخرى كبعض الصّيغ الجامدة المتداولة بالعاميّة من مثل:

- لقد بحثت أنا وإيدير لونقار عن حقيقة هذا الشخص... ووجدت أنه "مـــا كاين والو"...[2]

والعبارة (ما كاين والو) عبارة عاميّة متداولة في الجزائر بمعنى: لا يوجــد أي شيء ذا بال في القضيّة.

ب- **الألقاب:** تنتشر في الأوساط الرّياضيّة تسميات كثيرة مأخوذة من العاميّة، وعادة ما تكون ألقابا تُقدم للاعبين والمدربين وغيرهم من الشّخصيات أو الفرق وأنصارها، فيسمى مثلا نادي أمل الأربعاء في الجزائر ب(الزرقا)[3] عوض كلمة (الزرقاء) الفصيحة.

III- حضور اللّغات الأجنبيّة في لغة الصّحافة الرّياضيّة العربيّة: تتميّز الصّحافة الرّياضيّة العربيّة بحضور اللّغات الأجنبيّة، وخاصة منها الفرنسيّة والإنجليزيّة، لكن يجب الإشارة إلى أنّ حضورها لا يضاهي عموما استعمال العاميّة، ويمكن حصر أسباب تجليات اللّغات الأجنبيّة في الصّحافة الرّياضيّة العربيّة في ما يلي:

أ- اهتمام الصّحافة الرّياضيّة العربيّة بألعاب ذات أصول أوربيّة -في الغالب-.

---

[1]- يُنظر جريدة: الهدّاف، 22 إلى 28 جانفي 2005م.

[2]- يُنظر جريدة: الهدّاف، 17 ماي 2012م.

[3]- م. لكحل: « في حفل بهيج حضرته عدة وجوه كرويّة.. الأربعاء تحظى بتكريم الأبطال... وتسترجع بريقها من فندق "السوفيتال"» الهدّاف، 16 ماي 2012م، ع: 2078، ص 22.

ب- نقص المصطلحات المقابلة للمصطلحات الأوربيّة التي تُعبر عن تلك الألعاب.

ت- عدم اطلاع الصّحافيين على المصطلحات التي تمّ وضعها، وهي مشاكل متعلقة ببطء انتشار المصطلح العربيّ الجديد.

ث- اتساع انتشار المصطلح الأجنبيّ رغم وجود مصطلحات عربيّة معروفة؛ وذلك لأسباب لسانيّة اجتماعيّة متعددة؛ كولع المغلوب بلغة الغالب[1] مثلا وفقا لنظريّة مؤسس علم الاجتماع عبد الرحمن بن خلدون.

ويجب الإشارة، في هذا الصّدد، إلى أنّ الصّحافة الرّياضيّة العربيّة في أغلبها تتأثر بالمناخ الثقافيّ السّائد في بلدانها، فمثلا الصّحافة الخليجيّة متأثرة بالثّقافة الأنجلوساكسونيّة لعلاقة مع المستعمر الإنجليزيّ؛ فيستعملون مثلا مصطلح (أوفسيد- Of side) الإنجليزيّ عوض مصطلح (التّسلل) العربيّ الفصيح، وكذلك الحال مع المغاربة المتأثرين بالفرنسيّة لعلاقة تاريخية مع المستعمر الفرنسيّ؛ في مثل (بالون- Ballon) محل مصطلح (كرة) العربيّ... ولكن لا يمكن تفسير الأمر على أساس العلاقات التّاريخيّة فقط؛ بل يجب الانتباه -أيضا- إلى أجواء العولمة التي تحيط وتحاصر الجميع من كلّ صوب وحدب، فلا يمكن أن لا يكون لها يد في ذلك، حيث يبدو أنّ الصّراع اللّغويّ أكثر من أن يحتويه تفسير تاريخيّ؛ فالحاضر ليس بأكثر حرية -ثقافيّا- من الماضي.

ولا بد من الإشارة، أخيرا، إلى أنّ اللّغة العربيّة تستقبل الكثير من هذه المصطلحات وتعرّبها، فتدخل في سمتها مثل (كأس السّوبر) التي يبدو أنّها دخلت في قاموس الخليجيين، لكن هناك من المصطلحات ما يبقى محافظا على غرابته.

المبحث الثّانيّ: المحتوى الصّحافيّ (الرّياضيّ) والعلوم اللّغويّة: يتكوّن المحتوى الصّحافيّ -أساسا- من مكوّنين هما: الصّورة واللّغة، وينصب هذا العمل في اتجاه التّعريف بالجزء الثّانيّ فقط، وهو الذي يُطلق عليه عدد كبير من التّسميات في الميدان اللّغويّ أهمها: (النّص) و(الخطاب) و(الملفوظ) وربما (الجملة)

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، تح. وتق: عبد السّلام الشّدادي، الجزائر: 2006م، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التّاريخ وعلم الإنسان والتّاريخ، ج:01، ص 242.

و(التّركيب)... فيمكن إذًا لكلّ هذه المسميات أن تكون عنوانا لهذا المحتوى اللّغويّ الصّحافيّ، وقد استقر عملي هذا على مصطلح (الخطاب) الذي يُمثل في نظري حوصلة كلّ تلك المسميات، رغم أنّ بعض الباحثين يرون أنّه يتقاطع مع بعضها أو جلّها، كما يرى البعض الآخر أنّه يستغرق –أي الخطاب– بعضها أو كلّها، وهناك من يرى أنّه هناك تعادل مع بعض تلك المصطلحات... لذلك سأحاول في هذه النّقطة أن أُعرّف (الخطاب) ثم سأقارنه بالمفاهيم الأخرى؛ بغية تجلية مواضع التّوافق والتّنافر على كلّ المسميات.

الفرع الأول: مفهوم الخطاب: ليس يسيرا أن تجد في العلوم المعاصرة مصطلحا معرّفا تعريفا نهائيّا جامعا مانعا، بل درجت الدّراسات على تقديم مجموعة من التّعاريف للخطاب ولمعظم المصطلحات الحديثة، وهو ما سأقوم به في ما يلي.

1: تعريف الخطاب: حظي الخطاب بمكانة هامة في أبرز السّياقات اللّغويّة العلميّة العربيّة والغربيّة، وهو ما يحتاج إلى وقفة للتّعرف على توجهات الآراء قصد الوصول إلى استجلاء حدود هذا المفهوم، فما هو تعريفه يا ترى؟

I- تعريف (الخطاب) في الفكر العربيّ: عرفت العربيّة مادة {خ ط ب} منذ زمن بعيد؛ فقد استعمل في القرآن الكريم بصيغة المصدر والفعل من مثل قوله تعالى:﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ (الفرقان 36) وورد في لسان العرب في ما يشابه مصطلح (الخطاب) في قوله:« الخطابُ والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبةً وخطابًا، وهما يتخاطبان... الجوهري: خطبتُ على المنبر خُطبة، بالضّم، وخطبت المرأة خِطبةً، بالكسر...»[1] فمفهوم توجيه الكلام إلى الغير متأصل في الكلمة، لكن مصطلح (الخطاب) على صيغته الحاليّة غير متداول حسب ما يُفهم من تعريف ابن منظور، أما الأكثر تداولا؛ فهو (الخُطبة) بالضّم؛ وهي عمليّة إنتاج خطاب بالمفهوم الحديث، و(الخُطبة) بالضّم –دائما– إنّما كانت منتشرة كمصطلح؛ لاتصالها بالمصطلح الدّينيّ أيّما اتصال متمثلا في أحد أركان صلاة الجمعة؛ وهو الخطبتان، إضافة إلى ارتباط ذلك بفن الخطابة المشهور

---

[1]– أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقيّ، لسان العرب، ط 05. بيروت: 2005م، دار صادر، مج: 05، مادة خطب.

منذ العصر الجاهليّ، والذي اتسعت حظوته بعد قوة الحضارة الإسلاميّة لارتباطه بالسّياسة والقيادة...

وقد عرفه التّهانوي اصطلاحا بقوله:«... توجيه للكلام نحو الغير للإفهام...»[1] أي إنّ (الخطاب) إنّما هو كلام منغرس في سياق ما حيث يوجهه شخص لآخر لغاية ولغرض هو الإفهام؛ فليس الخطاب كلاما دون وظيفة، كما أنّ الخطاب ليس يقال بمعزل عن الذي يوجه إليه، وهو الكيان الذي سماه التّهانوي (الغير) ويمكن أن يكون هذا (الغير) معروفا بذاته أو بخصائصه، ففي الحالة الأولى يمكن أن يكون أي شخص نحو محمد وعمر وماسينسا... أما في الحالة الثّانيّة، فقد يُعنى به (القرّاء) في الأدب مثلا والصّحافة بشكل عام.

II- تعريف الخطاب في الفكر الغربيّ: يقابل مصطلح (الخطاب) في اللّغة الفرنسيّة مصطلح (Discours) وفي اللّغة الإنجليزيّة مصطلح (Discourse) فالمصطلحان متشابهان شكليّا، كما أنّ استعمالهما متشابه، من حيث المعنى، مع استعمال المصطلح المدروس (خطاب) في التّراث العربيّ، فاشتغلت البلاغة الأوربيّة القديمة على الخطاب من حيث هو فن الإلقاء والارتجال، وتطور الاهتمام به بشكل محتشم إلى أن تنبه (ز. س. هاريس–Z.S.Harris) إلى ضرورة تجاوز الجملة إلى أفق لغويّ أوسع هو الخطاب، وتُعتبر هذه الخطوة نقطة تحول في الفكر الغربيّ إزاء (الخطاب) كمفهوم، فنال حظوة كبيرة في الدّراسات التي جاءت في ما بعد، وأصبح بديلا عن مصطلحات أخرى كانت سائدة قبله كالجملة واللّغة... وقد حظي بتعريفات كثيرة[2] منها ما يلي:

جمع معجم اللّسانيات ل(جون ديبوا وآخرون–Jean Dubois et autres) العديد من تعاريف (الخطاب) في الفكر الغربيّ، منها ما هو قديم ومنها ما هو حديث، وسأكتفي –هاهنا– بتقديم منظور أول واضع لمصطلح تحليل الخطاب ألا

---

[1]– محمد علي الفاروق التّهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، عن نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسيّة في لسانيات النّص وتحليل الخطاب (دراسة معجميّة) ط 01. عمان: 2009م، عالم الكتب الحديث/ جدارا للكتاب العالميّ، ص 13.

[2]– نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسيّة في لسانيات النص وتحليل الخطاب...، ص 14.

وهو (هاريس) الذي كان توزيعيّا في مذهبه اللّسانيّ وبنويّا في ميولاته الفكريّة، لكن يعود الفضل إليه في الانتباه إلى أهميّة دراسة (الخطاب) رغم أنّه لم يوفق في تأسيس هذا العلم.

يرى (هاريس) أنّ الخطاب مجموعة من الجمل يمكن أن تُطبق عليها التّحاليل التّوزيعيّة التي تُطبق –عادة– على الوحدات الدّنيا كالمورفيم والفونيم، ومن أبرز هذه التّحاليل طريقة (الإبدال–Commutation) ويمكن شرح ذلك بالمثالين التّاليين[1]:

– تتساقط الأوراق هنا في وسط الخريف تقريبا؛

– تتساقط الأوراق هنا في نهاية شهر أكتوبر تقريبا؛

استنتج (هاريس) أنّ (في وسط الخريف) و(في نهاية شهر أكتوبر) هما من الفئة المعادلة نفسها؛ أي إنّه هناك تعادل بين جزئي الجملة في هذا المناخ اللّغويّ الموّحد، وإن كان هذا النّوع من التّطبيق قد حصل على مدوّنة مختارة أو منتقاة بعناية وفيها الكثير من النّمطيّة، فقد طُبقت هذه الطّريقة على نصوص عاديّة، ويورد (جون ديبوا وآخرون) مثالا عن خطابات الحرب[*] في الجزائر التي يمكن اعتبارها تكرارا لتمثلات عن العلاقة بين الجزائر وفرنسا، وقد ربط تطبيق هذه العمليّة بمفاهيم البنيّة العميقة والبنيّة السّطحيّة للخطاب[2]، ويبدو، من هذا التّحليل، أنّ (هاريس) وحتى (جون ديبوا وآخرون) الذين يعدون من أنصار البنويّة لم يتجاوزوا المنظور الجمليّ للّغة؛ رغم تفطنهم لوجود (الخطاب) كمؤسسة قائمة بذاتها.

ويُعرف (دومينيك مانغونو–Dominique Maingueneau) الخطاب على أنّه «... مجموعة من النّصوص المتناثرة التي يسمح لنا تجذرها التّاريخيّ أن نعدها كفضاء من التّنظيمات التّلفظيّة»[3] فيتوفر (الخطاب) على تنظيم معين تفرضه عمليات التّلفظ التي تؤسس لذلك (الخطاب) مهما كان نوعه؛ فكلّ عملية تلفظ ليست إلا تقمصا فرديّا للّغة.

---

[1]- Jean Dubois et autres, Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, Paris: 1994, Larousse, p 151.

[*]– مصطلح (الحرب) ليس في محله، بل الأجدر هو الحديث عن الثّورة التّحريريّة.

[2]- Jean Dubois et autres, Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, p 35.

[3]- Dominique Maingueneau, Genèses du discours, Coll. Philosophie et langage, 02 ed. Liège/Bruxelles: 1984, Pierre Mardaga, p 05.

وقد عرف تحديد مفهوم (الخطاب) تطورا -في ما بعد- في اتجاهات عدة منها: تحليل الخطاب ولسانيات النّص... وتشعب تعريفه؛ فيرى (إ. رولي-E.Roulet) مثلا أنّ (الخطاب) « نتيجة لتعالق المعلومات اللّسانيّة والنّصيّة والمقاميّة في ما بينها »[1] ويفهم من هذا الباحث أنّ الخطاب تشكيل لمجموعة من العناصر -التي ليست بالضّرورة لغويّة- لتأسيس فعل تواصليّ، والملاحظ -هاهنا- استعمال ثلاث مصطلحات هي: (اللّسانيّ) وهذا بالمفهوم البنويّ للمصطلح؛ من حيث إنّ الوحدات اللّسانيّة وحدات معزولة عن السّياق تنمو وتتطور كبنيّة؛ وهو مستوى الجملة، ثم يتحدث الباحث عن (العناصر النّصيّة) أي كلّ ما له علاقة ببناء النّص كعمليات التّكرار والإضمار... وأخيرا (السّياق) الذي يكون في أغلبه غير لغويّ من متكلمين وعوامل اجتماعيّة ونفسيّة...

ويتجلى، من خلال هذا التّعريف، مدى اتساع رؤية الباحث (إ. رولي) لمعنى مصطلح (الخطاب) وهذا هو التّوجه الغالب في الدّراسات الحديثة؛ فيعرّفه (ميشال فوكو-M. Foucault) مثلا على أنّه مجموعة من القواعد ذات مصدر مجهول؛ مضبوطة -دائما- في المكان والزمان، والتي تحدد في فترة ما شروط ممارسة الوظيفة التّلفظيّة لفضاء اجتماعيّ واقتصاديّ أو لغويّ معطى[2]، وهذا يحيل إلى السّياق بتفاصيله، ويربط مفهوم (الخطاب) بما يحيط به ربطا واضحا، فتجاوز (فوكو) في تعريفه النّظرة البنويّة التّجزيئيّة.

2: التّمييز بين (الخطاب) والمصطلحات المجاورة له: نظرا لاشتغال العديد من العلوم على اللّغة بمفهومها الشّائع، وحضور مصطلح (الخطاب) سواء من حيث هو مصطلح أو من حيث هو مفهوم، فثمة الكثير من المفاهيم التي تقاربه في المعنى أو تتراتب معه في بعض المعاني، ونُذكر منها: الجملة، الملفوظ، النّص، الكلام...

أ- الخطاب والجملة: شغل مفهوم (الجملة) اللّغويين منذ القدم، وقد كان منتهى كلّ التّحاليل لكلّ الدّراسات اللّغويّة ما قبل البنويّة، ومازال يحتل مكانة مهمة في

---

[1]- E.Roulet, Une approche modulaire de l’analyse du discours, in Violaine de Nuchese et Jean-Marc Colleta(éds), Guide terminologique pour l’analyse du discours (lexique des approches pragmatiques du langage), Bern: 2002, Peter Lang SA, p 52.

[2]- Michel Foucault, Archéologie du savoir, Paris: 1969, Gallimard, p 153.

التّحليل، وإن أفل نجمه مع الدّراسات الحديثة؛ تاركا مكانه لمصطلحات أخرى ك(النص) و(الخطاب) فإنّه يحتل –دائما– مكانا في تعريفها، فهو الجزء الذي يقاس به وعليه –دائما–.

وعرف مصطلح (الجملة) تحديدات عديدة عبر التّاريخ، وهذا يعود إلى تعدد الدّراسات اللّغويّة التي اهتمت به، فقد عرّفه (معجم اللّسانيات) وفق منظور النّحو التّقليديّ على أنّه «... وحدة دلاليّة مرفقة في الشّفويّ بخط عروضيّ بين توقفين، ومحددة في المكتوب بإشارات طوبوغرافيّة...»[1] ويقصد بالإشارات الطّوبوغرافيّة النّقطة في نهاية الجملة، والحرف الاستهلالي بالنّسبة للّغات الأجنبيّة... والواقع إنّ هذا التّعريف متفق عليه، لكن يُنتقد كثيرا، وخاصة في ما يتعلق بفكرة: (وحدة الدّلالة) التي يبدو أنّها مطاطيّة، ولا تصلح كثيرا كمعيار لتحديد معنى الجملة.

وقد كان للجملة تاريخها المتجذر في التّراث العربيّ سواء في الأعمال اللّغويّة القديمة أو الحديثة، فيُعد المبرد (ت 285 هـ) أول من استعمل مصطلح (الجملة) بمفهومه الاصطلاحيّ الحديث[2]، لكن تحدث سيبويه (ت 180 هـ) عن هذا المفهوم تحت مسمى (الكلام)[3] فتداخل مع هذا المصطلح في التراث العربيّ القديم؛ ومع ذلك كان مفهومه قائما وواضحا، وقد عرّفه ابن جني (ت 392 هـ) بقوله:« أما الكلام فهو كلّ لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه، وهو الذي يسميه النّحويون الجمل، نحو زيد أخوك ...وصه...»[4] فالجملة في هذا التّعريف إنّما تتحدد بكونها تُقدم معنى مستقلا؛ أي له دلالة واحدة بمفهوم التّعريف الغربيّ الذي عرضته، لكن هذا التّعريف يضيف شيئا آخر، من خلال الأمثلة، حيث يمكن أن تتركب الجملة من كلمة أو

---

[1]- Jean Dubois et autres, Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, p 35.

[2]– صالح بلعيد، الصّرف والنّحو (دراسة وصفيّة تطبيقيّة في مفردات برنامج السنة الأولى الجامعيّة)، الجزائر: 2003م، دار هومة، ص 153.

[3]– رابح بومعزة، الجملة والوحدة الإسناديّة الوظيفيّة في النّحو العربيّ، سلسلة دراسات نحويّة، دمشق: 2009م، دار رسلان للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ص 16.

[4]– أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تح: عبد الحميد هنداوي، ط 01. بيروت: 2001م، دار الكتب العلميّة، ج 01، ص 72.

أكثر، وهو الشّيء نفسه الذي طُرح فيما يتعلق ب(الخطاب) حيث هناك من يعتقد أنّ الخطاب قد يكون كلمة مثل (قف) أو أكثر، ويحصل التّداخل هنا بالضّبط، وهو الموضوع الذي أخذ حيزا كبيرا في النّقاش[1] فاختلفت الآراء وغاب الاتفاق.

ويبدو لي، بشكل عام، أنّ (الخطاب) نوع من التّنظيم أكثر من (الجملة)[2] لكنّه يتقاطع معها في بعض المواضع كالمثال السّابق، وهذا لا يعني أنّ المفهومين يشرحان المثال نفسه بالطّريقة نفسها، فالذين ينظرون إلى اللّغة بمنطق (الجملة) لا ينظرون إلى (قف) إلا من حيث هو فعل وفاعل، أما الذين ينظرون إلى اللّغة كخطاب؛ فيناقشون الأمر على أساس قواعد التّنظيم الموجودة في الجماعة الاجتماعيّة التي تستعملها كالرّواية أو الصّحافة...

II- الخطاب وثنائية اللّغة والكلام: ساد فكر (فرديناند دي سوسير– Ferdinand de Saussure) لفترة من الزّمن غير يسيرة، وكان له أثر واضح في معظم الدّراسات اللّغويّة التي جاءت بعده، وقد بُني هذا الفكر على مجموعة من الثّنائيات أهمها: ثنائيّة (اللّغة) و(الكلام) التي ميّز فيها (سوسير) بين (اللّسان) كإنجاز فرديّ وهو (الكلام)، و(اللّسان) كإنجاز جماعيّ وهو (اللّغة)، وانحاز إلى (اللّغة) كموضوع للّسانيات[3]، فجعل اللّسانيات دراسة علميّة للّغة في ذاتها ولذاتها[4]، ويبدو لي أنّ أيّة محاولة لوضع مفهوم (الخطاب) في مواجهة مع هذا التّمييز ستصل إلى أنّ (الخطاب) هو (الكلام) من حيث هو إنجاز فرديّ، وأنّه، في الوقت نفسه، إنجاز ل(لغة) في سياق خاص، لكن رغم هذا الحدس، فإنّ حديثي لا يعني البتة أنّ (الخطاب) يساوي (الكلام) بالمفهوم السوسيريّ للمصطلح؛ ف(الخطاب) له توجه اجتماعيّ أكثر من (الكلام) السوسيريّ، ولا يتخندق فقط في التّقابل السّالف.

---

[1]– ذهبية حمو الحاج، استراتجيّة التّواصل: التّصريح والتّلميح في الخطاب السّياسيّ، أطروحة دكتوراه، جامعة مولود معمري بتيزي وزو/الجزائر: قسم اللّغة العربيّة وآدابها، 2006م/2007م، ص 47.

[2]- Dominique Maingueneau, Analyser les textes de communication, p 38.

[3]– فيردنان دي سوسير، دروس في الألسنيّة العامة، تعر: صالح القرمادي، محمد الشّاوش، محمد عجينة، تونس: 1985م، الدّار العربيّة للكتاب، ص 35-36.

[4]- Ferdinand de Saussure, cours de linguistique générale, Pr. Dalila Morsli, 03 ed. Alger: 2004, ENAG, p 376.

ويضيف (معجم تحليل الخطاب) أنّ اللّغة، منظورا إليها على أساس أنّها نظام مشترك بين مجموعة من البشر، تتقابل مع (الخطاب) باعتباره استعمالا خاصا لهذا النّظام؛ فالخطاب بهذا المنظور قد يعني أشياء كثيرة[1]؛ كأن يعني موقفا داخل حقل خطابيّ (الخطاب الشّيوعيّ مثلا) أو نوعا من أنواع الخطاب (الخطاب الصّحافيّ مثلا) أو نتاجات خطابيّة لنوع من المتخاطبين (الممرضين مثلا) أو لوظيفة من وظائف اللّسان (الخطاب الجدليّ مثلا)...

III- الخطاب والملفوظ: يُعد اللّغويّ (إميل بنفنيست–Emile Benveniste) أول لغويّ فرنسيّ يناقش أفكار (سوسير) ويقدم بدائل عنها[2]، وقد وضع نظريّة سماها نظريّة التّلفظ[*]، تحدث فيها عن مفهوم (الملفوظ) باعتباره نتيجة لعمليّة التّلفظ التي تُمثل في حد ذاتها عمليّة لاستعمال اللّغة من قِبل متكلم ما، وقد اجتهد (بنفنست) في سبيل تمييز (الملفوظ) عن (الجملة) باعتبار (الجملة) شيئا معزولا عن السّياق، وباعتبار (الملفوظ) نتاجا للتّلفظ؛ وبالتّالي مرتبطا أيّما ارتباط بالمتكلم والسّياق العام للتّلفظ.

ويرى أصحاب (معجم تحليل الخطاب) أنّ (الخطاب) عند (بنفنيست) قريب من مفهوم (التّلفظ) أكثر من قربه إلى مفهوم (الملفوظ) إذا كان الملفوظ نتاجا للتّلفظ[3]، وإن كنتُ أوافقهم في كون (الخطاب) يقترب من مفهوم (التّلفظ) فإنّ موقفهم القاضي بابتعاد (الملفوظ) عن الخطاب لا أنخرط فيه البتة؛ بل يبدو لي أنّ (الخطاب) هو (التّلفظ) و(الملفوظ) معا؛ بمفهوم (بنفنيست) للمصطلحين، غير أنّ مفهوم (الملفوظ) ليس مستقرا على مفهوم (بفنيست) الذي ذكرته، فقد يعني أشياء أخرى؛ يُذكر منها[4]:

أ– الملفوظ هو الوحدة الأساسيّة للتّواصل الكلاميّ؛

---

[1]- Charaudeau Patrick, Dominique Maingueneau, Dictionnaire d'analyse du discours, Paris: 2002, Ed. du Seuil, p 186.

[2]– ذهبية حمو الحاج، استراتجيّة التّواصل: التّصريح والتّلميح في الخطاب السّياسيّ، ص 47.

[*]– هناك تعريف لهذه النّظريّة في الفصل الثّانيّ من هذا الباب.

[3]- Charaudeau Patrick, Dominique Maingueneau, Dictionnaire d'analyse du discours, p 186.

[4]- Dominique Maingueneau, Analyser les textes de communication, p 42.

ب- الملفوظ هو كلّ استعمال للجملة نفسها في سياق ما؛ أي هناك تقابل (جملة (ملفوظ)؛

ت- الملفوظ هو مقطع كلاميّ يمثل وحدة تواصليّة كأن تقول: رواية، مقالة...

ويجب إذًا التّمييز، بناء على هذه المفاهيم المتعددة للملفوظ، بين المفهومين الأولين اللّذين يمثلان جزءا من (الخطاب) أما المفهوم الثّالث؛ فقد يتداخل مع (الخطاب) وقد يعبران على شيء واحد في هذه الحالة.

IV- الخطاب والنّص: يُعد (النّص) من أهم المفاهيم القريبة إلى مصطلح (الخطاب) وقد كان لهذا المفهوم أثر كبير في الدّراسات اللّغويّة والأدبيّة، عند الغرب والعرب، حتى انتهت الأمور لتأسيس علم يهتم به (النّص) هو لسانيات النّص، وهناك بعض الأدبيات التي تعد هذا العلم جزءا من التّداوليّة*، ونظرا لارتباط (النّص) ب(الخطاب) فقد حظيت التّفرقة بينهما برقعة كبيرة من النّقاش، سأعرض، في ما يلي، رأي أحد المشتغلين بلسانيات النّص؛ ألا وهو (جون ميشال آدام).

يرى (آدام) أنّ النّص موضوع تجريديّ وتجريبيّ وماديّ وواقعيّ[1]؛ فمن حيث هو موضوع تجريديّ يمثل موضوعا للنّظريّة العامة لتراصف الوحدات؛ وهذا التّراصف هو (النّظم) إن كانت الوحدات وحدات صغرى، وهو (البنيّة) إن كانت تلك الوحدات وحدات كبرى، أما النّص كموضوع تجريبيّ وماديّ وواقعيّ؛ فهو عبارة عن (ملفوظ) أي كنتيجة فريدة لعمليّة التّلفظ، ووحدة من وحدات التّواصل البشريّ.

وعرّف (آدام) (النّص) مع زميله (أندري بوتيجان-André Petitjean) على أنّه « متوالية من الوحدات (جمل، أفعال كلام أو تلفظ) المرصوفة بشكل جيد والمترابطة (استمرار-تكرار) والتي تسير إلى نهاية ما (تدرج)»[2] فيضيف الباحثان في هذا التّعريف مفاهيم جديدة متعلقة باللّسانيات النّصيّة كالتّكرار والاستمرار

*- يُنظر عرض هذه التّداوليّة في الفصل الثّانيّ من هذا الباب.

[1]- Jean-Michel Adam, Linguistique textuelle (des genres de discours aux textes), Paris: 2004, Nathan/Sejer, p 40.

[2]- Jean Michel Adam/ André Petitjean, Le texte descriptif, Paris: 2006, Nathon, p 84.

والتّدرج، ومرد هذه الإضافة إلى أنّ هذه المفاهيم تُمثّل جوهر النّص في اللّسانيات النّصيّة؛ فبهذه العمليات التي يجريها الكاتب يكون نصه متّسقا ومنسجما، وبالتّالي يُمكن فك معانيه وفهمه.

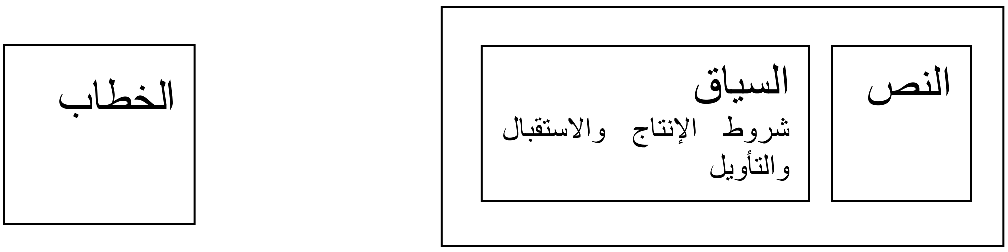
ويعتقد (آدام) أنّ (الخطاب) انفتاح للنّص على:

أ- وضعية فريدة للتّلفظ والتّخاطب.

ب- ما بين الخطابيّة التي يوجد فيها النّص (أي أنواع الخطاب).

ويرى (آدام)، بناء على هذه المفاهيم التي تبناها، أنّ العلاقة بين (النّص) و(الخطاب) هي علاقة اندراجيّة يمكن التّمثيل لها بالشّكل الذي يظهر في التّرسيمة رقم (03):

الترسيمة رقم 03



فالسّياق يلعب دورا مهما في كلا المفهومين؛ لكن ليس كما تشرحه المواقف المعروفة والتي تقول[1]:

- الخطاب = النص+ شروط الإنتاج؛

ويرى (آدام) أنّ (النّص) مرتبط -أيضا- بالسّياق؛ وليس (خطابا) معزولا عنه، لكنّه يندرج داخل مفهوم الممارسات الخطابيّة التي تُمثل جزءا من فضاء أوسع؛ حسب الأنواع الموجودة فيه.

V- الخطاب والفكر التّداوليّ: عرف الخطاب توسيعا في معناه بظهور التّداوليّة واهتمامها به[2]، فاتخذ العديد من المعاني؛ وفق كلّ منطلق تداوليّ، ويمكن تلخيص بعض الأبعاد في ما يلي:

---

[1]- Jean-Michel Adam, Linguistique textuelle…, p 39.
[2]- Dominique Maingueneau, Analyser les textes de communication, p 38.

أ- **الخطاب كفعل**[1]: عرف النّصف الثّانيّ من القرن الماضي شيوع ما يسمى بنظريّة أفعال الكلام، وهي النّظريّة التي قادها الفيلسوفان (جون أوستين-J.l.Austin)[*] و(جون سورل-J.R.Searl)[◆] والتي ترى أنّ الكلام إنّما يمارسه البشر لإنجاز أفعال ما، والهدف من ورائها هو تحقيق تأثيرات سواء على العالم أو الغير... وقد صنّف (أوستين) (الخطاب) إلى مجموعة من الأفعال كالأفعال الإنشائيّة والتأثيريّة والقوليّة... وهذه الأفعال -على تعددها- تتدرج في مستويات أعلى من الخطاب كالرّواية والنّص الصّحافيّ والمناشير... والتي لا تقوم لهم قائمة خارج العوامل اللّغويّة وغير اللّغويّة التي تحدد كيفيّة إنشائها وفهمها.

ب- **الخطاب تبادليّ**[2]: يُنظر إلى (الخطاب) تبعا للدّراسات التّداوليّة؛ وخاصة منها حواريّة (مخائيل باختين-Bakhtine Mikhail) ونظرية التّلفظ عند (إميل بنفنيست) على أنّه تبادليّ في جوهره؛ أي إنّ هناك -دائما- متكلما (يتحمل الكلام أو ينسبه لغيره) ومتلقي يتبادلان أطراف الحديث، ولا يمكن -حسب هذا المنظور- تصور أي خطاب دون أحد الطّرفين.

وتشير الأدبيات، عكس ما سلف ذكره، إلى بعض الوضعيات التي يبدو فيها الخطاب غير تبادليّ مثل: حالة المحاضرة التي يتكلم فيها المحاضر دون أن يتيح للمستمع أيّة فرصة للإجابة، وهناك وضعيات أكثر إحراجا بالنّسبة لهذه الرّؤيّة؛ هي حالة النّصوص المكتوبة التي لا يكون المتلقي حاضرا أثناء كتابتها؛ مما يضع هذا

---

[1]- Charaudeau Patrick, Dominique Maingueneau, Dictionnaire d'analyse du discours, p 188.

[*]- يُعد (جون لونغشاو أوستين- John Langshaw Austin) (1911/03/26م- 1960/02/08م) أب نظريّة أفعال الكلام، وهو فيلسوف بريطانيّ اشتهر بكتاب نُشر بعد وفاته هو: (القول من حيث هو فعل- How to do things with words)، وقد نُشرت ل(أوستين) -بعد وفاته دائما- أعمال فلسفيّة أخرى لم تشتهر عند اللّغويين، مثل: (أوراق فلسفيّة-Philosophical papers) (يُنظر: Jacob L. May, Concise encyclopedia of pragmatics, 2nd ed. Great Britain: 2009, Elsevier science LTD.).

[◆]- هو (جون روجيرس سورل-John Rogers Searl) (1932م) وهو فيلسوف أمريكيّ، ويُعد أحد أبرز تلامذة (أوستين) طوّر نظريّة أفعال الكلام في أعمال عديدة، ومن أشهر هذه الأعمال: (الأفعال الكلاميّة-Speech acts) الصّادر سنة 1969م، وكتابه (التّعبير والمعنى-Expression and meaning) الصّادر سنة 1979م، (يُنظر: Julien Longhi, Georges Sarfati, Dictionnaire de pragmatique.).

[2]- Dominique Maingueneau, Analyser les textes de communication, p 39.

التّصور على المحك، لكن القائلين بحواريّة الخطاب يؤسسون رأيهم انطلاقا من كون كلّ خطاب –ولو كان مكتوبا– إنّما هو موجه إلى شخص آخر؛ موجود أمام المخاطب كأحوال المحادثات الشّفويّة، أو غائب عنه –فيزيائيّا فقط– كما هو الشّأن في الخطابات المكتوبة؛ لكنّه موجود –دائما– كتمثّل في ذهن المتكلم، وهو حال المتلقي في الصّحافة بشكل عام، والرّياضيّة بشكل خاص.

ت- الخطاب سياقيّ بالضّرورة[1]: سبق أن أشرت إلى أنّ (النّص) يمثّل (الخطاب) منزوعا منه السّياق، وهو مفهوم شائع في بعض الأدبيات حيث يعتقدون بمفهوم المخالفة أنّ (الخطاب) (نص) داخل سياق معين، وانطلاقا من هذا المنظور، يمكن القول إنّ الخطاب إنّما هو ممزوج بالسّياق ويتلون به، فالكلام نفسه إذا قيل في سياقات مختلفة يُنتج خطابات مختلفة، وأكثر من ذلك، فإنّ كلّ خطاب يحمل في طياته عناصر وإشارات إلى السّياق الذي قيل فيه.

ويمكن للخطاب، بهذا المنظور، أن يساهم –أيضا– حتى في تحديد سياق جديد أثناء عمليات التّخاطب، كأن يكون المتخاطبان يتحدثان كأصدقاء ثم يغيّران الوضعيّة فيصبح هذا طبيبا والآخر مريضا؛ وهو نوع من تبادل الأدوار[2] بين المتخاطبين، وهذا ما يظهر –كذلك– من خلال الخطاب الصّريح أو الضّمنيّ.

ث- الخطاب تسيره قوانين وحكم: يرى اتجاه معروف باسم التّداوليّة التّحادثيّة –الذي يُعد (هيربيرت بول قرايس–Herbert Paul Grice) من أهم أعلامه– أنّ المحادثات التي تجري بين المتكلمين لا تحدث دون تنظيم خفي وقواعد مسيرة، وقد سمى هذه القوانين (حكم المحادثة) أبرزها (حكمة التّعاون) التي تقول: إن التّواصل ممكن بين بني البشر لتوافقهم الضّمنيّ على التّعاون من أجل إنجاح العمليّة التّخاطبيّة، وتتفرع هذه الحكمة إلى حكم أخرى؛ وهي:

- **حكمة الكميّة:** تنقسم إلى جزأين:
  - يجب أن تتضمن مداخلتك الكم الضّروريّ من المعلومات.
  - يجب أن لا تتضمن مداخلتك كمًا من المعلومات يتجاوز القدر المطلوب.

---

[1]- Charaudeau Patrick, Dominique Maingueneau, Dictionnaire d'analyse du discours, p 189.

[2]- Dominique Maingueneau, Analyser les texte de communication, p 40.

- **حكمة النّوعيّة:** تنقسم إلى قسمين أيضا:
  - لا تقول إلا ما تعتقد أنّه صحيح.
  - لا تقول إلا ما يمكنك إثباته.
- **حكمة العلاقة:** يجب أن تكون مداخلتك ملائمة أو مناسبة.
- **حكمة الكيفيّة:** وتنقسم إلى قسمين أيضا:
  - لا تتحدث بكلام غامض.
  - لا تتحدث بكلام فيه لُبس[1].

ويمكن الاستنتاج، انطلاقا من هذه الحِكم، أنّ الخطاب –في منظور هذا التّوجه التّداوليّ– نشاط تواصليّ يخضع لقواعد ومعايير لا مجرد تبادل كلاميّ دون خلفيات.

ج– الخطاب جزء من الخطابات: يرى أغلب الباحثين في تحليل الخطاب أنّ الخطابات أنواع مثل: الخطاب الصّحافيّ، الخطاب الأدبيّ... و(الخطاب) لا يمكن أن يتحدد معناه إلا في علاقته مع (ما بين الخطابات–Interdiscours) وحال (الخطاب) –هنا– كحال (النّص) في ما يسمى بالتّناص، فـ(الخطاب) يأخذ من الخطابات الأخرى، ولا يُفهم إلا بالنّظر إلى تلك الخطابات.

ولا يعتمد الخطاب الدّينيّ مثلا على المراجع نفسها التي يستند إليها الخطاب الصّحافيّ، فمراتب المراجع مختلفة بينهما، وهكذا يُعد القرآن والسّنة مصادرين أساسيين للخطاب الدّينيّ ثم يليهما ما تبقى من المراجع؛ أي إنّ المرجعين السّابقين سلطة عليا، تعلو ولا يعلى عليها، أما في الخطاب الصّحافيّ، فالاعتماد يكون أولا على الحضور الشّخصيّ للصّحافيّ في مكان الحدث كسلطة عليا، ثم تأتي المراجع الأخرى كالوكالات... وغني عن البيان أنّه لا مجال للمقارنة، فكلّ نمط من الخطاب له آلية ما تؤسس اشتغاله، وهي مرتبطة في جوهرها بالخطابات التي تشابهه والتي تقاسمه الخصائص.

الفرع الثّانيّ: أنواع الخطاب: تروي الأدبيات المهتمة بموضوع (الخطاب) أنّه ليس شيئا واحدا متجانسا له وجه واحد؛ بل يتعدد تعددا كبيرا، وهذا ما استدعى الباحثين

---

[1]- Georges-Elia Sarfati, Précis de pragmatique, Paris: 2002, Nathon/Vuef, p 43.

على مر العصور إلى التّنقيب على أنماطه وأصنافه وأنواعه، فتعددت المنطلقات، وتغيرت من باحث لآخر حتى أصبحت إشكالية من الإشكاليات المرتبطة بمفهوم (الخطاب) وهذا له صلة مباشرة بموضوع الصّحافة؛ باعتبارها خطابا بالمنظور اللّغويّ، فما هو مفهوم أنواع الخطاب؟ وما هي الأنواع التي توصلت إلى إليها البحوث؟

تبدو الإجابة على هذا السؤال في غاية من الصّعوبة، ذلك أنّ الآراء متعددة ومتباعدة؛ وعلى ما وقفت عليه، سأحاول أن أقدم أشهرها؛ مما يعطي للقارئ فكرة ولو عامة عن الموضوع.

1: مفهوم نوع الخطاب: عرفت الدّراسات القديمة، على أنواعها، إشكاليّة أنواع الخطاب؛ لكن لم تهتم بتعريفها، فقدمت مجموعة من التّصنيفات والتّقسيمات فقط، أما مرحلة التّنظير للمفهوم، فجاءت في فترة متأخرة، ويبدو أنّ (باختين) أول من طرح مسألة أنواع الخطاب إلى بساط النّقاش، وجعلها موضوعا من مواضيع اللّسانيات؛ بعدما لاحظ أنّ تعدد الأنواع الخطابيّة شيء موجود دون أن يكون له حيّز ما في الدّراسات.

I- تعريف مفهوم أنواع الخطاب: يُعرّف (باختين) مفهوم أنواع الخطاب على أنّه الرّابط بين تاريخ المجتمع وتاريخ اللّغة، فالملفوظات والنّمط الذي تنتمي إليه، أو –بتعبير آخر– أنواع الخطاب، هي حلقة الانتقال التي تأخذ من تاريخ المجتمعات إلى تاريخ اللّغة[1]، أي إنّ أنواع الخطاب مرتبطة في ماهيتها بالمجتمعات؛ بل تختزن قواعد ومعايير منغرسة ومتجذرة في ثقافة مجتمع من المجتمعات، فالشّعر كنوع من أنواع الخطاب له معاييره وأنواعه وفق كلّ ثقافة، لذلك تجد العرب مثلا يبنون شعرهم على عمود الشّعر والتّفعيلة... أما الأمازيغ؛ فكأنّما شعرهم كلّه حر... وكذلك الرّوم والغجر والألمان... فاللّغة الشّعريّة تقتبس من ثقافة المجتمع طرق نسجها، وهو ما يجعل النّوع مرتبطا بمجتمع ما أكثر مما هو نوع عابر للّغات وللمجتمعات.

[1]- Bakhtine Mikhail, Esthétique de la création verbale, Paris: 1984, Gallimard, p 271.

ويُعرّف (باتريك شارودو–Patrick Charaudeau) النّوع بقوله:« يتكون النّوع من مجموعة الخصائص المحددة لشيء ما والتي تشكل نمطا للانتماء»[1] فيفترض النّوع، أيّا كان جوهره، حسب هذا الباحث، خاصيتين:

أ- **أن تكون هناك خصائص للشّيء:** يجب أن يكون هناك شيء يتوفر على مجموعة من الخصائص؛ تُمكن المتلقي من افتراض انتمائه لنمط من الأشياء.

ب- **أن تكون تلك الخصائص سببا في الانتماء:** يستلزم النّوع أن تكون هناك بعض المميّزات التي تجعله نمطا أو طائفة مستقلة من الأشياء، ويمكن بالتّالي لأي شيء تتوفر فيه تلك المعايير أن ينتمي إلى النّوع.

وينتج هذا النّوع الخطابيّ، إن أُضيف إلى نوع خطابيّ آخر، أنواعا من الخطاب، وفي المحصلة: على أي خطاب يريد أن ينتمي إلى نوع من أنواع الخطاب أن يتصف بمجموع الخصائص التي يتضمنها ذلك النّوع الخطابيّ.

وتوصل (نام–صونغ لي–Nam-seong LEE) بعد عرضه لمجموعة من الآراء؛ إلى أنّ النّوع الخطابيّ إنّما هو نتاج جماعة ثقافيّة واجتماعية محددة، ويتضمن في ماهيته النّقاط التّاليّة[2]:

أ– **(المابين خطابيّة–Inter discursivité):** تُعد المابين خطابيّة مستوى أعلى من الخطاب؛ وتؤثر فيه، لذلك تُقدم لها الأولويّة في التّحليل –وخاصة في المدرسة الفرنسيّة لتحليل الخطاب–، كما تُمثل الوسط الطّبيعيّ الذي تتأسس فيه فكرة الأنواع الخطابيّة، ويمكن النّظر إلى المابين خطابيّة من عدة منطلقات:

- **تماثل النّسخ من النّوع نفسه:** تظهر الخطابات، وفق هذا المنطلق، أنّها متشابهة من حيث الخصائص؛ مما يؤشر على أنّها من النّوع الخطابيّ نفسه؛ فالتّشابه بين النّسخ يجعل المتلقي يحس أنّه إزاء خطابات من نوع واحد.

---

[1]- Patrick Charaudeau, Les medias et l'information (L'impossible transparence du discours), 01 ed. Bruxelles: 2005, De bœck et Larcier s.a. / Institut national de l'audiovisuel, p 170.

[2]- Nam-seong LEE, Identité langagière du genre…, p 40.

- **عدم تماثل النّسخ:** إذا كان تماثل النّسخ يشعر المتلقي بانتمائها للنّوع نفسه، فإنّ اختلافها يشعره بعكس ذلك تماما؛ مما يجعل تلك النّسخ أو النّصوص أو الخطابات تنتمي إلى أنواع مختلفة.
- **الاسترسال بين الأنواع:** هي تلك الحالات التي يبدو فيها النّص أو الخطاب منتميا إلى نوعين خطابيين؛ مما يجعله في الوسط من حيث لا ينتمي إلى هذا ولا إلى ذاك.

ب- **النّوع كقاعدة وكممارسة:** يُشكل النّوع الخطابيّ نوعا من المفاهيم التّجريبيّة غير المجردة، فرغم أنّه يمتلك تعريفا على المستوى النّظريّ، فإنّ وجوده مرتبط بالممارسة أيّما ارتباط؛ أي إنّ وجوده فعليّ أكثر مما هو نظريّ حيث يُشكل قاعدة الاستعمال النّاجح للتّواصل؛ حال التّقيد به، ومن هذا المنطلق، يبدو أنّ النّوع إكراه لكن إذا ما تمكن الفرد من معرفة حدوده؛ فسينعم بالكثير من الحرية في ممارسته.

ج- **الشّرعيّة:** يُعد تقمص النّوع الخطابيّ والانغماس فيه دخولا في سلم من الشّرعيات التي يتقبلها المتلفظ من حيث هو متلفظ شرعيّ، ويقابله مستمع شرعيّ، ويقولان خطابا شرعيّا.

II- تمييز النّوع الخطابيّ عن المصطلحات المجاورة له: استعملت الأدبيات العديد من المصطلحات المرادفة أو المقاربة لمفهوم (أنواع الخطاب) منها الفضاء الخطابيّ، التّشكيلة الخطابيّة، السّطح الخطابيّ، الحقل الخطابيّ... لكن سأركز -هاهنا- على مصطلح (التّشكيلة الخطابيّة) فقط؛ باعتباره أقرب المصطلحات إلى النّوع الخطابيّ، كما أنّه نال حظا وافرا من التّعليق والدّراسة.

يُعد (ميشال فوكو) أول واضع لمصطلح (التّشكيلة الخطابيّة) في إطار دراساته الفلسفيّة، وذلك كبديل عن بعض المفاهيم الموجودة في زمانه ك(العلم) و(الإيديولوجية) و(النّظرية)... ولكن لم يشع هذا المصطلح في العلوم اللّغويّة إلا بعد إدراجه من قبل (ميشال بيشو-Michel Pecheux) في دراسات تحليل الخطاب[1]؛ ثم ذاع صيته، ونافس مصطلح (أنواع الخطاب) لتقاطع بينهما.

---

[1]- موساوي فريدة، المفاهيم الأساسيّة في تحليل الخطاب، سلسلة مقاربات آداب ولغات، ط 02. الجزائر: 2010م، عالم الكتب، ص 35.

ويُعرِّف (دومينيك مانغونو–Dominique Maingueneau) مصطلح التّشكيلة الخطابيّة على أنّه «... نظام من إكراهات النّظم الدّلاليّ الجيد...»[1] وقد جعله معارضا لمفهوم (السّطح الخطابيّ) الذي يعني به مجموع الملفوظات المنتجة بما يوافق ذلك النّظام؛ فكأنّما يريد أن يقول إنّ (السّطح الخطابيّ) إنّما هو نتيجة لاستثمار (التّشكيلة الخطابيّة).

وقد عَرف هذا المصطلح رواجا قبل الثّمانينات، لكنّه تراجع من حيث الاستعمال؛ ونافسه مصطلح (الأنواع الخطابيّة) الذي تَبنيتُه، ويعود سبب انحسار رقعة استعمال مصطلح (التّشكيلة الخطابيّة) إلى نقص في تعريفه حيث لم ينتقل من الفلسفة إلى الدّراسات اللّغويّة والأدبيّة بشكل ناجح[2]، فاختص فقط بدراسة الخطابات الإيديولوجية كالخطاب الشيوعيّ... عكس الدّراسات (اللّغوية والأدبيّة) الحديثة التي تهتم في مجملها ببحوث غير إيديولوجية، وكانت النّتيجة الحتميّة هي تضييق مجال استعماله كأداة منهجيّة للدّراسة.

III- تصنيفات أنواع الخطاب عبر العصور: عرفت الدّراسات اللّغوية والأدبيّة محاولات كثيرة لتصنيف الخطابات في كلّ حلقة من حلقات تطورها، وأنتجت كلّ حقبة وعلم تصورا خاصا به يختلف في شيء أو في أشياء عن غيره، وقد درجت الأدبيات على ذكر التّصنيفات التّالية:

أ– التّصنيفات البلاغيّة والأدبيّة: عرفت الحضارة الإغريقيّة الرّومانيّة نشاطا خطابيّا متعددا، فبدأ الإنسان –آنذاك– يبحث عن وضع تصنيفات للخطابات المتداولة، وظهرت مع هذا النّشاط تصنيفات للشّعر في بداية الأمر، فقُسم إلى ملحمة وشعر غنائيّ... وقد عُرف مثل هذا النّشاط عند العرب –أيضا– حيث صُنفت النّصوص إلى شعر ونثر، كما صُنف الشّعر إلى مدح ووصف وهجاء...[3] غير أنّ

---

[1]- Dominique Maingueneau, Genèses du discours, p 10.

[2]- Charaudeau Patrick, Dominique Maingueneau, Dictionnaire d'analyse du discours, p 271.

[3]– عمر بلخير، مقدمات في الحجاج والنّص، الجزائر: 2011م، منشورات مخبر الممارسات اللّغويّة في الجزائر، ص 71.

الملاحظ في هذه التّصنيفات الأدبيّة أنّها ليست محل إجماع من قبل المتخصصين لاختلافها في المنطلقات، فيذكر (شارودو ومانغونو) عددا من هذه المنطلقات منها[1]:

- **منطلقات الشّكل والمحتوى والنّظم:** يميزون بين الشّعر والمسرح... كما يميزون داخل النّوع الواحد أنواعا أخرى كقولهم: المأساة والملهاة في المسرح.
- **منطلقات تصور الواقع والعالم:** قُسمت النّصوص وفقا لهذا المنطلق إلى نصوص واقعيّة ونصوص سرياليّة...
- **منطلقات التّنظيم التّلفظيّ:** ووفقا لهذا المنطلق هناك أنواع من مثل: الرّوايّة التّاريخيّة، السّيرة الذّاتيّة...

ب- التّصنيفات الوظيفيّة: تطور، في إطار اللّسانيات الحديثة، تيار ينادي بضرورة الاهتمام بوظائف اللّغة، وخاصة منها وظيفة التّواصل والإبلاغ، وقد تمخض عن هذا التّيار نموذج لتصنيف الخطابات مبني على المنظور الوظيفيّ، فحدد (ر.ياكوبسن–R.Jacobson) واضع دورة التّواصل (التّخاطب) ستة (06) وظائف تختص كلّ واحدة بعنصر من عناصر دورة التّخاطب، وهي: الوظيفة المرجعيّة، الوظيفة الانفعاليّة، الوظيفة التّأثريّة، الوظيفة التّعبيريّة، الوظيفة الواصفة، الوظيفة الشّعريّة[2]؛ وكلّ واحدة من هذه الوظائف يمكن أن تُشكل نوعا من أنواع الخطاب غير أنّها لا تستقل بمضمون الخطاب لوحدها؛ فيمكن أن تشترك مع وظيفة أو وظيفتين أو أكثر في خطاب واحد؛ لكن ثمة –دائما– وظيفة سائدة تكون عنوانا ومسمى للنّص.

ويضاف إلى ما سبق نوع آخر من الوظائف تدعى الوظائف الاجتماعيّة[3]؛ فقد يكون الهدف من الخطابات هو ربط الاتصال فقط، كما قد يكون الهدف منها دينيّا أو وعظيّا... وكلّ هذا وغيره يدخل في مسمى الوظائف.

1- Charaudeau Patrick, Dominique Maingueneau, Dictionnaire d'analyse du discours, p 278.
2- Georges-Elia Sarfati, Précis de pragmatique, p 65.
3- Dominique Maingueneau, Analyser les textes de communication, p 46.

ت- التّصنيفات التّفاعليّة: يهتم نوع من التّصنيفات بجانب التّفاعل بين المتكلمين، وقد ظهر هذا النّوع من التّصنيف في ميدان علم الاجتماع الأنجلوساكسوني-الأمريكيّ، وقد برزت العديد من المفاهيم التي تُمثل، في واقع الأمر، نمطا من تصنيف الخطابات مثل مفاهيم: (المحادثة) و(التّبادل) و(التّخاطب) و(التّفاعل).

وقد اهتم (إرفين قوفمان-Erving Goffman) في أعماله بشكل كبير بما يسميه (الكلام وجها لوجه) الذي تتصارع فيه الذّوات العلنيّة[1] للأشخاص، وقد جعله موضوعا للدّراسة التي يروم أن يؤسس لها، فميّز بين بعض الوحدات التي تُشكل هذا الموضوع الذي اكتشفه؛ منها: (التّبادل) و(المحادثة) و(المقابلة)... ويعد مصطلح (المحادثة) من بين المصطلحات التي استقر عليها (قوفمان) وعرّفها على أنّها «... الكلام الذي يتجلى عندما يجتمع ويقعد عدد قليل من المشاركين، في فترة قصيرة؛ يعتقدون أنّها مستقطعة (أو موازية) لمهامهم الماديّة؛ فهي وقت للتّرفيه يُحَسُ به على أنّه غاية في حد ذاته...»[2] وهذا صنف من أصناف الخطاب، في حقيقة الأمر، لأنّ الكلام ليس كلّه على ما وصفه (قوفمان) في حديثه الذي اقتبسته، بل هناك أنواع أخرى؛ وإن لم يجعلها (قوفمان) موضوعا لدراسته.

ويمكن تصنيف (المحادثة) من حيث هي نوع من أنواع الخطاب على أنّها من صنف الخطابات التّبادليّة؛ أي التي يتواجد فيها الشّخصان وجها لوجه[3]، ويمكن -أيضا- إدراج كلّ من (المناقشة) و(المناظرة) و(الجدال) في الصّنف نفسه، وفي مقابل ذلك، هناك حديث عن الخطابات غير التّبادلية مثل: الخطاب الأدبيّ والصّحافيّ... حيث يوجه الخطاب إلى قارئ غائب عن مكان إنتاج الخطاب.

ث- التّصنيفات التّواصليّة: يرى (باختين) أنّ الخطابات لا يمكن تقسيمها إلا إلى نوعين فقط؛ هما: الخطاب الأول والخطاب الثّانيّ، وقد ربط هذا الأمر بالوضعيات

---

[1]- جورج يول، التّداوليّة، تر: قصي العتابي، ط01. بيروت/ الرّباط: 2010م، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون/ دار الأمان، ص 98.

[2]- Erving Goffman, Façons de parler, Coll. Sens commun, Paris: 1987, Ed. Minuit, p 20.

[3]- ذهبية حمو الحاج، استراتجيّة التّواصل: التّصريح والتّلميح في الخطاب السّياسيّ، ص 87.

الخطابيّة التي تظهر فيها هذه الخطابات، فتكون الخطابات الأولى في الوضعيات العفويّة، أما الخطابات الثّانيّة؛ فتكون في التّبادلات الثّقافيّة والكتابيّة ما يجعلها خطابات راقية نوعا ما، وقد ربط الباحثون هذا التّقسيم الثّنائيّ التّواصليّ ل(باختين) بثلاثة عوامل[1] هي:

- **الوضعيّة الخطابيّة:** يمكن تأسيس تمييز (باختين) بين نوعين من الخطاب على نوعين من الوضعيات الخطابيّة: الأولى هي الوضعيّة الحميميّة بالمفهوم اللّسانيّ الاجتماعيّ، أو على الأقل غير الرّسميّة، حيث يكون الكلام –عادة– شفويّا وعفويّا؛ وهي الخطابات الأولى بالنّسبة ل(باختين) أما الوضعيّة الثّانيّة؛ فهي الوضعيات الرّسميّة أو على الأقل المهيكلة أو التي تنخرط في شرعيّة ما كالصّحافة والأدب... وهي الخطابات الثّانيّة بمفهوم (باختين).
- **العلاقة بالسّياق:** عطفا على علاقة الأنواع الباختينيّة بالوضعيّة الخطابيّة، يمكن القول، على أثر الكثير من الباحثين[2]، أنّ النّوع الأول؛ أي الشّفويّ، يتميّز بالتّجذر في السّياق لحضور طرفي التّخاطب وجها لوجه، أما النّوع الثّانيّ؛ فيكون أقل تجذرا في السّياق؛ لكن يحمل في طياته طريقة متميّزة لتعويض ذلك باستعمال أساليب لغويّة خاصة لتغطيّة العجز.
- **العلاقة مع الفعل اللّغويّ وغير اللّغويّ:** يبدو أنّ النّوع الأول مرتبط أيّما ارتباط بالأفعال غير اللّغويّة التي يتكامل معها؛ عكس النّوع الثّانيّ الذي يكون –عادة– أكثر حرية من النّوع الأول.

2: أنواع الخطاب والخطاب الصّحافيّ: كان حديثي في ما سبق عن أنواع الخطاب في اللّغة، بشكل عام، فما هو حالها في ميدان دراسة الخطاب الصّحافيّ؟ أو بالأحرى ما هي الأنواع التي تَشُق لغة الصّحافة إلى أنماط مختلفة من الخطابات؟

---

[1]- Nam-seong LEE, Identité langagière du genre, p 29.

[2]– ج. ب. براون/ ج. يول، تحليل الخطاب، تر: وتع: لطفي الزلطيني/ منير التّريكي، الرّياض: 1997م، النّشر العلميّ والمطابع –جامعة الملك سعود، ص 15.

ليس حال الدّراسات اللّغويّة/الصّحافيّة إلا أكثر صعوبة مما طرحته في السّابق، ذلك أنّ في الخطاب الصّحافيّ كلّ ما ذكرته؛ ومسائل أخرى متعلقة بخصوصيته كخطاب مستقل، وقد طُرحت العديد من النّماذج من المنظور الإعلاميّ، وقد عرضت جزءا يسيرا منها في السّابق، كما طُرحت بالمنظور اللّغويّ العديد من التّصورات؛ سأقدم –هنا– نموذجين؛ أحدهما من صميم لسانيات النّص والآخر من تحليل الخطاب.

I- نموذج (جون ميشال آدام) للأنواع الصّحافيّة: يرى هذا الباحث أنّ فكرة الأنواع الخطابيّة موجودة ومُعلن عنها في الخطاب الصّحافيّ، ويظهر ذلك كإشارات في بعض المقالات كافتتاحية أو تعليق... ولكن يؤكد على أنّ هذه المعلومات لا تُشكل تصنيفا، بل هي تسميات تظهر بشكل عابر في الجرائد، ولا تُقدم للدّارس كلّ الأشياء المرجوة منها كتصنيفات، ويُضاف إلى ذلك، أنّ الصّحافة نفسها تقدم تصنيفات موازية في الوقت نفسه كقولهم: صفحة سياسيّة وصفحة اقتصاديّة... وهو ما يجعل تصنيفهم محل لُبس؛ يحتاج بالتّالي إلى تدقيق.

وعرض (آدام)، في بداية تحليله للمسألة، بعض التّحديدات التي يجب مراعاتها قبل أي بحث عن تصنيف الخطابات الإعلاميّة تصنيفا لغويّا، وأولى هذه المسائل؛ هو استبعاد ما لا يمكن أن يكون نوعا خطابيّا في كلّ الأحوال، وفي هذا الإطار، حلل بعض المسائل ذات الصّلة بالنّص الصّحافيّ وما يحيط به، فيرى (آدام)، من هذا المنطلق، أنّ الصّحافة تتضمن نصوصا محيطة ليست بالضّرورة أنواعا من الخطاب، وقد ذكر هذه المناصات كالتّالي:

مناص الجريدة	مناص المقال	+
	لغوي	أيقونيّ- بيانيّ
1- عنوان الجريدة. 2- محدد الصّفحة المخصصة. لموضوع ما RUBRIQUE)	3- العنوان الأكبر. 4- العنوان. 5- العنوان الفرعيّ. 6- مقدمة (CHAPEAU)	8- صور. 9- لوحة مفاتيح.

)	7- عناوين فرعيّة صغيرة.	

فأي عمل في اتجاه تحديد أنواع النّصوص الصّحافيّة يجب أن يأخذ بعين الاعتبار كلّ هذا الهيكل، بل حتى تفريعات أخرى أكبر أو أصغر مما ذُكر كالتّشكيلة الخطابيّة ونوع الإعلام الذي تنتمي إليه الجريدة...

ولا بد من الإشارة، هاهنا، إلى أنّ قضايا تنظيم النّص الصّحافيّ متعددة وتصنيفات أجزائه كثيرة، لا تقف إلى حد ما ذُكر في الجدول، بل هناك تفرعات كثيرة بين الجريدة والمقال؛ مثل ما يسمى بالبنيّة العليا والنّص المتعدد أو المجموعات التّحريريّة...[1] وهو ما يجعل قضية تحديد التّصنيف الملائم للنّصوص الصّحافيّة مبحثا صعب المراس، لذلك يعتقد (آدام) أنّ مناقشة تصنيف الخطابات الصّحافيّة يحتاج إلى التّنظير والتّدقيق في مفهوم النّوع أولا، ثم التّنظير والتّدقيق -أيضا- في مفهوم التّنظيم النّصيّ ثانيّا.

أ- **مفهوم النّوع:** بعد عرض مجموعة من الآراء، اتجه (آدام) إلى تحديد معنى النّوع، وقد جعله مفهوما في محورين[2]:

- **النّوع أنماط:** يمثل النّوع على هذا المحور شكلا من أشكال التّنميط للملفوظات، وذلك من المنطلقات التّاليّة:

- **النّوع نمط تجريبيّ:** يكون النّوع ضروريّا سواء بالنّسبة لمنتج الخطاب أو للمتلقي؛ بشكل يكون معه التّلفظ والتّأويل مرتبطا بالنّوع.
- **النّوع نمط من (النّماذج الأوليّة-Prototype):** يعني ذلك حسب (آدام) أنّ النّوع يحدد حسب الميول إلى معيار ما أو البعد عنه، بدل الحديث عن التّقيد المطلق بذلك المعيار أو تجاوزه.
- **النّوع نمط تعبيريّ للملفوظات:** يكون النّوع شكلا من أشكال الإكراه (غير القسري) على إتباع طريقة ما في إنتاج الخطاب.

---

[1]- عمر بلخير، معالم لدراسة تداوليّة وحجاجيّة للخطاب الصّحافيّ الجزائريّ المكتوب ما بين 1989 و2000، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر: قسم اللّغة العربيّة وآدابها، 2005م-2006م، ص 94.

[2]- Jean-Michel Adam :« Unités rédactionnelles et genres discursifs: cadre générale pour une approche pour la presse écrite», p 12-13.

- **النّوع (تمظهر-Configuration) واقع بين مبدأين متناقضين:** يكون الخطاب ممكنا بتوفر المبدأين التّاليين:

- **مبدأ الانغلاق:** يتمثل هذا المبدأ في خضوع النّوع إلى مجموعة من القواعد تجعله مسيّجا ومنغلقا على نفسه، ومن هذه القواعد التّكرار والإحالة...

- **مبدأ الانفتاح:** يتمثل هذا المبدأ في إمكانية زحزحة القواعد الموجودة في المبدأ الأول بشكل يمكن معه أن يظهر التّعدد والإبداع...

ب- تصنيف الأنواع الصّحافيّة حسب نموذج (آدام): انطلق (آدام) -قبل عرض نموذجه- من مجموعة الإكراهات التي تدخل في تعريف النّوع الصّحافيّ وبعض ملاحظات (باختين) التي عرضتُ بعضها، لكي يصل، في ما بعد، إلى اقتراح نموذجه، وكان التّحليل كالتّالي:

يرى (مانغونو) -حسب (آدام)- أنّ من الإكراهات التي تدخل في تعريف النّوع الصّحافيّ ما يلي[1]:

- منزلة المتلفظين والمتلفظين المشاركين؛
- الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة للتّلفظ؛
- المواضيع؛
- الطّول وطريقة التّنظيم؛
- الدّعائم وطرائق النّشر كالمكروفون...

وقد ناقش (آدام) هذه الإكراهات؛ معتمدا في ذلك على بعض آراء (باختين) -مؤسس فكرة الأنواع-، وخاصة ربط (باختين) لكلّ قضايا الأسلوب بالنّوع، وهو ما وافقه فيه (آدام) حيث يقول:«... يجب وضع هذه الظّواهر اللّغويّة (الإحالة الاسميّة...) كما يقترحه (باختين) في علاقة مع الظّواهر العامة، ويبدو، في هذا الصّدد، أنّ نظام الزّمن في التّقارير الرّياضيّة مُلفت للانتباه، فاستعمال الزّمن

---

[1]- دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح في تحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، الجزائر: 2005م، منشورات الاختلاف، ص 60.

الماضي البعيد المستمر ليس متواترا فعلا إلا في السّرد...»[1] حيث ربط (باختين) ومعه (آدام) تواتر بعض الاستعمالات اللّغويّة –المدروسة سابقا في إطار الجملة مثل أزمنة الأفعال والإحالة...– بتأثر الخطاب بنوعه؛ فكلّ نوع خطابيّ له استعمالاته اللّغويّة الخاصة به.

ويرى (آدام) أنّ الأنواع الصّحافيّة ما هي إلا أجزاء من التّشكيلة الخطابيّة تعمل على إنتاج فعل خطابيّ ما كالإعلام والتّرفيه... كما يرى أنّ الأنواع الخطابيّة لا يمكن دراستها إلا كظواهر خطابيّة/ تحادثيّة؛ وليس كظواهر نصيّة لسانيّة فقط، وقد انتهى تحليله إلى إعادة صياغة معايير تحديد النّوع الخطابيّ التي تحدث عنها (مانغونو) على أساس أنّها إكرهات، فعدّلها وأضاف إليها بعضا من الأفكار، فأفضى العمل إلى النّموذج التّالي:

أقل المعايير التي تحدد أنواع الصّحافة المكتوبة	+
– دلاليّ (موضوعاتي)=	عائلات الأحداث والصفحات.
– تلفظيّ=	درجة الاندماج في الملفوظ وهويّة المتلفظ.
– الطّول=	الاختصار والإطناب.
– تداوليّ=	الأهداف والمقاصد التّواصليّة.
– تنظيميّ=	مخطط النّص والمقاطع.
– أسلوبيّ=	النّظم المحليّ للنّص (المستوى البنويّ).

ومما يمكن أن أعيبه على هذا العمل أنّه لم يقدم تصنيفا للأنواع، بل قدم معايير فقط دون تطبيقها؛ فاكتفى بتطبيق واحد حول معيار التّلفظ.

II- نموذج (باتريك شارودو) للأنواع الصّحافيّة: ينطلق (شارودو) من تصور عام لخطاب الصّحافة؛ يُعتقد فيه أنّ هذا الخطاب إنّما هو ينتظم في ثلاثة أنماط هي: نقل الحدث والتّعليق على الحدث وإثارة الحدث، ثم تحدث عن مجمل الآراء، الواردة في الدّراسات، حول إشكالية تصنيف الخطابات عند العديد من الباحثين ك(ياكوبسن)

[1]- Jean-Michel Adam:« Unités rédactionnelles et genres discursifs: cadre générale pour une approche pour la presse écrite», p 14.

وأبحاث (آدام) التي أشرتُ إليها، واعتبر أنّها لم تصل إلى جوهر التّصنيف المرجو لتشابك وتعقيد ظاهرة الأنواع الخطابيّة، ومن هنا، انطلق في اتجاه اقتراح نموذجه الخاص.

أ- معايير تصنيف خطابات الصّحافة عند (شارودو): اقترح (شارودو) قبل أي تصنيف للأنواع الصّحافيّة، أربعة (04) معايير لتصنيف الخطابات؛ يكون النّوع الصّحافيّ تقاطعا لها؛ وهي[1]:

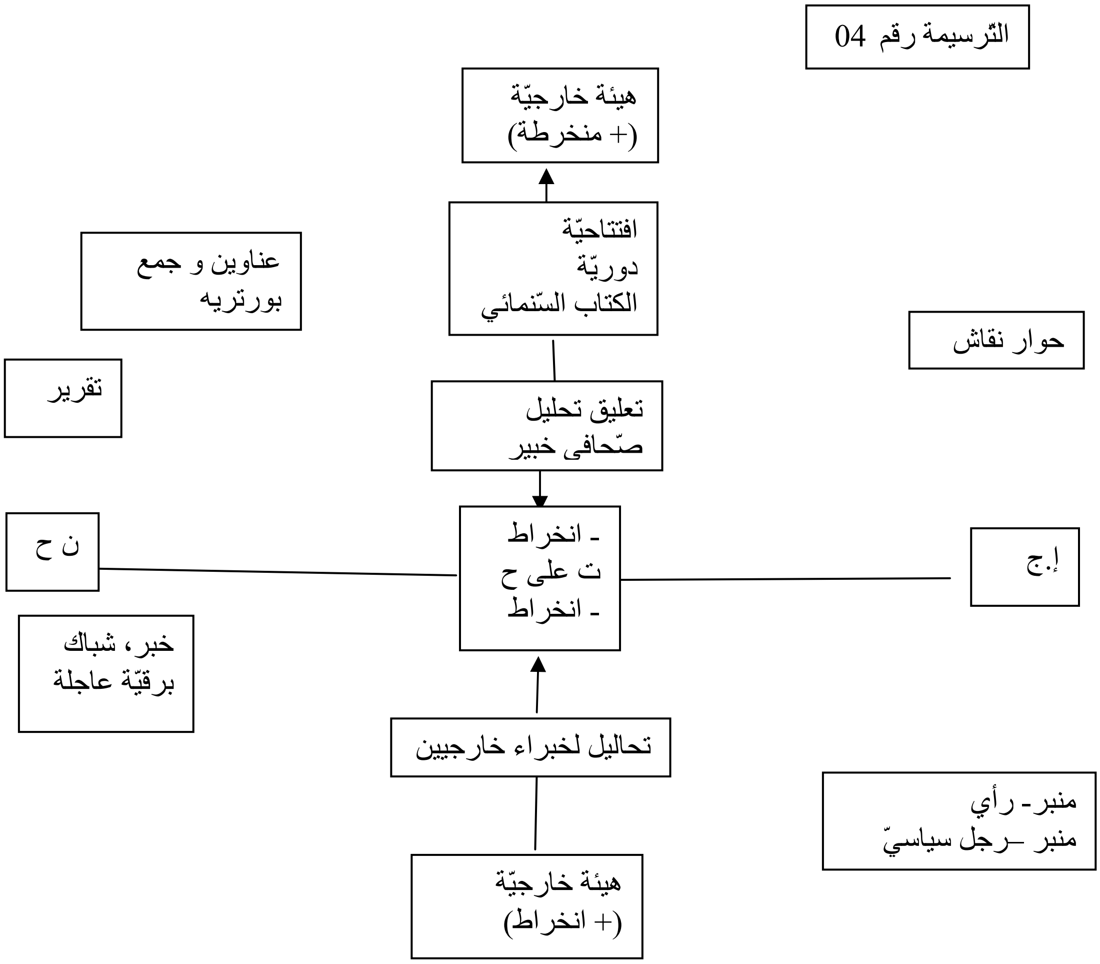
- **الهيئة المتلفظة:** تتحدد -هاهنا- أصول الشّخصيّة المتكلمة في النّوع ومدى انخراطها في الخطاب، وميّز (شارودو) وفقا لهذا المعيار، بين الهيئة الخارجيّة؛ كأن يكون المتلفظ رجلا سياسيّا أو أيّة شخصيّة أخرى، والهيئة الدّاخليّة؛ كأن يكون المتلفظ صحافيّا في الجريدة أو إداريّا فيها...
- **النّمط الخطابيّ:** هو المعيار الذي يجعل الحدث الإعلاميّ على شكل قصة أو نقاش[2]؛ أي يصوغه ويقدم له شكلا لغويّا، ويكون النّمط الخطابيّ إما نقلا لحدث؛ مثل: التّقارير الصّحافيّة، أو تعليقا عليه كالافتتاحية، أو إثارة له كالنّقاش.
- **المضمون الموضوعيّ (Thématique):** هو الميدان الجامع الذي تتحدث عنه القصة الإعلاميّة، وهذا المعيار يساعد على التّمييز بين الأنواع الكبرى من مثل: ثقافيّ، سياسيّ، رياضيّ... كما يساعد -أيضا- على التّمييز بين الأنواع الفرعيّة؛ فيتم التّفريق مثلا في الميدان الثّقافيّ بين: السّينما والأدب والموسيقى...
- **نوع الدّعامة:** يشكل الجانب الماديّ لدعائم النّشر سببا من أسباب التّمييز بين الأنواع الصّحافيّة، وذلك لما لها من خصائص خاصة بها، فالحوار الصّحافيّ يختلف عن الحوار الإذاعيّ، كما يختلف الاثنان عن الحوار التّلفزيونيّ.

---

[1]- Patrick Charaudeau, Les medias et l'information (l'impossible transparence du discours), p 172.

[2]- Patrick Charaudeau, Le discours d'information médiatique (la construction du miroir social), coll. Medias–Recherches, Paris: 1997, Nathan-Institut National de l'Audiovisuel, p 138.

ب- تصنيف الخطابات الصّحافيّة عند (شارودو): وضع (شارودو) بعد تقديم المعايير الواجب الانطلاق منها، تصنيفا للأنواع الصّحافيّة؛ وهو ما تبيّنه التّرسيمة رقم (04) التّاليّة[1]:



علّق (شارودو) على التّرسيمة رقم (04) بأنّ المحور الأفقيّ ليس محورا متناقض الطّرفين، بل هو أنواع من الكتابة الصّحافيّة فقط، وهي المذكورة سابقا: إثارة الجدل (إ.ج) والتّعليق على الحدث (ت.ح) ونقل الحدث (ن.ح) أما المحور العموديّ؛ فهو -فعلا- متناقضات من حيث المتلفظين، كما أكد (شارودو) -في آخر تعليقه- أنّ تصنيفه الوارد في التّرسيمة (رقم (04) أعلاه) متعلق بالأنواع الصّحافيّة الأساسيّة، وهي التي يمكن أن يكون لها وجود في كلّ الوسائل الإعلاميّة البصريّة

[1]- Patrick Charaudeau, Le discours d’information médiatique (la construction du miroir social), p 140.

والسّمعيّة البصريّة... كما أشار إلى أنّ التّصنيفات الخطابيّة ليست أبدا قبليّة[1] بل يجب أن توضع دائما بشكل بعديّ؛ لأنّ الأنواع الصّحافيّة في تطور مستمر؛ مما يفرض إعادة النّظر في هذه التّصنيفات؛ وفقا للتّطورات الحاصلة.

ويبدو لي، خلافا ل(نام صونغ لي)[2]، أنّ نموذج (شارودو) أكثر حصافة من نموذج (آدام) لنجاحه في تقديم نظرة لغويّة شاملة لقضية الأنواع الصّحافيّة، لكن رغم ذلك، فإنّ اهتمام اللّغوييْن بإيجاد المعايير، أغفل عنهما إعادة النّظر في التّصنيف، فأصبح تصنيف الإعلاميين هو المرجع –دائما–، كما أنّهما زادا تصنيف الإعلاميين تعقيدا، فأصبح متشعبا، وهو ما يطرح المسألة من جديد –في رأيي–، كما أنّ المنظور الخطابيّ للأنواع الصّحافيّة لم يتضح كثيرا من حيث مركزه داخل زخم العمليات الإندراجيّة التي تقع فيها الخطابات، وفي هذا الصّدد يبدو لي أنّ الأنواع الصّحافيّة ليست بمنظوريّ إلا ثلاثة (03) أنواع أساسيّة، هي:

- **المقال الصّحافيّ:** هو كلّ المقالات التي يتحدث فيها الصّحافيّ إلى القرّاء، ويتميّز هذا النّوع باستعماله العديد من التّقنيات متعلقة بالطول ودرجة التّدخل في سرد الأحداث...
- **المقال الصّحافيّ الحواريّ:** هو نوع خاص فعلا من الكتابة الصّحافيّة، يظهر –دائما– على شكل سؤال وجواب، ويكون فيه العرض على أساس أنّ هناك صحافيّ يتوجه إلى مستجوب، والمستجوب يجيب على الصّحافيّ ويتوجه في الوقت نفسه إلى القارئ، فكأنّما جهد الصّحافيّ هو الحديث باسم القارئ، أما القارئ، فكأنه شاهد على ما يجرى من حديث دون أن يكون له الحق في التّدخل مباشرة.
- **المقال الممزوج:** هو نوع من المقالات التي يتوجه فيها الصّحافيّ بنفسه إلى القرّاء، لكن يحيل في مقاطع من مقالته إلى حوارات أجراها مع شخصيات أخرى حيث يكون جانب الحوار متوازنا مع جانب المقال.

---

[1]- Patrick Charaudeau, Les medias et l’information (l’impossible transparence du discours), p 176.

[2]- Nam-seong LEE, Identité langagière du genre, p 21.

الفرع الثّالث: عقد التّواصل في الخطاب الصّحافيّ (الرّياضيّ): تعمل أنواع الخطاب على هيكلة اللّغة والخطاب في إطار تراتب معين؛ ييسر على المستعملين التّواصل بأنجع الطّرق، وتتحدث الأدبيات الدّارسة للخطاب الصّحافيّ –بالمنظور اللّغويّ– على مفهوم آخر يقوم بالدّور نفسه تقريبا –أي تيسير التّواصل–؛ وهو عقد التّواصل الذي يمثل آلية من الآليات الأساسيّة المفسرة لعمليّة التّواصل، بشكل عام، والتّواصل الصّحافيّ بشكل خاص، فماذا يعني هذا المفهوم؟

1: مفهوم عقد التّواصل: يُمثل عقد التّواصل الرّابط القوي؛ وقد يكون الوحيد، الذي يربط بين الصّحافة والقرّاء –المتكلمين والمستمعين بشكل عام– ويساهم بشكل كبير في تحديد نوعيّة العلاقات بينهما، ونظرا لأهميّته في عملية التّواصل، سأُفرد له ما تبقى من هذا الفصل؛ أملا في شرحه ومعرفة أركانه.

I- في حدود عقد التّواصل: سأفحص في هذا الجزء من البحث علاقة مفهوم عقد التّواصل بالمصطلحات المقاربة له في المعنى، والهدف هو الوصول إلى تعريف دقيق لمفهوم عقد التّواصل.

أ- **أنواع الخطاب وعقد القراءة:** يرى (مانغونو) أنّ وصف الأنواع الخطابيّة يمكن أن يكون بعدة مصطلحات منها العقد[1]، والعقد مفهوم قانونيّ يفترض وجود تعاون واتفاق بين شخصين على بنود ما؛ لكن عقود التّواصل بعيدة كلّ البُعد على الجانب الرّسميّ المطلوب في العقود القانونيّة، لأنّ أغلب ما يقوم به المتكلمون إنّما هو من قبيل الاتفاقات الضّمنيّة لا الصّريحة، كما أنّ قواعد العقد التّواصليّ ليست قواعد متحجرة غير قابلة للخرق؛ بل ثمة دائما حلول لتجاوزها وتعويضها بقواعد أخرى أكثر أريحية للمخاطب، وقابلة للفهم من قبل المستمع أو القارئ.

ويضيف (مانغونو)، في صدد هذا التّمييز، أنّ الأنواع لا تُعبر على كلّ العقود الممكنة في الأدب؛ فهي عقود قراءة ضيقة تساعد فقط على التّحكم في بعض الإنزياحات التي لا يحترم فيها الأدباء قوانين الخطاب، لذلك أشار في تحليله للخطاب الأدبيّ إلى أنّه خطاب متميّز بخروقاته الكثيرة لقواعد التّواصل العادي؛ لكنّها تنتمي كلّها إلى عقد القراءة الموجود في الأدب، وقد رصد (مانغونو)

[1]- Dominique Maingueneau, Analyser les textes de communication, p 46.

نفسه الكثير من الخروقات للأنواع الأدبيّة[1] التي لا يمكن فهمها إلا في إطار عقد القراءة الأدبيّة الذي يتوفر على قاعدة تقول: إن الأدب خروج عن المألوف يجب إضفاء الشّرعيّة عليه، ومما ذكره (مانغونو) من حالات الخروج عن نوع الخطاب:

- **اللُّبس:** يذهب البعض إلى أنّ كلّ الأعمال الأدبيّة يجب أن تتضمن جانبا معيّنا من الإخبار، وأن تقترب قدر الإمكان إلى اللّغة العاديّة، لكن، في الجهة المقابلة، رفضت الرّومانسية هذا الطّرح؛ وفصلت بين لغة الشّارع ولغة الأدب، فاختارت اللّغة غير المباشرة؛ وهذا خرق لقوانين الخطاب وللشّرعيّة الكلاسيكيّة التي تُمثل الجنس الأدبيّ الطّاغي في ذلك الوقت، وفَهْم هذا الخرق لا يكون إلا بالعودة إلى عقد القراءة الأدبيّة.
- **التّكرار:** يعتمد بعض الأدباء على تقنية التّكرار لأهداف أدبيّة معيّنة، والمعروف أنّ التّكرار غير محبذ في اللّغة؛ وهو خارق لقوانين الخطاب المعتادة؛ إلا أنّ عقد القراءة الأدبيّة يساعد على شرعنة هذا الاستعمال.

ويبدو جليا، من خلال ما سبق، أنّ النّوع الأدبيّ، باعتباره نوعا، يفرض طريقة ما في التّعامل مع الاستعمال اللّغويّ بشكل يمكن معه التّواصل، فيمكن قبول خروقات واضحة للخطاب العاديّ؛ لمجرد انتماء تلك الإنزياحات إلى الخطاب الأدبيّ، وهذا هو معنى العقد الأدبيّ.

ب- تعريف عقد التّواصل: يشكل العقد التّواصليّ* حجر الزّاويّة في فهم صيرورة الخطاب الصّحافيّ عامة، والرّياضيّ خاصة، لذلك حظي باهتمام العديد من المتخصصين -وعلى مستويات عدة- منهم: السّميائيين والباحثين في علم النّفس الاجتماعيّ وتحليل الخطاب... فأدلى كلّ بدلوه في تحديد مفهوم هذا المصطلح، وقد تمّ دراسته تحت مسميات كثيرة تلتقي كلّها إلى مفهوم واحد هو (العقد التّواصليّ)

[1]- Dominique Maingueneau, Pragmatique pour le discours littéraire, Edition mise à jour, Paris: 1995, DUNOD, p 123.

*- عقد القراءة، بمنظور هذا البحث، ما هو إلا وجه من أوجه العقد التّواصليّ، فالتّواصل يكون على عدة أشكال من بينها القراءة التي تُستعمل -عادة- في النّصوص المكتوبة منها: الأدب والصّحافة...

ومن هذه المسميات يذكر معجم تحليل الخطاب[1]: (بين الذّاتيّة) لبنفنيست و(الحواريّة) عند باختين، و(فرضية الحصافة) عند قرايس وسبربر وولسن...

ويمكن القول: إنّ العقد التّواصليّ هو خضوع التّواصل –والقراءة بشكل خاص– إلى مجموعة من القواعد التي تقنن التّلقي[2]، فعمليّة التّواصل بين بني البشر إنّما تسيرها نواميس اتفاقيّة ضمنيّة تساعد على نجاح التّواصل، وهذه القواعد ليست إلزاميّة –كما قلت سابقا– بل تتجاذبها الجماعات والأفراد في حركيّة وتفاعليّة؛ فيها من المرونة ما يسمح بإنجاز عمليات تواصليّة متعددة في وضعيات مختلفة وبفاعلين مختلفين.

وقد قدم (معجم تحليل الخطاب) مجموعة من المنطلقات التي تحدثت عن مفهوم العقد التّواصليّ[3]؛ فذكر السّميائيين الذين يعتقدون أنّ العقد التّواصليّ مفهوم حدسيّ لا يمكن تعريفه بصرامة متناهيّة، لكنّه، بشكل عام، يُعبر عن أقل الظّروف الواجب توافرها لحدوث احتكاك بين شخصين، ويمكن القول إنّ هذه الظّروف هي الافتراضات المسبقة المشكلة لبنية التّواصل السّميائيّ، فالمنظور السّميائيّ يركز على الظّروف أو الشّروط التي تسيِّر عمليات التّواصل.

ويضيف (معجم تحليل الخطاب) أنّ لعلماء النّفس الاجتماعيّ مساهمات كثيرة منها مقاربة (ك.شابرول–C.Chabrol) الذي يرى أنّ العقد التّواصليّ عقد اتفاقيّ أغلبه ضمنيّ يشترك في معرفته المتخاطبون، فهو مبني على قرائن التّشارك فقط وليس على التزامات صريحة، كما ربطه بعقد القراءة؛ باعتباره عقدا مدروسا ومعروفا بالنّسبة لعلماء النّفس الاجتماعيّ، من حيث هو رسم ذهنيّ يسمح ببرجمة أشكال لغويّة سميائيّة سلفا، وهي أشكال موجودة في النّوع –عادة– وتتسم بنوع من المعياريّة والاعتياديّة لدى المستعمل.

---

[1]- Charaudeau Patrick, Dominique Maingueneau, Dictionnaire d'analyse du discours, p 139.

[2]– عمر بلخير، معالم لدراسة تداوليّة وحجاجيّة للخطاب الصّحافيّ الجزائريّ...، ص 106.

[3]- Charaudeau Patrick, Dominique Maingueneau, Dictionnaire d'analyse du discours, p 139.

II- معطيات عقد التّواصل: يندرج العقد التّواصليّ حسب (شارودو)* في مستوى أعلى؛ وهو الفعل التّواصليّ الذي يتكون –أيضا– من المشروع الفرديّ للكلام، فأفعال التّواصل تتجاذبها –دائما– رغبة المخاطب وعوائق التّخاطب أو عقد التّواصل، والفعل التّواصليّ النّاجح إنّما هو الذي يُحدِث التّوازن المطلوب بينهما، ويتميّز العقد التّواصليّ –بمفهومه العام– بكونه نتيجة مباشرة لمجموعة من المعطيات التي يمكن تقسيمها إلى معطيات داخليّة ومعطيات خارجيّة[1]:

أ– المعطيات الخارجيّة: تُشكل هذه المعطيات مجموعة من السّلوكات الاعتياديّة التي يتبناها المشاركون في المحادثات، وهي في جوهرها غير لغويّة؛ لكن لها أوجه سيميائيّة واضحة حيث توجد قرائنها في السّلوكات الاجتماعيّة، وقد قسمها (شارودو) إلى أربعة أقسام، تُشكل نوعا من الشّروط لكلّ عقد تواصليّ، وهي:

- **هويّة المشاركين في الخطاب**[2]: يتدخل في عمليات التّواصل الخاضعة لعقود التّواصل مشاركون متعددون، فكلّ تبادل يخضع إلى هويّة المتكلمين، ويكون البحث، في إطار هذا القسم من المعطيات الخارجيّة، عن من يتكلم؟ مثلا، وإلى من يتكلم؟ وهؤلاء كلّهم أشخاص يمكن تحديدهم –عادة– وفق خصائص السّن والجنس... لكن يجب الإشارة إلى أنّ أهميّة هذه الهويات إنّما هي مرتبطة بمدى حصافة الاهتمام بها، ففي حديث صحافيّ مثلا، يعتبر الاهتمام بهويّة الصّحافيّ حصيفا، أما وجود هذا الصّحافيّ في شبّاك للبريد؛ وهو يطلب معلومات في إطار حياته الخاصة؛ فهويته كصّحافيّ –في هذه الحالة– غير مهمّة؛ وقس على ذلك، وقد توسع (شارودو) في دراسة هذه الهويات، وقسمها إلى إنيات إنتاج وإنيات تلقي؛ ما يوافق المتكلم والمستمع تقريبا...

---

*– أشير إلى أنّني سأتبنى طرح (شارودو) في ما يلي من هذه النّقطة؛ باعتباره طرحا لغويّا يتماشى مع طبيعة البحث الذي أقوم به.

[1]- Patrick Charaudeau, Les medias et l’information (l’impossible transparence du discours), p 52.

[2]- Patrick Charaudeau, Le discours d’information médiatique (la construction du miroir social), p 68-69.

- **شرط الغايّة (Finalité)**: يقتضي هذا الشّرط أن يرمي كلّ فعل تواصليّ إلى الوصول إلى مقصد ما، ويمكن أن يكون الفعل التّواصليّ لأربعة مقاصد رئيسية هي: الحمليّة (إلزاميّة) أي حمل الآخر على فعل شيء، وقد يكون المقصد هو الإخبار؛ أي تقديم معلومة للآخر الذي يُفترض أنّه جاهل لها، وقد يكون المقصد هو الإقناع؛ وهو جعل الآخر يعتقد أنّ ما قيل صحيح، أما منتهى هذه المقاصد؛ فهو الإغراء؛ أي تحريك مشاعر الرّضا أو الرّفض عند الآخر.
- **شرط فحوى القول (Propos)**: يعني هذا الشّرط ميدان المعرفة الذي يدور حوله التّبادل، ويُمثّل –عادة– موضوع الخطاب المهيمن في التّبادل، ويجيب عن السّؤال: ما هو الشّأن المناقش؟ ويكون –عادة– موضوعا كليّا؛ لكن قد يتفرع إلى مواضيع جزئيّة، ويلاحظ أنّه يجب أن يتفق عليه المتخاطبيْن قبليّا وإلا خرج أحدهما أو كلاهما عن الموضوع.
- **التّنظيم (Dispositif)**: يقتضي هذا الشّرط أن يكون الفعل الكلاميّ مبنيا بناء خاصا؛ يتوافق مع الظّروف الماديّة التي يحدث فيها، وهذا متعلق بالقناة المستعملة مثل الصّحافة أو الإذاعة...

ب– المعطيات الدّاخليّة: يرى (شارودو) أنّ المتخاطب عندما يعي المعطيات الخارجيّة ويحددها، يجب أن يلتزم –أيضا– بمعطيات داخليّة لكي يتمم شروط نجاح فعله التّواصليّ، ويؤكد أنّ هذه المعطيات الدّاخليّة هي معطيات خطابيّة في الأساس؛ تحدد للمتخاطبين أساليبهم في الكلام، وأدوارهم اللّغويّة التي يجب أن يتحلوا بها، والأشكال اللّغويّة (أو الأيقونيّة) التي يجب أن يستعملوها، وقد ميّز (شارودو) ثلاثة فضاءات لهذه المعطيات، وهي:

- **فضاء القول (Locution)**: يجد المتكلم نفسه في هذا الفضاء مطالبا بتبرير أسباب أخذه للكلمة، وذلك بإضفاء شرعيّة ما على مكانة المتكلم التي يريد تجسيدها، وهذا مرتبط أيضا بالنّوع، فالأديب مثلا عندما يتكلم كأديب إنّما

شرعيته آتية من النّوع الأدبيّ[1]، ويجب، في صدد تبرير مكانته كمتكلم، أن يسعى إلى تحديد المرسل إليه الذي يوجه له الخطاب.

- **فضاء العلاقة:** يحدد المتكلم في هذا الفضاء معالم العلاقة التي تربطه بالآخر الذي يوجه له الكلام؛ كأن تكون علاقات تحالف وتواطؤ أو عكس ذلك تماما؛ كأن تكون علاقة إقصاء وتهميش...
- **فضاء الموضوع:** تحدث عمليّة معالجة الموضوع في هذا الفضاء من حيث تقدم له مسارات لغويّة خطابيّة معيّنة؛ كأن يجعل المخاطب خطابه وصفا أو سردا أو حجاجا، وأن يتخذ موقفا من الموضوع؛ كأن يقبله أو يرفضه... أو أن يختار –أيضا– طريقة تدخله وفقا لموقفه؛ كأن يكون توجيها أو استمرارا... أي إنّ هذا الفضاء يُشكل مجموعة من الآليات الخطابيّة التي تسمح بنمو خطاب المتكلم حتى اكتماله.

2: عقد التّواصل الإعلاميّ: حاول (شارودو) بعد عرض معطيات العقد التّواصليّ، أن يطبق هذه المعطيات –الخارجيّة خاصة– على العقد التّواصليّ الإعلاميّ؛ لتبيان أهم خصائصه التي تميّزه عن العقود الأخرى، كعقد القراءة في الأدب وغيره من العقود... فكانت الحصيلة كالتّالي:

I- هوية المتدخلين في التّواصل الإعلاميّ: يقسم (شارودو) المتدخلين في التّواصل الإعلاميّ إلى هيئتين (Instance) هما هيئة الإنتاج وهيئة التّلقي، وقد فصّل الحديث فيهما كما يلي[2]:

أ– هيئة الإنتاج: يبرر (شارودو) استعمال مصطلح (هيئة) في هذا الموضع بكون المتكلم أو منتج الخطاب في الإعلام قد يكون جريدة أو تلفزيون أو إذاعة... وفي كلّ هذه الأحوال المنتج ليس شخصا واحدا؛ بل مجموعة من الأشخاص يصعب معه تحديد من هو المسؤول المباشر على الخطاب[3]، فالنّص الصّحافيّ المكتوب مثلا قد يكتبه صحافيّ؛ لكن يراجعه مراجع أول مثل المدقق اللّغويّ، ثم مراجع ثان هو رئيس التّحرير مثلا؛ إذا لم تتوفر الجريدة إلا على هذين المستويين، لكن قد تكون

---

[1]- Dominique Maingueneau, Pragmatique pour le discours littéraire, p 135.
[2]- Patrick Charaudeau, Les medias et l'information…, p 58.
[3]- Patrick Charaudeau, Le discours d'information médiatique…, p 82.

هناك مستويات أخرى؛ وفي هذه الحالة يصعب كثيرا تحديد المسؤول المباشر عن الخطاب؛ وخاصة العناوين لأنّها –عادة– ما تخضع لتدقيق كبير، وتغيير في بعض الحالات من قبل هيئة التّحرير، ومن هنا، يبدو أن مصطلح (الهيئة) مشروع رغم وجود الإمضاءات المرافقة للمقالات*، أما بعد تبرير استعمال هذا المصطلح، اتجه (شارودو) إلى حصر دور هيئة الإنتاج في المحاور التّالية[1]:

- **دور الباحث/ الممون بالمعلومات:** تقف الهيئة المنتجة، على هذا المحور، أمام تحديات كثيرة، وهي البحث عن السّبق الصّحافيّ؛ وما يكتنفه من صعوبة مثل ضرورة امتلاك صحافيين في كلّ مناطق العالم... وينجر عن هذا اللهث وراء السّبق الصّحافيّ، في بعض الأحيان، خطورة كبيرة قد تمس حتى بشرعيّة الهيئة في حد ذاتها؛ لذا لا بد أن تمتلك طرقا خاصة بها في التّحري عن الصّحة، وقد تتعامل الهيئة المنتجة مع هيئات أخرى مثل الوكالات؛ وتواجه –هاهنا– تحديات من نوع آخر متعلقة بحقوق الملكيّة الفكريّة وما يصاحبه من صراعات، قد يُفقد السّبق أهميّته.
- **دور الواصف/ المُعلق:** قد يكون للهيئة المنتجة دور الواصف والمعلق، وهو ما يجعلها مرة أخرى أمام ضرورة إحداث التّوازن بين مهامها الصّحافيّة، وضرورة تقديم معلومات علميّة وتاريخيّة وتعليميّة، وهو ما لا يتسنى للصّحافة القيام به على الطّريقة الصّارمة في كلّ هذه التّخصصات.

ب– هيئة التّلقي: تتمثل هيئة التّلقي عند الإعلاميين في الجمهور، لكن هذا الجمهور سديم غير محدد المعالم؛ لا تعرفه هيئة الإنتاج إلا كتمثل أو كقارئ نموذجيّ[2] وهو متعدد تعدد الهيئات الإعلاميّة أفقيّا وعموديّا، وقد تنظر هيئة الإنتاج إلى هيئة التّلقي من منطلقين اثنين:

- **مرسل إليه–هدف:** تكون هيئة التّلقي، بهذا المنظور، الجمهور الفعليّ لهيئة الإنتاج، وهي مجموعة من الخصائص الأخلاقيّة والاجتماعيّة والعاطفيّة

---

*– لكن الأعراف قد أجمعت على أنّ الصّحافيّ يتحمل قدرا كبيرا من المسؤوليّة؛ وخاصة إذا تم إرفاق المقال بإمضائه، فهو في الواجهة مهما بلغ قدر التّحوير الذي طال مقاله.

[1]- Patrick Charaudeau, Les medias et l'information …, p 59.

[2]- Dominique Maingueneau, Analyser les textes de communication, p 33.

والنّفسيّة التي يجب مراعاتها أثناء طرح الأخبار، وقد قسمها (شارودو) إلى قسمين هي: الهدف–النّخبويّ الذي يمتلك مجموعة من المعايير في الحكم على صحة المعلومات ومدى مصداقيّة هيئة الإنتاج؛ كالفعاليّة والأداء الجيد... والهدف–العاطفيّ الذي يناقض تماما الهدف–النّخبويّ.

- **المتلقي–الجمهور:** هذا النّوع من الجمهور خارج عن دائرة استقطاب هيئة الإنتاج، وفي هذه الحالة، يكون الاهتمام بكيفية استقطابه، وليس بطريقة طرح الأخبار عليه، فتتصرف هيئة الإنتاج آنذاك كشركة تجاريّة تستهدف الرّبح.

II- أهداف عقد التّواصل الإعلاميّ: وقفت، في ما سبق، على حقيقة وجود منتج ومتلقي في عقد التّواصل، ومنه لا غرابة في افتراض وجود أهداف وراء كلّ تلك الأفعال والسّلوكات التي ذكرتُها، وقد درجت الأدبيات على الحديث على هدفين أساسيين للعقد التّواصليّ الإعلاميّ، هما الإخبار والإغراء[1]:

أ– الإخبار: تتفق الأدبيات، اللّغويّة والإعلاميّة[*]، أنّ أهم أهداف التّواصل الإعلاميّ هو إخبار الجمهور بمجموعة من الأخبار، ويكون ذلك بطريقتين[2]:

- **الوصف:** وهو نقل المعطيات كما هي في العالم.
- **الشّرح:** وهو تنوير المتلقي عن مجمل الأمور المحيطة بالخبر والحدث كأسبابه وأعلامه...

ويرتبط هدف الإخبار بمجموعة من المفاهيم أهمها: مفهوم المصداقيّة، فالهيئة المُنتجة عندما ترمي إلى الإخبار؛ يجب أن تراعي في عملها الدّفاع عن مصداقيّة ما تقوله أو تنقله؛ وإلا ضاعت منها، وهو ما يعرض عقدها التّواصليّ الإعلاميّ للفشل، وهذه المصداقيّة لا تتم على أكمل وجهها إلا إذا أقامت الهيئة المنتجة الحجة على ما تدعيه؛ سواء كان خبرا أو تعليقا منها؛ وهذا الالتزام بتحقيق المصداقيّة

---

[1]- Patrick Charaudeau, Les medias et l’information …, p 70.

[*]– سبق الإشارة في حديثي عن المنظور الإعلاميّ إلى هذا الهدف (يُنظر نقطة: مهام الصّحافة الرّياضيّة).

[2]– عمر بلخير، معالم لدراسة تداوليّة وحجاجيّة للخطاب الصّحافيّ الجزائريّ...، ص 108.

–عادة– ما يستدعي جهدا وجديّة في العمل، وامتلاك وسائل ملائمة لذلك كالمراسلين الأكفاء...

ب– الإغراء: تتمثل استراتجيّة الإغراء في «... إغواء واستمالة المشارك الآخر في التّبادل التّواصليّ بشكل ينتهي معه هذا المشارك إلى الدّخول في عالم الفكرة التي يتضمنها فعل التّواصل...»[1] وتستعمل الهيئة المنتجة هذا الهدف لأغراض النّجاح إعلاميّا في ظل التّنافس الاقتصاديّ الكبير الموجود بين الوسائط الإعلاميّة المتعددة.

وتتجسد هذه الاستراتجيّة بعمليات مشهدة الخطاب الإعلاميّ حيث تختلق الهيئة المنتجة نوعا من الفضاء التّهريجي، في بعض الأحيان، وذلك لدغدغة مشاعر هيئة التّلقي؛ وبالتّالي السّيطرة عليها، وهو شكل من أشكال التّحايل على هيئة التّلقي، ويكون ذلك بالاعتماد على اعتقادات اجتماعيّة سائدة كمنطلق لهذه المشهدة.

III- الموضوع/ فحوى القول: يتناول الخطاب الإعلاميّ في عمومه الأحداث، فيقدمها على صور عدة؛ حسب ما هو متاح في الأنواع الخطابيّة/الصّحافيّة، وبالتّالي يُعد الحدث واسطة العقد في الخطاب الإعلاميّ، وإذا نُظر إليه بمنظور المعطيات الخارجيّة والمعطيات الداخليّة لعقد التّواصل؛ فهو واقع في مفترق الطّرق بين فحوى القول (ميدان المعرفة الذي يدور حوله التّبادل) والموضوع (المسارات اللّغويّة للتّعبير عن الموضوع)، وقد عرّفه (شارودو) بالاستناد إلى فكرة فضاء الخطاب الذي ينطلق من الوظيفة المرجعيّة للّغة، وباعتبار اللّغة تقسيما خاصا للواقع*، ففي فضاء الخطاب يكون الانتقال من الشّيء في العالم إلى الشّيء كمعنى، فيصبح الحدث بنية لغويّة.

ويعتقد (شارودو) أنّ الحدث يُختار ويبنى على أسس ثلاث[2]:

أ– الحاليّة: تُقاس الحاليّة من زمن حدوث الحدث في الواقع إلى زمن إذاعة خبر حدوثه في الجهاز الإعلاميّ، وعادة ما يبذل الإعلاميون أقصى جهودهم لتقديم الخبر على شاكلة يكون معه أقرب ما يكون إلى

---

[1]- Charaudeau Patrick, Dominique Maingueneau, Dictionnaire d'analyse du discours, p 93.

*– وهي فرضيّة وورف سابير (لغويان وانتروبولوجيان أمريكيان) والتي ترى أنّ اللّغة تقطيع خاص للعالم.

[2]- Patrick Charaudeau, Le discours d’information médiatique…, p 108.

زمان ومكان حدوث الحدث، ومنه يتبني التّلفزيون تصنيفات من مثل: (على المباشر) و(غير مباشر) أو حتى (إحياء ذكرى) أو (من الأرشيف)... وهي كلّها تصنيفات توحي بمفهوم الحاليّة.

ب- الاجتماعيّة: تسعى الصّحافة في عرضها للأحداث إلى تقديم نفسها على أنّها تُمثل كلّ المجتمع وما يحدث فيه، وتهدف من وراء ذلك إلى إقامة الحجة وإقناع القارئ بفهمها التّام للمجتمع وقضاياه التي يعايشها يوميّا، ومن أجل بيان ذلك، تُقسم الصّحافة محتوياتها إلى صفحات مثل: الرّياضة والاقتصاد والسّياسة والثّقافة... لكي يجد كلّ قارئ مكانا لنفسه في تلك الجرائد، والصّحافة المتخصصة -أيضا- لها تقنياتها كأن تُخصص الصّحيفة الرّياضيّة صفحة لكلّ فريق رياضيّ.

ت- كسر أفق الانتظار: يعمل الخطاب الإعلاميّ على انتقاء الأخبار التي تهز أركان أفق انتظار القارئ، وهذا مرتبط بشكل ما بهدف الإغراء الذي ذكرتُه سابقا، فالخطاب الإعلاميّ يتخير مثلا الأخبار الغريبّة والأخبار التي لها مكانة مقبولة بين القرّاء.

IV- ظروف عقد التّواصل الإعلاميّ (التّنظيم): تنتقل الأحداث من الحالة الخامة إلى حال الخبر عبر عمليات التّحويل إلى قصص خبريّة (مقالات/خطابات) عن طريق استعمال الرّموز اللّغويّة، وتخضع العمليّة إلى معايير صارمة لدى الإعلاميين، لكن هذه المقالات أو القصص الخبريّة لا تصل إلى هيئة التّلقي إلا عبر القناة الإعلاميّة، ومعلوم أنّ القنوات الإعلاميّة متعددة كثيرة من تلفزيون وإذاعة وصّحافة... ولكلّ نوع من أنواع القنوات تنظيم خاص به.

ويرى (شارودو) أنّ التّنظيم ليس مجرد آلات لنقل الخبر؛ بل تساهم بشكل ما في قوْلبة المعنى والخبر، فثمة تنظيم خاص لكلّ قناة؛ لأنّ عرض الأخبار نفسها في قنوات مختلفة كالتّلفزيون والصّحافة لن يكون بالطّريقة نفسها، فتغيير القناة يؤثر لا محالة في عرض الرّسالة ككلّ، إضافة إلى ذلك، فالتّنظيم الذي يمثل أحد عناصر العقد التّواصليّ الإعلاميّ يتكون من ثلاثة أشياء:

أ- **الوسائل:** هي النّظام السّميولوجيّ الذي يظهر فيه النّظام المعنويّ: كالمشافهة أو النّسخ أو الإشارات....

ب- **الدّعائم:** هي القنوات الماديّة التي تستعمل لإيصال المحتوى الإعلاميّ؛ قد تكون ثابتة أو متحركة كالورق والذّبذبات الصّوتيّة...

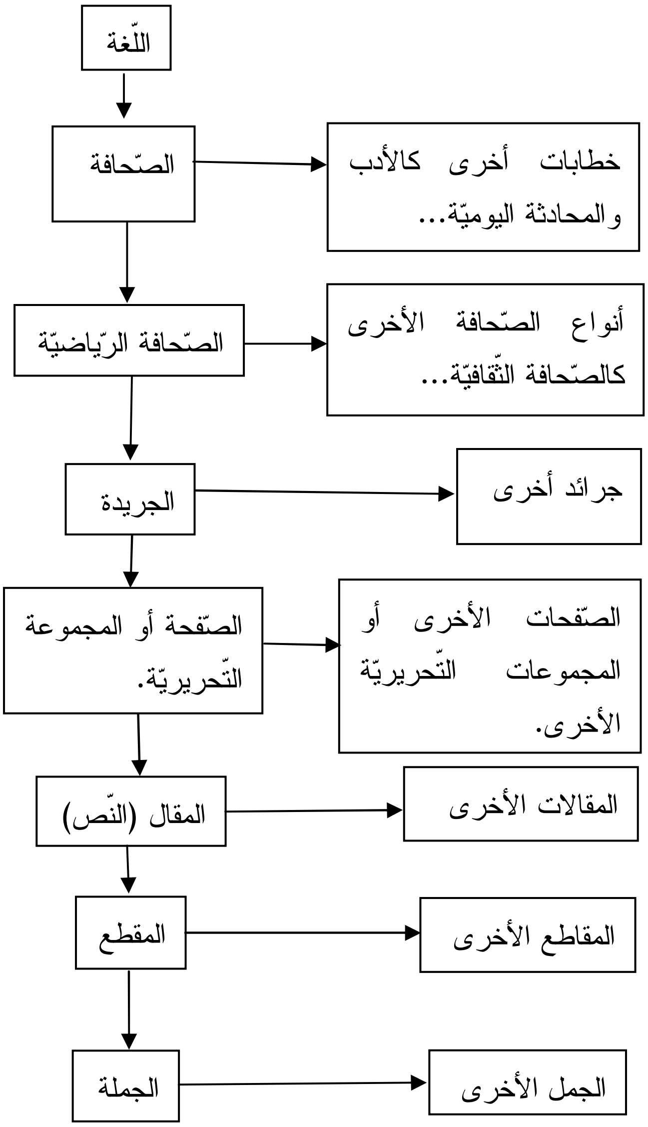
ت- **التّكنولوجيات:** هي مجموعة من الأجهزة التي تقنن العلاقات بين الوسائل والدّعائم؛ فتجمعها أو تفرقها أو تحتفظ ببعض وتطرح البعض الآخر...

وتختص الصّحافة بتنظيم خاص بها، وهو اعتمادها على الكتابة -أساسا- كنظام سميولوجيّ للتّواصل، كما تلجأ إلى بعض الأنظمة الأخرى كالنّظام الأيقونيّ مثلا؛ لكن بشكل أقل حدة من الكتابة، وتعتمد، من جانب آخر، على الورق كدعامة أساسيّة؛ لكنّها قد تستعين عرضيّا بالنّسخ الالكترونيّة على الشّابكة، كما ترتكز على تكنولوجيا آلات الطّبع -أساسا-.

ولعل هذه الخصائص الموجودة في الصّحافة عامة؛ والتي تنطبق على الصّحافة الرّياضيّة، هي التي جعلت العقد التّواصليّ الإعلاميّ يتميّز بانصرافه إلى الشّرح والتّحليل أكثر من اهتمامه بمجرد الإخبار؛ لأنّ التّنظيم لا يسمح بمزاحمة التّلفزيون والإذاعة في الإخبار، كما أنّ التّنظيم، بحكم الكتابة، يعطي أهميّة لبعض التّقنيات غير الموجودة في أي مكان إلا في الصّحافة المكتوبة؛ كالأقواس والشّولتين والبّنط العريض... وهي كلّها من تقنيات إعداد الورقة.

ويبدو لي، في آخر هذا العرض لمفهوم الخطاب الإعلاميّ على أوجهه اللّغويّة والإعلاميّة، أنّ أيّ نص صحافيّ إعلاميّ -ورياضيّ بشكل خاص- لا يمكن أن يُقرأ إلا في إطار تدرج الكيانات المتدخلة في فهم الخطاب الصّحافيّ، فلا يمكن فهم جملة من جمل مقالات الصّحافة الرّياضيّة إلا في أفقها العام الذي أتصوره كالتّالي:

التّرسيمة رقم: 05



ويلاحظ –هاهنا– أنّ مصطلح (الخطاب) لا يمكن وضعه في أحد المستويات؛ بل هو مفهوم مطاطيّ؛ فقد يُقال الخطاب الصّحافيّ أو الخطاب الصّحافيّ الرّياضيّ... رغم أنّ المستويين مختلفين، كما أنّ كلّ تلك المفاهيم الواردة في التّرسيمة رقم (05) لا تُفهم إلا في إطار ترتيبها وتقابلها مع كيانات من جنسها؛ فالجريدة لا تكتسب معنى مميّزا إلا بمقابلتها بالجرائد الأخرى، وكذلك المقطع والجملة، مما يؤكد أهميّة التّعريف السّلبيّ –هاهنا–.

الفصل الثّانيّ:

قراءة في التّداوليّات وحدودها.

الفصل الثّانيّ: قراءة في التّداوليات وحدودها: سيتحرى هذا الفصل في حدود مفهوم التّداوليّة، وسينصب اهتمامه في مبحث أول على تحديد الأصول المعرفيّة والتّأسيسيّة لهذه الدّراسة، ثم سيكون هناك حديث عن مدارس التّداوليّة، أما المبحث الثّانيّ، فسيُخصص لتداوليتين فقط هما: التّداوليّة المدمجة والتّداوليّة العرفانيّة.

المبحث الأول: التّداوليّة؛ أصولها ومدارسها: سيعالج هذا المبحث حدود التّداوليّة من حيث تعريفها وذكر بعض أصولها؛ وسيتطرق –أيضا– إلى طرح قراءة في مدارسها التي تُمثّل فسيفساءً يجب الوقوف على تعددها.

الفرع الأول: التّداوليّة وأصولها: تُميّز الثّقافة الأوربيّة بين مفهومين اثنين للتّداوليّة هما: (الذّرائعيّة–Pragmatism) وهي مدرسة فلسفيّة؛ وقد ترجمها البعض بمصطلح (براجماتزم)[1] وخاصة منهم المهتمين بالتّرجمة في الدّراسات الفلسفيّة، وفي الوقت نفسه، شاع مصطلح (التّداوليّة) في الدّراسات اللّغوية والأدبيّة؛ رغم أنّ هناك ترجمات أخرى مثل مصطلح (البرغماتية) المعرّب، كما اُستعمل مصطلحا (المقاميّة) أو (المقصديّة)[2] كمرادفين له –أيضا–، ومهما كانت التّرجمة، فسيهتم هذا العمل ب(التّداوليّة) كمفهوم؛ وسأحاول تعريفه وفهمه[*]، وسأضرب صفحا عن الخوض في (الذّرائعية) الفلسفيّة التي قد يتكفل بها نوع آخر من البحوث.

1- تعريف التّداوليّة: يُعد تعريف (شارل موريس–Charles Morris) في سنة (1938م) أقدم تعريف للتّداوليّة يقول فيه:«... إنّ اللّسانيات التّداوليّة هي العلم الذي

---

[1]– يعقوب فام، البراجماتزم أو مذهب الذّرائع، سلسلة فلسفة، ط 02. بيروت: 1985م، دار الحداثة، المقدمة.

[2]– محمود أحمد نحلة:« الاتجاه التّداوليّ في البحث اللّغويّ المعاصر» في اللّغة والأدب، مجموعة من المؤلفين، تق: محمد مصطفى أبو الشّوارب، ط 01. القاهرة: 2004م، ص 203.

[*]– اشتقت كلمة (Pragmatics) من الأصل اليونانيّ (Pragmatikos) أو الصّيغة المتطورة عنها (Pragmaticus) اللاتينيّة، أما كلمة (تداوليّة) فهي موّلدة حسب المعاجم العربيّة (لأكثر تفاصيل يُنظر مثلا: موساوي فريدة، المقام في الشّعر الجاهليّ (تناول تداوليّ لمعلقتي عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة)، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر: قسم اللغة العربيّة وآدابها، 2004م/2005م) أما مصطلح (التّداوليّة) العربيّ، في حد ذاته، فيبدو أنّ واضعه الأول هو الباحث المغربيّ عبد الرحمن طه، وذلك منذ سنة 1970م كما صرح به. (يُنظر كتابه: طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط 02. الرباط/ بيروت: المركز الثّقافيّ العربيّ، 2000م).

يعالج العلاقة بين الأدلة ومؤوليها»[1] ولا يمكن فهم هذا التّعريف إلا بوضعه في سياق نظريّة (شارل موريس) السّميولوجيّة، فيرى أنّ التّداوليّة جزء من السّميولوجيا التي تتضمن جزأين آخرين هما: المكوّن اللّغويّ والمكوّن الدّلاليّ، ويشتغل كلّ جزء في نوع من أنواع العلاقات التي يكون الدّليل اللّغويّ طرفا فيها، وتتميّز التّداوليّة بتخصصها في البحث عن العلاقة بين الدّليل اللّغويّ ومستعمليه؛ أي المتكلمين، لذلك يُقال أنّ التّداوليّة تدرس الكلام في السّياق أو تصف كيفية استعمال المعاني، وليس المعاني في حد ذاتها بمنظور علم الدّلالة[2]، وهذا ما يميّز التّداوليّة عن البنويّة.

وقد عرّفت (الموسوعة المختصرة للتّداوليّة- Concise encyclopedia of pragmatics) التّداوليّة على أنّها التّخصص الفرعيّ (Subdiscipline) الأكثر شبابا للّسانيات، وقسمت تعريفها إلى جزأين هما:

- **تعريف ضيق:** ترى فيه أنّ «... التّداوليّة دراسة للّغة في السّياق الإنسانيّ لاستعمالها»[3] ثم تُعرّف (استعمال اللّغة) على أنّه الصّيرورة التي بموجبها يتواصل البشر، ويبدو جليا من هذا التّعريف أنّ صاحب المعجم اقترب كثيرا من تعريف (شارل موريس) السّالف، وإن أضاف تحديدات جديدة مثل (السّياق) و(الإنسان) باعتبارهما من الحيثيات المرتبطة أيّما ارتباط بعمليّة التّواصل؛ لكن يبقى هذا التّعريف الأول -على العموم- محصورا نوعا ما -كما قال صاحب الموسوعة-.
- **التّعريف الموسع:** اعتبرت الموسوعة أنّ التّعريف المُوسع لن تقوم له قائمة إلا بتحديد فضاء التّداوليّة داخل العلوم المجاورة لها، لأنّ العلوم والتّخصصات الجديدة لا تُعرف أصالتها وشرعيّة قيامها إلا إذا تم مقابلتها بغيرها من الفضاءات العلميّة الموجودة قبلها، وإذا ما حاول الدّارس القيام

[1]- الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللّسانيات التّداوليّة، تر: محمد يحياتن، الجزائر: 1992م، ديوان المطبوعات الجامعيّة، ص 43.

[2]- Alan Cruse, A glossary of semantics and pragmatics, Finland: 2006, Edinburgh university press, p 136.

[3]- Jacob L. May, Concise encyclopedia of pragmatics, p 424.

بذلك في ما يتعلق بالتّداوليّة، فلابد أن يلتفت إلى علوم من مثل اللّسانيات وعلم الدّلالة[1] وتحليل الخطاب[2] واللّسانيات الاجتماعيّة[3] وغيرها من العلوم.

ويجب التّعريج، في صدد تعريف التّداوليّة، على الاهتمامات التي تنصب عليها، والمُلاحظ أنّ وجهات النّظر مختلفة في هذا الأمر لعدم وجود مؤسس واحد وسيد على التّداوليّة؛ فذهب كلّ تيار في سبيله، وعرَّف موضوع التّداوليّة وفق منطلقاته وآراءه، لكن ألا يحق للدّارس أن يتساءل عن توجهات الآراء الموجودة، وما هو الرأي الرّاجح بينها –إن وجد–؟

يعتقد بعض الباحثين أنّ موضوع التّداوليّة هو السّلوك اللّغويّ في إطار الموضوع الشّامل؛ وهو (الفعل–Action) البّشريّ، وهناك من يرى أن موضوعها هو الاستعمال اللّغويّ في السّياق[4]، كما يرى آخرون –وهو تيار الأغلبيّة في رأيي– أنّ موضوع التّداوليّة هو التّواصل[5] بشكل عام، ويبدو أنّ هذا الاستقرار النّسبيّ على موضوع التّواصل لم يحصل إلا في السّنوات الأخيرة؛ لأنّ باحثا ك(شارل موريس) كان يعتقد أنّ التّداوليّة لا يمكنها البتة أن تصنع موضوعا لنفسها بمعزل عن السّميولوجيا، ولكن يمكن تفسير ذلك بعدم استقرار المفاهيم في زمانه، أما الآن، فقد بدأت تتضح الرّؤية شيئا فشيئا.

واستقرت الدّراسات على أنّ التّداوليّة متعددة الأصول، فقد شارك في تأسيسها جيوش من الباحثين من شتى التّخصصات العلميّة منهم الفلاسفة: ك(سورل) و(أوستين) و(قرايس)... ويجب الإشارة –هاهنا– إلى أنّ أغلبهم من العالم الأنجلوساكسونيّ؛ والأمريكيّ في الغالب، كما شارك في العمليّة التّأسيسيّة للتّداوليّة باحثون في العلوم الإنسانية الأخرى كعلم

[1]– يُنظر في ذلك: بوقرومة حكيمة:« التّداوليّة وعلاقتها بعلم الدّلالة والسّيميائيّة» في مجلة الممارسات اللّغويّة، مخبر الممارسات اللّغويّة في الجزائر، الجزائر: ع: 10، 2012م.

[2]– يُنظر في ذلك: أحمد الجوة:« التّداوليّة وتحليل الخطاب» في مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، الجزائر: ع: 08، 2011م.

[3]– يُنظر في ذلك: Marie-Louise Moreau, Sociolinguistique ‘les concepts de base’, Liége: 1997, Pierre Mardaga.

[4]- Françoise Armengaud, La pragmatique, Que sais-je, 04 éd. Paris: 1999, P.u.f, p 10.

[5]– يُنظر مثلا:(Georges-Elia Sarfati, Précis de pragmatique).

الاجتماع الذي ينتسب إليه باحثون من مثل (إرفين قوفمان)[1] (وجون قامبرز)[2]... وباحثين في العلوم اللّسانيّة وتحليل الخطاب والبلاغة مثل: (أوزفالد ديكرو)... وفي ميادين أخرى لا يسع المكان لذكرها، وتبعا لهذا التّعدد، سأكتفي بتقديم نوع واحد من أنواع الدّراسات التي كانت وراء تأسيس التّداوليّة؛ وهي الدّراسات الفلسفيّة.

كانت الفلسفة تهتم في بداية القرن الماضي باللّغات المصطنعة (ويُقصد بها –عادة– لغة المنطق والرّياضيات...) لكن في فترة من الفترات؛ تفطن بعض الفلاسفة إلى أنّ أزمة المنطق في حد ذاته متأتية من إهمال اللّغة الطبيعيّة أو العادية، ومن بينهم (غوتلوب فريج–Frege Gottlob)(1848م–1925م) و(رودولف كارناب–Rudolf Carnap)(1891م–1970م) و(لودويغ جوزيف جوهان وتجنشتاين–Wittgenstein Ludwig Josef Johann)(1889م–1951م)... فتحولوا إلى دراستها، وتبعهم نفر كبير من الفلاسفة، وبذلك اتجهت الفلسفة إلى اللّغة، وبدأت بوادر تأسيس التّداوليّة في خندق الفلسفة؛ بعيدا عن الدّراسات اللّغوية والأدبيّة، وغيرها من الدّراسات.

ويبدو، من خلال التّقاليد العلميّة، أنّ أكثر الدّراسات الفلسفيّة المهتمة باللّغة الطّبيعيّة، والمعروفة في ميدان الدّراسات اللّغويّة والأدبيّة؛ هي دراسات الفيلسوفيْن (جون أوستين) وتلميذه (جون سورل) وكلاهما من العالم الانجلوساكسونيّ، فكانا باتجاههما إلى اللّغة العادية من المشاركين في تغيير مجرى الدّراسات الفلسفيّة؛ ومن مؤسسي التّداوليّة؛ وذلك بنظريّة تسمى:(نظريّة أفعال الكلام) رغم أنّ:«.. لا (أوستين) ولا (سورل) في حد ذاتهما، استعمل تسمية تداوليّة»[3] فإسهامهما كان في سبيل تطوير الفلسفة؛ والفلسفة التّحليليّة بشكل أعمق، لكن الأقدار وسعت من مدى عمليْهما حتى بلغا مبلغا كبيرا حيث غزت النّظريّة العلوم اللّغويّة والأدبيّة قاطبة...

---

[1]– يُنظر –على سبيل المثال– كتبه:

- Erving Goffman, Les rites d'interaction, Coll. Sens commun, Paris: 1974, Ed. Minuit.
- Erving Goffman, La mise en scène de la vie quotidienne (2.Les relations en publique), Coll. Sens commun, Paris: 1973, Ed. Minuit.

[2]–يُنظر –على سبيل المثال– كتابه:

- John Gumperz, Engager une conversation (introduction à la sociolinguistique interactionnelle), tr. Michel Dartivelle et autres, Paris: 1989, Ed. Minuit.

[3]- Françoise Armengaud, La pragmatique, p 78.

2- نظريّة أفعال الكلام ل(جون أوستين): سيُناقش هذا الجزء من البحث نظريّة أفعال الكلام في طبعتها الأولى؛ فما هي تمفصلات الأفكار عند (أوستين)؟

I- ثنائية الإنجازيّ (Performatif) والتّقريريّ: تُعد هذه التّفرقة جوهريّة في بناء فكر الفيلسوف (جون أوستين) حيث خصص لها (07) محاضرات من بين (12) محاضرة تضمنها كتابه:(القول من حيث هو فعل (نظريّة أفعال الكلام))* حيث بدأ حديثه بمناقشة مشكلة ما يسميه بالوهم الوصفيّ، وهو المبدأ الذي كان يعتقد الفلاسفة♣ بموجبه أنّ كلّ الإثباتات، وعموما، الجمل التّقريريّة إنّما هي مجعولة لأن تُبلغ خبرا عن حقائق موجودة أو وقائع محدودة؛ كأنّها تقارير ولوحات تعكس الأحوال التي تصفها؛ وهذا ما يجعلها –دائما– صادقة أو كاذبة، لكن الأمر ليس كذلك بالنّسبة ل(أوستين)؛ فتحدث، في البداية، عن عزل الإنجازيّ حيث قال إنّ هناك بعض الإثباتات التي لا تدخل تحت مباحث اللامعنى ولا في غيره من المباحث؛ لكنّها تتميّز عن الإثباتات المعروفة بأنّها:

- لا (تصف) ولا (تروي) ولا (تقرر) أو (تخبر) عن شيء، وليست (صادقة) أو (كاذبة)؛
- كما أنّ التّلفظ بتلك الجمل في حد ذاته إنجاز لعمل/فعل.

وقد ضرب (أوستين) أمثلة كثيرة على مثل هذه الأقوال، كما حاول أن يبيّن أنّ ثمة فرق بين تلك الأمثلة والإثباتات العادية، ومن ذلك قوله بسخريّة:« حينما أقول في البلديّة أو في الكنيسة...إلخ:(أجل (أنا أريد)) أنا لا أقوم بروبرتاج عن زواج: أنا أتزوج»[1] أي إنّ القول يُعبر عن إنجاز فعل الزّواج، وليس على وصف لفعل

---

*– العنوان الأصليّ للكتاب باللّغة الإنجليزيّة هو:(How to do things with words) وهذا العنوان فيه الكثير من الدّعابة، كما يقول (بلانشي) وهو مقتبس من عناوين الكتب الشّائعة:(كيف تكسب أصدقاء– How to make freinds) (لأكثر تفاصيل، يُنظر: Philippe Blanchet, La pragmatique d'Austin à Goffman, coll: Référence, Paris: 1995, Bertrand-Lacoste.).

♣– ويقصد –هنا– المناطقة الذين ينتمون إلى مدرسة الفلسفة التّحليليّة الإنجليزيّة (يُنظر: Nathalie Garric, Frédéric Calas, Introduction à la pragmatique, HU Linguistique, Paris: 2007, Hachette.).

[1]– جون ل. أوستين، القول من حيث هو فعل (نظريّة أفعال الكلام)، تر: محمد يحياتن، ط 02. الجزائر: 2010م، عالم الكتب، ص 13.

الزّواج كما يجري في الواقع، فهذا النّوع من الأقوال لا يصف أفعالا؛ بل هي الأفعال في حد ذاتها[1]، وسمى (أوستين) هذه الأفعال بالإنجازيات أو الفعل الإنجازيّ، وعرّفه في مرحلة متقدمة من بحثه بأنّه فعل «... لا يقول أو لا يكتفي بقول شيء ما بل ينجز شيئا ما، وبأنّه ليس عرضا صادقا أو كاذبا عن ظاهرة ما»[2] فتزحزح بذلك النّقاش من قضايا الصّدق والكذب إلى القوة الإنجازيّة للأفعال.

وحدد (أوستين) في مرحلة أخرى من التّحليل، بعض الشّروط الواجب توافرها في الفعل الإنجازيّ لكي يكون إنجازيّا مثل: ضرورة وجود ظروف معيّنة كالقصد والجديّة.. وإن لم تكن هذه الشّروط متوفرة؛ كان الفعل الإنجازيّ مُخفقا (وليس كاذبا) أما إذا كانت تلك الشّروط موجودة، كان الفعل حسنا (وليس صادقا) وقد أجمل هذه الشّروط في ستة نقاط؛ هي:

- أ1: لابد من وجود إجراء معترف به مزود بأثر ما (ألفاظ وأشخاص في ظروف معيّنة).
- أ2: يجب حضور الأشخاص والظّروف لكي نستند إلى الإجراء السّالف.
- ب1: يجب أن يُنفذ جميع المشاركين الإجراء بشكل سليم.
- ب2: يجب أن يُنفذ جميع المشاركين الإجراء بشكل تام.
- س1: إذا كان الإجراء يتطلب أفكارا وأحاسيس معيّنة وردّات فعل معيّنة؛ فعلى المشاركين أن يعتزموا التّحلي بها.
- س2: يجب أن يلتزموا في ما بعد بهذه السّلوكات.

وقد لاحظ (أوستين)، بعد تحديد هذه الشّروط لنجاح الفعل الإنجازيّ، أنّ الأمور لا تسير على هذا الحال دائما؛ فكثيرا ما يتعذر توفير مثل هذه الشّروط ما يجعل الفعل في حالة إخفاق؛ لكن على المستوى التّطبيقيّ، وبعد فحص الإخفاقات، لاحظ أنّ الفعل الإنجازيّ حسن الحظ يستدعي –دائما– أن تكون بعض الإثباتات صادقة، فإن قلتُ (سأقوم ب...) يجب أن أنوي القيام بذلك؛ وإلا كانت

[1]- Philippe Blanchet, La pragmatique d’Austin à Goffman, p 29.

[2]– جون ل. أوستين، القول من حيث هو فعل...، ص 29.

مخادعة؛ وبالتّالي إخفاق، ومن هنا بدأ يأس (أوستين) من التّفرقة إنجازيّ/تقريريّ (وإثباتي كجزء منه) فقال:«... تظهر نتائج بحثنا تافهة جدا، لذا نضرب صفحا عن الإخفاقات المدروسة...»[1] وهو ما يعني بالضّرورة التّوجه إلى فرضيات أخرى.

اتجه (أوستين)، بعد الوقوف على ضبابيّة الحدود الموجودة بين الإخفاقات، إلى تحديد العلاقة الموجودة بين القول الإثباتيّ (التّقريريّ) والإنجازيّ، فتوصل إلى أنّ القول الإنجازيّ يمكن أن يكون صادقا أو كاذبا؛ مثله مثل القول التّقريريّ (الإثبات) والعكس صحيح.

كما ميّز، في صدد التّحليل المعجميّ والنّحويّ للفعل الإنجازيّ والتّقريري، بين الفعل الإنجازيّ الصّريح والفعل الإنجازيّ الأوليّ[2]، وذلك بناء على فرضيته القائلة: إن الأقوال الإنجازيّة يمكن أن تُرد كلّها «... إلى الصّيغة التّالية: فعل مصرف في الزّمن الحاضر المبني للمعلوم (النّحويّ) بصيغة المتكلم المفرد...»[3] ومن أمثلة ذلك رد القول الإنجازيّ الأوليّ (مقصي) إلى القول الإنجازيّ الصّريح (أعلن أنّك مقصي، أو أصدر إقصاءك) فالإنجازيّ الصّريح يُبيّن طبيعة الفعل الذي ينجزه؛ ويضع إشارة إلى كيفية التّأويل، واعتبر (أوستين) كذلك أنّ الأفعال الإنجازيّة الأوليّة بدائيّة، أما الأفعال الإنجازيّة الصّريحة؛ فهي مما ظهر في فترة موالية لذلك؛ والغرض منها هو تفادي اللّبس الموجود في الأفعال الأوليّة.

II- نظريّة أفعال الخطاب: اشتغل (أوستين) من المحاضرة الثّامنة (08) إلى المحاضرة الحاديّة عشر (11) حول تصور جديد لأفعال الخطاب، فحاول إعادة تأسيس النّظريّة على أسس أكثر نظاميّة[4] متراجعا بذلك عن التّفرقة إنجازيّ/ تقريريّ لأنّه -كما قال-:«... أدركنا بأنّ الموضوع المدروس ليس هو الجملة بل إنتاج القول في حال الخطاب»[5] وهو ما جعل (أوستين) يبحث عن تصنيف أفعال الخطاب وليس الجمل -كما فعل في البداية-.

---

[1]- جون ل. أوستين، القول من حيث هو فعل...، ص 45.

[2]- Julien Longhi, Georges Sarfati, Dictionnaire de pragmatique, p 114.

[3]- جون ل. أوستين، القول من حيث هو فعل، ص 58.

[4]- Georges-Elia Sarfati, Précis de pragmatique, p 33.

[5]- جون ل. أوستين، القول من حيث هو فعل، ص 114.

أ- **أنواع أفعال الخطاب***: ميّز (أوستين) بين ثلاثة أفعال أساسيّة بلور تعاريفها على مر هذه المحاضرات الأربعة المذكورة، وتتمثل هذه الأفعال في ما يلي:

- **الفعل القوليّ**: عرّفه (أوستين) بقوله:«... إنتاج جملة ذات معنى ودلالة»[1] ومعنى (جملة ذات دلالة) يحيل إلى احترام قواعد اللّغة مثلا، كما يحيل إلى مفاهيم المستويات اللّغويّة (الصّوتيّ والتّركيبيّ والدّلاليّ)[2] وقد مثّل له (أوستين) بالمثال:(أطلق النّار عليها) حيث يُعبّر المتكلم بهذه الجملة عن مجرد (إطلاق النّار على امرأة) ويجمع هذا النّوع من الأفعال إنجاز ثلاثة أفعال أخرى؛ هي الفعل الصّوتيّ، أولا؛ أي إنتاج بعض الأصوات، والفعل التّوصيليّ، ثانيّا؛ أي إنتاج كلمات وفق نحو معين ونبر معين... والفعل الإسناديّ، أخيرا؛ وهو استعمال الفعل التّوصيليّ بمعنى محدد مع إحالة محددة.

- **الفعل الإنشائيّ**: يمكن تعريف الفعل الإنشائيّ على أعقاب أحاديث (أوستين) أنّه إنتاج أفعال منطوية على قيم اصطلاحيّة، فكلّ تلفظ بفعل من الأفعال الإنشائيّة يتضمن قيمة، ويمكن التّمثيل لهذا النّوع من الأفعال بأفعال الإخبار، التّحذير... وقد ساق (أوستين) المثال التّالي:(أمرني بإطلاق النّار عليها) لشرح الأفعال الإنشائيّة.

وحاول (أوستين) أن يميّز هذا الفعل المركزيّ في نظره عن كلّ الأصناف الأخرى من الأفعال، فبدأ بتمييزه عن الصّنف الثّالث من الأفعال، في تقسيمه الأخير؛ ألا وهو الأفعال التّأثيريّة، فيرى أنّ أهم شيء يميّز الإنشائيّ عن التأثيريّ هو اصطلاحيّة الإنشائيّ[3] الذي يكون متفقا عليه عكس التّأثيريّ.

---

[*]- أشير –هاهنا– إلى أنّ (بلانشي) يرى أنّ تصنيف آثار الخطاب عمل يعود تاريخه إلى (أفلاطون) و(أرسطو) وغيرهم من الفلاسفة، ففكرة أنواع أفعال الكلام ليست جديدة تمام الجدة (لأكثر تفاصيل يُنظر: Philippe Blanchet, La pragmatique d’Austin à Goffman).

[1]- جون ل. أوستين، القول من حيث هو فعل، ص 94.

[2]- مسعود صحراويّ، التّداوليّة عند العلماء العرب (دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التّراث اللّسانيّ العربيّ) الجزائر: 2008م، دار التّنوير، ص 55.

[3]- Jacques Moeschler, Anne Reboul, Dictionnaire encyclopédique de pragmatique, p 62.

كما ميّز الفعل الإنشائيّ عن الفعل الإنجازيّ، الذي سبق أن اقترحه في بداية الكتاب، فيعتقد أنّ الفعل الإنشائيّ يوافق الفعل الإنجازيّ الصّريح؛ وليس الفعل الإنجازيّ الأوليّ.

وميّز، أخيرا، بين الفعل الإنشائيّ والفعل التّقريريّ (الإثبات بشكل خاص) فتوصل إلى أنّ الفعل التّقريريّ يُركز على الأوجه القوليّة ومطابقة القول للواقع، ويُهمل الجوانب الإنشائيّة، أما الإنشائيّ، فيُركز على القيمة الإنشائيّة، ويُهمل مطابقة القول للواقع، لذلك خلص (أوستين) إلى أنّه يجب التّمييز بين القوليّ والإنشائيّ فقط، وما الإثبات إلا فعل إنشائيّ، أي إنّ الأفعال الإثباتيّة جزء من الأفعال الإنشائيّة.

- **الفعل التّأثيريّ:** عرّفه (أوستين) في البداية على أنّه تلفظ « يؤدي أحيانا -في أحيان كثيرة في الواقع- إلى آثار ما على الأحاسيس والأفكار وأفعال المستمعين أو على من يتكلم أو أشخاص آخرين أيضا...»[1] وساق بعض الأمثلة على ذلك من مثل: الإقناع والحيلولة أو المنع... كأن تقول: (أقنعني بإطلاق النّار عليها) وتتميز هذه الأفعال بإحداثها لمجموعة من العواقب، وهي -بتعبير آخر- الحصول على آثار عن طريق الكلام.

ب- تصنيف القيم الإنشائيّة: تفرغ (أوستين) بعد تحديد أنواع أفعال الخطاب، إلى دراسة الفعل الإنشائيّ، فحاول -كما يقول- تحديد القيم الإنشائيّة للقول؛ أو بالأحرى أصناف الفعل الإنشائيّ، فاقترح خمسة أصناف -غير نهائيّة[2]- أوجز ذكرها وتعريفها في قوله:« يمكن أن أقول بأنّ الفعل الدّال على الحكم يؤدي إلى إطلاق حكم، وأنّ الفعل الدّال على الممارسة يؤدي إلى تأكيد نفوذ أو سلطة، في حين أنّ فعل الوعد يفضي إلى الاضطلاع بالتزام أو نية، بينما الفعل السلوكيّ يدعو إلى تبني موقف وأنّ فعل العرض يقضي بالإعلان عن الأسباب والحجج بوضوح، أي الإبانة عن التبليغ»[3] وهو ما سأحاول عرضه بالأمثلة في ما يلي:

---

[1]- جون ل. أوستين، القول من حيث هو فعل، ص 89.

[2]- Françoise Armengaud, La pragmatique, p 81.

[3]- جون ل. أوستين، القول من حيث هو فعل، ص 136.

- **الفعل الدّال على الحكم:** هو نوع من الأقوال التي تصدر عن قاض أو لجنة... غرضها إصدار أو إطلاق حكم، ولا يهم إن كان نهائيّا أو لا؛ المهم أنّه صدر، ومن أمثلة هذا النّوع من الأفعال: برّأ، أؤكد (بناء على القانون) قيّم... فهي قرارات تتأسس على وضع رسميّ، قد توصف أنّها (سليمة) أو (لا) لكنّها عادة ما تكون نافذة.
- **الفعل الدّال على الممارسة:** هو القول الذي يُبيّن ممارسة لسلطة ونفوذ معيّن من مثل: عيّن، اختار، صوّت ل، سيّر... وهو صنف واسع جدا من الأفعال.
- **الفعل الدّال على الوعد:** فعل يلتزم أو يتكفل بموجبه المتكلم بشيء ما، أو هو نوع من التّصريح بالنّوايا مثل: وعد، عزم، كرس نفسه، تبنى انحاز...
- **الفعل الدّال على السّلوك:** يرى (أوستين) أنّ هذا الصّنف زمرة غير متجانسة من المواقف والسّلوكات الاجتماعية من مثل: الاعتذار، التّهاني الشّكر، التّأسف...
- **الفعل الدّال على العرض:** يُستعمل هذا الصّنف من الأفعال لتفسير وجهة نظر أو تقديم حجة... من مثل: أكد، أنكر، ألح، صور...

وقد أكد (أوستين) مرارا من أنّ تصنيفه ليس نهائيّا، بل تفطن حتى إلى التّداخل الحاصل بين بعض الأصناف إلى درجة يبدو أنّه يجب إعادة النّظر في التّصنيف، وهو ما قام به تلميذه (جون سورل).

3- نظريّة أفعال الكلام عند (جون سورل): تشكلت نظريّة أفعال الكلام عند (سورل) عبر مجموعة من المؤلفات أهمها كاتبه:(الأفعال الكلاميّة- Speech acts) الصّادر سنة 1969م، وكتابه (التّعبير والمعنى- Expression and meaning) الصّادر سنة 1979م.

أ- أبعاد الاختلاف بين الأفعال الإنشائيّة: اشتغل (سورل) -في البداية- على إيجاد القواعد الضّروريّة التي تكون وراء تحقيق الأفعال الكلاميّة، وقد اهتم في تحليله بالفعل الإنشائيّ حسب تصنيف (أوستين) وترك الأفعال الأخرى نوعا ما.

وعرض (سورل) في إطار هذا التّحليل الأمثلة التّاليّة[1]:

*- هل سيغادر جون الغرفة؟

*- سيغادر جون الغرفة.

*- جون يغادر الغرفة!

*- رغب لو يغادر جون الغرفة.

*- إذا ما غادر جون الغرفة، فسأغادر أنا أيضا.

تساءل (سورل) على كيفية وصف ما يقوم به المتكلم عندما يتلفظ بالجمل المذكورة، فلاحظ أنّها كلّها تتحدث عن شيء واحد؛ وهو (جون) لكن بصيغ مختلفة، لذلك بدأ بتقسيمها إلى أجزاء[2]، فعزل (في الأمثلة أعلاه دائما) مفاهيم (المرجع) و(الإسناد) عن التي تحيل إلى (أفعال كلام) تامة مثل الإثبات والاستفهام... إلخ، ومن هنا ميّز بين، من جهة، الإحالة إلى مرجع أي (جون) في كلّ الأمثلة السّابقة، وعمليات الإسناد؛ وهي في الأمثلة كلّها إسناد (مغادرة جون للغرفة)، ومن جهة أخرى؛ هناك الأفعال الكلاميّة التي تُمثل القوة الإنشائيّة؛ وهي مختلفة من مثال إلى آخر؛ كالاستفهام في المثال الأول، والإثبات في المستقبل أو التنبؤ في الثّانيّ، والأمر في الثّالث، والرّغبة في الرّابع، والشّرط في الخامس...

وذهب (سورل) في كتابه (التّعبير والمعنى) وهو تطور آخر في النّظريّة، إلى أنّه سيحاول أن يحدد كلّ أنماط الأفعال الكلاميّة (ذات القوة الإنشائيّة) وتحدث، في بداية البحث عن هذه الأنماط، عن التّفرقة بين الأفعال النّحويّة (Verbes) والأفعال بالمفهوم التّداوليّ (Acts)* وقال: إن الفعل النّحويّ ينتمي إلى لغات بعينها كالإنجليزيّة والألمانيّة.. أما الفعل بالمفهوم التّداوليّ، فهو ظاهرة لغويّة عالميّة، لذلك استنتج أنّه لا يمكن إنجاز تصنيف الأفعال الإنشائيّة بناء على الأفعال النّحويّة، بل

---

[1]- John R.Searl:« What is a Speech act ? » in language and social context, Edited by Pier Paolo Giglioli, London: 1990, Penguin Books, p 140.

[2]- John R.Searl, Les actes du langage (essai de philosophie du langage), Coll: Savoir lettres, 2eme ed. Paris: 1996, Hermann, p 60.

*- وقد اُنتقد (سورل) في هذه النّقطة باعتبارها مبنية على أساس الوهم العالميّ العاري من الصّحة (يُنظر: Françoise Armengaud, La pragmatique.)

يجب وضع قواعد لتحديد انتماء هذا الفعل الكلاميّ إلى نمط معين من الأفعال أو غيره من الأنماط، وقد سماها (سورل) أبعاد الاختلاف بين الأفعال الإنشائيّة* وهي:

أ- **اختلاف في الهدف:** ليس لكلّ الأفعال الإنشائيّة مقاصد تأثيريّة؛ لأنّ أغلبها ليست تأثيريّة مثل الوعد، الإثبات...

ب- **اختلاف في اتجاه التكييف بين الألفاظ والعالم:** يوجه الهدف الإنشائيّ لبعض الأفعال الكلاميّة إلى ضرورة تطابق الكلمات مع العالم؛ وهو حال الإثباتات مثلا، لكن هناك بعض الأهداف الإنشائيّة التي تتجه إلى العكس تماما؛ وهو ضرورة تطابق العالم مع الكلمات مثل أفعال الوعد والطّلب...

ت- **الحالة النّفسيّة المُعبر عنها:** يتمثل هذا البُعد في التّعبير عن نوع من الموقف إزاء المحتوى القضوي للفعل الكلاميّ، ويميّز (سورل) في هذه المواقف بين حالات كثيرة مثل (الاعتقاد- Croire) في حالات أفعال الإثبات، والادعاء..

ويشير (سورل) إلى أنّ هذه الأبعاد الثّلاثة؛ أي الهدف الإنشائيّ واتجاه التكييف المرغوب والإخلاص (الموقف) هي أهم الأبعاد[1] التي يمكن أن يُبنى عليها تصنيف أنماط الأفعال الإنشائيّة، وتتفرع عنها أبعاد أخرى؛ سردها كالتّالي:

ث- اختلاف في قوة أو كثافة عرض الهدف الإنشائيّ.

ج- اختلاف مكانة المتكلم والمتلقي باعتبارهما يحددان القوة الإنشائيّة للتّلفظ.

ح- اختلاف في كيفيّة اتصال التّلفظ بالمتكلم والمتلقي.

خ- اختلافات متعلقة بعلاقة التّلفظ بباقي الخطاب.

د- اختلاف في المحتوى القضويّ.

ذ- اختلاف بين الأفعال التي يجب أن تكون -دائما- أفعالا كلاميّة والأفعال التي يمكن إنجازها كأفعال كلاميّة لكن ليست كذلك بالضّرورة.

*- انطلاقا من هنا، سأتحدث عن الفعل الكلاميّ بالمفهوم التّداوليّ؛ أي (Acte de langage) وليس النّحويّ (Le verbe).

[1]- John R.Searl, Sens et expression (études de théorie d'acte de langage), Tr: Joëlle Proust, Sens commun, Paris: 1982, Ed. Minuit, p 44.

ر- الأفعال الكلاميّة التي تتطلب هيئة غير لغويّة لتمامها، والأفعال التي لا تحتاج لذلك.

ز- الأفعال التي يمثلها فعل (بالمفهوم النّحويّ Verbe) له استعمال إنجازيّ، والأفعال التي ليس للفعل (بالمفهوم النّحويّ Verbe) الذي يمثلها استعمالٌ إنجازيّ.

س- اختلاف في طريقة إتمام الفعل الكلاميّ.

واقترح (سورل)، بعد الفراغ من الحديث عن هذه الأبعاد أو معايير التّمييز بين الأفعال الإنشائيّة، نموذجا جديدا مبنيّا على المعايير التي قدمتُها، وكان اقتراحه متشابها -إلى حد كبير- مع نموذج (أوستين) لكن أكثر منهجيّة ربما؛ بما أنّه مبنيّ على معايير -كما قلتُ-.

II- نموذج (سورل) لأنماط (Catégorie) الأفعال الإنشائيّة: يتكون نموذج (سورل) من خمسة (05) أنماط؛ هي:

أ- **الأفعال الإثباتيّة (Assertif):** إذا طبقتُ بعض الأبعاد السّابقة، فإنّ هدف هذه الأفعال هو التزام المتكلم بصحة أو خطأ الملفوظ؛ فهي صادقة أو كاذبة، كما أنّ اتجاه التّكييف يكون من الكلمات إلى العالم، ومن أمثلة ذلك: أدعي، أستنتج...

ب- **الأفعال التّوجيهيّة (Directif):** هي محاولة حمل المتلقي على القيام بشيء؛ من حيث الهدف الإنشائيّ، وقد تكون المحاولة بسيطة كالدّعوة إلى فعل شيء أو محاولة ملحة كالإلحاح على فعل شيء ما... ويدخل في هذا النّمط أفعال كتوسل، أمر...

ت- **أفعال الوعد (Promissif):** قال (سورل) إنّ تعريفها هو نفسه مع تعريف (أوستين) السّابق، لكن هناك بعض الأفعال التي أدرجها (أوستين) في هذا النّمط لا تدخل -فعلا- فيه منها: فضل، ومستعد ل...

ث- **الأفعال التّعبيريّة (Expressif):** هو التّعبير عن حالة نفسيّة محددة في بُعد (قاعدة) الإخلاص (صدقها متضمن في القول) كما يُلاحظ أنّ هذه الأفعال ليس لها تكييف؛ سواءً من الكلمات إلى العالم أو من العالم إلى

الكلمات، ويدخل في هذا النّمط مجموعة من الأفعال كالشّكر والتّعازي والاعتذار...

ج- **الإعلانات:** يتميّز هذا النّمط بتساوي المحتوى القضوي للفعل مع الواقع، فبمجرد أعلاني أنّك الرّئيس فأنت الرّئيس فعلا، ويقول (سورل) إنّ هذا النّمط جزء من الأفعال الإنجازيّة الأوستينيّة، ويتطلب وجود هيئة غير لغويّة لتحقيقه كالقانون والدّولة...

ويجب الإشارة، في الأخير، إلى أنّ جدة نظريّة أفعال الكلام، وتحريرها للفكر الفلسفيّ من المَنْطقة، والفكر اللّغويّ من البنويّة المفرطة لم يستثنيها من النّقد؛ فإنّها تعرضت للعديد من الهجومات؛ سواءً على النّظريّة بشكل عام أو لنظريّة أحدهما (أوستين أو سورل) على حدة؛ ومن جملة ما يوجه لها من انتقادات أنّ تصنيف النّظريّة للأفعال الإنشائيّة ليس عالميّا يصلح لكلّ اللّغات[1]؛ سواء عند (أوستين) الذي قال عنه (سورل) أنّه صنف الأفعال النّحويّة وليس اللّغويّة أو عند (سورل) نفسه؛ الذي حاول أن يقوم بعملية تجريديّة من خلال التّمييز بين الفعل النّحويّ (Verbe) والفعل التّداوليّ (Acte) إلا أنّه لم يفلح؛ فوقع هو الآخر في فخ الأفعال النّحويّة؛ لأنّه، في الواقع، لا يمكن للدّارس أن يصنف في اللّغة إلا هذه الأفعال[2]، إضافة إلى أنّ الكثير من الأمثلة التي انطلق منها التّصنيف ليست أمثلة واقعيّة؛ بل هي مصطنعة[3]، كما أهملت هذه النّظريّة جانب التّلميح أو التّضمين في أفعال الكلام لأنّ أفعال الكلام ليست -دائما- صريحة[4]، وهناك من قال إن القوة الإنشائيّة لا يمكن تبيُّنها دائما في الأفعال، كما أنّها ليست ضروريّة للفهم والتّأويل[5]، وربما أهم هذه الانتقادات أنّ أصحاب النّظريّة لم يفرقوا بين تصنيف

---

[1]- Philippe Blanchet, La pragmatique d'Austin à Goffman, p 34.

[2]- Françoise Armengaud, La pragmatique, p 82.

[3]- رشيد عزي، إشكاليّة المصطلح في المؤلفات العربيّة (تحليل الخطاب نموذجا -دراسة تحليليّة وصفيّة-) جامعة البويرة: قسم اللّغة العربيّة وآدابها، 2008م-2009م، ص 69.

[4]- ذهبية حمو الحاج، استراتجيّة التّواصل: التّصريح والتّلميح في الخطاب السّياسيّ، ص 153.

[5]- Georges-Elia Sarfati, Précis de pragmatique, p 39.

الأفعال إلى فئات؛ وهذا أمر مقبول، وبين جعل هذه الفئات شرطا للفهم والتّواصل[1] وهذا ما لم توفق نظريّة أفعال الكلام إلى تبريره.

الفرع الثّانيّ: التّداوليات (قراءة في مدارس التّداوليّة): عرفت الدّراسات التّداوليّة تعددا من حيث المدارس إلى درجة يصعب معها وضع تصنيف واضح المعالم، ويمكن تبرير ذلك باختلاف أصول التّداوليّة وتعدد مؤسسيها. ويُعد تصنيف (هانسون ب.-B.HANSSON) أشهر ما ورد من تصنيفات؛ حيث جعل التّداوليّة ثلاثة درجات[2]، لكن الملاحظ أنّ التّداوليات تطورت كثيرا منذ هذا التّصنيف*، وسيلاحظ أي قارئ للكتب الحديثة كمًا هائلا من التّداوليات التي لم يرد ذكرها في تصنيف (هانسون) المذكور.

ولما كان الحال كذلك، حاولت الذّهاب في اتجاه البحث عن مخرج لهذه المعضلة، وبدا لي أنّ أهم مكان يمكن أن أجد فيه كلّ التّداوليات أو معظمها لن يكون إلا معاجم التّداوليّة؛ لأنّها تبحث عن الشّموليّة قدر الإمكان؛ عكس الكتب الأخرى التي لا تبحث على ذلك بقدر ما تبحث عن الإقناع بفكرة ما، وعلى هذا الأساس، استقرأت معجمين للتّداوليّة♣ أحدهما فرنسيّ والآخر إنجليزيّ، فكانت النّتائج كالتّالي:

---

[1]- Dan Sperber, Deirdre Wilson, La pertinence (communication et cognition), Tr. Abel Gerschenfeld et Dan Sperber, Paris: 1989, Ed. Minuit, p 366.

[2]- Françoise Armengaud, La pragmatique, p 46.

*- الذي وُضع سنة 1974م حسب المرجع السّابق.

♣- المعجمان هما:(Julien Longhi, Georges Sarfati, Dictionnaire de pragmatique) و(Jacob L. May, Concise encyclopedia of pragmatics).

		المعاجم
الموسوعة المختصرة للتّداوليّة- Concise encyclopedia of pragmatics	معجم التّداوليّة- Dictionnaire de pragmatique	
Applying Pragmatics التّداولية التّطبيقيّة	Pragmatique cognitive التّداوليّة العرفانيّة	التّداوليات
Cognitive Pragmatics التّداوليّة العرفانيّة	Pragmatique intégré التّداوليّة المدمجة	
Historical Pragmatics التّداولية التّاريخيّة	Pragmatique lexicale التّداوليّة المفرداتيّة	
Intercultural Pragmatics التّداولية ما بين ثقافيّة	Pragmatique littéraire التّداوليّة الأدبيّة	
Legal Pragmatics التّداولية القانونيّة	Pragmatique topique التّداولية الموضعيّة	
Literary Pragmatics التّداولية الأدبيّة	psychopragmatique التّداولية النّفسيّة	
Metapragmatics تداوليّة واصفة	/	
Morphopragmatics التّداولية المورفولوجيّة	/	
Neo-Gricean Pragmatics التّداولية الغرايسيّة الجديدة	/	
Pragmatics of Reading تداوليّة القراءة	/	

يبدو من خلال مداخل المعجمين المتخصصين في التّداوليّة أنّ البون شاسع بينهما، فلا يشتركان إلا في تداوليتين هما (التّداوليّة الأدبيّة) و(التّداوليّة العرفانيّة) أما باقي التّداوليات؛ فغير متفق عليها؛ فهل هذا يعود إلى اختلاف الثّقافتين الفرنسيّة والإنجليزيّة؟ ربما، لكن المؤكد أنّ المعجمين على حداثتهما* لم يتفقا كثيرا، وهذا ما يجعل بحثي أقل فائدة إن اعتمدت كليّا عليهما.

وبدا لي -مواصلة لمنطق الأخذ من الثّقافة الفرنسيّة والثّقافة الإنجليزيّة معا؛ لأنّ التّداوليّة ذات منشأ غربيّ- أنّ (التّداوليّة العرفانيّة) وهي مشتركة بين المعجميْن ستكون أحسن ممثل للثّقافة الإنجليزيّة في هذا العمل، أما الثّقافة

*- المعجم الفرنسيّ (معجم التّداوليّة-Dictionnaire de pragmatique) صدر سنة 2011م، أما الإنجليزيّ (الموسوعة المختصرة للتّداوليّة-Concise encyclopedia of pragmatics) صدر في 2009م في طبعته الثّانيّة التي اعتمدت عليها -هاهنا-.

الفرنسيّة، فستكون ممثلة ب(التّداوليّة المدمجة) وإن كانت غير مشتركة بين المعجمين؛ لكنّها موجودة في أحدهما؛ وهي فرنسيّة المنشأ، وعلى هذا، سيكون عرضي لأهم التّداوليات مبنيّا على تقديم هاتين التّداوليتيْن* تقديما مفصلا؛ لذلك سأخصص لهما المبحث المقبل، وسيكون لي تطبيق لهما فقط في الباب التّطبيقيّ، كما سأحاول أن أقدم فكرة موجزة عن بعض التّداوليات الأخرى على سبيل التّعريف بها فقط وليس التّفصيل، ووقع اختياري في ذلك على تداوليتيْن؛ الأولى مشتركة بين المعجمين -كما قلت- وهي التّداوليّة الأدبيّة، أما الثّانيّة، فهي تداوليّة حديثة ذكرها أحدهما فقط؛ وهي التّداوليّة النّصيّة.

1: التّداوليّة الأدبيّة: ذُكرت هذه التّداوليّة في معجمين من معاجم التّداوليّة، وهو ما يعطي لها مشروعيّة التّواجد في أي عمل من الأعمال حول التّداوليّة، ولو على سبيل التّقديم؛ مثل ما أفعل الآن في هذه النّقطة، وفي هذا الاتجاه، تطرح بعض الأسئلة نفسها على الدّارس من مثل: ما هو مفاد هذا التّوجه التّداوليّ؟ أو بالأحرى ما هي هذه التّداوليّة؟

I- مكانة الأدب في التّداوليّة: تطرق بعض مؤسسي التّداوليّة إلى الظّاهرة الأدبيّة بأشكال مختلفة، حسب زاوية نظرهم، ويُذكر منهم (أوستين) و(سورل).

أ- نظرة (أوستين) إلى الأدب: يرى هذا الفيلسوف أنّ الأدب جزء من اللّغة، وقد ذكره في إطار تحليل الأفعال الإنجازيّة؛ أي في الجزء الأول من نظريته، وقد أشار إليه، بالضّبط، أثناء حديثه عن أنواع الإخفاقات التي تصيب الأفعال الإنجازيّة حيث قدم تصنيفا لكلّ الإخفاقات التي يمكن أن تصيب هذه الأفعال، ثم تساءل عن شموليّة تصنيفه للإخفاقات، وفي هذا الموضع، جاء حديثه عن الأدب باعتباره استعمالا طُفيليّا للّغة، كما اعتبره من الملفوظات غير الجديّة، لذلك يجب إقصاؤه من النّظريّة المتعلقة بالأفعال الإنجازيّة؛ سواءً حسنة الحظ أو سيئة الحظ؛ لأنّه يُسبب للنّظريّة أضرارا؛ فيقول:«... إن أقوالنا الإنشائية (الإنجازيّة بمصطلحاتي)... مُعرضة أيضا

*- استبعدت التّداوليّة الأدبيّة رغم أنّها مشتركة بين المعجمين؛ نظرا لطبيعة البحث الذي أنا بصدده والذي يهتم بلغة الصّحافة الرّياضيّة التي لا تتوافق في حيثياتها مع الخطاب الأدبيّ، لكن سأقدم عنها عرضا موجزا للتّعريف بحوصلة أعمالها (يُنظر النّقطة المواليّة من هذا العمل).

لبعض أنواع الأضرار التي تصيب كلّ قول. هذه الأضرار كذلك... نريد صراحة إبعادها من حديثنا الحاليّ، إنّي أفكر في هذا مثلا: يكون القول الإنشائيّ (الإنجازيّ بمصطلحاتي) فارغا أو خاويا بشكل خاص إذا قيل من قبل ممثل على الخشبة أو إذا كان مندرجا في قصيدة...»[1] وغني عن البيان أنّ المسرح والشّعر ما هما إلا نوعان من أنواع الأدب الذي استبعده (أوستين) من عمله.

وقد أكد على هذا الاستعمال (الشّاحب) للّغة في الأدب في موضع آخر من كتابه، وذلك أثناء حديثه عن معنى إنتاج ملفوظ حيث قال: إنّ المسرح والرّواية والشّعر واستعمال اللّغة في الاقتباسات والقراءات العامة[2]... لا تدخل في كلّها دراسته، ويمكن، من خلال ذلك، الاستنتاج دون صعوبة أنّ (أوستين) لا يرى الأدب إلا نوعا من الانزياح[3] عن اللّغة العاديّة، وهو موقف سلبيّ؛ جعله يُخرج هذا الاستعمال اللّغويّ من الدّراسة.

ب- نظرة (سورل) إلى الأدب: قد يقول قائل أنّ (أوستين) أقصى الأدب من دراسته تأثرا بميولاته الفلسفيّة المنغرسة فيه أكثر من ميولاته اللّغويّة-الأدبيّة، لكن يبدو أنّ هذا الحجاج غير قائم؛ ذلك أنّ تلميذه (سورل) أعاد النّظر في هذه المسألة؛ رغم أنّه فيلسوف أيضا؛ فجعل للأدب محورا في كتابه (المعنى والتّعبير) بعنوان:(المكانة المنطقيّة لخطاب الخيال-Le statut logique du discours de la fiction) فاستعمل مصطلح (الخيال) للجمع بين كلّ مظاهر الأدب؛ مسرحا كان أو شعرا أو رواية... وقد ذكر في تحليله العديد من الرّوايات والأدباء مثل (ليون تولستوي-Tolstoï Léon) و(كونان دُويْل-Conan Doyle)... مما يوحي بأنّه راجع موقف (أوستين) جوهريّا، فما هي رؤية (سورل) للأدب؟

يرى هذا الفيلسوف أنّ الأديب حين يضع شخوص روايته لا يقدم أشخاصا موجودين في الواقع (لهم مرجعية معروفة) إلا نادرا؛ فتلفظه مبني على تصنع شخصيات معينة، والشّيء الجوهريّ في العمليّة كلّها هو قضية المرجعيّة.

---

[1]- جون ل. أوستين، القول من حيث هو فعل، ص 26.

[2]- J.L.Austin, Quand dire, c'est faire, tr: Gilles Lane, coll: L'ordre philosophique, Paris: 1970, Seuil Ed. p 108.

[3]- Georges-Elia Sarfati, Précis de pragmatique, p 72.

ويشرح مسألة المرجعيّة في الأدب بقوله: عندما أقول إنّ:« السّيدة (شارلوك هولمس) لم تكن أبدا موجودة؛ لأنّ (هولمس) لم يتزوج أبدا، لكن السّيدة (واطسن) موجودة؛ لأنّ (واطسن) قد تزوج رغم أنّ السيدة (واطسن) قد ماتت بعد زواجها مباشرة»[1] فإنّ الكلام عندما يكون لأي شخص عن (شارلوك هولمس) والسّيدة (واطسن) يحيل إلى مرجعيّة حقيقيّة؛ وهي (شارلوك هولمس) والسّيدة (واطسن) الموجودان في العمل الأدبيّ المعروف، لكن (كونان دويل) –صاحب العمل في حد ذاته– لا يمكنه أن يتحقق من وجود مرجعيّة لشخصياته في الواقع، ولا من الأفعال التي تقوم بها، بل يتصنعها فقط، ثم يحيل المتكلمون عن أدبه إلى الشّخصيات التي تصنَعها؛ وبالتّالي فكلامي عن (شارلوك هولمس) له مرجعيّة في أعمال (كونان دويل) الأدبيّة، أما كلام (كونان دويل) عن شخصيّة عمله (شارلوك هولمس) فليس له مرجعيّة؛ بل هو تَصنُع، وهذا التّصنع يُفسره المشتغلون بالأدب واللّغة بعقد القراءة[2] –الذي سبق لي الحديث عنه–.

ويجب الإشارة إلى أنّ (سورل) لا يجعل هذا التّصنع قاعدة عامة لكلّ الأدب، بل فيه أحوال حيث تكون المرجعيّة حقيقيّة كالإحالة إلى مدن موجودة في الواقع كالجزائر أو بيروت أو دمشق أو الرباط... فالاختلاف الجوهريّ بين أنواع النّصوص الأدبيّة موجود في طريقة المزج بين الآليتين؛ أي التّصنع والمرجعيّة الحقيقية، فبعض النّصوص كحكايات علم الخيال تكون كلّها تصنعا، أما الرّوايات الواقعيّة؛ فهناك مزج وحضور كبير للواقعيّ...

وقد يتساءل المرء كيف يكون الكلام مقبولا في حالات التّصنع المذكورة؟ يرى (سورل) أنّ الكاتب يرتبط مع القارئ بعقد حيث « يضع الكاتب والقارئ مجموعة من الاتفاقات التي تحدد إلى أي حد تنقطع معه التّعاقدات الأفقيّة للخيال والارتباطات العموديّة للخطاب الجديّ»[3] أي أنّ الكاتب والقارئ يتفقان على حدود التّصنع والجد، وعلى ذلك ينبني اتساق النّص؛ فإن كان النّص سرياليّا مثلا؛ فستكون حدود

---

[1]- John R.Searl, Sens et expression, 114.

[2]- Georges-Elia Sarfati, Précis de pragmatique, p 73.

[3]- John R.Searl, Sens et expression, p 117.

الخيال فيه واسعة مقارنة بالخطاب الجديّ، عكس الرّوايّة الواقعيّة التي يغلب عليها الجد وليس الخيال.

ويظهر جليا، من خلال هذا العرض، أنّ (سورل) أعاد الاعتبار للأدب في إطار التّداوليّة، وبذلك فتح أبوابا لإمكانيّة تحليله تداوليّا، وخاصة أنّه يرى أنّ أفعالا كلاميّة جديّة يمكن للأدب أن يعبر عنها بل هذا شائع فيه؛ لأنّ كلّ النّصوص الأدبيّة إنّما هي حاملة لموعظة أو فكرة جديّة، فالأدب ليس تصنعا كلّه؛ بل هو حالة فريدة للعب بالدّليل اللّغويّ والمرجعيّة[1] حيث يمكن الإحالة إلى ما هو موجود أو الحديث عن أشياء غير موجودة.

II- التّداوليّة ودراسة الأدب: ذهبت الدّراسات الأدبيّة في علاقتها بالتّداوليّة إلى استثمار كلّ التّداوليات المطروحة، فدرست تارة المبهمات وتارة أخرى الذّاتيّة، واتجه البعض إلى دراسة المرجعيّة والإحالة، كما فضل آخرون المتضمنات أو الاتساق...[2]، وسأحاول أن أقدم في ما يلي تجربتين لاستثمار التّداوليّة في دراسة النّصوص الأدبيّة.

أ- تجربة (جاكوب ل. ماي–Jacob L. May): عرض صاحب (الموسوعة المختصرة للتّداوليّة–Concise encyclopedia of pragmatics) نظرته إلى أهم الأفكار التّداوليّة التي يمكن استثمارها في دراسة النّص الأدبيّ، وهي كالتّالي:

*- **النّص إنتاج واستهلاك:** يرى (ماي) أنّ الكتاب ليس مجرد شيء ماديّ (أوراق وغراء...) يُشترى ويباع كما تُشترى الأشياء الماديّة الأخرى؛ بل هو دعوة إلى الحياة الخاصة لشخص ما؛ فيه رسالة تجعل المشتري يشتري ذلك الكتاب، فجوهر البيع –هنا– ليس الوجود الماديّ للكتاب؛ إنّما الرّسالة المتضمنة في النّص الأدبيّ، وهدف الكاتب، على هذا المستوى، هو الاستمالة، أما القارئ، فيمشي في تيار الاستمالة أو الانغماس « ففي النّصوص الأدبيّة بشكل خاص، لا يتوقف نجاح الحكاية على الكاتب بل يتوقف

---

[1]- Philippe Blanchet, La pragmatique d'Austin à Goffman, p 122.

[2]- Georges-Elia Sarfati, Précis de pragmatique, p 76.

أيضا، وعلى مستوى أهم، على القارئ»[1] أي إنّ الأدب فعل مشترك بين الكاتب والقارئ؛ وليس الكاتب فقط، كما كانت تعتقد الدّراسات القديمة.

*- **النّص الأدبيّ تجاذب بين الكاتب والقارئ:** يُمثّل النّص الأدبيّ تعاونا بمفهوم (قرايس) بين الكاتب والقارئ؛ بل هو جدل بينهما بمنظور (باختين) فالعلاقة –هاهنا– إبداع ثنائيّ؛ لأنّ النّص الأدبيّ ليس إبداع أديب فقط بل يفترض مشاركة قارئ ما؛ ويكون ذلك على مستوى النّص الأدبيّ بأن يضع الأديب مجموعة من المعالم بوعي، ويقوم القارئ باستنتاجها بالوعي نفسه –أيضا–.

وتساءل صاحب الموسوعة، في موضع آخر، كيف يكون النّص الأدبيّ إبداعا ثنائيّا، وكيف نتبيّن ذلك تقنيّا؟ فكانت إجابته كالتّالي:

*- **دراسة بعض المعالم اللّسانيّة:** يشير (ماي) إلى المبهمات وكلّ أنواع الإحالة القبليّة والبعديّة... التي هي كلّها مفاهيم تداوليّة تستعمل في دراسة الأدب.

*- **إدخال المفهوم التّداوليّ المتمثل في (الصّوت–Voice):** يرى صاحب الموسوعة أنّ هذا المفهوم يُدخل النّص في عالم الحياة حيث تُعبر الشّخوص على آراء بفعل التّصويت، وعمليّة التّصويت هذه لا تُخبر الدّارس عن وجود شخص فقط؛ بل عن طبيعة هذا الشّخص ورؤيته للآخرين وللعالم، ويبدو أنّ مساهمة التّداوليّة الأساسيّة تتمثل في تحديد الأصوات غير المعروفة، وخاصة في تلك النّصوص الأدبيّة التي لا يظهر فيها اسم/ شخصيّة تتحمل الخطاب؛ لأنّ كلّ كلام يفترض قائلا.

ب- تجربة (دومينيك مانقونو): حاول (مانقونو) من خلال كتابه (التّداوليّة للخطاب الأدبيّ–Pragmatique pour le discours littéraire) وضع النّص الأدبيّ في مواجهة التّداوليّة، وقد لاحظ أنّ التّداوليّة أفق رحب يمكنه أن يجمع الكثير من المقاربات، ويمكن، بناءً على ذلك، أن تُستثمر التّداوليّة في فك طلاسم النّصوص الأدبيّة التي تطرح إشكالات جوهريّة للدّارس من حيث هي:

---

[1]- Jacob L. May, Concise encyclopedia of pragmatics, p 551.

- ملفوظات خاضعة لقواعد اللّسان العامة؛
- وليست ملفوظات عاديّة كغيرها.

لكن على الدّارس –دائما– أن يتجاوز هذه الوضعيّة، وقد لاحظ أنّه لا توجد هناك لغة أدبيّة؛ بل ثمة استعمال أدبيّ للّغة في النّصوص الأدبيّة؛ يجب الوقوف عليه وفهمه فهما صحيحا، وفي سبيل تحقيق ذلك، حاول (مانقونو) وضع هذا الكتاب الذي اعتبره مقدمة لاستثمار التّداوليّة في الأدب؛ وليس نظريّة أدبيّة[1]، فناقش في هذا الكتاب المواضيع التّاليّة:

*- تقديم التّداوليّة كنظريّة.

*- التّلفظ الأدبيّ.

*- الحجاج.

*- الافتراض المسبق والقول المضمر.

*- قوانين الخطاب.

*- النّص الأدبيّ كعقد.

*- الخطاب المسرحيّ.

*- الانعكاسيّة.

وغني عن البيان أنّ هذه المواضيع ليست إبداعا خاصا بالدّراسات الأدبيّة، بل هي أفكار مستوردة من التّداوليّة الفلسفيّة والاجتماعيّة واللّسانيّة المعروفة، وتم تطبيقها على النّص الأدبيّ؛ مثلها مثل تلك الأفكار التي أوردها أصحاب (الموسوعة المختصرة للتّداوليّة).

ويشير(مانقونو) رغم اعترافه بهذا الوضع، إلى أنّ التّداوليّة ليست مقاربة من المقاربات التي يمكن أن تطبق على النّص الأدبيّ، بل هي أفق تندرج فيه كلّ المقاربات[2] وما على الدّارس إلا اختيار المقاربة التي تليق بالنّص الأدبيّ.

---

[1]- Dominique Maingueneau, Pragmatique pour le discours littéraire, p VII.

[2]– نفسه، ص 183.

ويعتقد (مانقونو) أنّ للتّداوليّة سَبْق يُحسب لها أن انتقلت بالدّرس الأدبيّ من اعتبار (المنتوج) نصا إلى اعتباره خطابا، فخرج من المنظور البنويّ الذي سلب من النّص سياقه.

ويبدو لي، انطلاقا من تجربتَيْ (ماي) و(مانقونو) أنّ ما يسمى (تداوليّة أدبيّة) ليس نظريّة جديدة ذات أسس فريدة موجودة في حقل التّداوليّة؛ بقدر ما هي تطبيق للتّداوليات المعروفة كنظريّة التّلفظ والحجاج... مما يجعل موقع هذه التّداوليّة ضيقا حيث ليس لها تأثير إلا في الميدان الأدبيّ؛ لعدم امتلاكها أي بناء مستقل، فهي في المحصلة امتداد للتّداوليات الأخرى.

2: التّداوليّة النّصيّة: تهتم تداوليّة النّص بالنّص كموضوع وحيد، وتطرح في أغلب أعمالها مسألة النّصيّة التي شغلت حتى العلوم اللّسانيّة الأخرى[1]، وقد قُلبت معايير النّصيّة على أوجهها الكثيرة في لسانيات النّص، وأُنتجت العديد من النّماذج، سأتحدث –هاهنا– عن أشهرها وهما: نموذج (م.أ.ك. هالداي ور. حسن– M. M.A.K.Halliday et R.Hassan) ونموذج (ر.أ. دوبوقراند– R.A. De Beaugrande).

وأشير، قبل عرض النّموذجين، إلى أنّه رغم قِدم ظاهرة النّص التي تعود إلى غابر العصور، والمقام الذي حظيت وتحظى به من لدن الكثير من اللّغويين والأدبيين ورجال الدّين... ولكن لم يتأسس لها فضاء علميّ خاص بها إلا حديثا، فسُمي تارة (علم النّص) أو (علم دلالة النّص) وكذلك (نحو النّص) و(علم اللّغة النّصيّ) و(نظرية النّص)[2]... كما سُمي هذا الفضاء في بدايات نشأته (اللّسانيات النّصيّة) لكن سرعان ما أُدرج هذا الفضاء تحت مسمى التّداوليّة، فأصبح يُنعت (التّداوليّة النّصيّة)[3] وهذا ما يطرح مسألة تسميّة هذا العلم على بساط النّقاش.

---

[1]– أحمد مداس، لسانيات النّص (نحو منهج لتحليل الخطاب الشّعريّ)، عمان: 2007م، جدارا للكتاب العالميّ/عالم الكتب الحديث، ص 03.

[2]– نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسيّة في لسانيات النّص وتحليل الخطاب، ص 23.

[3]- Julien Longhi, Georges Sarfati, Dictionnaire de pragmatique, p 96.

I- حول مشروعيّة التّسميّة: يبدو أنّ تسمية هذا الفضاء الذي يهتم بالنّص ب(التّداوليّة النّصيّة) ليست محسومة نهائيّا، فهناك العديد من الآراء؛ لكن الثّابت حتى الآن أنّ الجميع يسميها (اللّسانيات النّصيّة) رغم أنّهم يدرجونها في التّداوليّة.

ويذكر أصحاب (معجم تحليل الخطاب)[1] أنّ الباحث (أ. فانريش–H.Weinrich) يعتقد أنّ دراسة النّص يجب أن تُدرج في التّداوليّة على أساس أنّها لسانيات توجيهيّة (Instructionnelle) والتي تهتم بالتّمثلات الدّلاليّة، كما ذكر هذا المعجم رأي الباحثين (دوبوقراند) و(و.أ. درسلر–W.U.Dressler) اللذين يعتقدان أيضا أنّ المكان الطبيعيّ للدّراسة النّصيّة هو التّداوليّة، لكن باعتبار النّص ظاهرة تواصليّة محضة، ورغم هذه الآراء التي استشهد بها أصحاب هذا المعجم، ورغم أنّ هذه الآراء أَخذت أهم ما في تعريف المعجم لهذا المدخل؛ إلا أنّ عنوان المدخل هو (اللّسانيات النّصيّة) وليس (التّداوليّة النّصيّة) فهل هذا العرض، على اختيارهم له، لم يقنعهم بتسميتها (التّداوليّة النّصيّة)؟

إن ملاحظتي لهذا التّعريف، ومقارنته بأعمال (جون ميشال آدام) يثبت أنّه متأثر بعمل هذا الباحث* الذي اشتغل منذ نهاية الثّمانينات في التّعريف بعلم النّص؛ أو هذه الدّراسة التي ستهتم بالنّص كموضوع وحيد؛ لذلك سأعرج على رأيه في المسألة.

تساءل (آدام) في كتابه (اللّسانيات النّصيّة: من أنواع الخطاب إلى النّصوص–Linguistique textuelle: des genres de discours aux textes): « أليست اللّسانيات النّصيّة تداوليّة نصيّة؟»[2] وقد كانت إجابته بالإحالة على آرائه السّابقة وتطوراتها على ما هي عليه في هذا الكتاب أعلاه، والملاحظ أنّه أجرى تعديلا على آرائه بين أعماله الأولى في المسألة، في بداية التّسعينات، وآراءه في نهاية العشريّة ذاتها، وهو ما سأحاول عرضه في هذه النّقطة.

---

[1]- Charaudeau Patrick, Dominique Maingueneau, Dictionnaire d'analyse du discours, p 345.

*– يجب الإشارة إلى أنّ كاتب هذا التّعريف هو آدام نفسه المشارك في تأليف المعجم؛ لكن تنسيقه وإدارته –حسب ما يبدو في الغلاف– هو ل(شارودو) و(مانغونو) وهذا يعني أنّ المنسقان اقتنعا باقتراح آدام.

[2]- Jean-Michel Adam, Linguistique textuelle (des genres de discours aux textes), Paris: 2004, Nathan/Sejer, p 119.

أ- رأى (آدام) الأول: كان (آدام) يعتقد في رأيه الأول أنّ (اللّسانيات النّصيّة) ما هي إلا (تداوليّة نصيّة) والسّبب هو أنّ آليات الدّراسة النّصيّة ليست توسيعا لآليات دراسة الجملة بالمفهوم البنويّ؛ كأن تسقط قواعد الجمل على الفقرات أو كأن يقال: الفقرات هي مجموعة من الجمل حيث يبدو أنّ هناك انتقال من الأسفل إلى الأعلى على شكل سلميّ، بل إنّ الأمر نوع من القطيعة بين الدّراسة البنويّة في اتجاه دراسة من نوع آخر تهتم بالنّص وحده، فيقول:«... قدمت هنا، في اتجاه هذه القطيعة (مع البنويّة) ومن أجل تقديم هيكل نظريّ دقيق إلى هذا الحد للمفاهيم اللّسانيّة، بعض مبادئ التّداولية النّصيّة»[1] ويبدو لي أنّ هذا الموقف جاء في خضم الرّغبة في تجاوز البنويّة إلى آفاق أخرى، فوُضعت (لسانيات النّص) كبديل أو كنموذج أكثر ملاءمة للنّص؛ وفي الوقت نفسه كطريقة لتجاوز لسانيات الجملة.

ب- رأي (آدام) الثّانيّ: يرى هذا الباحث منذ نهاية التّسعينات أنّ (لسانيات النّص) ليست إلا فرعا من فروع (تحليل الخطاب) أو ما يسميه تحليل الممارسات الخطابيّة[2]، وجاء هذا التّغيير في الرّأي كنتيجة للتّطورات الحاصلة في مفهوم التّداوليّة نفسها؛ مما جعله يقول:« قد لا يبدو اليوم أنّ مصطلح "تداوليّة نصيّة" الذي استعملته أنا شخصيّا منذ 1988م و1989م بديهيا جدا»[3] أما هذه التّطورات التي تحدث عنها، فتكمن –أساسا– في التّوجه العِرفانيّ الذي أخذته الدّراسات التّداوليّة؛ وخاصة على يد (جاك موشلر–Jacques Moeschler) و(آن روبول– Anne Reboul) اللّذيْن أسسا ما يسمى ب(تداوليّة الخطاب) التي يعتقد (آدام) أنّها مرتبطة أيما ارتباط بالجوانب النّفسيّة أكثر من ارتباطها بعلم الاجتماع، وهو ما جعلها تبتعد عن اللّسانيات، وعلى ذلك، فعلم النّص ليس جزءا من هذه التّداوليّة.

---

[1]- Jean-Michel Adam, Elément de linguistique textuelle (théorie et pratique de l’analyse textuelle), coll. Philosophie et langage, Liège: 1990, Pierre Mardaga, p 253.
[2]- Jean-Michel Adam: « La ‘translinguistique des textes‘ à l’œuvre (l’exemple d’un récit de Jorge Louis Borges) » in des discours aux textes (modèles et analyses), sous dir. Philipe Lane, Coll: DYALANG dynamique langagières, 2005, Publication des universités de Rouen et du Havre, p 13.
[3]- Jean-Michel Adam, Linguistique textuelle…, p 120.

ويبدو لي، من خلال عرض آراء (آدام) أنّه ابتعد بالدّراسة النّصيّة عن التّداوليّة وأدرجها في تحليل الخطاب، وهو ما شجع –ربما– أصحاب (معجم تحليل الخطاب) على إبقاء تسمية (لسانيات النّص) في معجمهم، ذلك أنّ التّداوليّة أخذت توجها نفسيّا في نظر (آدام) وربما اقتنع أصحاب المعجم المذكور بالشّيء نفسه، لكن التّداوليّة أكبر بكثير من تداوليّة الخطاب (والتّوجه العرفانيّ–النفسيّ ممثلا –أساسا– في نظريّة الحصافة) التي لا تُعد إلا جزءا من التّداوليّة ككلّ، وبالتّالي فدراسة النّص مازال لها مكان داخل التّداوليّة –في رأيي–.

II- موضوع التّداوليّة النّصيّة: اختارت التّداوليّة النّصيّة –إن صحت هذه التّسمية– لنفسها موضوعا واحدا وحيدا هو النّص، لكن الإشكال قد وقع في تحديد معناه، وقد درجت التّقاليد النّصيّة على تقديم مجموعة من التّعاريف أورد منها تعريف (هــ.إيزنبرج–H.Isenberg) الذي يرى أنّ النّص « متتاليّة جمليّة مستعملة في الاتصال اللّغويّ»[1] أي إنّ هذا الباحث يركز على أنّ النّص مجموعة من الجمل التي تتجلى في عمليات الاتصال على شكل متتالي، وغني عن البيان أنّ الباحث يستبعد أن يكون النّص جملة واحدة.

ويعتقد (آدام)، في هذا الموضوع، أنّ « وصف النّص على أساس أنّه مقطع "واقعيّ" بالنّسبة للتّداوليّة النّصيّة، هو النّظر إليه من حيث ما يملكه من متكررات، ولكن –أيضا– من حيث هو متفرد –أساسا– وغير متكرر»[2] فالنّص عند (آدام) فيه ما يتكرر؛ وهو مهم في التّحليل النّصيّ، وكما يوجد فيه ما لا يتكرر؛ أي يظهر مرة واحدة؛ وهو –أيضا– جانب أساسيّ في التّداوليّة النّصيّة.

ويقدم محمد خطابي، في إطار تعريف النّص، رؤية مستلهمة من (هاليداي) و(حسن) حيث يرى أنّ «... النّص وحدة دلاليّة، وليست الجمل إلا الوسيلة التي يتحقق بها النّص...»[3] فيتكون النّص –حسب هذا المنظور– من محورين؛ الأول هو

---

[1]– نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسيّة في لسانيات النّص وتحليل الخطاب، ص 17.

[2]- Jean-Michel Adam, Elément de linguistique textuelle…, p 112.

[3]– محمد خطابي، لسانيات النّص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، ط 02. الرّباط: 2006م، المركز الثّقافيّ العربيّ، ص 13.

الجمل من حيث هي متواليات لغويّة ترتبط فيما بينها بوحدات لغويّة، والثّانيّ هو اعتبار النّص وحدة دلاليّة تترابط فيه الدّلالات، وبتضافر المحورين تنشأ النّصوص، وبغياب أحدهما تزول صفة النّصيّة -التي سأناقشها بعد حين-.

وتعلقت بتعريف النّص الكثير من الإشكاليات التي ناقشتها التّداوليّة النّصيّة منها: قضية تجنيس النّصوص أو تصنيفها التي تطرق إليها الكثير من المتخصصين في هذا الميدان مثل (تون أدريانوس فان ديك-Teun Adrianus van Dijk) و(ج.م.آدام) الذي خصص له كتابا، فقسم فيه النّصوص إلى أصناف هي[1]: المقطع السّرديّ، المقطع الوصفيّ، المقطع الحجاجيّ، المقطع التّفسيريّ، المقطع الحواريّ، كما وضع كُتبا في بعض هذه الأصناف من النّصوص في حد ذاتها كالمقطع الوصفيّ[2]، لكن يبقى أنّ أهم إشكالية علقت بأعمال تداوليّة النّص هي مسألة النّصيّة، فما هي المعايير التي تجعل المتكلم والمتلقي يقول أنّ متوالية ما من الجمل نصا؟

III- النّصيّة: يُعد نقاش النّصيّة لب التّداوليّة النّصيّة، وقد خاض فيه الكثير من الدّارسين، وسأكتفي -هاهنا- بتقديم نموذجين فقط.

أ- النّصيّة عند (هاليداي) و(حسن): يُعد (هاليداي) حلقة من حلقات الوصل بين البنويّة وتداوليّة النّص من حيث إنّه أخذ عن البنويّة الكثير من الآراء؛ لكنّه تجاوزها بتقديم آراء أكثر نصانيّة مما كان متوفرا في زمانه، وقد انطلق (هاليداي) في تحليله للنّص من رؤية شاملة تدرس اللّغة، وهي: الرؤية النّظاميّة؛ ففَهْم اللّغة ونظامها يجب أن يمر على فهم آليات عمل النّصوص، بل يرى أنّ النّص والسّياق شيء واحد أو هما وجهان لعملة واحدة[3]، وهنا تكمن أهمية مساهمة (هاليداي) حيث أدخل السّياق في تحليل النّصوص.

---

[1]- Jean-Michel Adam, Les textes types et prototype (récit, description, argumentation explication et dialogue), 04 ed. Paris: 2001, Nathan/HER, p 221.

[2]- يُنظر كتابه:(Jean-Michel Adam, La description, Que sais-je? 01 ed. Paris: 1993, Presse Universitaire de France.).

[3]- يوسف نور عوض، نظريّة النّقد الأدبيّ الحديث، القاهرة: 1994م، دار الأمين، ص 82. (كتاب إلكترونيّ).

وتنبه (هاليداي) و(حسن) إلى أنّ متواليّة من الجمل ليست نصا بالضّرورة؛ إن لم تتوفر لها بعض العوامل، وقد ضربا المثال التّالي لتبيان ذلك[1]:

- (Wash and core six cooking apples. Put them into a fireproof dish)؛
- اغسل وانزع نوى ست تفاحات. ضع**ها** في صحن يقاوم النّار.

يُلاحظ في هذا المثال –حسب (هاليداي) و(حسن)– أنّ الجملتين تشكلان نصا أو جزءا من نص ما لسبب واحد؛ وهو إحالة (ها) على التّفاحات السّت[2] مما جعل الجملتين مترابطتين، وربما لولا هذا الضّمير لما تسنى الإدراك أنّ الجملتين نص واحد.

ويرى (هاليداي) أنّ النّص ناتج وعمليّة، فمن حيث هو ناتج يتمظهر على شكل لغة تأتي نتيجة تفاعل بين أشخاص في المجتمع، أما من حيث هو عمليّة؛ فيعني بها كلّ العمليات الاستبداليّة –بالمفهوم السّوسوريّ– التي يقوم بها المتكلم عند كلّ لحظة من لحظات القرار التي يتخذها في أثناء توارد النّص، ويرى، رأسا على ذلك، أنّ النّص وحدة معنويّة، وهو لغة تخدم غرضا (وظيفة) في إطار سياق ما، وهذا السّياق يؤثر أيّما تأثير في معالم النّص؛ فيشكله على نمط ما.

ويتكون النّص حسب (هاليداي) من العناصر التّاليّة[3]:

*- **العنصر الفكرويّ:** يبدو النّص في هذا العنصر على أنّه غرض من الأغراض التي يُراد التّعبير عنها، أي إنّه خبر عن خبرة، ويستند ذلك على المنطق اللّغويّ للّغة.

*- **نوع الخطاب:** يتضمن هذا العنصر المستوى اللّغويّ الذي يستعمله النّص (طريقة بناءه، بلاغته، مكتوب أو منطوق، سرديّ أو جدليّ) ونوع الخطاب هو نوع النّص[4] المستخدم لإكمال عمليّة الاتصال.

---

[1]– محمد خطابي، لسانيات النّص...، ص 14.

[2]– ج.براون، ج. يول، تحليل الخطاب، ص 228.

[3]– يوسف نور عوض، نظريّة النّقد الأدبيّ الحديث، ص 86.

[4]– نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسيّة في لسانيات النّص وتحليل الخطاب، ص 18.

*- **لغة النّص:** يُنظر إلى النّص -حسب هذا البعد- من حيث هو أدلة لغويّة على المستوى البنويّ.

وقد أثّرت هذه الرّؤية على الكثير من تلامذة (هاليداي) لكن هناك من أضاف إليها، وتذكر الأدبيات (رقية حسن) باعتبارها قد تبنت العناصر الثّلاثة السّابقة كعناصر للنّص معتبرة إياها كمستوى بنويّ للنّص، وأضافت لها مفهوم (النّظم-Texture).

ويعني مفهوم (النّظم) حسب (حسن) «... ذلك المكوّن الذي يتحكم في علاقات المعاني داخل النّص ويكوّن وحدتها، ويمكن استقصاؤه من خلال بعض العوامل اللفظيّة-النّحويّة...»[1] ويشير هذا المفهوم إجرائيّا إلى مجمل مظاهر الإحالة اللاحقة والسّابقة، ومفاهيم السّياق النّصيّ وغير النّصيّ التي تساعد المتلقي على بناء مفهوم النّص ككل.

ب- النّصيّة عند (دوبوقراند): يعتقد (دوبوقراند) أنّ النّص موضوع قائم بذاته؛ لا يمكن أن تنطبق عليه قواعد نحو الجملة -كما تصورها اللّسانيون مثل (تشومسكي...)[2]- لأسباب كثيرة؛ أهمها أنّ تلك النّماذج لا تشرح كلّ أنواع الظّواهر النّصيّة من قبيل: النّصوص الشّاذة، الأسلوب الأفضل أو الأسوأ... وما دام الأمر كذلك؛ اقترح (دوبوقراند) سبعة (07) معايير أساسيّة تجعل النّص نصا[3] وهي:

*- **(الاتساق-Cohésion)**[*]: يرى (دوبوقراند) أنّ الاتساق هو تتابع الوحدات في النّص بشكل يبدو معه أنّ السّابق مرتبط باللاحق؛ وذلك في تسلسل متناغم مفهوم على مستوى البنيّة السّطحيّة؛ ويمكن استعادته، ويذهب (معجم المصطلحات المفاتيح) في الاتجاه نفسه عندما يقول «... بوجه

---

[1]- يوسف نور عوض، نظريّة النّقد الأدبيّ الحديث، ص 87.

[2]- روبرت دي بوجراند، النّص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، ط01. القاهرة: 1998م، عالم الكتب، ص 102.

[3]- روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 103.

[*]- هناك ترجمات عديدة في العربيّة لهذا المصطلح من مثل: الانسجام، السّبك، التّضام، التّماسك، التّرابط (يُنظر: غنية لوصيف، الاتساق والانسجام في قصيدة "مديح الظل العاليّ" لمحمود درويش (مقاربة لسانيّة نصيّة)، مذكرة ماجستير، قسم اللّغة العربية وآدابها، جامعة البويرة: 2008م-2009م).

عام، يُعتقد بأنّ الاتساق ينتج عن تسلسل الجمل وخطية النّص...»[1] فلا يحدث النّص إلا في الخط الزّمنيّ؛ لذلك لا بد من تتابع الوحدات؛ لكن لا بد –أيضا– من ترابط لتلك الوحدات؛ وإلا كانت أشياء مبثوثة دون رابط، ومن مهام الاتساق هو توفير هذا الرّبط بأدواته من مثل: التّكرار، الحذف، الإحالة المشتركة...

*- **(الانسجام–Cohérence)**[*]: يعرّفه (دوبوقراند) على أنّه تلك الإجراءات التي تؤدي إلى اكتشاف التّرابط المفهوميّ للنّص، وهي إجراءات عقليّة صنفها هذا الباحث إلى ثلاثة أنواع[2]:

- **العناصر المنطقيّة:** تتشكل من جملة العلاقات المنطقيّة بين أجزاء النّص كالسّببيّة والاندراج...
- **معلومات عن التّسلسل:** وينصب الاهتمام –هاهنا– على الوقائع والأحداث والموقف والموضوعات، وكيفيّة تنظيمها في النّص.
- **السّعي إلى التّماسك:** ينسحب على إيجاد منطق للنّص وفق التّجربة الإنسانيّة.

ويبدو، على هذه الشّروحات، أنّ الانسجام مرتبط كلّه بالمتلقي، وهو ما ذهب إليه صاحب (معجم المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب) في قوله « إنّ الانسجام ليس ثاويا في النّص، بل إنّ المتلفظ المشارك هو الذي يتولى بناءه...»[3] أي إنّ الانسجام عمل فكريّ يقوم به المستمع لإعادة بناء النّص ومعانيه.

*- **(القصديّة–Intentionality)**: يعتقد (دوبوقراند) أنّ القصد يتضمن موقفين لمنشئ النّص؛ وهما:

---

[1]– دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح في تحليل الخطاب، الانسجام والاتساق.

[*]– هناك ترجمات عديدة في العربيّة لهذا المصطلح من مثل: الاتساق، الحبك، التّناسق، التّماسك المعنويّ، الالتحام. (يُنظر: غنية لوصيف، الاتساق والانسجام في قصيدة "مديح الظل العاليّ" لمحمود درويش).

[2]– روبرت دي بوجراند، النّص والخطاب والإجراء، ص 103.

[3]– دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح في تحليل الخطاب، الانسجام والاتساق.

- إنّ تلك الصّورة من صور اللّغة التي استعملها قصد أن تكون نصا متوفرا على عاملي الاتساق والانسجام.
- إنّ ذلك النّص وسيلة في خطة لبلوغ هدف معيّن.

ويضيف (دوبوقراند) أنّ (القصد) فيه الكثير من التّسامح؛ فرغم عدم توفر الاتساق مثلا؛ فالقصد قائم دائما، وينطبق الموقف نفسه مع حال عدم توفر هدف معيّن للنّص؛ فالقصد باق أيضا -حسب (دوبوقراند)-.

*- (**المقبوليّة-Acceptability**): يقصد (دوبوقراند) بهذا المعيار مدى قبول المتلقي للنّص واستجابته له[1]، والمقبوليّة تعني أنّ النّص متسق ومنسجم حسب رأي المتلقي، لكن يتسم هذا المعيار مثله مثل المقصديّة بجانب من التّسامح -أيضا-.

*- (**المقاميّة-Situationality**): يعرّفها (دوبوقراند) على أنّها «... تتضمن العوامل التي تجعل النّص مرتبطا بموقف سائد يمكن استرجاعه...»[2] أي إنّ النّص يجب أنّ يتوفر على إشارات إلى سياق الموقف لكي يتسنى للمتلقي استيعابه على أساس أنّه نص، ويشير (دوبوقراند) إلى أنّ بيانات المقام تظهر كثيرا في المحادثات وجها لوجه، لكن يقل ظهورها في النّصوص، ومع ذلك تكون موجودة؛ ويمكن استنتاجها بالتّأمل؛ كما يحدث لأي قارئ للنّصوص التي تنتمي إلى عالم آخر؛ كملحمة (قلقامش) و(الأوديسة)...

*- (**التّناصيّة-Intertextuality**): يقصد بهذا المفهوم العلاقة الموجودة بين النّص الحاليّ والنّص السّابق، فالنّصوص لا تتحدد قيمتها إلا بالنّظر إلى غيرها من النّصوص التي يكون مبدع النّص قد قرأها، وحتى تأويلها من قِبل القارئ لن يكون خارج هذه القراءات السّابقة[3]، فكلّ نص فيه آثار نصوص أخرى تساهم في بنائه وإعادة بنائه من قِبل المتلقي.

---

[1]- يوسف نور عوض، نظريّة النّقد الأدبيّ الحديث، ص 102.
[2]- روبرت دي بوجراند، النّص والخطاب والإجراء، ص 104.
[3]- أحمد مداس، لسانيات النّص...، ص 73.

*- **(الإعلاميّة-Informativity):** يحمل كلّ نص عددا معيّنا من الأخبار والبدائل والاحتمالات؛ فلا بد أن يُشحن النّص «... بدلالات جديدة تلقى إلى المستقبل...»[1] لكن المؤكد أنّ النّص لكي يكون نصا يجب أن يتوفر على درجة -ولو صغرى- من الإعلاميّة؛ وإلا انتفت عليه صفة النّصيّة.

وأشار (دوبوقراند)، في آخر عرضه، إلى أنّ هذه المعايير ليست ابتكارا جديدا من وضعه؛ لأنّ أغلب تلك الأفكار كانت موجودة عند غيره، لكنّه أكد أنّها لم تُجمع من قبلُ على هذا النّحو إلا في أعماله مع (درسلر).

المبحث الثّانيّ: التّداوليات التي تتبناها الأطروحة (التّداوليّة المدمجة والتّداوليّة العرفانيّة): أشرتُ في بداية الفرع السّابق إلى أنّ هذا العمل سيكتفي، في طرحه العام، بتداوليتين فقط حيث سيفصّل الحديث فيهما تنظيرا وتطبيقا، وهو ما سأقوم به انطلاقا من هذا المبحث.

الفرع الأول: التّداوليّة المُدمجة: تُمثل التّداوليّة المدمجة نوعا من أنواع التّداوليات، وهي في الأصل تقليد فرنسيّ[2] يتزعمه (أوزفالد ديكرو- Oswald Ducrot)[*] الذي كان تابعا ل(إميل بنفنيست) في الكثير من التّوجهات، وقد فرضت التّداوليّة المدمجة نفسها على الدّرس التّداوليّ بنظرتها الفريدة للدّرس اللّغويّ والأدبيّ، فهي لا تعترف بالتّفرقة بين الدّراسة الدّلاليّة والتّداوليّة التي أقامها (موريس) وغيره ممن ذكرتهم سابقا؛ بل إنّها ترى أنّ هناك تضافرا لمجموعة من المعلومات المتعلقة بالمكوّن اللّغويّ والمكوّن البلاغيّ، ثم تُربط بالسّياق الخارجيّ

---

[1]- نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسيّة في لسانيات النّص وتحليل الخطاب، ص 30.

[2]- Nathalie Garric, Frédéric Calas, Introduction à la pragmatique, p 07.

[*]- (أوزفالد ديكرو) (1930م) لغويّ فرنسيّ، وهو مؤسس ما يسمى التّداوليّة المدمجة، اشتغل في بداياته العلميّة عن البنويّة، لكن سرعان ما تحوّل إلى طرح مسائل أخرى في الدّراسة اللّغويّة من أهمها: الضّمنيات من خلال كتابه (القول وعدم القول-Dire et ne pas dire)(1972م) والطّابع الحجاجي للّغة من خلال عمل مع زميله (جون كلود أنسكومبر-Jean Claude Anscombre) والموسوم:(الحجاج في اللغة- L'argumentation dans la langue) (1983م) كما كانت له أعمال أخرى عن المشهورات أو المقامات المشتركة (Topoi) والسّلالم الحجاجيّة... (لأكثر تفاصيل يُنظر: Julien Longhi, Georges Sarfati, Dictionnaire de pragmatique).

لكي يُستخرج معنى الملفوظ، وهذا المنظور بالذّات هو الذي قرّب التّداوليّة كثيرا من علم الدّلالة واللّسانيات حتى قال (بلانشي):« ساهم (ديكرو) في تطوير تداوليّة 'موسعة'، عادة ما توسم ب'التّداوليّة المدمجة' متصلا في ذلك بعلم الدّلالة اللّغويّ في ذهاب وإياب بينهما»[1] لذلك يبدو، مع نظرة (ديكرو)، أنّ العلوم اللّغويّة المذكورة كلّها متلاصقة بعضها ببعض.

1: الخلفيات المعرفيّة للتّداوليّة المدمجة: تشير الأدبيات إلى أنّ التّداوليّة المدمجة استلهمت العديد من مبادئها من دراسات سادت في زمن ظهورها وقبلها بقليل، ومن هذه الأعمال تُذكر نظريّة التّلفظ ل(إميل بنفنيست) والحواريّة ل(مخائيل باختين) فما مفاد هذه النّظريات؟

I- نظريّة التّلفظ: ولدت التّداوليّة المدمجة في رحم اللّسانيات الفرنسيّة، وقد كان لها علاقة مباشرة بإشكاليات الدّلالة التي تهتم بها علوم اللّسان وعلم الدّلالة والبلاغة بشكل عام، لكن «... في السّياق الفرنسيّ، تُمدد (التّداوليّة المدمجة) علم الدّلالة التّلفظيّ لإميل بنفنيست...»[2] وغني عن البيان أنّ (بنفنيست) هو واضع ما يسمى بنظريّة التّلفظ التي تأسست في رحابها التّداوليّة المدمجة، لكن ما هي أهم الأفكار والمفاهيم التي طرحتها هذه النّظريّة؟

بدأ (بنفنيست) تأسيس أركان نظريّة التّلفظ في الخمسينيات من القرن الماضي حيث نشر سنة (1946م) مقالا عن الضّمائر، وتبعه بآخر سنة (1956م) في الموضوع نفسه، ثم توالت أعماله أهمها: مقال له ضمن عدد خاص لمجلة (اللّسان– Langage) يُعد بمثابة عقد ميلاد نظريّة التّلفظ، وقد عنون ذلك المقال:(الجّهاز الصّوريّ للتّلفظ)[3] ويبدو أنّ (بنفنيست) قد تأثر، أثناء وضعه لهذه النّظريّة، بعدة روافد علميّة؛ منها اللّسانيات البنويّة السوسيريّة التي حاول إعادة قراءتها، والفلسفة التّحليليّة واللّسانيات التّاريخيّة.

---

[1]- Philippe Blanchet, La pragmatique d'Austin à Goffman, p 105.

[2]- Georges-Elia Sarfati, Précis de pragmatique, p 56.

[3]– ذهبية حمو الحاج، استراتجيّة التّواصل: التّصريح والتّلميح في الخطاب السّياسيّ، ص 112.

أ- **التّلفظ والملفوظ:** يرى (بنفنيست) أنّ التّلفظ عبارة عن:« إجراء اللّغة (Langue) عن طريق فعل فرديّ لاستعمالها»[1] وهذا يعني بمفهومه أنّ هناك (فعل) من المتكلم حيث يستثمر اللّغة بشكل شخصيّ/فرديّ، ويستعملها كما يشاء؛ بأن يحيل بها إلى ما يطيب له التّعبير عنه، وأن يُعبر بها عن أغراضه في سياق محدد.

ويشير (بنفنيست) إلى أنّ فعل التّلفظ ينتج عنه ملفوظ؛ والملفوظ هو وحدة جديدة لا تعادل الجملة؛ لأنّ الجملة وحدة تابعة للسانيات اللّغة التي تعزل وحداتها عن السّياق، أما الملفوظ؛ فهو نتاج التّلفظ أو ممارسة لغويّة اجتماعيّة للّغة من قِبل متكلم ما[2]، ومع هذه التّفرقة يقول: إنّ موضوع الدّراسة ليس الملفوظ؛ بل هو فعل التّلفظ ف«... يجب الاحتراز من الشّرط الخاص للتّلفظ: موضوعنا هو فعل الإنتاج نفسه وليس النّص الملفوظ»[3] ويرى (بنفنيست) أنّ هذا الموضوع يمكن دراسته من عدة أوجه؛ سواء من حيث هو آداءات صوتيّة أو من حيث الآليات التي تتدخل في هذا الفعل أو من حيث جانبها الصّوريّ[4]، وقد آثر في مقاله (الجهاز الصّوريّ للتّلفظ) الوجه الأخير، وحدد هذا الجهاز في ثلاثة (03) مكوّنات أساسيّة؛ هي[5]:

*- **المتكلم:** هو المتكلم الذي يحتكر اللّغة المشاعة؛ ويضعها في استعمال فرديّ يضفي عليه لمسته الخاصة.

*- **المخاطب:** يرى (بنفنيست) أنّه بمجرد إعلان المتكلم عن نفسه باعتباره متكلما يضع الآخر كمقابل لنفسه؛ فكلّ خطاب يتوجه للآخر.

*- **المرجعيّة:** تكون اللّغة مستعملة في التّلفظ للتّعبير عن علاقة بالعالم أو الموجودات، فالمتكلم يحيل إلى العالم، كما أنّ المتلقي يعود إلى العالم كمتلفظ مشارك.

---

[1]- Emile Benveniste, Problème de linguistique générale, Tunis: 1995, Cérès ed. T.02, p 77.
[2]- Nathalie Garric, Frédéric Calas, Introduction à la pragmatique, p 14.
[3]- Emile Benveniste, Problème de linguistique générale, T.02, p 77.
[4]- Violaine de Nuchese et Jean Marc colleta(eds), Guide terminologique pour l’analyse du discours…, p 64.
[5]- Emile Benveniste, Problème de linguistique générale, T02, p 78.

ب- الذّاتيّة في اللّغة: يُعتبر مفهوم (الذّاتيّة) من المفاهيم المحوريّة في نظريّة التّلفظ حيث اقتفى (بنفنيست) أثر التّلفظ في اللّغة؛ فلاحظ أنّ الذّاتيّة هي المكانة اللّسانيّة لل(شّخص) المتكلم؛ فالوعي بالأنا لا يكون إلا في التّضاد:(أنا) مقابل (أنت) ثم يتحول (أنا) إلى (أنت) في عمليّة تبادل للأدوار في الحوار.

ويرى (بنفنيست) أنّ اللّسان ليس هو ممكن إلا لأنّ كلّ متكلم يمكنه أن يعلن نفسه كمتكلم وإحالة (أنا) إلى نفسه، كما أكد على أنّ (الأنا) التي يتحدث عنها ليست (الأنا) المعجميّة حيث يقول:« إنّ الضّمير (أنا) في إطار جرد الأشكال اللّغويّة، ليس إلا معطى معجميّ مثله مثل المعطيات الأخرى، لكن في أثناء وضعه في العمل الخطابيّ فإنّه يقحم حضور شخص لا وجود للغة ممكنة دونه...»[1] ونظريّة التّلفظ تهتم ب(الأنا) في الخطاب، فبمجرد تقمص الشّخص المتكلم لدور المتلفظ واستعمال اللّغة في فعل فرديّ، تظهر (الأنا) في الخطاب ممثلة في الضّمير (أنا) كممثل للمتكلم في الجهاز الصّوريّ للخطاب، ويقابله (أنت) كممثل للمتلقي في الجهاز نفسه، وهذان الضّميران لا يمكن فهمهما إلا في إطار عمليّة التّلفظ، فيتميّزان بعدم إحالتهما لا إلى مفهوم ولا إلى شخص، فلا توجد (أنا) واحدة كمفهوم يحيل إلى كلّ الأشخاص الذين يتلفظون بها، وفي كلّ الحالات.

يشير (بنفنيست) إلى وحدات لغويّة أخرى، إضافة إلى الضّمائر المذكورة، لا يمكن فهمها إلا بالعودة إلى فعل التّلفظ مثل: أدوات الإشارة والزّمان والمكان « فيقترح اللّسان –بمعنى من المعاني– أشكالا 'فارغة' يتملكها كلّ متكلم ممارس للخطاب ويوجهها إلى 'شخصه'»[2] وتسمى هذه الأشكال الفارغة –عادة– المبهمات، وتنتظم هذه الوحدات المبهمة حول المفهوم المركزيّ لمتلفظ للخطاب ألا وهو الذّات[3] (Ego).

1– إميل بنفنيست:« اللّغة والتّجربة الإنسانيّة» تر: ذهبية حمو الحاج، في مجلة الممارسات اللّغويّة، مخبر الممارسات اللّغويّة في الجزائر، الجزائر: ع: 14، 2012م، ص 156.

2- Emile Benveniste, Problème de linguistique générale, T.01, p 262.

3– إميل بنفنيست:« اللّغة والتّجربة الإنسانيّة» ص 157.

II- (باختين) والحواريّة: يمكن التّعرف على سبب تأثر التّداوليّة المدمجة بنظريّة التّلفظ؛ وجعلها رافدا مهما للعمل بشكل واضح وبيّن؛ وهو العلاقات الموجودة في باطن المدرسة الفرنسيّة التي ينتمي إليها (بنفنيست) و(ديكرو)؛ لكن هناك رافد آخر للتّداولية المدمجة يصعب رده إلى سبب ما؛ لأنّه من أصول جغرافيّة بعيدة، وهي للباحث الرّوسيّ (مخائيل باختين) الذي كانت له بصمة مهمة في بناء الفكر اللّغويّ والأدبيّ الأوربيّ بنظريته المسماة: الحواريّة، وهو رافد من روافد التّداوليّة المدمجة في شقها المتعلق بنظريّة تعدد الأصوات، فما مفاد هذه النّظريّة التي وصلت آثارها إلى فرنسا؟

يرى (باختين) أنّ اللّسان، في استعماله العام، ذو طابع حواريّ، فالتّلفظ مهما كان نوعه لا يُمثل –في الحقيقة– إلا قطعة من السّيل اللامتناهيّ لعمليّة التّواصل[1] التي تتطرق إلى شتى المواضيع السّياسيّة والعلميّة والثّقافيّة... وبالتّالي لا يمكن أن يكون الخطاب مهما كان قائله إلا حواريّا، فرغم أنّ (الدّرس في الجامعة) أو (الخطاب السّياسيّ) لهما شكل المونولوج؛ لكنّهما في الجوهر ليسا إلا نوعين من أنواع الخطاب الحواريّ؛ لأنّ ما يقوله الخطيب والمدرّس في علاقة دائمة مع كلام كان قد قيل سابقا؛ سواء كان عبارة مأثورة أو قصيدة أو حكمة...

وقد طبّق (باختين) هذا المفهوم على النّصوص أو متواليات من الملفوظات[2]؛ وتعمق في تطبيقه على الخطاب الأدبيّ وخاصة منه الرّوايّة[3]، فكانت أعماله منصبة على روايات (فييودور مخائلوفيتش دستيوفسكي– Fiodor Mikhaïlovitch Dostoïevski) و(فرنسوا رابلي–François Rabelais)... وقد لاحظ أنّ الرّوايّة تستعمل شتى الخطابات في ثناياها؛ منها ما قيل في الصّحافة، وما قيل في الإدارة... كما لاحظ أنّ الرّوايّة تستعمل أساليب حواريّة معروفة عند الإغريق واليونان، فأكد«... على أهمية الأدب الشّعبيّ الكرنفاليّ في تأصيل الرّوايّة الأوربيّة مما سمح له بفهم الرّوايّة بوصفها جنسا هجينا وليس نقيّا

[1]- Charaudeau Patrick, Dominique Maingueneau, Dictionnaire d'analyse du discours, p 175.
[2]- Oswald Ducrot, Le dire et le dit, Paris: 1984, Minuit éd, p 171.
[3]- Nathalie Garric, Frédéric Calas, Introduction à la pragmatique, p 107.

صافيّا؛ وبالتّالي نقض الرّأي الذي يلح على انحدار الرّوايّة من جنس نقي واحد هو الملحمة...»[1] فيرى (باختين) أنّ الرّواية ذات أصول شعبيّة؛ عكس ما كان يراه (جيورجي لوكاش–György Lukács) من أنّها ذات جذور بورجوازيّة، ومرد ذلك –حسب (باختين)– هو استثمار الرّوائيين للحواريّة، فيأخذون في رواياتهم من شتى أنواع الكلام؛ ويستثمرونه في نصوصهم الرّوائيّة؛ لينتجوا لغة متشابكة العلاقات مع ما قيل سابقا في فضاءات كثيرة.

ويمكن تقسيم العلاقات الحواريّة في الخطاب إلى نوعين من العلاقات[2] وهما:

*– **حواريّة بين الخطابات:** تربط هذه العلاقة بين كلّ ملفوظ حاليّ وملفوظ سابق، فكلّ نص أو خطاب مرتبط بنصوص وخطابات سابقة؛ يأخذ منها أشياء؛ ويعيد صياغتها أو يبقيها كما هي؛ فالمحافظة على أجزاء معيّنة من الخطاب السّابق مثلا؛ تُبقي الخطاب الحاليّ ضمن الهويّة المُراد إعطاؤها له، فالرّوايّة لا تكون روايّة إلا إذا احتفظت بأساليب الرّوايّة المعتادة، وهذا وجه من أوجه الحواريّة مع النّص السّابق، وكلّ خطاب يحتوي على ما قيل سلفا؛ لذلك يقال:(لولا الكلام يعاد لنفذ).

*– **حواريّة بين–متخاطبين:** وهي العلاقات التي يقيمها الملفوظ مع الملفوظات المتعلقة بالفهم المتوقع، والإجابات الممكنة للمرسل إليه الواقعيّ أو الافتراضيّ، وغني عن البيان أنّ الفهم المتبادل مهم جدا في أي خطاب، ومن هنا، ينتبه المتخاطبون أثناء صياغة ملفوظاتهم إلى حضور المتلقي؛ ويكيّفونها على قدر الحوار الجاري بينهما.

وأُنهي عرضي للحواريّة بالتّأكيد على أنّها ذات أثر واضح على الدّراسات اللّغويّة والأدبيّة الأوربيّة، وقد دُرس هذا المفهوم في مباحث أدبيّة مسماة ب(التّناص) وأنواعه ك(المتناص) و(النّص الجامع)... كما كان له أثر في الدّراسات

---

[1]– سامية عليوات، تعدد الأصوات في الرّواية الهامشيّة (تحليل روايّة التّبر لإبراهيم الكوني) مذكرة ماجستير، جامعة البويرة/الجزائر: قسم اللّغة العربيّة وآدابها، 2008م–2009م، ص 22.

[2]- Charaudeau Patrick, Dominique Maingueneau, Dictionnaire d'analyse du discours, p 176.

اللّغويّة؛ وهو ما صاغه (ديكرو) في مفهوم تعدد الأصوات، فكانت الحواريّة محور تحويرات في المعنى حسب التّوجهات والتّخصصات الأدبيّة منها واللّغويّة.

2: التّداوليّة المدمجة (نظريتا تعدد الأصوات والسّلالم الحجاجيّة أنموذجا):

سأخصص هذه النّقطة للحديث عن أمهات أفكار التّداوليّة المدمجة ممثلة في نظريتي تعدد الأصوات والسّلالم الحجاجيّة.

I- من الحواريّة (باختين) إلى تعدد الأصوات (ديكرو): طوّر (ديكرو) –في إطار التّداوليّة المدمجة– أعمالا حول ما يسميه ب(تعدد الأصوات) وهو مصطلح ومفهوم سبق أن ورد عند (باختين)[1] الذي شرحتُ أفكاره سابقا، وقد أكد (ديكرو) أنّ هذه الأعمال ما هي إلا توسيع لتطبيق نظريّة (الحواريّة) –التي وضعها (باختين)– إلى ميدان اللّسانيات والملفوظ؛ بعدما وضعها صاحبها ومؤسسها في مواجهة النّص الأدبيّ والروائيّ؛ وخاصة الرّوسيّ منه[2]، كما أدرج (ديكرو) نظريته في إطار دحض كلّ حجج القائلين بوحدة (الشّخص المتحدث–Sujet parlant) في الخطاب بشكل عام، ويعني بهم أتباع اللّسانيات البنويّة، ونظريّة التّلفظ المبنيّة على الذّاتيّة في اللّغة؛ والتي تعتقد –أيضا– بوحدويّة الشّخص المتحدث.

أ– مبادئ عامة: ترتكز نظريّة تعدد الأصوات عند (ديكرو) على مجموعة من المفاهيم الأساسيّة –وإن كان بعضها قد مر بشكل من الأشكال؛ لكن لا بد من ذكره لكي يكتمل النّسق النّظريّ للنّظريّة– وهي كالتّالي:

***– التّلفظ والفعل الإنشائيّ:** يرى (ديكرو) أنّه يمكن تبيُّن معلمين أساسين في فضاء الخطاب؛ وهما: التّلفظ والأفعال الإنشائيّة، ويشكل هذان المعلمان ركيزتان لمجموعة من التّعالقات المفهوميّة الأخرى.

****– التّلفظ والملفوظ والجملة:** يذهب (ديكرو) إلى أنّ التّلفظ هو الحدث التّاريخيّ الذي يتأسس بموجبه الملفوظ؛ لكن يؤكد على أنّه يستبعد في تعريفه للتّلفظ أن يسنده

---

[1]- Jean-Pierre Esquenazi:« Bakhtine et les concepts essentiels d'une sociologie du langage » in la revue européen des pratiques médiatiques et culturelles, Paris: 2006, L'Harmattan, N° spéciale media et culture, p 80.

[2]- Jacques Moeschler, Anne Reboul, Dictionnaire encyclopédique de pragmatique, p 324.

لمتكلم واحد، عكس (بفنيست) الذي قال بذلك، كما أنّه مع تعميق المفهوم؛ وخاصة من جانب نتيجة التّلفظ؛ وهي الملفوظ.

ويمكن القول إنّ (ديكرو) احتفظ بمفهوم الملفوظ كما أسس له (بنفنيست) أي كنتيجة لعمليّة التّلفظ؛ والذي يختلف –أساسا– عن الجملة من حيث هو مرتبط بالسّياق والظّروف... أما الجملة، فقد عدّها (ديكرو) من الوحدات الموجودة في المطلق والتي لا تحتاج إلى سياق، وهي كيان نظريّ من اختراع النّحو، ومن هنا، فالملفوظ لا يعادل جملة واحدة؛ بل قد يكون أطول من ذلك كالرّوايّة والمسرحيّة... فهي كلّها ملفوظات[1]، كما أنّ الملفوظ استعمال خاص لجملة، ويشير (ديكرو) إلى أنّ الملفوظ نتيجة اختيار نسبيّ للمتكلم؛ وهذا الاختيار يجب أن يتوفر على شرطين[2] لنجاحه؛ وهما: الانسجام؛ حيث يرتبط اختيار كلّ جزء من أجزاء الملفوظ بالملفوظ ككلّ، أما الشّرط الثّانيّ فهو الاستقلاليّة؛ أي إنّ الملفوظ ليس مرتبطا بكيان أوسع منه؛ ومثال ذلك أنّ كلّ مشهد من مشاهد مسرحيّة مرتبط بالمسرحيّة ككلّ؛ وهو الانسجام، لكن نص المسرحيّة ككلّ له نوع من الاستقلاليّة[3] أي إنّه يمثل وحدة مكتفيّة بذاتها.

***– **الكيانات المتدخلة في الخطاب:** ساد لفترة من الزّمن، مع البنويّة ونظريّة التّلفظ، اعتقاد أنّ الذي يتحدث في الخطاب هو شخص واحد، يُرمز له ب(أنا) كمعطى معجميّ عند البنويين، أو (أنا) كتملُك واستعمال فرديّ للّغة في نظريّة التّلفظ، لكن يرى (ديكرو) غير ذلك تماما؛ حيث يقول:« بعد وضع الإطار العام (يقصد هنا التّمييز بين الملفوظ والتّلفظ والجملة) الذي حددتُ للتّو خصائصه الأساسيّة، يمكنني الذّهاب إلى الموضوع الفعليّ لهذا الفصل؛ وهو، للتّذكير، نقد وتعويض نظريّة وحدويّة الشّخص في التّلفظ»[4] وهو العمل الذي قام به من خلال

---

[1]- Martine Bracops, Introduction à la pragmatique (les théories fondatrice: actes du langage, pragmatique cognitive, pragmatique intégrée), coll. Champs linguistique, Bruxelles: 2006, Deboek et Larcier s.a, p 175.

[2]- Oswald Ducrot, Le dire et le dit, p 175.

[3]- Jacques Moeschler, Anne Reboul, Dictionnaire encyclopédique de pragmatique, p 326.

[4]- Oswald Ducrot, Le dire et le dit, p 189.

نظريته في تعدد الأصوات التي يعتقد، في إطارها، أنّ اللّغة أو التّلفظ والملفوظ معا لا يتحمل مسؤوليتهما المتحدث فقط على صيغة:

- ملفوظ = (يساوي) شخص؛

بل هناك كيانات كثيرة موجودة في الخطاب كشيء مشابه لتمثيليّة حيث يوجد عدة ممثلين، ففي الخطاب يُسمع/يقرأ عدد من الأصوات؛ ويتحمل كلّ صوت مسؤوليّة موقف ما –من بين المواقف المُعبر عنها–، فيحيل مفهوم تعدد الأصوات إلى وجود عدد كبير من الكيانات المتحدثة في ملفوظ واحد، وهذه الكيانات التي تتحمل مسؤوليّة التّلفظ منها الواقعيّ ومنها النّظريّ؛ وهي على الشّكل التّالي:

– **الكيانات الواقعيّة:** يمثل هذا النّوع كيان واحد هو الشّخص المتحدث، وهو الشّخص الواقعيّ الفيزيائيّ الذي يتحمل الخطاب؛ والمعادل للشّخص المتحدث عند البنويين –كما قلت–، كما يعادل شخصيّة كاتب الرّوايّة في مقابل السّارد[1] الذي يُعد المتكلم عند (ديكرو).

– **الكيانات النّظريّة:** وهي كيانات موجودة في الخطاب فقط، ولا يعني البتة أنّها موجودة في الواقع؛ عددها كبير، وهي:

- **المتكلم:** هو السّارد –كما أسلفتُ– في الرّوايّة، ويمكن تعريفه بالمسؤول عن التّلفظ، ويقابله المتكلم إليه الذي يتوجه إليه التّلفظ، وينقسم المتكلم باعتباره خيالا خطابيّا إلى نوعين من المتكلمين –حسب (ديكرو)– هما[2]:
  - **المتكلم في حد ذاته:** يُعد مسؤولا عن التّلفظ ومنخرطا فيه؛ فهو الذّات دون أن يعلن عنها الشّخص في تلفظه.
  - **المتكلم ككائن في العالم:** هو شخص متكامل يمكن أن تُنسب له خصائص الشّخص المتكلم؛ وهو ما ينسبه الشّخص لنفسه في خطابه؛ لكن يبقى –دائما– كائنا نظريّا، وليس واقعيّا.
- **المتكلم إليه:** هو الهيئة التي يوّجه لها التّلفظ، وهو كائن نظريّ.

[1]- Martine Bracops, Introduction à la pragmatique…, p 176.

[2]- Oswald Ducrot, Le dire et le dit, p 199.

- **المتلفظ:** هو الكيان الذي يُعبّر الملفوظ عن صوته أو هو المسؤول عن الفعل الإنشائيّ الوحيد الذي يُعبّر عنه الملفوظ.
- **المرسل إليه:** هو الكيان الذي يستهدفه الفعل الإنشائيّ أو الصّوت الذي يُعبّر عنه الملفوظ، وهو كيان نظريّ أيضا.

ويُلاحظ –هاهنا– أنّ المتكلم يمكن أن يكون الصّوت الذي يُعبّر عنه التّلفظ، إن رغب في ذلك، كما يمكنه أن يتفادى ذلك، فيترك المتلفظ يتحمل مسؤوليته لوحده[1] والملاحظة نفسها تنسحب على المتكلم إليه والمرسل إليه، كما أنّه يمكن القول إنّ المتكلم هو واضع تمثيليّة المتلفظين؛ تماما مثل ما يحدث في المسرح[2] حيث يكون السّارد الموزع الأساسيّ للأدوار في كلّ المسرحيّة.

ب- نظريّة تعدد الأصوات وتطبيقاتها اللّغويّة: قدم (ديكرو) بعد تحديد المبادئ العامة، أنموذجا تطبيقيّا لنظرته على بعض الظّواهر اللّغويّة مثل: النّفي والسّخريّة والخطاب المروي...

*- **السّخريّة:** تُعد السّخريّة من أهم الظّواهر الخطابيّة التي اهتم بها (ديكرو) في إطار نظريّة تعدد الأصوات، واعتبرها في كلّ أشكالها ظاهرة متعددة الأصوات، ولكن يبدو أنّ طرحه مستلهم[3] من (دان سبربر–Dan Sperber)[*]

---

[1]- Martine Bracops, Introduction à la pragmatique…, p 178.

[2]- Jacques Moeschler, Anne Reboul, Dictionnaire encyclopédique de pragmatique, p 91 .

[3]- Oswald Ducrot, Le dire et le dit, p 210.

[*]– هو (دان سبربر) (1942م) لغويّ وأنثروبولوجي فرنسيّ، اشتهر في بداياته بنقد البنويّة في الأنثروبولوجيا ثم تأسيسه لنظريّة جديدة في هذا الميدان والمسماة:(وبائية التّمثلات) التي تتحدث عن كيفية انتشار التّمثلات في الجماعات الثّقافيّة، ودور الجوانب العرفانيّة في ذلك، وكان ذلك من خلال مؤلفات عديدة أشهرها:(الرّمزيّة بشكل عام– Le Symbolisme en général) (1974م) ثم كانت له مساهمة أخرى في تأسيس نظريّة الحصافة في ميدان التّداوليّة، وذلك مع اللّغويّة البريطانيّة (ديردر ولسن) وهذه النّظريّة ذات توجه عرفانيّ أيضا –سأعود إلى تعريفها في هذا العمل– وذلك من خلال كتابهما (الحصافة–(تواصل وعرفانيّة)– La pertinence (communication et cognition)) وقد اشتغل (سبربر) في أكبر الجامعات العالميّة مثل (كامبرج– Cambridge) و(جامعة ميشقان– L'Université du Michigan) وقد فاز سنة 2009 بجائزة (كلود لفي ستروس– Claude Lévi-Strauss) في العلوم الاجتماعيّة (لأكثر تفاصيل يُنظر: http://fr.wikipedia.org/wiki/Dan_Sperber).

و(ديردر ولسن–Deirdre Wilson)* اللذيْن يريان أنّ السّخريّة ظاهرة من ظواهر الصّدى[1]؛ أي إجابة عن ملفوظ سابق أو تعليق على مدى جديته.

ويرى (ديكرو) في تفسيره للسّخريّة، في إطار تعدد الأصوات، أنّ هناك متكلم يفترض متلفظا؛ وهذا المتلفظ هو الذي يتحمل مسؤولية الملفوظ؛ أو هو صاحب الصّوت المُعبر عنه في الملفوظ، والمتكلم لا يتحمل شيئا منه؛ بل يعتبره عبثيّ[2] فالمتكلم متباعد عن المتلفظ، أما عن دلائل هذا التّباعد، فتظهر من خلال السّياق، وقد ضرب (ديكرو) مثالا عن الملفوظات التي تتضمن السّخريّة بقول أحدهم لقابضة الثّمن في أحد المراكز التّجاريّة[3]:

- أشكركم على الحفاوة؛

علما أنّ القابضة التي وُجه لها هذا الكلام لم تكن حسنة الاستقبال، مما يعني أنّ القائل افترض متلفظا قال هذا الملفوظ في وضعية غير طبيعيّة، وهذا ما يحيل مباشرة إلى مفهوم السّخريّة.

– **النّفي: يُميز (ديكرو) أثناء دراسته للنّفي في إطار نظريّة تعدد الأصوات بين ثلاثة أنواع من النّفي؛ وهي: النّفي الميتالغوي (الواصف) والنّفي الجدليّ والنّفي الوصفيّ.

* – لغويّة إنجليزيّة مهتمة بقضايا التّداوليّة، اشتغلت في مسيرتها كطالبة مع (بول قرايس) في جامعة (أوكسفورد–Oxford) ومع تشومسكي في مستوى أعلى من دراساتها، وهي تشتغل الآن كأستاذة مبرزة في جامعة (مدرسة لندن– College London) ومن أشهر كتبها (الحصافة–(تواصل وعرفانيّة)– La pertinence (communication et cognition)) الذي ألفته مع (سبربر) –كما قلت–، ولها أعمال أخرى متعددة؛ فنُشر لها قبل هذا الكتاب (الافتراضات المسبقة وعلم الدّلالة غير ما صدقية–-Presuppositions and Non-Truth Conditional Semantics) (1975م) كما نُشرت لها أعمال أخرى في ما بعد. (لأكثر تفاصيل يُنظر: http://en.wikipedia.org/wiki/Deirdre_Wilson).

[1]- Dan Sperber, Deirdre Wilson, La pertinence (communication et cognition), p 357.
[2]- Oswald Ducrot, Le dire et le dit, p 211.
[3]- Martine Bracops, Introduction à la pragmatique…, p 185.

– **النّفي الواصف:** هو النّفي الذي يعارض ملفوظا غير منفي تم التّلفظ به فعلا في وقت سابق، ومن خصائصه أنّه يلغي صراحة الافتراض المسبق* الذي يتضمنه الملفوظ غير المنفي الموافق له، ومثال ذلك[1]:

- لم يتوقف بيار أبدا عن التّدخين، وفي الحقيقة، لم يدخن أبدا في حياته.

الجملة غير المنفية –هنا– هي (بيار يدخن) والملفوظ المنفي، في هذه الحالة، ليس له وجود إلا لأنّ الملفوظ غير المنفي قد قيل فعلا –تم التّلفظ به–؛ فالملفوظ المنفي لم يكتف بنفي (توقف بيار عن التّدخين) بل نفى –أيضا– حتى افتراضه المسبق؛ وهو (بيار كان يدخن) وذلك بالجزء الثّانيّ من الملفوظ (لم يدخن أبدا في حياته).

ويتميّز النّفي الواصف، من جهة أخرى، بإعطائه التّوجيه التّصاعديّ للملفوظ المنفي، وهو ما يتجلى في المثال التّالي:

- بيار ليس ذكيا بل عبقريّ.

وغني عن البيان أنّ (عبقري) أكبر من (ذكي).

– **النّفي الجدليّ:** يعتقد (ديكرو) أنّ أغلب الملفوظات المنفيّة في اللّغة تنتمي إلى هذا النّوع؛ وهو النّفي الذي يعارض ملفوظا غير منفي؛ لكن، خلافا للواصف، لم يتم التّلفظ به فعلا –في وقت سابق–، ومن نتائج هذا الاختلاف أنّ من خصائص النّفي الجدليّ أنّه لا يُلغى الافتراض المسبق الذي يتضمنه الملفوظ غير المنفي الموافق له، ومثال ذلك[2]:

- لم يتمكن مارتن من إقناعي.

الملفوظ غير المنفي الموافق لهذا النّفي هو (تمكن مارتن من إقناعي) وهذا الملفوظ يفترض مسبقا أنّ (مارتن حاول إقناعي) أو شيئا مشابها، وبالنظر إلى

*– يجب الإشارة –هاهنا– إلى أنّ (ديكرو) يُميّز في الكلام الضّمنيّ بين (الافتراض المسبق– Présupposé) وهو كلام غير صريح؛ يُعتمد في تأويله على عناصر لغويّة موجودة في الملفوظ، و(القول المضمر– Sous entendu) وهو أيضا كلام غير صريح لكن تأويله يعتمد على السّياق فقط حيث لا يوجد له أثر في الملفوظ.

[1]- Oswald Ducrot, Le dire et le dit, p 217.

[2]- Martine Bracops, Introduction à la pragmatique…, p 183.

النّفي الجدليّ المقدم في المثال، يُفهم أنّ محاولة الإقناع التي قام بها (مارتن) غير منفيّة؛ أي إنّ الافتراض المسبق في حالة النّفي الجدليّ باق.

ولا يوجه النّفي الجدليّ، إضافة إلى ما سبق، الملفوظ توجيها تصاعديّا؛ بل يوجهه توجيها تنازليّا، والمثال التّالي يبيّن ذلك[1]:

- بيار ليس ذكيا؛

وهذا يعني أنّ (بيار) أقل من ذكي نحو متوسط وغبي... وهذا ما يختلف من حيث الوصف مع النّفي الواصف الذي ذكرته سابقا.

ويُلاحظ في كلتا الحالتين؛ أي النّفي الواصف أو النّفي الجدليّ، أنّه يمكن أن يوصف النّفيان وفق آليات نظريّة تعدد الأصوات؛ وسيكون ذلك كالتّالي[2]:

- هناك متكلم واحد في كلتا الحالتين وَضع متلفظين اثنين في مسرح الأحداث.
- المتلفظ الأول هو م1 الذي يتحمل مسؤوليّة التّلفظ بالملفوظ المنفي:(لم يتوقف بيار أبدا عن التّدخين) (بيار ليس ذكيا بل عبقري) (لم يتمكن مارتن من إقناعي) (بيار ليس ذكيا) والمتكلم ينخرط في هذا الموقف؛ فيتماهى مع المتلفظ م1.
- المتلفظ الثّانيّ م2؛ وهو الذي يتحمل مسؤوليّة التّلفظ بالملفوظ غير المنفي الموافق؛ وهو (توقف بيار عن التّدخين) (بيار ذكي) (تمكن مارتن من إقناعي) (بيار ذكي) وهذا المتلفظ يبتعد عنه المتكلم؛ ولا ينخرط في ملفوظه.

***- **الخطاب المرويّ:** يُعد الخطاب المرويّ من أنواع الملفوظات التي شغلت الدّراسات اللّغويّة منذ القديم؛ وذلك لحضور أصوات كائنات نظريّة وأخرى واقعيّة في الملفوظ، وطالما قُدمت تفسيرات كثيرة له ولأنواعه... وقد اعتمد (ديكرو) على الجهاز المفاهيميّ الذي وضعه في إطار نظريّة تعدد الأصوات لشرحه وتفسيره.

1- Jacques Moeschler, Anne Reboul, Dictionnaire encyclopédique de pragmatique, p 328.
2- Oswald Ducrot, Le dire et le dit, p 215.

يرى ديكرو أنّ الخطاب المرويّ، في حقيقة أمره، ما هو إلا ملفوظ فيه متكلمين اثنين أو أكثر؛ يتحمل فيه كلّ متكلم جزءا من الملفوظ أو كلّه، لكن الملفوظ في حد ذاته واحد، ويمكن التّمثيل لذلك بالمثال التّالي[1]:

- يقول بيار: قالت لي ماري: «سأحضر غدا».

يرى (ديكرو) أنّ الملفوظ (قالت لي ماري: «سأحضر غدا») ملفوظ واحد لكنّه يتضمن متكلمين: الأول هو الممثل ب(بيار) يتحمل كلّ الملفوظ، والثّانيّ هو الممثل ب(ماري) يتحمل الجزء الثّانيّ فقط من الملفوظ؛ أي «سأحضر غدا» وهذا ما يشابه تماما حالة السّارد في روايّة ما[2] عندما يُدرج قصة رواها له سارد آخر.

وبهذا الشّرح يكون (ديكرو) قد أدخل الخطاب المرويّ –الذي يُعد إقليما خاصا بنظريّة التّلفظ– في إطار نظريّة تعدد الأصوات التي تُعد، في حد ذاتها، تطبيقا لغويّا خاصا للحواريّة عند (باختين).

II- نظريّة السّلالم الحجاجيّة: ظهرت هذه النّظريّة على يد (ديكرو) في إطار التّداوليّة المدمجة دائما؛ وذلك من خلال كتاب يحمل عنوان:(السّلالم الحجاجية– Les échelles argumentatives) وقد عرض النّظريّة وفق التّدرج التّالي:

أ- الإطار العام لنظريّة السّلالم الحجاجيّة: تحدث (ديكرو) في بداية عرضه على المبادئ العامة للنّظريّة؛ والتي لها صلة مباشرة بمفهومه للحجاج وللتّلفظ بشكل عام، وقد أدرج هذه المبادئ في شكل مقدمة؛ ذكر فيها ما يلي:

*- **التّمييز بين المعنى الحرفيّ والمعنى السّياقيّ:** قال (ديكرو) في مقدمته أنّه عرض في يوم من الأيام مثالين هما:

- لم يقرأ كلّ روايات بلزاك.
- قرأ بعض روايات بلزاك.

ثم علق أنّ المثال الأول له توجيه حجاجيّ سلبيّ، أما الثّانيّ؛ فله توجيه حجاجيّ إيجابيّ، لكن أحد المشتغلين بعلم النّفس أنجز استبيانا سأل فيه الطّلبة عن تأويلهم لهذين المثالين، فتوصل إلى أنّهم فهموا المثال الأول على أنّه أكثر

---

[1]- Jacques Moeschler, Anne Reboul, Dictionnaire encyclopédique de pragmatique, p 332.

[2]- Oswald Ducrot, Le dire et le dit, p 197.

إيجابيّة من الثّانيّ؛ أي عكس فرضيّة (ديكرو) الذي دافع على فرضيته بأن قال: إنّ المستجوبين لم يأخذوا بالمعنى الحرفيّ (المباشر) فالذي (لم يقرأ كلّ روايات بلزاك) قد يكون قرأ صفحة من رواياته، أما الذي (قرأ بعض روايات بلزاك) فقد قرأ، على الأقل، روايتين؛ مما يجعل المثال الثّانيّ موجها توجيها إيجابيّا أكثر من الأول، لكن الطّلبة أجابوا بالعكس، فلم يميّزوا بين المعنى الحرفيّ للملفوظ وقيمة الملفوظ في التّلفظ؛ أي في السّياق، فأهملوا المعنى الحرفيّ المهم في سؤال الاستبيان، واتجهوا إلى المعنى السّياقيّ، وهو ما جاء بنتائج معاكسة لموقف (ديكرو).

– العلاقة بين التّداوليّ واللّغويّ (الدّلالي): تحدث (ديكرو) في إطار الرّد على الاستبيان السّابق، عن علاقة الجوانب التّداوليّة والجوانب اللّغويّة للخطاب، فأعاد التّأكيد على موقفه القائل: لا يمكن التّمييز بين الجانبين لأنّهما مندمجان، وهو الشّيء الذي جعل الأدبيات تسمي مذهبه بالتّداوليّة المدمجة؛ أي تعتقد بوجود التّداوليّ في اللّغويّ؛ لذلك تراه يقول:« إذا كانت مثل هذه الإجابة (يقصد إجابة الطّلبة على سؤال باحث علم النّفس السّابقة) ممنوعة عليّ، فلأنّها تلجأ إلى التّضاد بين معنى الملفوظ وقيمة التّلفظ أو بتعبير آخر بين علم الدّلالة والتّداوليّة، وأنا أرفض هذا التّضاد...»[1] فالمعنى السّياقيّ موجود في الصّيغة اللّغويّة للملفوظ، وقد عبّر عن ذلك شكري المبخوت بقوله:«... الحجاج مسجل في بنيّة اللّغة ذاتها وليس مرتبطا بالمحتوى الخبريّ للأقوال ولا بمعطيات بلاغيّة مقاميّة»[2] أي إنّ الدّارس يمكنه أن يلتمس أثار الحجاج في الوحدات البنويّة التي تعكس بالضّرورة التّلفظ والحجاج معا.

*** – **(البرهان–Raisonnement) والحجاج:** ميّز (ديكرو) في مقدمته بين البرهان الذي يعتبره من المنطق؛ ويبحث فيه الباحث عن الوقائع في العالم

---

[1]- Oswald Ducrot, Les échelles argumentatives, Paris: 1980, Ed. Minuit, p 08.

[2]– شكري المبخوت:« الحجاج في اللّغة» في يعمرانن نعيمة:« الحجاج اللّغويّ عند ديكرو وأنسكومبر» في مجلة الممارسات اللّغويّة، منشورات مخبر الممارسات اللّغويّة في الجزائر، الجزائر: ع: 14، 2012م ص 92.

الخارجيّ، أما الحجاج؛ فهو من الخطاب حيث يتجه البحث نحو معنى الوحدات في إطار استعمالها (التّلفظ) لذلك فكلّ ملفوظ يلمح لما يليه ويوجهه « ولعل تمركز الحجاج في الخطاب هو ما جعله مرتبطا أساسا باللّغة»[1] وهذا ما يعضد التّقارب الذي تصوَّره (ديكرو) بين التّداوليّة وعلم الدّلالة (اللّغة).

****- **موقع نظرية الحجاج بين العلوم**: يرى (ديكرو) أنّ النّظريّة الحجاجيّة برمتها مرتبطة بالفكر الأرسطوطاليّ المتعلق بالمشهورات[*] لكن لا تتدرج فيها؛ لأنّه (يقول مع صديقه (ج.ك.أنسكومبر–J.C. Anscombre))[2] يصبو إلى تجاوز الأنماط التي حددتها البلاغة؛ فكلّ كلام إنسانيّ يفرض على المتلقي نوعا ما من الاستنتاجات.

ب- **القواعد العامة للسّلالم الحجاجيّة:** أعاد (ديكرو) التّأكيد، قبل الحديث عن هذه القواعد العامة التي تضبط السّلالم الحجاجيّة، على انخراط نظريته في إطار ما يسمى علم الدّلالة اللّغويّ الذي نشأ على أعقاب ظهور أعمال اللّغويّ (إميل بنفنست) حول التّلفظ، والتي تُعد التّداوليّة المدمجة امتدادا لها -كما أسلفت-، كما أكد على الطّابع الحجاجيّ للّغة الذي يمكن تبيُّنه في بنية اللّغة -في حد ذاتها- من خلال المورفيمات، والتّعابير أو الصّيغ، وهذا ما جعله يستشهد ببعض استعمالات الوحدات (لكن) و(حتى)... بل استنجد بأعمال زميله (أنسكومبر) للتّأكيد على هذا الطّابع الحجاجيّ للّغة، ثم بدأ في عرض مفهوم السّلالم الحجاجيّة بالحديث عن ثلاثة مفاهيم أساسيّة تتبني عليها النّظريّة؛ وهي المفاهيم التي سأعرضها في ما يلي.

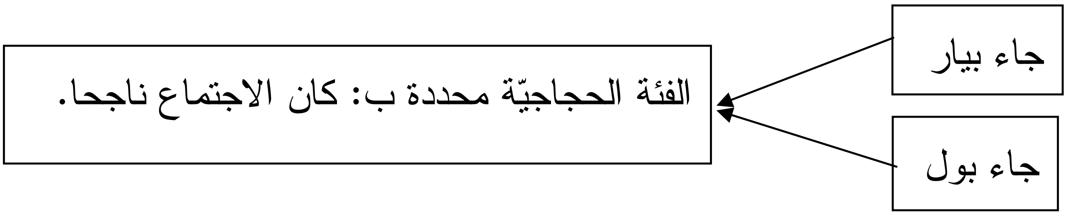
*- **(الفئة الحجاجيّة–Classe argumentative)**: يعرّف (ديكرو) هذا المفهوم الأول على أنّه اعتقاد متكلم من المتكلمين أنّ (أ) و(أ') حجتان لفائدة نتيجة واحدة؛ وهي مثلا (د) التي تُحدد الفئة الحجاجّة، وضرب (ديكرو) المثال الذي يظهر في التّرسيمة رقم (06) لشرح الفكرة:

1- يعمرانن نعيمة:« الحجاج اللّغويّ عند ديكرو وأنسكومبر » ص 92.

*- أعني بمفهوم (المشهورات) مصطلح:(Topos-topoi) بالفرنسيّة الذي يعني عامة صيغة خطابيّة مميّزة لنمط من الحجج (يُنظر: Charaudeau Patrick, Dominique Maingueneau, Dictionnaire d'analyse du discours).

2- Oswald Ducrot, Les échelles argumentatives, p 11.

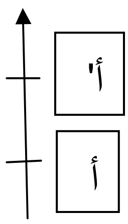
الترسيمة رقم: 06



يجب الإشارة -على هذا المستوى من التّحليل- إلى أنّ الفئة الحجاجيّة مرتبطة بمتكلم ما في سياق ما ولتحقيق نتيجة ما؛ لكن (ديكرو) قال إنّه سيعمم في ما يلي من النّظريّة الأمر على كلّ اللّغة، إضافة إلى ذلك يقول إنّ (الحجتن-Arguments) (أ) و(أ') قابلتين للتّراتب من ضعيف إلى قوي وأقوى... ليس ك(البراهين-Preuves) التي لا تقبل التّراتب.

**- (السّلم الحجاجيّ-Echelle argumentative): السّلم الحجاجيّ هو تراتب الحجج داخل الفئة الحجاجيّة؛ فيمكن القول أنّ (أ') حجة أقوى من (أ) في تدعيم النّتيجة (د) داخل الفئة الحجاجيّة، والعكس ليس صحيحا «ويعود سبب هذا الاختلاف في قوة الحجاجات وضعفها إلى أنّ الظّواهر الحجاجيّة تتطلب دوما وجود طرف آخر تقيم معه علاقة استلزام»[1] ومَثّل (ديكرو) لهذا بالتّرسيمة التّاليّة:

الترسيمة رقم: 07



ثم ضرب المثال التّالي لتطبيق هذا المفهوم على اللّغة:

- أ = يملك دكتوراه درجة ثالثة؛
- أ'= يملك دكتوراه دولة.

والحجتان ترميان إلى الإقناع بالنّتيجة (د)؛ أي (شخص متمكن) لكن (أ') أقوى من (أ) وهذا هو السّلم الحجاجيّ.

---

[1]- عمر بلخير، معالم لدراسة تداوليّة وحجاجيّة للخطاب الصّحافيّ...، ص 186.

وقال (ديكرو) بعد تحديد هذين المفهومين، أنّ الوقت قد حان للانتقال إلى مستوى الجملة؛ وليس الملفوظ، كما فعل في القاعدتين السّابقتين، وذلك لاستخراج قاعدة عامة تصلح لكلّ اللّغة، وهو ما صاغه في المفهوم الثّالث.

- **القوة الحجاجيّة: تقول الصّياغة العامة التي اقترحها (ديكرو):

- تكون الجملة (أ') أقوى من الجملة (أ) إذا كانت (أ') أقوى من (أ) في كلّ الفئات الحجاجيّة التي تتواجدان فيها.

وتوصل (ديكرو) من خلال تحليل أربعة (04) أمثلة من الفئات الحجاجيّة، إلى أنّ قاعدة القوة الحجاجيّة يمكن تطبيقها على المعنى المباشر (المعطى) لا الضّمنيّ، كما أنّه يجب إقصاء كلّ ما له علاقة بالتّقييم الكميّ في الفئات الحجاجيّة؛ لأنّ النّظريّة ليس بمقدورها معالجة القيم الكميّة لحد الآن.

واتجه (ديكرو) بعد الفراغ من تحديد المبادئ العامة، إلى تطبيق تلك المبادئ على بعض الظّواهر النّحويّة-الدّلاليّة مثل: النّفي والاستلزام مع تأكيده على أنّ هدف الدّراسة التّطبيقيّة ككلّ هو الاستفادة من المفاهيم السّابقة. وسأعرض في ما يلي تحليله لظاهرة النّفي فقط؛ لما لها من ثقل في تحليلي لعيّنة هذا العمل.

ت- النّفي والسّلالم الحجاجيّة: وضع (ديكرو) في تحليله لظاهرة النّفي ثلاثة قواعد تبيّن اشتغال ظاهرة النّفي في اللّغة، وهي كالتّالي بيانه:

*- **قاعدة التّضاد:** يرى (ديكرو) أنّ الحجة (ب) إذا كانت تؤيد النّتيجة (ر) فإنّ نفي (ب) يؤيد النّتيجة نفي (ر) السّلبيّة، وهذا يعني أنّ (ب) تنتمي إلى الفئة الحجاجيّة المحددة ب(ر) وهو ما يستلزم أنّ نفي (ب) ينتمي إلى الفئة الحجاجيّة نفي (ر) السّلبيّة، وهذه القاعدة تُعبر عن الوضع البديهيّ[1] للنّفي الذي يمكن أنّ يستنتجه المتكلم العاديّ.

وقد قدم (ديكرو) المثال التّالي لشرح ذلك:

- نجح بيار في الباكالوريا= (يؤيد نتيجة) إنّه متمكن.

---

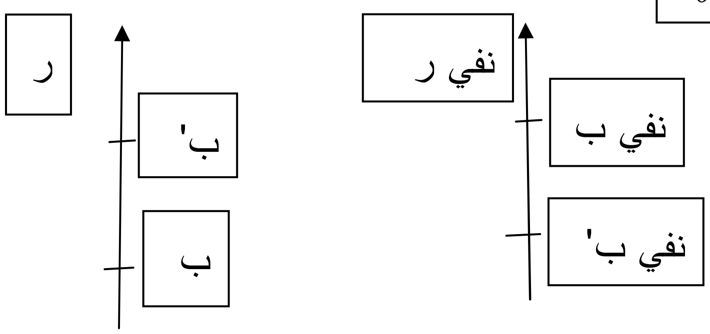
*- هذه التّسميّة مستلهمة من مصطلحات (ديكرو) التي استعملها في كتابه (يُنظر: Les échelles argumentatives, p 26.) لكنّه لم يقدم هذا المصطلح كعنوان أو كتسميّة في بداية عرضه للمفهوم.

1- Jacques Moeschler, Anne Reboul, Dictionnaire encyclopédique de pragmatique, p 285.

- لم ينجح بيار في البكالوريا= (يؤيد نتيجة) إنّه ضعيف.

- قاعدة القلب (Inversion): تشير هذه القاعدة إلى أنّ سلم القوة الحجاجيّة في الفئة الحجاجيّة المنفيّة هي قلب لسلم القوى الحجاجيّة في الجملة المثبتة؛ وقد مثّل لهذه القاعدة بالتّرسيمة رقم (08) التّاليّة[1]:

التّرسيمة رقم: 08



وضرب مثالا عن هذه القاعدة؛ وهو (يحمل الدّرجة الثّالثة، بل يحمل الدّكتوراه) أما الجملة المنفيّة فهي (لا يحمل الدّكتوراه بل لا يحمل الدّرجة الثّالثة أيضا) ويبدو فعلا من خلال المثالين أنّ النّفي يقلب اتجاه الحجج.

وحاول (ديكرو)، بعد هذا العرض، أن يرد عن بعض الانتقادات الممكنة لهاتين القاعدتين، وهما انتقادين –أساسا–.

- **الانتقاد الأول (النّفي الجدليّ):** قد ترد الجملة المنفيّة –في بعض الأحيان– في الاتجاه الحجاجيّ نفسه؛ أي لا يحدث القلب المنتظر بعد النّفي؛ ومثال ذلك:

- ليس مقتنعا فقط، بل هو متحمس.

يُلاحَظ –هنا– أنّ الجملة الأولى (ليس مقتنعا فقط) منفية والثّانيّة مثبتة؛ لكنّهما في التّوجيه الحجاجيّ نفسه؛ ف(ليس مقتنعا) أقل قوة من (متحمس) أي أنّهما يكوّنان سلما حجاجيّا فيه النّفي والإثبات معا، وفي تحليله؛ صنف (ديكرو) هذا القول ضمن ما يسمى بالنّفي الجدليّ؛ وهو استثناء بالنّسبة لقاعدة القلب التي ذكرتها سابقا.

[1]- Oswald Ducrot, Les échelles argumentatives, p 27.

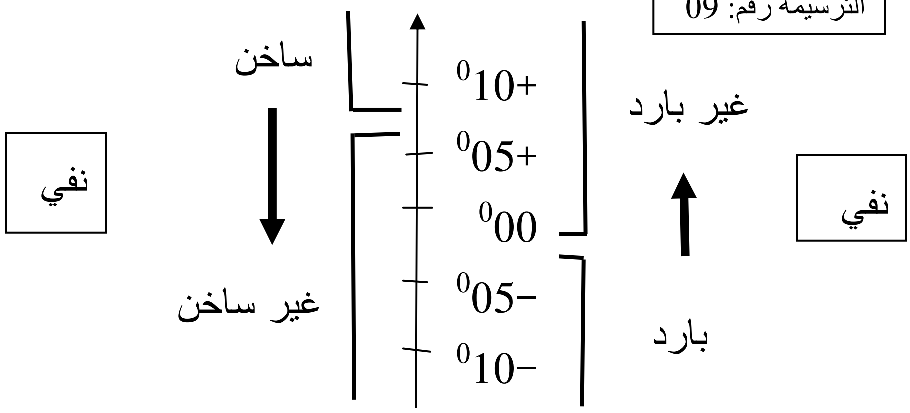
- **الانتقاد الثّاني (المعلومات الكميّة):** قد ترد في اللّغة جمل تحمل التّقديرات الكميّة من مثل السّنتمتر والكيلوغرام ووحدة العملة... وذكر (ديكرو) المثال التّالي كبيان للمسألة:

- لن تفلس، فالمقعد لا يساوي 10 فرنكات (جملة منفية)؛
- المقعد يكلف 10 فرنكات (جملة إثباتية).

يرى (ديكرو) أنّ هاتين الجملتين يمكن أن تؤديا إلى نتيجة واحدة؛ هي (المقعد ليس مكلفا أو ليس غاليا) وهذا يعني أنّ قاعدة القلب لا تصدق على الجملة المنفيّة -هاهنا-، وبعد تحليل خلص إلى أنّ الجمل التي تحمل التّحديدات الكميّة لا يمكن للنّظريّة تفسيرها؛ لذلك يجب إبعادها من التّحليل -مؤقتا-.

***- **قاعدة الخفض (أو الرّفع):** يرى (ديكرو) أنّ هذه القاعدة يمكن ملاحظتها في اللّغة؛ لكن من الصّعوبة بمكان إيجاد صياغة مقبولة لها لما تمثله من إبهام، فتظهر أحيانا على أنّها خفض، كما تظهر -أحيانا أخرى- على أنّها رفع، وتتمثل هذه الظّاهرة في كون اتجاه القوة الحجاجيّة ينحو إلى الخفض في حالة النّفي (الوصفيّ وليس الجدليّ دائما) مقارنة بالإثبات، ولكن هناك حالات قد يُفهم منها العكس؛ أي الارتفاع من الإثبات إلى النّفي، ويمثل لهذه القاعدة بالتّرسيمة التّاليّة (حالة سلمين حجاجين متعلقين ببرودة وحرارة الطّقس):

التّرسيمة رقم: 09



يُلاحظ في التّرسيمة رقم (09) أنّ المثال فيه سلمين حجاجيين؛ الأول: هو سلم البرودة يتجه سهمه (وهو السّهم بالبنط الغليظ على الجهة اليمنى في التّرسيمة رقم 09) نحو الأعلى؛ أي الرّفع، فالنّفي -هنا- يحدث نوعا من الرّفع أو الصّعود من

حيث القوة الحجاجيّة، أما في سلم (ساخن) ونفيه، فيُلاحظ أنّ السّهم (دائما السّهم بالبنط الغليظ على الجهة اليسرى في التّرسيمة رقم 09) متجه للأسفل؛ أي ما سماه (ديكرو) الخفض، والغريب هنا –حسب (ديكرو)– هو أنّ السّلم الفزيائيّ المماثل (أي حقائق درجات الحرارة) هي نفسها ولم تتغيّر، لذلك اقترح (ديكرو) الجمع بين معلومات السّلم الحجاجيّ (البرودة والحرارة في المثال) وحقائق السّلم الفزيائيّ المماثل لوضع صياغة صارمة لهذه القاعدة، وبجمعهما خرج بالصّياغة النّهائيّة التّالية:

- إذا كان الملفوظ (ب) المنتمي إلى السّلم الحجاجي (د) يقع في المنطقة (1) من السّلم الفزيائيّ المماثل ل(د) فإن الملفوظ نفي (ب) سيكون؛ وسيكون فقط في المنطقة الأدنى (السّفلى) لهذا السّلم الفزيائيّ المماثل.

وناقش الباحث نفسه، بعد عرض هذه القواعد الثّلاث، مجموعة من الملاحظات ذات الصّلة بهذه القواعد، وخرج ببعض النّتائج منها: قاعدة الخفض يمكن أن تسمى قاعدة الرّفع، كما أنّ ظاهرتي الخفّض والرّفع المذكورتين هما نتيجة للتّوجيه الحجاجيّ للملفوظات، وأخيرا أكد أنّ الوصف الذي قدمه للنّفي في اللّغة ينطبق على النّفي الوصفيّ الصّريح والضّمنيّ.

الفرع الثّانيّ: التّداوليّة العرفانيّة: سأعرض في هذا الفرع من البحث نوعا آخر من التّداوليات؛ وهي تلك التي تهتم بالعمليات الذّهنيّة كأساس للتّأويل، وتنطلق من منطلقات أخرى مغايرة للتّداوليّة المدمجة التي تُعد تداوليّة لسانيّة؛ لإدماجها التّداوليّ في اللّغويّ، ومما تختلف فيه التّداوليّة العرفانيّة عن التّداوليّة المدمجة هو تقديمها لقراءة جديدة لتراث (بول قرايس)[1] أحد أشهر الفلاسفة في انجلترا، كما لاحظتُ –أيضا– حضور الفيلسوف (بيتر فريديريك ستراوسن– Peter Frederick Strawson)[2] في بعض أعمال هذه التّداوليّة –وإن كان قليلا–، كما توجد إشارات

---

[1]- Anne Reboul, Jacques Moeschler, la pragmatique aujourd’hui (une nouvelle science de la communication), Paris: 1998, Ed. le Seuil. p 71.

[2]– فيلسوف بريطانيّ (1919م–2006م) اشتغل في قضايا فلسفة اللّغة العاديّة (يُنظر: Julien Longhi, Georges Sarfati, Dictionnaire de pragmatique).

إلى تأثرها بما يسمى بالنّظرية القالبيّة* ل(جيري آلان فودر–Jerry Alan Fodor) لكن يبدو أنّ حضور (قرايس) كان بشكل كبير لا يمكن معه تجاهل ذلك؛ عكس الرّافد القالبيّ الذي لم يكن له أثر كبير على النّظريّة، لذلك سأحاول أن أقدم نظرة وجيزة عن أعمال (قرايس) ثم سأعرض، بشيء من التّفصيل، نظريّة الحصافة التي تُعد العمود الفقريّ للتّداوليّة العرفانيّة.

1: الخلفيات المعرفيّة للتّداوليّة العرفانيّة (نظريّة المحادثة عند (قرايس)): تُعد نظريّة (قرايس) الأصول الأولى للتّداوليّة العرفانيّة، وخاصة في طبعتها التي وضعها (سبربر) و(ولسن) أي نظريّة الحصافة، ويمكن، أكثر من ذلك؛ اعتبار أعمال (قرايس) المذكورة نظريّة مؤسسة للتّداوليّة ككلّ، فقد « دشنت النّظريّة القرايسيّة طريقة جديدة تماما للنّظر إلى التّداوليّة وإلى مشكلة التّواصل، فعلى المستوى النّظريّ، كانت المساهمة الأساس ل(قرايس) إدخال مفهوم المستلزمات إلى الدّراسة... أما على مستوى التّواصل؛ فاقترح (قرايس) المبدأ العام المتمثل في مبدأ التّعاون... »[1] فأعمال (قرايس) متعددة؛ لكن ربما أهم إسهاماته كانت في وضعه لما يسمى ب(حكم التّحادث) إضافة إلى اقتراحه لنموذج يشرح قضية المعنى غير المباشر في اللّغة؛ وذلك في فكرة المتضمنات.

I- حكم المحادثة: يرى (قرايس) أنّ ظاهرة التّواصل البّشريّ إنّما هي تحدث بالكيفيّة المعروفة؛ لسيرها وفق نواميس وقواعد خفيّة لكن مشتركة بين

---

*– تنبني نظريّة القالبيّة على محاولة فهم آليات اشتغال الفكر والحياة العقليّة للإنسان، ويرى (فودر) –وهو فيلسوف أمريكيّ مولود سنة (1935م)– في هذا الصّدد، أنّ الفكر الإنسانيّ ينقسم إلى نظامين هما: النّظام المركزيّ حيث توجد الأفكار المتعلقة بالتّصورات وعمليات الاستنباط، والنّظام (المحيطيّ–Périphérique) مهمته تحضير المعلومات للنّظام المركزيّ حيث يُشكل نقطة نقل المعلومة من حالتها الخامة (إحساس أو كلام...) إلى معلومة تُحال للنّظام المركزيّ، ويرى أنّ النّظام المحيطيّ ينقسم إلى قوالب عكس النّظام المركزيّ، ومن بين هذه القوالب المعرفيّة المتخصصة ذكر: اللّسان (لأكثر تفاصيل يُنظر:

Oswald Ducrot, Jean-Marie Schæffer, Nouveau dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, coll. Points, Paris: 1995, Ed. le Seuil, Modularité).

1- Jacques Moeschler, Anne Reboul, Dictionnaire encyclopédique de pragmatique, p 202.

المتكلمين، ويرى أنّ أهم قاعدة متفق عليها في التّواصل هي قاعدة التّعاون* الضّروريّة لتحقيق محادثة ناجحة، وقد عرّف هذه القاعدة كالتّالي:

« فلتكن مساهمتك أثناء التّحادث، وفي الوقت الذي تتدخل فيه، كما يتطلبه الهدف والتّوجه الذي يتقبله التّبادل الكلاميّ الذي أنت منخرط فيه»[1] وفي هذه الحالة يجب أن يلتزم المتكلم الرّاغب في إنجاح عمليّة التّواصل بأهداف الحوار ومراميه؛ وإلا أخفق التّواصل كلّه، ومن جملة ما يجب أن يتحمله المتكلم مجموعة من القواعد الأخرى التي اعتبرها (قرايس) حكما متفرعة عن حكمة (التّعاون) بشكل تكون معه حكمة (التّعاون) حكمة عامة؛ تسيِّر كلّ المحادثات؛ ولا يمكن أن يكون هناك تواصل من دونها، ثم تُردف بالحِكم الأخرى كآليات مساعدة فقط.

وقد صنف (قرايس) هذه الحكم المتفرعة إلى أربع (04) أصناف هي: حكمة الكميّة وحكمة النّوعيّة وحكمة العلاقة وحكمة الكيفيّة؛ فإذا اجتمعت هذه الحكم في عمليّة التّواصل كان الحوار ناجحا، وكان التّواصل مباشرا، لكن« القواعد المذكورة لا تقوم بعملها كمعايير إكراهيّة للمتخاطبين؛ بل هي مبادئ متضمنة في المحادثة وتوجهها...»[2] ففي الأحوال المستقرة والمثاليّة تتحقق مثل هذه القواعد، لكن في أغلب الأحوال العادية لا تُحترم، فكثيرا ما يتم تجاهل حكمة من الحكم أو أكثر، وقد يصل الأمر إلى تجاهل حتى حكمة التّعاون، وغني عن البيان أنّ تجاوز هذه الحكمة العامة؛ يعني انقطاع عمليّة التّواصل نهائيّا.

ويجب الإشارة إلى أنّ بين هذا الانقطاع والحالة المثاليّة؛ أي احترام كلّ الحكم، هناك حالات كثيرة لإيقاف حكمة من الحكم دون إيقاف التّواصل، ومن بين هذه الحالات؛ الملفوظات الشّائعة التي يسميها (قرايس) ب(المتضمنات) أو ما هو معروف بمصطلح (الكلام غير الصّريح) أو التّلميحيّ، وهو كلام يصعب على

*- سبق الإشارة إلى هذه الحكمة وفروعها في الفصل الأول من الباب الأول لهذا العمل، وأضيف –هاهنا– بعض الشّروحات فقط.

1- Jacques Moeschler, Anne Reboul, Dictionnaire encyclopédique de pragmatique, p204.

2- Nathalie Garric, Frédéric Calas, Introduction à la pragmatique, p 95.

الدّارس شرح آليات فهمه، وفي هذه الحالة تلعب حكم المحادثة دورا مهما في عمليّة التّأويل –حسب قرايس–.

II- المتضمنات: تُعد المتضمنات من أهم الأفكار التي جاء بها (قرايس) الذي يعتقد أنّها الوجه الغالب في الخطاب ((سورل) يرى العكس) حيث إنّ التّواصل –حسب (قرايس)– غالبا ما يكون تضمينيّ[1]، فيتجه المتكلمون إلى التّلميح أكثر من الاتجاه إلى التّصريح، ولفهم هذه التّلميحات وضع (قرايس) مفهوم المتضمنات الذي يمكنه أن يشرح أوضاعا من مثل:« عندما يُبلغ الملفوظ أكثر مما تقوله الجملة، أي عندما ينقل الملفوظ محتوى متضمنا»[2] ويمكن، بتعبير آخر، تعريف المتضمنات ب: تلك الملفوظات التي تُبلغ أشياء أخرى لا تظهر بالضّرورة في البنيّة اللّغويّة للجملة أو في المعنى الحرفيّ والمباشر للجملة، وقد قسّم (قرايس) هذه المتضمنات إلى نوعين أساسيين هما: المتضمنات الاتفاقيّة والمتضمنات التّحادثيّة (غير الاتفاقيّة).

أ– **المتضمنات الاتفاقيّة:** هي تلك المتضمنات التي يُستند في استنتاجها إلى عنصر موجود في البنيّة اللّغوية للجملة (وإن كان هذا العنصر لا يشير صراحة إلى المعنى الضمنيّ؛ وإلا أصبح المعنى صريحا) ويمكن التّمثيل لذلك بهذا المثال[3]:

- جون إنجليزيّ، إذًا هو شجاع.

يمكن الاستنتاج من هذا الملفوظ أنّ كلّ الإنجليز يتصفون بالشّجاعة، لكن هذا الكلام المتضمن في الملفوظ لا يظهر بشكل صريح في الجملة، وإن كان للمتكلمين أن يستنتجوه؛ فهذا لن يكون إلا بالاستناد على الوحدة اللّغويّة الواردة في الجملة، وهي (إذًا)* وهذا ما يعنيه (عنصر في البنيّة اللّغويّة) في التّعريف السّالف.

---

[1]- Philippe Blanchet, La pragmatique d’Austin à Goffman, p 90.

[2]- Martine Bracops, Introduction à la pragmatique…, p 203.

[3]- Jacques Moeschler, Anne Reboul, Dictionnaire encyclopédique de pragmatique, p 202.

*– تعرض هذا النّوع من المتضمنات لنقد كبير، بل ذهب (سبربر) و(ولسن) إلى عدم الاعتراف بضمنيته فقالا: إنّه كلام صريح ولا وجود للمتضمنات الاتفاقيّة من الأساس (يُنظر: Dan Sperber, Deirdre Wilson, La pertinence…, p 272.).

ب- المتضمنات التّحادثيّة (غير اتفاقيّة): يرى (قرايس) أنّه يمكن، في بعض الأحيان، تبليغ المحتوى المراد إيصاله دون الاعتماد إلى المتضمنات الاتفاقيّة التي تستند على وحدة لغويّة غير صريحة، وفي هذه الحالة، تتم عمليّة التّبليغ دون اللّجوء إلى الوسائل الاتفاقيّة (اللّغة) ويكون استنتاج المعنى المتضمن عبر عمليّة عقليّة برهانيّة من قِبل المتلقي[1]؛ وعادة ما يكون الاستناد، في ذلك، على المعارف المشتركة التي يعتقد المتلقي والمتكلم أنّها ممكنة الإدراك من قِبل الآخر، وقد قسم (قرايس) هذه المتضمنات التّحادثيّة إلى نوعين هما: المتضمنات التّحادثيّة المُعممة والمتضمنات التّحادثيّة الخاصة.

*- **المتضمنات التّحادثيّة المُعممة:** هي تلك المتضمنات التي شاع استعمالها بين المتكلمين على صيغة معيّنة، ومثال ذلك[2]:

- هل يمكن أن تغلق النّافذة؟

يتضمن هذا المثال أمرا ب(إغلاق النّافذة) بشكل ضمنيّ رغم أنّه استفهام على المستوى الصّريح، وهذا الاستعمال شائع بين المتكلمين بغض النّظر عن السّياق الذي قد يقال فيه.

- **المتضمنات التّحادثيّة الخاصة: هي أكثر المتضمنات استقلالا عن المعنى الحرفيّ للمكوّنات اللّغويّة للجملة، وأكثر قربا من المعنى السّياقيّ للملفوظ حيث لا يظهر في الجملة ما يوحي إلى المعنى المتضمن، ولا يمكن استنتاجه إلا بربط الجملة بالسّياق الخاص الذي قيلت فيه؛ مثل:

- الجو بارد هنا.

ويقترح (قرايس) أنّ المتضمن التّحادثيّ الخاص في هذا المثال هو (أغلق النّافذة) ويبدو جليا أنّ الجملة (الجو بارد هنا) لا تشير البتة إلى النّافذة أو إلى غلقها، ولا يُستنتج ذلك إلا إذا وُجد الشّخص المُفسر في السّياق الخاص الذي قيلت فيه.

---

[1]- Martine Bracops, Introduction à la pragmatique…, p 70.

[2]- نفسه.

وقد وضع (قرايس) العديد من القواعد للتّمييز بين المتضمنات الاتفاقيّة وغير الاتفاقيّة؛ ربما أهمها إمكانية إلغاء المتضمنات غير الاتفاقيّة (التّحادثيّة) والتّراجع عنها[1] دون الاتفاقيّة.

ويرى صاحبي (المعجم الموسوعيّ للتّداوليّة) أنّ المتكلمين يصلون إلى فهم المتضمنات التّحادثيّة بالاعتماد على حكم المحادثة التي ذكرتُها، وقد رسما مسار الوصول إلى هذه المتضمنات كالتّالي[2]:

– المتكلم (أ) قال (و)؛

– المتلقي (ب) لا يملك أي سبب يحمله على افتراض أنّ (أ) لا يحترم حكم التّحادث أو على الأقل حكمة (التّعاون)؛

– افتراض أنّ (أ) يحترم حكمة التّعاون والحكم الأخرى يستلزم أنّ (أ) يفكر في (هــ)؛

– (أ) يعلم (ويعلم أنّ (ب) يعلم أنّ (أ) يعلم) أنّ (ب) يفهم أنّه من الضّروريّ افتراض أنّ (أ) يفكر في (هــ)؛

– (أ) لم يفعل أي شيء لمنع (ب) في التّفكير في (هــ)؛

– (أ) يريد إذًا من (ب) أن يفكر في (هــ)؛

– إذًا (أ) ضمّن (أو لمّح) ل(هــ).

ويبدو جليا، في هذه الصّيرورة، أنّ الجانب المعرفيّ–النّفسيّ طاغ على صياغة نظريّة (قرايس) التّداوليّة، وهي النّظريّة التي أثرت مفاهيمها على العديد من اللّغويين والفلاسفة الذين أعادوا قراءتها*؛ ومن بينهم (سبربر) و(ولسن).

2: نظريّة الحصافة ل(سبربر) و(ولسن): عرفت تّداوليّة (قرايس) انتشارا واسعا في الأوساط الانجلوساكسونيّة لجدة أطروحاتها، لكن سرعان ما حاول بعض أتباعه

---

[1]- Françoise Armengaud, La pragmatique, p 68.

[2]- Jacques Moeschler, Anne Reboul, Dictionnaire encyclopédique de pragmatique, p 94-203.

*– أشير –هاهنا– إلى أنّ تقسيمات (قرايس) قد تعرضت لبعض الهجومات؛ سواء من أتباعه أو من غيرهم، وكانت الانتقادات موجهة خاصة إلى ضبابيّة الحدود بين أنواع المتضمنات؛ فيذكر (موشلر) و(روبول) مثلا أنّ ارتباط المتضمنات التّحادثيّة المعممة بالجانب اللّغويّ يجعلها أقرب إلى المتضمنات الاتفاقيّة (يُنظر: Jacques Moeschler, Anne Reboul, Dictionnaire encyclopédique de pragmatique, p 253.).

إعادة صياغتها، وقد وصل ذلك إلى قمة تصميمه في إطار ما يُعرف بنظريّة الحصافة* التي أسس لها (سبربر) و(ولسن)؛ وذلك من خلال كتابهما الموسوم: (الحصافة (تواصل وعرفانيّة)-(la pertinence (communication et cognition)) وهو النّموذج الذي سأحاول أن أعرض بعض تفاصيله في النّقاط المواليّة.

I- التّواصل والحصافة: خصص الباحثان جزءا مهما من كتابهما للتّحدث عن موضوع التّداوليّة؛ وهو التّواصل، ففحصا الآراء السائدة؛ واقترحا، من بعدُ، منظورهما، ثم عرضا فكرة أولوية الحصافة في تأويل الملفوظات.

أ- التّواصل: انطلق الباحثان (سبربر) و(ولسن) من فكرة أنّ التّواصل البشريّ ليس مجرد نقل للمحتويات أو الأفكار؛ بل هو مسار يفترض شخصين (عُدتين بتعبيرهما Dispositif)* أحدهما يغيّر المحيط المعرفيّ للثّانيّ، ومن آثار ذلك أن يتجه الشّخص الثّانيّ إلى بناء تمثلات مشابهة لبعض التّمثلات الموجودة لدى الأول؛ أي إنّ الشّيء الذي ينتقل بين الأشخاص هي التّمثلات، لكن يجب الإشارة إلى أنّها لا تنتقل كما هي؛ مطابقة للأصل؛ بل يتداولها النّاس كأشياء متشابهة فقط.

ويرى الباحثان أنّ ظاهرة التّواصل قد تعرضت للدّرس منذ القديم، وانقسمت النّظريات المهتمة بها إلى نموذجين هما: نموذج الشّفرة ونموذج الاستنباط، ويعتقد الباحثان أنّ النّموذج الأول ينطوي على عيوب عدة أهمها: إهماله لأهميّة الاستنباط في عمليات التّأويل التي يقوم بها المستمع خاصة، إضافة إلى هشاشة فكرة المعرفة المشتركة التي يتحجج بها أصحاب هذا الرّأي لاعتبارات عدة؛ منها: ارتباطها بوعي المتكلمين بوجودها وأنّها مشتركة مع الذين يخاطبونهم، فإن كانوا غير متأكدين من اشتراكهم فيها مع الذين يتحدثون معهم؛ فلا وجود لها... وعلى هذه الانتقادات خلص الباحثان إلى أنّ «نظريّة الشّفرة خاطئة»[1] وبالتّالي يجب الاتجاه إلى نموذج آخر.

---

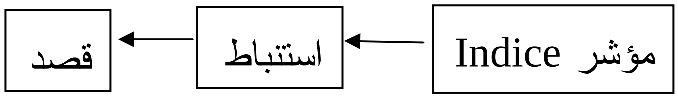
*- ويقابله المصطلح الإنجليزيّ (Relevence) و(Pertinence) بالفرنسيّة، كما يستعمل مصطلحي (المناسبة) و(الملائمة) كمرادفين في العربيّة لمصطلح (الحصافة).

*- لاحظتُ أنّ مصطلحات ومفاهيم الإعلام الآلي حاضرة بقوة في هذا الكتاب، ما يُقرب هذا النّوع من النّظريات من هذا الميدان بشكل كبير.

[1]- Dan Sperber, Deirdre Wilson, La pertinence…, p 38.

ويقدم الباحثان نموذج الاستنباط على أنّه ذلك البحث الذي يدرس التّواصل باعتباره انطلاقا من مقدمات بحثا عن نتائج[1]، وهذا المسار تؤدي فيه المقدمات إلزاميّا إلى تلك النّتائج أو على الأقل تبررها، ويعتمد هذا النّموذج على فكرة وجود العديد من المقاصد التي يرغب المتكلمون إيصالها إلى المستمعين، كما يفترض أنّ المستمعين يبذلون جهودا لاستنباط تلك المقاصد، وذلك انطلاقا من المؤشرات التي أنتجها المتكلمون؛ فيكون المسار على الشّكل الذي تشير إليه التّرسيمة رقم (10) التّالية:

الترسيمة رقم: 10



ويُعد (قرايس) من الأوائل الذين اشتغلوا على هذا النّموذج، لكن لم يوفق –حسب (سبربر) و(ولسن)– إلى وضع النّظريّة في مسارها الحقيقيّ؛ أي نحو النّموذج الاستنباطيّ، وذلك لوجود العديد من مناطق الظّل في نظريته.

*– **إعادة قراءة نموذج (قرايس):** اهتم (سبربر) و(ولسن) بنموذج (قرايس) لأنّه كان في بدايته (1957م) نموذجا استنباطيّا؛ رغم ميله في تطوراته المواليّة إلى نموذج الشّفرة.

– **قرايس وتعريف مفهوم التّواصل:** يُعد مقال (قرايس) المعنون (المعنى–Meaning) (1957م) مقالا محوريّا في بلورة مفهوم (الدّلالة–Signification) والتّواصل، وقد انطلق (سبربر) و(ولسن) في إعادة قراءة تراث (قرايس) من سؤاله: ماذا يعني أن المتكلم (أ) يريد أن يقول بالملفوظ (ب) شيئا ما؟ والذي أجاب عنه بأن قال:« كان (أ) يريد أن يقول ب(ب) شيئا ما يعادل –بشكل عام–: كان ل(أ) القصد أن ينتج الملفوظ (ب) بعضا من الآثار على المستمع عن طريق تعرفه عن هذا القصد»[2] فكان تعريف (قرايس) –هنا– مبنيا على مفهوم المقاصد، ومنه يرى

[1]- Martine Bracops, Introduction à la pragmatique…, p 204.
[2]- Dan Sperber, Deirdre Wilson, La pertinence…, p 39.

(سبربر) و(ولسن) أنّ مفهوم التّواصل يمكن أن يُبنى على هذه المقاصد التي وضعها (قرايس) والتي طورها فيما بعد (ستراوسن).

لكن صياغة (قرايس) وصياغة (ستراوسن) تحتاج إلى شيء من النّظر، وهو ما قام به (سبربر) و(ولسن) فتوصلا إلى نموذج معدّل؛ لكن مقارب[1] لنموذج (قرايس) يحدد مفهوم التّواصل على أنّه إنتاج لمثير بمقاصد إخباريّة وتواصليّة؛ مع الإشارة إلى أنّ المقصدين يحدثان -في العادة- معا؛ لكن يمكن للقصد التّواصليّ أن يتحقق لوحده دون الإخباريّ.

- **قرايس وشرح آليات التّواصل:** يرى (سبربر) و(ولسن) أنّ الدّراسة التي يقومان بها لا تهتم فقط بتعريف التّواصل؛ بل تهتم ب« تحديد الآليات الخفية المتجذرة في نفسيّة الإنسان والتي تشرح كيف يتواصل البّشر فيما بينهم»[2] وإن كان ل(قرايس) مساهمة في التّداوليّة وفهم هذه الآليات، فستكون تعريفه بالجهود الإضافيّة التي يبذلها المستمعون لفهم المقاصد أثناء خرق حكم التّواصل -التي سبق تقديمها في هذا المبحث-، لكن يعتقد الباحثان أنّ نموذج (قرايس) فقير من حيث النّتائج التي توصل إليها.

ويريان، إضافة إلى ما سبق، أنّ تحليل (قرايس) غامض نوعا ما حيث إنّه لم يُعرّف الكثير من المفاهيم الواردة في نموذجه؛ على غرار مفهوم (الحصافة) كما أنّ شرحه للمتضمنات فيه الكثير من الأسئلة العالقة منها: ما هو أساس مبدأ التّعاون والحِكم الأخرى؟ هل يمكن إضافة حِكم أخرى إلى الحِكم التي وضعها؟ هذه الأسئلة وغيرها جعلت نموذج (قرايس) محل إعادة نظر من قِبل (سبربر) و(ولسن).

- التّواصل حسب (سبربر) و(ولسن): يرى الباحثان أنّ البشر يتحادثون بنمطين من أنماط التّواصل؛ هما: التّواصل بالشّفرة والتّواصل (الإشاريّ-الاستنباطيّ/ Ostessive-inférentielle) لكن التّواصل بالشّفرة ما هو إلا محاولة من بني البشر لجعل التّواصل الإشاريّ-الاستنباطيّ أكثر فعاليّة، فيمكنهم التّواصل دون اللّجوء إلى الشّفرة.

[1]- Anne Reboul, Jacques Moeschler, La pragmatique aujourd'hui…, p 71.
[2]- Dan Sperber, Deirdre Wilson, La pertinence…, p 55.

- **التّواصل الإشاريّ-الاستنباطيّ:** يُعرّف الباحثان التّواصل الإشاريّ-الاستنباطيّ على أنّه:« إنتاج المتكلم لمثير يوضح بشكل جلي بالنّسبة للمتكلم والمرسل إليه أنّ المتكلم يريد، عن طريق هذا المثير، أن يوضح بشكل جلي أو أكثر جلاء بالنّسبة للمرسل إليه مجموعة من الفرضيات (ب)»[1] فالتّواصل الإشاريّ-الاستنباطيّ مفهوم جديد ينطبق على التّواصل بشكل عام وليس اللّغويّ فقط[2]، وهو -حسب التّعريف السّابق- عمليتان هامتان يقوم بهما المتكلمون: الأولى هي العمليّة الإشاريّة التي بموجبها ينتج المتكلم مثيرا، وهذا المثير يحمل قصدا إخباريّا وقصدا تواصليّا، أما الثّانيّة، فهي العمليّة الاستنباطيّة التي يقوم بموجبها المرسل إليه باستنباط القصدين اعتمادا على المحيط المعرفيّ المشترك... وغني عن البيان أنّ هناك الكثير من المصطلحات الواردة في هذا التّعريف تستدعي الإيضاح، وهو ما سأحاول القيام به في ما يلي.

- **العمليّة الإشاريّة:** تتضمن هذه العمليّة المقصدين -كما قلتُ- وهما:
  - **القصد الإخباريّ:** يتميّز التّواصل الإشاريّ-الاستنباطيّ بنقل مقصدين (إخباريّ وتواصليّ) من متكلم إلى مرسل إليه، وقد عرّف (سبربر) و(ولسن) القصد الإخباريّ بقولهما:« ينتج المتكلم مثيرا بقصد إخباريّ إذا وضّح بشكل جلي أو أكثر جلاء للمستمع مجموعة من الفرضيات (ب)»[3] ويشير الباحثان -هنا- إلى أنّ قولهما مجموعة من الفرضيات (ب) قد يعني فرضية واحدة أو عدة فرضيات، فالعبرة في القصد الإخباريّ هو وصول الفرضيّة إلى المرسل إليه.
  - **القصد التّواصليّ:** هو جعل المتكلم والمرسل إليه يفهمان بشكل جلي أنّ للمتكلم هذا القصد الإخباريّ، فالقصد التّواصليّ هو قصد من مستوى ثان متعلق بالقصد الإخباريّ؛ وبموجبه يصبح واضحا للمشاركين في التّواصل أنّ القصد الإخباريّ موجود فعلا عند المتكلم.

---

[1]- المرجع السّابق، ص 101.

[2]- Martine Bracops, Introduction à la pragmatique…, p 204.

[3]- Dan Sperber, Deirdre Wilson, La pertinence…, p 93.

- **العمليّة الاستنباطيّة***: عرّف الباحثان الجزء الثّانيّ من التّواصل الإشاريّ-الاستنباطيّ، وهو الاستنباط على أنّه ذلك « المسار الذي يتم بموجبه قبول فرضيّة على أنّها صادقة أو من المحتمل أن تكون صادقة؛ تأسيسا على فرضيّة أخرى مؤكدة أو محتملة؛ تم قبولها في البداية»[1] ويشير الباحثان إلى أنّ عمليات الاستنباط هي عمليات تحدث على المستوى المركزيّ للفكر، وهذا النّوع من المسارات لا يعتمد على التّفكير المنطقيّ-البرهانيّ؛ بل ينبني على تفكير غير برهانيّ[2] أساسه تكوين الفرضيات -الذي يشكل فعلا من أفعال الخيال- وإثبات تلك الفرضيات -وهو فعل منطقيّ تسيّره قواعد الاستنباط-.

- **ميدان الاستنباط غير البرهانيّ**: يتكون الفكر الإنسانيّ من مجموعة من التّمثلات التّصوريّة التي تتواجد فيها تمثلات الفرد للعالم، وتوجد -ككلّ نظام- علاقات بين تلك التّمثلات مثل التّناقض والسّببيّة والنّتيجة... وهذه الجوانب المنطقيّة يسميها الباحثان الشّكل المنطقيّ للتّمثلات التّصوريّة، وقد عرّفاها بأنّها «... 'صيغة محكمة الصّياغة' أو مجموعة منظمة من المكونات والتي يمكن أن نطبق عليها، بالنّظر إلى بنيتها، عمليات منطقيّة وشكليّة»[3] ويُميزان داخل هذا الشّكل المنطقيّ بين الشّكل المنطقيّ القضويّ؛ أي الكامل دلاليّا، والشّكل المنطقيّ غير القضوي أي غير الكامل دلاليّا؛ فيستدعي رفع اللّبس عنه.

ولكن يبدو حسب (سبربر) و(ولسن) أنّ الفكر الإنسانيّ لا يتكوّن فقط من التّمثلات التّصوريّة؛ بل يضاف إليها -في بعض الأحيان- مواقف الفرد تجاه

---

*- هو أحد أهم المفاهيم الأربعة -حسب (لويس دو سوسير-Louis De Saussure)- الذين ركزت عليهم نظريّة الحصافة، إضافة إلى التّأويل الموجه من قِبل الحصافة الذي تحدث عنه (قرايس) والسّياق الذي يُبنى وليس معطى، والاستعمال الوصفيّ والتّأويليّ، وهي مفاهيم سأعود إليها لاحقا (يُنظر كتابه: Temps et pertinence, Elément de pragmatique cognitive du temps (Google books))

[1]- Dan Sperber, Deirdre Wilson, La pertinence…, p 107.

[2]- عائشة هديم:« ملامح معرفيّة في تفسير ابن عاشور (سورة الأعراف نموذجا)» منشورات مخبر تحليل الخطاب، الجزائر: ع: 14، عدد خاص بأعمال الملتقى الدّوليّ حول "واقع البحوث المعرفيّة وتحليل الخطاب (المنظم أيام 11-12-13 مارس 2013) ص 165.

[3]- Dan Sperber, Deirdre Wilson, La pertinence…, p113.

تلك التّمثلات كالاعتقاد بشيء أو الرّغبة في شيء... وهذا ما يسميانه بتمثل التّمثلات أو المواقف القضويّة[1] التي تُشكل في حد ذاتها فرضيات وقائعيّة (Factuelle) قابلة للصّدق والكذب، ويكون مصدر هذه الفرضيات؛ إما من الاستنتاج (Déduction) أو الإدراك أو فك الشّفرة اللّغويّة أو من فرضيات ورسومات عنها موجودة في الذّاكرة[2]، كما يعتقد (سبربر) و(ولسن) أنّ الفرضيات لديها قوة معيّنة؛ يتم عضدها أثناء التّواصل أو تقليصها؛ وذلك مرتبط بمدى ثقة المتلقي فيها، ولكن هذا لا يعني درجة إثباتها؛ بل يعني فقط مقارنتها بفرضيات أخرى من حيث درجة معقوليتها.

- **المفاهيم:** يعتقد (سبربر) و(ولسن) أنّ الفرضيات تتكون من مجموعة من المفاهيم التي هي أجزاء مكوّنة لشكلها المنطقيّ، وخاصة القضويّ، وتعمل هذه المفاهيم على تيسير تطبيق مسارات الاستنتاج، ويقول الباحثان أنّه يمكن شرح المفاهيم شكليّا على أنّها عناوين في الذّاكرة، وتتكون من المداخل التّالية[3]: المدخل المنطقيّ، المدخل الموسوعيّ، المدخل المعجميّ.
- **الاستنتاج:** يُعد جهاز الاستنتاج من أهم أجهزة الاستنباط غير البرهانيّ الذي يساهم بشكل كبير في تحسين تمثلات الأفراد للعالم، وتتواجد قواعد الاستنتاج في المداخل المنطقيّة لمفاهيم الفرضيات المتواجدة داخل الذّاكرة، وتنقسم هذه القواعد إلى قسمين، وهما[4]: القواعد التّحليليّة التي تنطلق من فرضية واحدة لتصل إلى نتيجة واحدة، والقواعد التّركيبيّة التي تنطلق من فرضيتين لتصل إلى نتيجة واحدة، وتُنتج هاتان القاعدتان نتائج متعددة؛ يمكن تسمية نتائج القاعدة الأولى بالمستلزمات التّحليليّة، ونتائج القاعدة الثّانيّة بالمستلزمات التّركيبيّة.

ويؤكد (سبربر) و(ولسن) أنّ اهتمامهما سينصب على الفرضيات التي تأتي من فك الشّفرة اللّغويّة أو المدخل اللّغويّ؛ وهي فرضيات جديدة (أ) تلتقي مع فرضيات

---

[1]- Martine Bracops, Introduction à la pragmatique…, p 197.
[2]- Dan Sperber, Deirdre Wilson, La pertinence…, p 128.
[3]- Jacques Moeschler, Anne Reboul, Dictionnaire encyclopédique de pragmatique, p 140.
[4]- Dan Sperber, Deirdre Wilson, La pertinence…, p 141.

قديمة موجودة في تمثل المتلقي للعالم (س)، ويرى الباحثان أنّ هذا التّلاقي هو عمليّة سيقنة ل(أ) في (س) سيؤدي إلى نتيجة أو مستلزمة*؛ وضعا لها تسمية: الاستلزام السّياقيّ؛ وقد عرّفا هذا الاستلزام بقولهما:« تستلزم سياقيّا مجموعة من الفرضيات (أ) فرضية (ك) في السّياق (س) إذا وإذا كان فقط:

- اتحاد (أ) و(س) يستلزم بشكل غير عبثيّ (جديّ) (ك)؛
- (أ) لا يستلزم بشكل غير عبثيّ (جديّ) (ك)؛
- (س) لا يستلزم بشكل غير عبثيّ (جديّ) (ك).

ويشير الباحثان إلى أنّ الفرضيّة (الاستلزام) السّياقيّة هي محصلة معلومات جديدة ومعلومات قديمة، وهذا التّفاعل يؤدي إلى إنتاج معلومة جديدة طبعا[1]، كما أكد الباحثان على أنّ نظريّة الحصافة في أغلبها تناقش هذا النّوع من المستلزمات؛ أي السّياقيّة.

- **الآثار السّياقيّة (Effet contextuelle)**: تُنتج كلّ عمليّة سيقنة؛ أي إدماج فرضيّة جديدة في فرضيات قديمة، أثارا يمكن تسميتها بالآثار السّياقيّة؛ وقد عرّف (سبربر) و(ولسن) هذا المفهوم (الآثار السّياقيّة) بقولهما:« الحدس الذي تنبني عليه فكرة الآثار السّياقيّة هو كالتّالي: تغيير أو تحسين أي سياق هو إنتاج أثر ما على هذا السّياق»[2] ويرى الباحثان أنّ هذه الآثار متعددة؛ وأولها هي المستلزمات السياقيّة –التي ذكرتها سابقا– من حيث إنّها إضافة لفرضيّة جديدة إلى السّياق، وذكر الباحثان، إلى جانب ذلك، أثرين آخرين؛ هما: تغيير قوة الفرضيّة بتقويتها أو إضعافها بشكل مستقل أو غير مستقل أو بأثر رجعيّ في السّياق، وشطب الفرضيّة من السّياق؛ في حالة تناقض فرضيتين.

---

*– أنبه –هاهنا– إلى أنّه هناك (المستلزمة–Implication) و(المتضمنات–Implicitation) وهما مفهومان مختلفان وقع الخلط بينهما من قبل مترجمي الكتاب (Dan Sperber, Deirdre Wilson, La pertinence…) (قارن بين العنوان الوارد في ص 288 وما هو موجود في الفهرس مثلا).

1- Martine Bracops, Introduction à la pragmatique…, p 203.

2- Dan Sperber, Deirdre Wilson, La pertinence…, p 168.

وفي نهاية تقديم عمليات الاستنباط، قال الباحثان إنّ فكرة الآثار السّياقيّة هي العمود الفقريّ الذي تتبني عليه الحصافة.

ب- مبدأ الحصافة: يرى (سبربر) و(ولسن) أنّ الآثار السّياقيّة تلعب دورا في شرح مسارات الفهم؛ بل تحدد مدى حصافة أي كلام، فلكي تكون المعلومة حصيفة يجب أن تُكَوّن آثارا سياقيّة، وكلما زادت قوة الآثار زادت حصافة المعلومة، وهذا ما جعل الباحثان يعرّفان مبدئيا الحصافة انطلاقا من الآثار السّياقيّة، فيقولان:« تعد فرضية ما حصيفة في سياق ما؛ إذا كان لها آثار في ذلك السّياق»[1] أي إنّ وجود الآثار السّياقيّة شرط ضروري وكاف لتحقيق الحصافة.

وقد لاحظ الباحثان أنّ حدس المتكلمين لا ينتبه -في بعض الأحيان- إلى الحصافة، وخاصة إن كان أثر الفرضيّة السّياقيّة ضعيفا، لذلك يجب إعادة النّظر في هذا التّعريف، فأضافا إليه معيارا آخر؛ وهو نتيجة حتمية لفكرة مستويات الحصافة؛ فيرى الباحثان أنّ الحصافة مثلها مثل المردوديّة والإنتاجيّة يمكن تحليلها وفق التّكاليف والفائدة؛ فشركة من الشّركات تحسب الإنتاجيّة بالنّظر إلى (المخرج) أي قيمة منتجاتها، لكن -أيضا- بالنّظر إلى (المدخل) أي تكلفة تلك المنتجات، كذلك الحصافة؛ تحسب حسب معيارين: الأثر السّياقيّ (مدخل) وجهد معالجة الفرضيّة (مخرج).

وقد وصف الباحثان كيف يصل المتخاطبون إلى استنباط الحصافة، فيريان أنّ المتلقي يفترض -ابتداءً- أنّ الفرضيّة حصيفة ثم يبحث عن السّياق الذي يبررها، فإذا كان لا يؤمن بحصافتها؛ فلن يكلف نفسه عناء معالجتها، وتُصبح الحصافة -حسب هذا المنظور- معطاة، أما السّياق فمتعدد[2]؛ يُكوَّن ويُوسع أو يضيق أثناء عمليّة التّواصل، وهو مختلف من شخص إلى آخر، وعلى هذه النّتيجة؛ يرى الباحثان أنّه يجب إعادة النّظر في تعريف الحصافة، فاتجها إلى تعريفها على مستوى أعم؛ يشمل المثيرات والظّواهر؛ لأنّ التّواصل الإشاريّ-الاستنباطيّ يتم بالمثيرات (لغويّة أو غير لغويّة) وعلى هذا عرّفا حصافة الظّواهر كالتّالي[3]:

---

[1]- Dan Sperber, Deirdre Wilson, La pertinence…, p 187
[2]- Anne Reboul, Jacques Moeschler, La pragmatique aujourd'hui…, p 70.
[3]- Dan Sperber, Deirdre Wilson, La pertinence…, p 230.

- **القاعدة المقارنة (01):** تُعد ظاهرة ما أكثر حصافة بالنّسبة إلى شخص ما، عندما تكون آثارها السّياقيّة –في أحسن حالات معالجتها– هي الأكثر أهميّة.
- **القاعدة المقارنة (02):** تُعد ظاهرة ما أكثر حصافة بالنّسبة إلى شخص ما، عندما يكون الجهد الضّروريّ –في أحسن حالات معالجتها– هو الأقل.

ويهدف المثير الإشاريّ–الاستنباطيّ –دائما– باعتباره ظاهرة إلى إحداث/إنتاج آثار معرفيّة، ويصدق عليه تعريف حصافة الظّواهر؛ حيث يثير الانتباه، ويوجه إلى مقاصد المتكلم... لكن كيف يمكنه ذلك؟ لأنّ المثير الإشاريّ–الاستنباطيّ يحمل في طياته ضمانة الحصافة التي يقدمها له المتكلم؛ فالحصافة تصل إلى ذروتها عند فهم المقاصد الإعلاميّة للمتكلم.

ويرى الباحثان (سبربر) و(ولسن) أنّ فعل التّواصل الإشاريّ يطرح نوعين من الإشكاليات: كيف يحدث الفعل الإشاريّ؟ وكيف تصبح المقاصد واضحة/جلية؟ وللإجابة عن السّؤالين يقول الباحثان إنّ المثير الإشاريّ هو في حد ذاته طلب للانتباه، وإن كان المتكلمون يقدمون له الانتباه المطلوب؛ فلأنّه حصيف، ويتضمن في ثناياه قرينة الحصافة[1] وهي التي أوصلت الباحثان إلى تقديم ما سمياه بمبدأ الحصافة؛ وهو:

- كلّ فعل تواصليّ إشاريّ يُعبر عن قرينة حصافته العليا[2].

ويشير الباحثان، على أثر ذلك، إلى أنّ مبدأ الحصافة يتميّز بما يلي:

*– مبدأ لا يصلح إلا للتّواصل الإشاريّ–الاستنباطيّ؛

**– إذا لم يكن للمثير متلق معين، فهو موجه إلى من يرغب في تلقيه (الصّحافة تتوجه للقرّاء)؛

***– قرينة الحصافة ليست صادقة –دائما– لأنّه يمكن أن يغالطنا النّاس.

1- Jacques Moeschler, Anne Reboul, Dictionnaire encyclopédique de pragmatique, p 143.

2- Dan Sperber, Deirdre Wilson, La pertinence…, p 237.

****- لا يحاول النّاس –دائما- أن يكونوا حصيفين، وإن كان أغلب مستعملي التّواصل الإشاريّ يحاولون تحقيق ذلك.

*****- درجة الحصّافة المطلوبة في المثيرات تختلف من تواصل إلى آخر؛ ففي المحاضرات تُنتظر حصافة أكبر من اللّغو في المقاهي.

******- هناك اختلافات كثيرة بين نظريّة الحصافة ونظريّة المحادثة ل(قرايس) أهمها اهتمام (قرايس) بالمتضمنات؛ عكس نظريّة الحصافة التي تهتم بالصّريح والمتضمن.

ويرى الباحثان أنّ التّواصل يكون بعد إنتاج مثير يشير إلى المقاصد الإخباريّة–الإعلاميّة بشكل واضح، وتبدأ، بعد ذلك، عمليّة التّأويل التي تكون –في البداية- مبنية على ضمانة الحصافة التي يقدمها المتكلم؛ بموجب قرينة الحصافة؛ وهذه الخطوة إجابة عن السّؤال الجوهريّ: لماذا يعالج المتلقون أفعال التّواصل الموجهة لهم؟[1] ثم بعد ذلك؛ أي أثناء عمليّة التّواصل، تنشأ سياقات متعددة مهمتها إثبات أو نفي قرينة الحصافة، وتحدثُ عمليّة التّأويل حسب الباحثيْن ببناء فرضيّة واحدة، ثم اختبار مدى موافقتها لقرينة الحصافة؛ فإن كانت موافقة يتوقف المتلقي مباشرة في عمليّة التّأويل، أما إذا لم تكن موافقة، فيجرب فرضيّة ثانيّة، وهكذا دواليك، ومتى وجد فرضيّة موافقة توقف عن التّأويل.

II- التّواصل الكلاميّ: يرى (سبربر) و(ولسن) أنّ التّواصل الكلاميّ البّشريّ أقوى أنواع التّواصل؛ لأنّ الأنواع الأخرى ضمنيّة، أما التّواصل الكلاميّ البّشري فيضيف للضّمنيّ الجانب الصّريح[2]؛ ولم يتأتى له ذلك إلا بامتلاكه للبنيّة اللّغويّة التي تُقدم له درجة عالية من الدّقة، لكن هذا لا يسمح –حسب الباحثيْن- باختزال التّواصل الكلاميّ في مسارات شفرة وفك شفرة فقط؛ بل هو –أيضا- إشارة واستنباط.

أ- الصّريح والضّمنيّ في التّواصل الكلاميّ: يكون هناك تواصل عندما يصبح جليا أنّ متكلما يقول شيئا ما لشخص آخر، وفي سبيل دراسة هذه الظّاهرة يرى (سبربر) و(ولسن) أنّ الهدف الأساسيّ للتّداوليّة هو تفسير: كيف يمكن للمتلقي بناء مجموع

---

[1]- Martine Bracops, Introduction à la pragmatique…, p 106.
[2]- Dan Sperber, Deirdre Wilson, La pertinence…, p 262.

الفرضيات –التي يُفترض أنّ المتكلم أراد إبلاغها– انطلاقا من وصف لغويّ ومجموعة من المعلومات السّياقيّة؟

*– **بناء الفرضيات:** يرى الباحثان، إجابة عن السّؤال، أنّ هذه المهمة (بناء مجموع الفرضيات) التي يقوم بها المستمع تنقسم إلى عدة مهام فرعيّة مثل[1]:(رفع اللّبس– Désambiguïsation) أي اختيار التّمثل الدّلاليّ الذي يفرضه النّحو على الملفوظ، ثم تحديد المراجع، وإثراء ذلك التّمثل للوصول إلى (الشّكل القضويّ– Forme propositionnelle) ويمكن التّمثيل لذلك بشرحهما للمثال التّالي:

- قالت ماري لبيار: [sa yabrudu hada]

– **رفع اللّبس:** سيضع بيار الفرضيّة أنّ: ماري قالت (سيبرد هذا)[*] وهذا موافق لنحو العربيّة؛ وبالتّالي يحيل إلى تمثل دلاليّ ما؛ وهو:(البرودة في المستقبل).

– **تحديد المراجع:** س: للمستقبل القريب؛

يبرد: فعل مضارع؛

هذا: يحيل للوجبة (طعام).

– **الشّكل القضويّ:** هو: الوجبة ستبرد في المستقبل القريب.

ويشكل رفع اللّبس والشّكل القضويّ المرحلة الأولى في التّأويل (وهذا ما يسميه الباحثان أيضا الإثراء والتّكملة) لكن رغم ذلك، فالمتلقي يمكن أن لا يصل إلى تأويل الملفوظ بشكل نهائيّ؛ لأنّ الشّكل القضويّ قد يحمل –مثلا– موقفا قضويّا عن مدى اعتقاد المتكلم به؛ وهي حالات ذهنيّة متعلقة بالملفوظ[2]؛ كالفرضيّة التّاليّة:

- تعتقد ماري أنّ الوجبة ستبرد.

أي إنّه هناك موقف إزاء الشّكل القضويّ الموضوع في رسم لفرضيّة، وكلّ هذه العمليات يمكن تسميتها تطوير الشّكل المنطقيّ (أي ما نتج عن رفع اللّبس...)[3] لكن

---

[1]- Martine Bracops, Introduction à la pragmatique…, p 110.

[*]– قد تبدو الصّياغة غير سويّة، لكنّني فضلت الإبقاء عليها لغرض الاحتفاظ ببنيّة التّحليل الذي قدمه الباحثان.

[2]- Martine Bracops, Introduction à la pragmatique…, p 113.

[3]– فتيحة بوسنة، انسجام الخطاب في مقامات "جلال الدّين السّيوطي"، مذكرة ماجستير، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة تيزي وزو–الجزائر: د.ت. ص 21.

يمكن، في إطار بحث المتلقي عن الحصافة، أن يضع فرضيّة أخرى –بالنّظر إلى المعلومات الجلية بالنّسبة للمتخاطبين– وهي:

- ماري تريد أن يحضر بيار إلى المائدة حالا.

وقد لاحظ الباحثان أنّ هذه الفرضيّة الأخيرة لا تحمل الشّكل المنطقيّ الموجود في كلّ الفرضيات السّابقة، وهو: (سيبرد) الذي استخرجاه بعد عمليّة رفع اللّبس، وهذا النّوع من الفرضيات هو المتضمن بالنّسبة للباحثيْن، أما الفرضيات الأخرى التي ذكراها (قالت ماري (سيبرد هذا) (الوجبة ستبرد في المستقبل القريب) (ماري تعتقد أنّ الوجبة ستبرد) فهي كلّها من قبيل الصّريح الذي يعتبره الباحثان أجدر بالدّراسة أكثر من المتضمنات، وقد عرّفاه كالتّالي:« تكون الفرضيّة المُعبر عنها بالملفوظ (أ) صريحة إذا كانت، وإذا كانت فقط، نتيجة لتطوير الشّكل المنطقيّ المشفر من قبل (أ)»[1] أي إنّ الشّكل المنطقيّ المستخرج، بعد رفع اللّبس، له أهمية كبيرة في تحديد الفرضيات الصّريحة والمتضمنة.

ويمكن تلخيص كلّ تلك الآليّة بالخطوات التّالية:

- رفع اللّبس: هو إقصاء كلّ معاني الجملة الممكنة إلا واحد.
- تحديد المرجعيات؛ أي ربط الملفوظ بالسّياق.
- إثراء/تطوير الشّكل المنطقيّ.
- الانسجام مع مبدأ الحصافة؛ أي التّأويل الذي يحتاج إلى جهد قليل.

وقد أكد الباحثان، في معرض حديثهما عن كلّ هذه الآليات، على أنّ الفرضيات الصّريحة والمتضمنة كلاهما نتيجة لعمليات استنباطيّة، وليس كما يعتقد البعض أنّ الفرضيات الصّريحة مشفرة لسانيّا فقط؛ بل لا يمكن أبدا الاستغناء عن الاستنباط ولو في الصّريح.

– **كيفيّة بناء الشّكل القضويّ: تساءل الباحثان، في إطار شرح الشّكل الصّريح في التّواصل الكلاميّ أو (المصرحات–Explicitation) عن كيفية بناء الشّكل القضويّ، وما هي المعايير التي يعتمدها المتلقي لاختيار الشّكل القضويّ الصّحيح؟

[1]- Dan Sperber, Deirdre Wilson, La pertinence…, p 271.

يعتقد (سبربر) و(ولسن) أنّ المتلقي يستعمل آليتيْن أثناء إعادة بناء الشّكل القضويّ: الأولى هي قالب محيطيّ؛ وهو القالب اللّغويّ[1]، والثّانيّة هي ملكة ذهنيّة مركزيّة؛ وهي استنباطيّة[2]، فيعمل القالب اللّغويّ على اقتراح التّمثلات اللّغويّة للجملة، ثم يقوم النّظام المركزيّ باختيار التّمثل الموافق لمبدأ الحصافة[*]؛ أي إنّه هناك جانب فك الشّفرة، وجانب الاستنباط في العمليّة.

ويبدو، من هنا، أنّ الانتقال من التّمثل الدّلاليّ إلى الشّكل القضويّ لا يحتاج فقط إلى رفع اللّبس وتحديد المرجعيات؛ بل يحتاج –أيضا– إلى إثراء، كما يجب أن يكون منسجما مع مبدأ الحصافة لقبوله كتأويل.

ب- كيفية بناء (المتضمنات-Implicitation): سأحاول في هذه النّقطة أن أعرف كيف يساعد مبدأ الحصافة المتلقي على إعادة بناء المتضمنات، فيعتقد (سبربر) و(ولسن) أنّ إعادة بناء أي كلام متضمن، في أي ملفوظ، هو التّعرف على الأسباب الجلية التي جعلت المتكلم يعتقد أنّ ملفوظه سيكون حصيفا بالنّسبة للمتلقي، ويريان أنّ المتكلمين لا يعلمون –دائما– ما هي الآثار التي ستجعل كلامهم حصيفا، لكن هناك بعض الحالات التي يعلمون فيها حتى الطّريقة التي سيكون عليها كلامهم حصيفا، وقد ضربا الباحثان المثال التّالي:

- بيار: هل ستقودين مرسيدس.
- ماري: لن أقود سيارة فاخرة.

ليست إجابة (ماري) في هذا المثال إجابة مباشرة، لكن تسمح بالدّخول إلى المعارف الموسوعيّة (سيارة فاخرة) التي يوجد بينها (مرسيدس سيارة فاخرة) كفرضيّة محتملة جدا، وإذا أوّل المتلقي (لن أقود سيارة فاخرة) في السّياق (مرسيدس سيارة فاخرة) سيصل إلى المستلزمة (ماري لن تقود مرسيدس) وهي إجابة معقولة بالنّسبة للسّؤال المطروح، لكن يجب التّأكيد أنّ إجابة (ماري) ليست مباشرة؛ بل متضمنة في

[1]- Anne Reboul, Jacques Moeschler, La pragmatique aujourd'hui…, p 67.
[2]- Dan Sperber, Deirdre Wilson, La pertinence…, p 276.
[*]- يقول (سبربر) و(ولسن) أنّ المثير الإشاريّ هو الملفوظ في اللّغة، والشّكل المنطقيّ تتواجد فيه فرضيات المتكلم، وهي رسم لفرضيّة، والكلمات الغامضة في الشّكل المنطقيّ توضح أين يمكن إثراء هذا الرّسم.

الملفوظ، وهي حصيفة فقط كإجابة على السّؤال الوارد في هذا المثال، وفي حالة أخرى، قد لا تكون كذلك، كما أنّ الكلام المتضمن مقصود –هنا–.

ويمكن تعريف الكلام المتضمن (المتضمنات) بشكل عام على أنّه:« فرضيّة تنتمي إلى السّياق أو جاءت كاستلزام من السّياق؛ وهي فرضيّة لمتكلم أراد بشكل جلي أن يجعل ملفوظه حصيفا...»[1] وقد ميّز (سبربر) و(ولسن) في المتضمنات بين المقدمات مثل (مرسيدس سيارة فاخرة) في المثال السّابق، والنّتائج مثل (ماري لن تقود مرسيدس) في المثال نفسه[2]، والأولى مصدرها الذّاكرة وتُشكل السّياق، أما الثّانيّة، فهي نتيجة تلاقي الملفوظ والسّياق، وكلاهما يلجأ إليهما المتكلمون بحثا عن التّأويل الحصيف.

وميّز الباحثان في موضع آخر بين (متضمنات الخلفيّة–Arrière plan) و(متضمنات الواجهة–Premier plan) كما أكد الباحثان على أنّ المتكلم عندما يتواصل لا ينتظر من المستمع أن يؤوّل كلّ المتضمنات الممكنة من ملفوظ ما؛ بل ينتظر أن يأخذ بالأكثر جلاء؛ لأنّه هناك متضمنات أخرى تشكل استرسالا من الأكثر جلاء إلى الأقل جلاء؛ ففي المثال السّابق، يمكن أن يستنتج المستمع من (سيارة فاخرة) (سيارة فيراري) أو أيّ سيارة أخرى، فيصل مثلا إلى أنّ (ماري لن تقود فيراري) أو أيّ سيارة أخرى، لكن هذه الفرضيّات –وإن كانت صحيحة– لكن ضعيفة؛ لأنّ الأكثر جلاء هو:(ماري لن تقود مرسيدس).

*– **تحليل المتضمنات الضّعيفة:** يعتقد (سبربر) و(ولسن) أنّ الأسلوب يختلف بين ملفوظ وآخر حسب درجة اللّجوء إلى الآثار الشّعريّة، ومدى حضور الصّريح والضمنيّ فيه... فإذا كانت حصافة الصّريح والضّمنيّ مبنية في أغلبها على مستلزمات قويّة؛ يُشجع المتكلم المستمعَ على بنائها، فإنّ الآثار الشّعريّة –عادة– ما تتبني حصافتها على المستلزمات الضّعيفة.

---

[1]- Dan Sperber, Deirdre Wilson, La pertinence…, p 290.

[2]- Jacques Moeschler, Anne Reboul, Dictionnaire encyclopédique de pragmatique, p 99.

وقد ضرب الباحثان العديد من الأمثلة عن الآثار الشّعريّة، وخاصة الأمثلة ذات العلاقة بظاهرة التّوكيد؛ للتّدليل على هذا النّوع من الحصافة، ومن بين الأمثلة قولهما[1]:

- هناك ثعلب، ثعلب في البستان!

فيُلاحظ في هذا الملفوظ توكيد لكلمة (ثعلب) لكن هذه الجملة لا تعني البتة أنّ هناك ثعلبين في البستان؛ أي إنّها لا تختلف من حيث عدد الثّعالب عن: هناك ثعلب في البستان! غير المؤكدة، وإن أُريدَ تحديد معناها، فلن يكون الفرضيّة (الثّعلب في البستان) مثلا؛ وإلا لماذا التّوكيد؟ وعلى هذا، فإنّ معناها أكثر من ذلك؛ كأن يكون: (القائل مندهش من وجود الثّعلب في البستان) فالمتكلم يُشجع المتلقي على الذّهاب بعيدا في استغلال المدخل الموسوعيّ (ثعلب) وهذا العمل الزّائد للمتلقي؛ سيجد فيه فائدة؛ لأنّ حصافة الملفوظ تتحقق به؛ فكلّ جهد زائد فيه آثار سياقيّة جديدة (فائدة) حسب مبدأ الحصافة، والاختلاف بين الملفوظ المؤكد وغير المؤكد ليس في عدد المستلزمات التي يمكن أن يبنيها المستمع منهما، بل في تشجيع المتكلم للمتلقي على بناء عدد أكبر من المقدمات والنّتائج في الملفوظ المؤكد؛ لتبرير ذلك التّأكيد، ولهذا يعتقد (سبربر) و(ولسن) أنّ (الأسلوب ليس الشّخص) كما يُقال، بل هو (العلاقة) أي إنّ العلاقة بين المتكلم والمتلقي هي التي تخلق ما يسمى الأسلوب.

ويعتقد الباحثان أنّ ما يصدق على التّوكيد يصدق على كلّ الصّور البلاغيّة المعروفة؛ أي إنّها لا تضيف فرضيات جديدة مقارنة بالملفوظات البسيطة، بل تجعل الفرضيات الضّعيفة أكثر جلاء، فتصنع أحاسيس (عاطفيّة) وليس معارف[2] (معرفيّة).

- **التّمثيل والوصف: يرى الباحثان، في إطار دراسة المتضمنات الضّعيفة دائما، أنّ كلّ المثيرات التي تُستعمل في التّواصل الإشاريّ هي تمثلات في جوهرها، ولفهم أي مثير يجب بناء تمثل نفسيّ له شكل منطقيّ مُشكل من مجموعة

1- Dan Sperber, Deirdre Wilson, La pertinence…, p 329.
2 - Dan Sperber, Deirdre Wilson, La pertinence…, p 336.

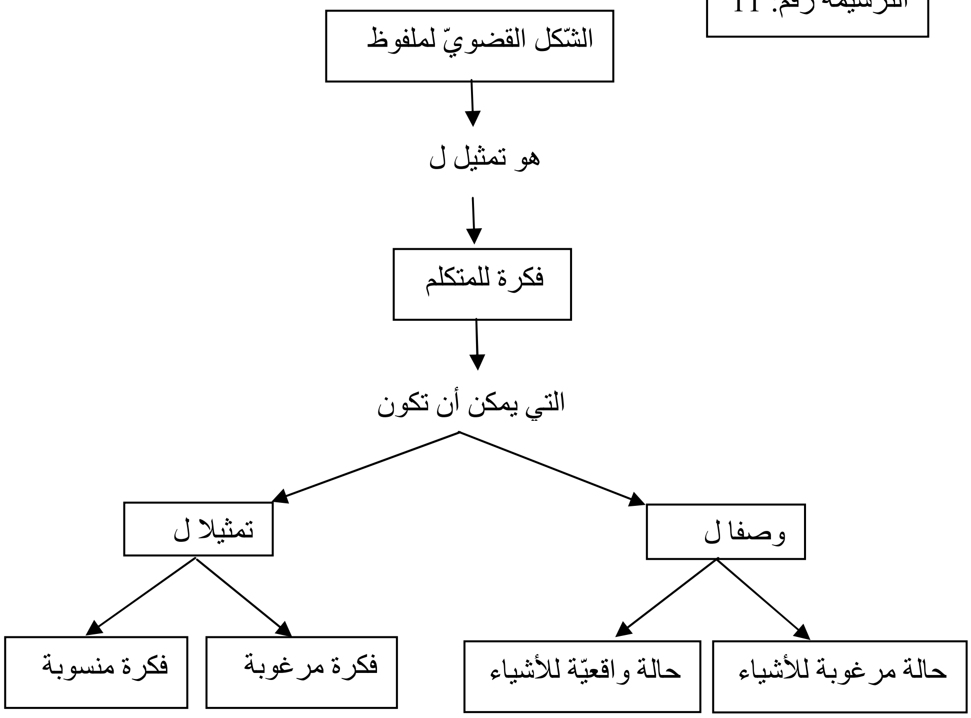
من المفاهيم، ويمكن لهذا الشّكل المنطقيّ أن يكون رسما لفرضيّة، ومفاهيمه هي المداخل الموسوعيّة، وهذا ما يثبت أنّ التّمثلات لها دور خطير في التّواصل.

ويعتقد الباحثان أنّ استعمال هذه التّمثلات يخضع لطريقتين هما: التّمثيل والوصف[1] ف« يمكن أن تُمثَل حالة من حالات الأشياء بمقتضى صحة شكلها القضويّ بخصوص تلك الحالة، وفي هذا الحال نقول إنّ التّمثل عبارة عن وصف... أو يمكن أن يُمثِل التّمثل تمثلا آخر له شكله القضويّ بمقتضى تشابه بين الأشكال القضويّة، وفي هذه الحالة نقول إنّ الأول هو تمثيل للثّانيّ»[2] والملفوظات اللّغويّة كلّها تخضع لهذه التّفرقة، فيمكن أن تُستعمل وصفيّا، كما يمكن أن تستعمل تمثيليّا، وأشهر الاستعمالات التّمثيليّة هي (الخطاب المرويّ) حيث يكون الملفوظ تمثيلا لتمثُل الغير، أما الاستعمال الوصفيّ للملفوظ، فهو كثير نحو قولي:(شجرة) فهي شيء موجود في العالم؛ أي حالة من حالات الأشياء التي لا تستدعي تشابها بين ما أقوله والشّيء، بل تستدعي وجودا حقيقيّا وصحيحا لذلك الشّيء.

وتكمن أهميّة هذه التّفرقة في فكر (سبربر) و(ولسن) في تفسيرها للكثير من الظّواهر التي يُعتقد أنّها ظواهر مستقلة، وقد ذكرا منها: الاستعارة، السّخريّة، أفعال الكلام؛ وخاصة ما يسمى بالخطاب غير المباشر، وهو ما سأعرضه الآن، لكن قبل ذلك أقدم هذه التّرسيمة[3] التي تُمثل منطلقا لدراسة كلّ هذه الظّواهر:

[1]- Jacques Moeschler, Anne Reboul, Dictionnaire encyclopédique de pragmatique, p 101.
[2]- Dan Sperber, Deirdre Wilson, La pertinence…, p 343.
[3]- Georges-Elia Sarfati, Précis de pragmatique, p 71.

التّرسيمة رقم: 11



وخلص الباحثان، بناء على التّرسيمة رقم (11) إلى تعريف بعض الظّواهر اللّغويّة كالتّالي:

- **الاستعارة:** هي علاقة تمثيل بين الشّكل القضويّ والفكرة التي يُعبر عنها الملفوظ، وقد حللها الباحثان على أساس أنّها ليست إلا تعرفا من قبل المتلقي لمجموعة من المتضمنات الضّعيفة؛ لكن المقبولة، ويعتقدان أنّ الاستعارة والتّشبيه وصور المجاز الأخرى كلّها تستدعي القدرات التّأويلية نفسها[1] التي يستعملها المتلقي في التّواصل العاديّ.

- **السّخريّة:** هي علاقة تمثيل بين فكرة المتكلم وملفوظات أو أفكار منسوبة، لكن يضيف الباحثان، أثناء تحليل هذه الظّاهرة، أنّها تنتمي إلى ما يسمونه بالظّواهر الصّدويّة[2] التي يُعبر فيها الملفوظ عن فكرة للمتكلم؛ هي في حد ذاتها تعبير عن فكرة للغير؛ كأنّما الأمر فيه صدى فكرة الغير عند المتكلم أو فكرة من الدّرجة الثّانيّة، ويدخل في هذه الظّواهر الصّدويّة (الخطاب المرويّ) وبعض الصّور البيانيّة مثل (التّوريّة–LITOTE)...

[1]- Dan Sperber, Deirdre Wilson, La pertinence…, p 356.
[2]- Martine Bracops, Introduction à la pragmatique…, p 133.

ويذهب الباحثان في تحليلهما إلى إنكار وجود السّخريّة حيث يقولان: إنّها ليست جنسا طبيعيّا[1]، فهي تُمثّل موقفا يُعبر عنه المتكلم تجاه أفكار الغير؛ وهو الرّفض –دائما– في السّخريّة، لكن هناك من الحالات حيث يكون الموقف هو القبول المطلق؛ كاقتباس الأمثال والحِكم التي يُعبر المتكلم أثناء استعمالها عن ملاءمتها لتلك الوضعيّة أو بالأحرى قبولها، ومن هنا، يرى الباحثان أنّ هناك تراتبيّة من القبول إلى الرّفض في الظّواهر الصّدويّة، لكن لا تتميّز السّخريّة –حسب الباحثان– بشيء يجعلها جنسا خاصا.

– **أفعال الكلام:** يرى (سبربر) و(ولسن) أنّ نظريّة أفعال الكلام لا تُفسر التّواصل بما فيه الكفاية لخلل في التّصور، فوضعُ مجموعات من فئات الكلام (أنواع أفعال الكلام) ممكن؛ لكن القول إنّها ضروريّة للتّأويل دون تقديم المبرر الكافي فهذا شيء أخر*، لذلك يجب تجاوز هذه النّظريّة –حسب الباحثان– وتقسيماتها؛ وإعادة النّظر في تعريفات بعض الأفعال على الشّكل التّالي:

- **الإثبات:** هي علاقة وصفيّة بين فكرة المتكلم وحالة للأشياء في العالم.
- **الطلبات والنّصائح:** تُقيم علاقات وصفيّة بين فكرة المتكلم وحالة مرغوبة للأشياء.
- **الاستفهام والتّعجب:** علاقات تمثيليّة بين فكرة المتكلم وفكرة مرغوبة.

وقد قدم الباحثان نماذج تحليليّة لهذه الأفعال مع ربط كلّ الحالات بمبدأ الحصافة وتوضيح كيفية تدخله في عملية التّأويل؛ بالتّركيز –دائما– على العمليات العرفانيّة/ النّفسيّة التي تتدخل في إنتاج وفهم اللّغة، وهي أهم ميزة بُنيت عليها هذه النّظريّة.

1- Dan Sperber, Deirdre Wilson, La pertinence…, p 360.

*– يقول (سبربر) و(ولسن) إن افتراض أنّ لاعبي التّنس يقسمون قذفات الكرة إلى كرة طائرة وكرة إحائية... لا يعني البتة أنّ اللاعب لا يمكنه قذف الكرة إن كان لا يعرف هذه الأنواع (يُنظر كتابهما: La pertinence…).

الباب الثّانيّ:

الخطاب الصِّحافيّ (الرّياضيّ) والتّداوليّة (دراسة تطبيقيّة).

الفصل الأوّل:

الخطاب الصِّحافيّ الرّياضيّ والتّداوليّة المدمجة.

الفصل الأول: الخطاب الصّحافيّ الرّياضيّ والتّداوليّة المدمجة: سأحاول في هذا الفصل أن أستثمر مجمل تقنيات التّحليل التي قدمتها التّداوليّة المدمجة، وذلك لفهم خبايا خطابات العيّنة التي حددتها سابقا، وسأركز العمل على محورين هما: نظريّة تعدد الأصوات والطّابع الحجاجيّ للّغة.

المبحث الأول: الخطاب الصّحافيّ الرّياضيّ ونظريّة تعدد الأصوات: سينصب اهتمامي في هذه النّقطة على استثمار نظريّة تعدد الأصوات؛ في سبيل فهم اشتغال اللّغة في الخطاب الصّحافيّ الرّياضيّ، وسأربط ذلك ببعض الظّواهر اللّغويّة كالخطاب المروي والمشهورات والنّفي.

الفرع الأول: تعدد الأصوات والخطاب المروي: يُعد الخطاب المروي من أكثر مظاهر تعدد الأصوات المنتشرة في الخطاب الصّحافيّ الرّياضيّ، ولهذا النّوع من الخطاب طُرق خاصة متعددة في مشهدة المتكلمين، وهي أفاق لغويّة يستخدمها الصّحافيون لأغراض عدة.

1: الخطاب المروي المباشر ومشهدة المتكلمين: يُمثّل الخطاب المروي المباشر الصّيّغة الأصليّة للخطاب المروي، فتحضر فيه الإشارات الدّالة والفاصلة بين كلام الصّحافيّ والكلام المروي عن غيره، فلنلاحظ معًا الأمثلة التّالية*:

01- ... في رده على سؤال حول ما إذا كان قد تكلم مع رئيس الاتحادية الجزائرية لكرة القدم محمد روراوة، قال رئيس الكناري محند شريف حناشي « لست مجنونا حتى أتحدث مع روراوة، وأضاف حناشي بشأن تتويج الشبيبة أمس بالكأس الخامسة « أنا الرئيس الأكثر تتويجا في الجزائر... وأشكر اللاعبين على المجهودات الكبيرة التي بذلوها طيلة اللقاء»[1].

02- صنع صخرة الدفاع الجزائري «الماجيك» الحدث وتجاوب معه الأنصار كثيرا ورددوا مطولا «بوقرة.. بوقرة»...[2].

03- دوت مدرجات ملعب 05 جويلية بهتافات «وان تو ثري ... فيفا لالـــجيري» عند بداية

*- سأستعمل، انطلاقا من هذه النقطة، رقما أمام كلّ مثال لتسهيل الإحالة إليه أثناء التّحليل.

[1]- دون إمضاء:«حناشي:« لست مجنونا لأتحدث مع روراوة»» الخبر الرّياضيّ، 02 ماي 2011م، ع: 342 ص 11.

[2]- دون إمضاء:« بوقرة ألهب المدرجات» الشّبّاك، 02 ماي 2011م، ع: 851، ص 05.

عزف النشيد الوطني...[1].

يبدو في المثال رقم (01) من هذه المجموعة أنّ الصّحافيّ هو صاحب الكلام؛ أي المتكلم الذي يتحمل مسؤوليّة كلّ الملفوظ، وقد أورد في ملفوظه كلاما لمتكلم آخر هو (محند شريف حناشي) رئيس شبيبة القبائل المتوجة بكأس الجزائر سنة 2011م، فيتقاسم مسؤوليّة هذا المثال متكلمان: الأول يتحمل كلّ الخطاب والثّانيّ يتحمل الجزء المتواجد بين الشولتين، ويُلاحظ -أيضا- أنّ الخطاب المكتوب عندما يستعمل هذه الرموز إنّما يريد أن يمشهد وضعية معروفة عند الصّحافيين والقرّاء وهي أنّ الكلام مأخوذ عن قائله كما هو؛ دون تحريف ولا زيادة، لكن الأمر ليس على هذه الشّاكلة فعلا، لأنّ الصّحافيين لا ينقلون الكلام على حاله الأصليّة -دائما- بل غالبا ما يحوّرونه دون المساس بجوهره.

ويبدو لي أنّ هذا المثال يمثل الأحوال المثاليّة للخطاب المروي حيث يكون هناك متكلمان؛ أحدهما الصّحافيّ والآخر هو الشّخص المأخوذ عنه، لكن المثال رقم (02) يغيّر شيئا ما هذه الأوضاع، فالمتكلم الثّانيّ الذي يتحمل مسؤوليّة الكلام الموجود بين الشولتين « بوقرة.. بوقرة» ليس شخصا مفردا؛ بل هو عدد لا متناه من الأفراد؛ يمثلون ما يسمى بالأنصار؛ فتقنيات تعدد المتكلمين والأصوات تسمح حتى بمشهدة عدد كبير من الأصوات في صوت واحد، على غرار مشهدة الأنصار في هذا المثال الثّانيّ.

ولا يختلف المثال رقم (03) عن سابقه إلا من حيث كيفية التّقديم حيث تدخلت الصّور البيانيّة في قوله:«دوّت المدرجات» وهو مجاز مرسل يعني به: دوّت حناجر الأنصار الموجودين في المدرجات بالملفوظ الموجود بين الشّولتين:« وان تو ثري ... فيفا لالجيري» كما أشير إلى أنّ هذا الكلام من المسكوكات المشهورة في لغة الرّياضيين الجزائريين؛ وتحيل إلى متكلم ثالث غير معروف؛ لا هو الأنصار

[1]- دون إمضاء:« وان تو ثري ... فيفا لالجيري» الهدّاف، 02 ماي 2011م، ع: 1703، ص 07.

ولا هو الصّحافيّ؛ بل هو الشّخصيّة الجزائريّة -إن صح التّعبير- وهذا ما يقوّي اللّغة* بمنظور الرّياضيين عامة.

ويبدو لي أنّ هذه الحالات من الخطاب المروي هي الأكثر انتشارا والأسهل للفهم بالنّسبة للقرّاء، وهو ما يسمى -عادة- بالخطاب المروي المباشر الذي يتميّز بسهولة تمييز المتكلمين في ثناياه، لكن ليست النّصوص والملفوظات على هذه الشّاكلة كلّها؛ بل وردت، في عيّنة هذا العمل، العديد من الأنماط الأخرى من الخطاب المروي التي تستثمر فكرة تعدد الأصوات بكلّ ما أتيح لها من إمكانيات، وهو ما سأبيّنه في ما يلي من التّحليل.

2: الخطاب المروي غير المباشر ومشهدة المتكلمين: سأقف في ما يلي على أمثلة من العيّنة التي أدرسها يصعب فيها تمييز المتكلمين؛ وهو ما يظهر في الأمثلة التّالية:

04- مباشرة بعد دخول فخامة رئيس الجمهورية... حتى انفجرت مدرجات ملعب 05 جويلية في حدود الثالثة إلا ربع وخاصة أنصار الحراش الذين حيوه وتغنوا باسمه وطالبوا منه أن يمنحهم كأس الجزائر مؤكدين له أن الحراش هي من ستفرح في الأخير...[1].

05-... علما وأنه كان قد صرح قبل اللقاء بأنه سعيد جدا بالعودة إلى الملعب الأولمبي الذي يعتبره حديقته المفضلة، بفضل السنوات الأربع التي قضاها مع العميد الذي كان غالبا ما يستقبل منافسيه بملعب 05 جويلية[2].

06- أكد الكثيرون أن الحراش خسرت الكأس في الشوط الأول، وفي نهاية المواجهة لم يخف بعض اللاعبين وكل المسيرين في النفق المؤدي إلى غرف تغيير الملابس من خلال حديثهم أن شارف يتحمل جزءا كبيرا من المسؤولية في هذه الخسارة...[3].

---

*- أشير -هاهنا- إلى أنّني أتحدث عن اللّغة الرّياضيّة، أما بالمنظور النّحويّ والبلاغيّ الفصيح، ففي هذا الملفوظ كلام غير فصيح جيء به من لغة الشّارع، ولا يرقى إلى الفصيح البليغ في شيء.

[1]- دون إمضاء:« بوتفليقة... الحراش... "دارت حالة"» الشّبّاك، 02 ماي 2011م، ع: 851، ص 05.

[2]- دون إمضاء:« رجل المقابلة: يونس يتوج بالكأس الثالثة» الخبر الرّياضيّ، 02 ماي 2011م، ع: 342 ص 11.

[3]- س.م:« الحراش خسرت الكأس في الشوط الأول وانتقادات لاذعة لشارف» الهدّاف، 02 ماي 2011م، ع: 1703، ص 06.

كانت المجموعة السّابقة من الأمثلة تُمشهد متكلمين اثنين، أما هذه الأمثلة الجديدة فتفعل الشّيء نفسه، لكن يفقد القارئ معها أهم مساعد في تأويل الأجزاء إلى من تؤول؛ وهما الشّولتان اللّتان كانتا نظاما نسخيّا مساعدا له، ففي هذه المجموعة الجديدة؛ على القارئ والمحلل معا الاتكال أو التّركيز على عناصر أخرى لفهم ظاهرة تعدد الأصوات، ويجب أن ينصب التّركيز –هاهنا– على الأفعال التّقديميّة؛ لأنّها الوحيدة التي يمكن أن تساعد على فهم تقاطعات المتكلمين الموجودين في الخطاب.

يصور لنا المثال رقم (04) –أو الصّحافيّ– وضعيّة دخول رئيس الجمهوريّة الجزائريّة السّيد (عبد العزيز بوتفليقة) إلى المنصة الشّرفية لمشاهدة اللّقاء*، وكيفية استقباله من قبل أنصار اتحاد الحراش خاصة، فالمتكلم الذي يتحمل كلّ الملفوظ هو الصّحافيّ باعتباره كاتب المقال –والمقال هنا دون إمضاء؛ لذلك سيكون هذا المتكلم هو الجريدة باعتبارها شخصا اعتباريّا أو معنويّا، لكن حديثي هنا يشير إلى الصّحافيّ؛ اعتبارا أنّ المقال قد كتبه صّحافيّ ما، ثم صححه غيره، ونُشر باسم الجريدة– أما المتّكلم الثّانيّ فهو (الأنصار) الذين يتحملون –خطابيّا– بعض أجزاء الملفوظ التي تتحدث عن الهتافات التي رفعوها.

ويُلاحظ أنّ الصّحافيّ أو المتكلم رقم واحد (01) في المقال لم يُحْضر كلام الأنصار على حرفيته؛ بل وصفه –أحيانا– واقترب من صيغته الأصليّة –أحيانا– ففي قوله:« حيوه وتغنوا باسمه...» لم يقل –المتكلم (01)– كيف حيا الأنصار الرّئيس؛ هل قالوا له:(مرحبا) أو (السّلام عليكم)... بل لخص الكلّ في لفظة (حيوه) أما الصّيغة الثّانيّة:« وتغنوا باسمه» على دقتها أكثر من الأولى؛ فإنّها ليست الخطاب الأصليّ للأنصار –أيضا– فقد كانوا ربما ينادون (عبد العزيز) فقط أو (بوتفليقة) فقط أو (المالي)* فقط... وهي كلّها أسماؤه، أما الجزء الأخير من

*– أشير إلى أنّ اللّقاء هو نهائيّ كأس الجمهوريّة الجزائريّة لسنة 2011م بين اتحاد الحراش وشبيبة القبائل، وهو اللّقاء الذي فازت به شبيبة القبائل بهدف واحد (01) مقابل صفر (00).

*– الاسم الثّوريّ للرّئيس الجزائريّ عبد العزيز بوتفليقة أثناء الثّورة الجزائريّة المباركة (يُنظر: http://www.el-mouradia.dz/arabe/president/biographie/biographie.htm).

الملفوظ:« طالبوا منه أن يمنحهم كأس الجزائر»/«الحراش هي من ستفرح في الأخير» فقد كان أقرب إلى الخطاب الحقيقيّ الذي يمكن أن يكون أنصار اتحاد الحراش قد تلفظوا به، فيمكن أن يكون الأنصار قد هتفوا –فعلا–:(الحراش من سيفرح في الأخير...) لكن الكلام لم يوضع –في كلّ الأحوال– بين شولتين؛ مما يعطي للقارئ حرية التّأويل.

ولا بد من الإشارة –هاهنا– إلى أنّ المتكلم رقم (01) عندما مشهد المتكلم رقم (02) إنّما استعمل في ذلك وسائل تساعد القارئ على معرفة ما هو للمتكلم (01) وما هو للمتكلم (02) ففي مثالنا هذا؛ الصّيغة (وخاصة أنصار الحراش) تُعرّفنا بالمتكلم الثّانيّ (02) بشكل لا ريب فيه، وبعد ذلك، هناك إحالات تعود كلّها على أنصار الحراش، وهي كلّها إحالات قبليّة في مثل الواو في: (تغنوا) (طالبوا) التي تعود على أنصار اتحاد الحراش خاصة.

ويتقاسم لعبة المتكلمين، في المثال رقم (05) أعلاه، متكلميْن –دائما– الأول هو الصّحافيّ –أو بالأحرى الجريدة– الذي يمشهد الخطاب كما يريد، أما المتكلم الثّانيّ، فهو في هذا المقال لاعب شبيبة القبائل (يونس سفيان)، والملاحظ –دائما– أنّ التّعرف على هذا المتكلم الثّانيّ يكون بفك إحالة (الهاء) في (أنه) مرتين، و(الفاعل المستتر) في (صرح...) وكلّها تساعد القارئ –والمتكلم الأول (الصّحافيّ)– على ترتيب عمليّة التّأويل على أساس أنّ الملفوظ:(سعيد جدا بالعودة إلى الملعب الأولمبيّ) مثلا الوارد في المثال؛ كلام للاعب (يونس سفيان) وليس للصّحافيّ؛ رغم أنّ هذا الملفوظ مثل سابقه –في المثال السّابق– لم يوضع بين مزدوجتين، كما يُلاحظ أنّ المتكلم الأول (الصّحافيّ) استعان بفعل تقديميّ عام؛ جاء في بداية الملفوظ وهو (صرح) ثم استعمل فعلا أخر هو (يعتبره) الذي يلعب –أيضا– دور تقديم الكلام؛ مما يُسهل على القارئ تمييز الأجزاء التي يتحملها المتكلم (01) (الصّحافيّ) والمتكلم (02) (سفيان يونس).

ويتحدث المثال السّادس (06) أعلاه عن تحميل مسؤوليّة خسارة كأس الجزائر (2011م) من قبل اتحاد الحراش لمدرب الفريق (بوعلام شارف)، والملاحظ أنّ الملفوظ يحتوي على أكثر من متكلم، فهناك المتكلم الأول هو الصّحافيّ (س.م.)

الذي أمضى المقال، وبدأه مباشرة بذكر متكلم ثانيّ، وهو جماعة سماها: (الكثيرون) ثم قدم رأيهم بالاعتماد على الفعل التّقديميّ (أكد)، أما كلامهم، فهو متعلق بخسارة الحراش لكأس الجزائر، وكان ذلك في الشّوط الأول؛ وليس في الثّانيّ...*، ويلاحظ –دائما– غياب المزدوجتين مما يوحي أنّ الكلام ليس حرفيّا؛ بل تصرف فيه المتكلم رقم (01).

وأضاف هذا المتكلم رقم (01) بعد ذلك، متكلمين اثنين هما:(بعض اللاعبين) و(كلّ المسيرين) وهما مجموعتان اعتباريّتان تتشابهان –ربما– مع مفهوم (الأنصار) في كونهما اعتباريّتين، لكنّه جعلهما تحملان حكما كميّا من حيث هو يتحدث عن بعض اللاعبين فقط، وكلّ المسيرين؛ فقد ميّز بين الفئتين فجعلهما متكلميْن، وأرى –هاهنا– أنّ الأمر يُراد منه تقويّة الرّأي؛ لأنّه كان من الممكن أن يتحدث باسم (الكثيرين) فقط الوارد في بداية الملفوظ، ويُلاحظ –أيضا– أنّ الصّحافيّ قدّم الملفوظ بالفعل:(لم يُخف) وكأنّه هناك نوع من الجرأة في الطّرح؛ لأنّ في ذلك نقد –طبعا– ومساس بالوجه الايجابيّ –بمفهوم قوفمان– للمدرب بوعلام شارف، وهذه المشهدة كلّها –في رأيي– يريد من خلالها الصّحافيّ/المتكلم (01) أن يُظهر نفسه على أنّه لا ينخرط في الكلام؛ وذلك بنسبته إلى قائلين متعددين، ويبدو لي أنّ هذه الاستراتجيّة قد يُراد منها –فعليّا– التّدليل على الانخراط في الكلام المرويّ؛ وهو (شارف يتحمل جزءا كبيرا من المسؤوليّة في هذه الخسارة).

ويستوقفني، في إطار هذا التّعدد في المتكلمين الذين يُمشهدهم المتكلم الأول (الصّحافيّ) هذا المثال المتميّز:

07– تناول العايب وحناشي الكلمة عبر "ميكروفون" التلفزيون، وأكدا أن النهائي بمثابة عرس كروي كبير، مؤكدان ضرورة تواصله مهما كانت هوية الفائز...[1].

لا جدال أنّ المتكلم الأول، في هذا المثال (رقم (07))، هو الصّحافيّ –أو الجريدة باعتبار المقال غير ممضي– ثم يمشهد متكلمين هما: (العايب)

---

*– لأنّ الهدف الوحيد في المقابلة كان في الشّوط الأول، وبعد ذلك لم تكن هناك أهداف من الطّرفين.

[1]– دون إمضاء:« أكدا في تدخلهما أن النهائي عرس كبير» الهدّاف، 02 ماي 2011م، ع: 1703، ص 05.

و(حناشي)*، ويوضح للقارئ الكلام الذي تلفظا به بالفعل التّقديميّ:(أكدا) ومن قبله (تناول) لكن الملاحظ، وبشكل جلي، أنّ الخطاب المرويّ عنهما هو خطاب واحد أي:

أ- النهائي عرس كروي كبير.

ب- يجب مواصلته مهما كانت هوية الفائز.

ولا يمكن التّمييز من قال كذا من قال كذا؛ رغم أنّ الشّخصين مختلفين؛ وبالتّاليّ يمكن التّصور أنّ المتكلمين مختلفين، وقالا كلاما مختلفا؛ لكن تقنيات تعدد الأصوات تتيح دمجهما في صوت واحد، ويجب الوقوف -هاهنا- عند هذه التّقنيات التي تخلق عوالم فريدة؛ فتتيح تقديم (الأنصار) -وهم عدد كبير- على أنّهم يتكلمون كشخص واحد، وإن كان هذا ممكنا؛ لأنّ الأنصار -عادة- ما يهتفون بالشّيء نفسه، فمن الصّعوبة بمكان تصور شخصين يدليان -نظريّا- بالكلام نفسه؛ وبالصّيغة نفسها، فقد يتقاربان في الرّأي فقط؛ لكن المثال المدروس يقر بالإمكانيّة ويُحققها، لذلك أستنتج أنّ عملية المشهدة في المثال رقم (07) نَسبت للشّخصين الكلام نفسه؛ وهي من الصّيغ التي تتيحها تقنيّة تعدد الأصوات الخطابيّة.

3: الخطاب المروي في عناوين المقالات الحواريّة ومشهدة المتكلمين: يمكن لقارئ الخطاب الصّحافيّ الرّياضيّ أن يلتقي باستعمالات متميّزة للخطاب المروي في صيغتيْه المباشرة وغير المباشرة، وسأتحدث في هذه النّقطة عن ظواهر لم أتمكن من إدراجها في التّحاليل السّابقة، فهناك استعمال متميّز لتقنيّة تعدد الأصوات في عناوين المقالات الحواريّة، ومنها ما يرد في هذه الأمثلة:

08- بشوش:« نتحمل مسؤولية إشراك قريش وهو مصاب»[1].

09- العايب:« خسرنا المواجهة بسبب جزئيات صغيرة»[2].

*- محمد العايب رئيس ناي اتحاد الحراش، ومحند شريف حناشي رئيس نادي شبيبة القبائل الجزائريين.

1- دون إمضاء:«بشوش:« نتحمل مسؤولية إشراك قريش وهو مصاب»» الشّباك، 02 ماي 2011م، ع: 851، ص 01.

2- دون إمضاء العايب:« خسرنا المواجهة بسبب جزئيات صغيرة» الخبر الرّياضيّ، 02 ماي 2011م، ع: 342، ص 11.

10- دوخة:« اعتذر لأنصارنا، خطأ واحد كلفنا غاليا وقد تأثرنا بالضغط»[1].

لا بد من الإشارة إلى أنّ ما قدمته في هذه الأمثلة عبارة عن مجموعة من العناوين والملاحظ أنّ صيغتها متشابهة ككلّ، وقد أقترح نَمْذجتها على الشّكل التّاليّ:

متكـــلــــم:«.................................».

قائل+نقطتين+مزدوجتين+ ملفــــــــــــــــــوظ+مزدوجتين

على أن يُنسب ما بين المزدوجتين إلى القائل الذي يَرد في بداية الكلام/ العنوان، والملاحظ –أيضا- أنّ هذا النّوع من الخطاب المروي؛ يكون –دائما- في عناوين المقالات الحواريّة؛ أي التي تتحدث مضامينها على حوار بين الصّحافيّ والشّخصيّة المذكورة في بداية العنوان.

ويمكن شرح هذا الملفوظ بمنظور نظريّة تعدد الأصوات على أنّه يتضمن متكلمان؛ الأول هو صاحب الكلام/العنوان؛ وهو –عادة- الصّحافيّ، ثم متكلم ثانيّ هو الذي يظهر اسمه في بداية العنوان، فالفرق بين هذه الأمثلة (08-09-10) وما قبلها من أمثلة هو عدم وجود أفعال تقديميّة؛ لكن يُعوّض ذلك بوضع علامات التّنقيط التي تلعب –هاهنا- دورا مهما في التّأويل؛ فيُفهم أنّ الكلام ليس للصّحافيّ؛ بل للشّخص المعني المذكور في بداية العنوان، ويبدو جليا أنّ إضمار هذه الأفعال التّقديميّة، وتعويضها بوسائل إعداد الورقة؛ ما هو في الحقيقة إلا نتيجة لإكراهات الحجم، وكيفية صياغة العنوان التي تستلزم عادة التّركيز ولفت الانتباه، وهذا الحضور لعلامات التّنقيط من مميّزات الصّحافة المكتوبة التي تدخل في جوهر العقد التّواصليّ الإعلاميّ الذي يربط القرّاء والجريدة/الجرائد...

I- مشهدة أكثر من متكلميْن في عناوين المقالات الحواريّة: شد انتباهي، في الاتجاه نفسه مع الأمثلة السّابقة، نوع من الخطاب المروي الذي يستدعي الوقوف والنّظر في آن واحد، فلنلاحظه معًا من خلال العنوانيْن:

---

[1]- سفيان م.:« دوخة:« اعتذر لأنصارنا، خطأ واحد كلفنا غاليا وقد تأثرنا بالضغط»» الهدّاف، 02 ماي 2011م، ع: 1703، ص 05.

11- عسلة:« رئيس الجمهورية أخبرني أنه الرئيس الشرفي للشبيبة وأثنى على مردودي»[1].

12- بلحوت: « قلت لبوتفليقة: ربي يطول في عمرك وأصافحك مرة ثالثة»[2].

يبدو لي أنّ المتكلم الأول، في المثال رقم (11)، هو الصّحافيّ (م. ل.) الذي يتحمل كلّ الملفوظ، أما ما هو موجود بين المزدوجتين؛ فهو تحت مسؤوليّة المتكلم (02) أي (مليك عسلة) حارس شبيبة القبائل، لكن يلاحظ أنّ (عسلة) نفسه صنع متكلما آخر ممثلا في رئيس الجمهوريّة الذي يتحمل ما بقي من الملفوظ، وهو خطاب مروي غير مباشر؛ لأنّه لم يوضع بين مزدوجتين، فهناك تراتب ثلاثي للمتكلمين، وليس ثنائيّ كما هو الحال في الأمثلة السّابقة؛ بشكل يصنع كلّ متكلم متكلما آخر.

ويتحمل الملفوظ كلّه، في المثال رقم (12) أعلاه، المتكلم رقم (01) وهو الصّحافيّ (م.ل.) –دائما–، ثم يمشهد متكلما ثانيّا هو (رشيد بلحوت) مدرب شبيبة القبائل الذي يُفترض أنّه يتحمل الملفوظ الموجود بين مزدوجتين، والملفت للانتباه –هاهنا– أنّ (بلحوت) نسب إلى نفسه كلاما؛ ويكون وفق نظريّة تعدد الأصوات قد افترض متكلما قال ذلك الكلام؛ وهو: المتكلم ككائن في العالم، أما متحمل الملفوظ ككلّ فهو هو نفسه كمتكلم في حد ذاته، ويبدو من الملفوظ أنّ المدرب (بلحوت) منخرط في كلام المتكلم ككائن في العالم*.

II- الخطاب المروي والسّخريّة في عناوين المقالات الحواريّة: فحصتُ في الأمثلة السّابقة أوضاعا حيث يتراتب أكثر من متكلمين في ملفوظات عناوين المقالات الحواريّة، وسأعاين في ما يلي نمطا آخر من المشهدة التي يقدمها الخطاب المروي الممزوج بالسّخريّة؛ وهو ما يجسده هذا المثال المتميّز:

---

[1]– م.ل:« عسلة:« رئيس الجمهورية أخبرني أنه الرئيس الشرفي للشبيبة وأثنى على مردودي»» الهدّاف، 02 ماي 2011م، ع: 1703، ص 04.

[2]– م.ل:« بلحوت:« قلت لبوتفليقة: ربي يطول في عمرك وأصافحك مرة ثالثة»» الهدّاف، 02 ماي 2011م، ص 04.

*– يشير (ديكرو) في معرض تحليله للسّخريّة إلى أنّ المتكلم ككائن في العالم والمتكلم في حد ذاته هو الشّخص نفسه في العالم الفيزيائيّ (يُنظر:Oswald Ducrot, Le dire et le dit, p 212).

13- سعدان:" حاليلوزيتش كسر المنتخب وكفانا من أغنية لعبنا مليح"[1].

يمكن إدراج هذا المثال في الصيّغة العامة المذكورة سالفا؛ والتي تظهر –دائما– في عناوين المقالات الحواريّة؛ فيُلاحظ في هذا المثال أنّه هناك متكلمان، الأول منهما هو الصّحافيّ (حمزة ب.) أو الصّحيفة بشكل عام بالنّسبة للقارئ البسيط، أما المتكلم الثّانيّ، فهو المدرب الوطنيّ السّابق (رابح سعدان) الذي يتحمل الكلام الموجود بين شولتين؛ وهو (حاليلوزيتش كسر المنتخب وكفانا من أغنيّة لعبنا مليح).

ويبدو بديهيّا أنّ أيّ قارئ لهذا الملفوظ سيفهم أنّ المتكلم الثّانيّ؛ وهو (رابح سعدان) يحيل بقوله في الجزء الثّانيّ من ملفوظه (وكفانا من أغنيّة لعبنا مليح) إلى كيان آخر؛ أي إنّه هناك مصدر ما لهذه الأغنيّة؛ فالسّياق اللّغويّ، في حد ذاته، يشير إلى ذلك من خلال الوحدة (أغنيّة) لأنّ استعمال هذه الوحدة يعني أنّ الكلام ليس لسعدان؛ اعتبارا أنّه لا يغني، بل لا علاقة لشخصيته بهذا النّوع من الممارسة الفنيّة –على الأقل حسب ما هو معروف عنه–، ويمكن فهم مصدر هذه الأغنيّة بالعودة إلى متن المقال؛ والذي يوجد فيه:

... وما يسعني قوله هو أن المدرب كسر المنتخب الوطني، خاصة بإبعاده الركائز طيلة فترة تواجده على رأس العارضة الفنية، وكفانا من الأغنية التي يرددها الكثيرون بأننا لعبنا مليح، لكن انهزمنا...

ويبدو، من خلال هذا الكلام، أنّ سعدان نسب الأغنيّة إلى (الكثيرين) ويشير هذا الملفوظ، على ما يحتويه من إبهام، إلى أنّ هناك أشخاص، وعددهم كبير، قالوا بهذا الكلام، كما يمكن فهم مصدر هذه (الأغنيّة) من السّياق العام الذي صاحب إقصاء المنتخب الوطنيّ من دورة كأس أمم إفريقيا للأمم 2013م، فكأنّ مصدرها هو رئيس الاتحاديّة الجزائريّة لكرة القدم والمحيطين به، لأنّه لم يكتف فقط بالقول الذي عرضه –هنا– سعدان، بل حتى على مستوى الأفعال، يبدو جليا أنّ هذا الموقف هو موقف الاتحاديّة المذكورة ورئيسها حيث أعلن عن تثبيت المدرب الوطنيّ عوض

[1]– حمزة ب:« سعدان:" حاليلوزيتش كسر المنتخب وكفانا من أغنية لعبنا مليح» الهدّاف، 28 جانفي 2013م، ع: 2330، ص 08.

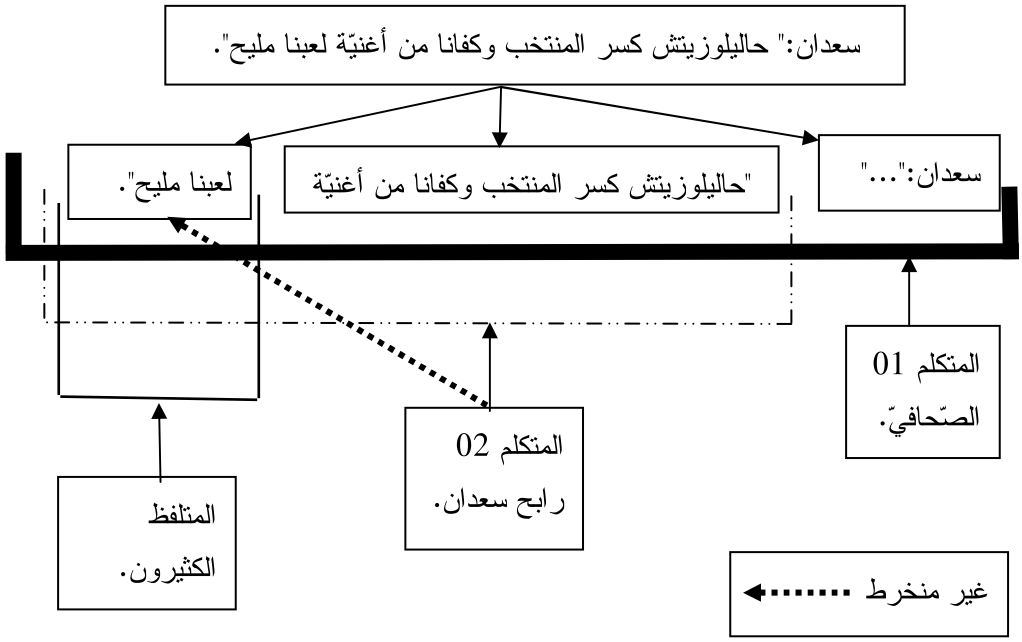
إقالته*، كما يمكن نِسبة هذا الموقف حتى لجريدة (الهدّاف) نفسها، التي أخذتُ منها هذا الملفوظ، لأنّها مساندة لطرح الاتحاديّة الجزائريّة لكرة القدم ومن يحيطون بها؛ وذلك ما يظهر من خلال الصّفحات السّابقة للصّفحة التي ورد فيها المقال الذي أدرسه، فالصّحيفة حاولت أقناع القارئ بسبع (07) صفحات، ثم عرضت موقف (رابح سعدان) في آخر التّحليل، لهذا كلّه، يبدو لي أنّ (سعدان) يحيل إلى كلّ هؤلاء أو بعضهم، حسب معرفته لمواقفهم، وينسب لهم الكلام الذي ورد في الجزء الثّانيّ من العنوان المدروس.

ويمكن تفسير هذا الجزء، في ضوء مفهوم تعدد الأصوات، على أنّه سخريّة لأنّ (رابح سعدان) معارض بشكل واضح للرأي الذي يحمله الملفوظ؛ أي إنّه لا يعتقد تماما أنّ حاليلوزيتش بنى منتخبا؛ وبالتّالي فاللّعب الجيد لا معنى له؛ لأنّ المنتخبات والفِرق الكرويّة التي تُقصى من المنافسات –بكلّ تأكيد– ضعيفة، ولا مجال للمحاجة في ذلك، وهو الأمر الذي جعله يقول:(كفانا من الأغنيّة) فالوحدة اللّغويّة (أغنيّة) تحيل إلى نبرة السّخريّة من الأطروحة التي يريد هؤلاء (الكثيرون) الدّفاع عنها؛ فكأنّ أطروحتهم ليست علما ولا قرآنا ولا شيئا يمكن الاحتجاج به؛ بل هي مجرد أغنيّة لا تصلح إلا للّغو.

ويبدو جليا أنّ المتكلم الثّانيّ (رابح سعدان) أحال فعلا إلى غيره، وبالتّالي هناك كيان ثالث يتحمل الجزء الأخير من الملفوظ (لعبنا مليح) الوارد في نهاية الملفوظ، وهذا الكيان الثّالث، وفق نظريّة تعدد الأصوات، هو متلفظ افترضه المتكلم الثّانيّ؛ ونسب له الملفوظ؛ لكنّه لا ينخرط فيه، بل أكثر من ذلك، يعتقد أنّه عبثيّ؛ لذلك قال (سعدان):(كفانا) ثم نعت الملفوظ بوصف (أغنيّة)... وهذه كلّها أدلة سياقيّة تُبيّن أنّ سعدان لا ينخرط في الملفوظ؛ بل يعتبره عبثيّا، ويمكن التّمثيل لهذا التّحليل بالتّرسيمة التّالية:

*– كما فعل مع (رابح سعدان) رغم أنّه لم يخرج من أيّة منافسة خال الوفاض؛ بل أهّل الجزائر إلى كأس العالم بعد غياب طويل، وأوصلها إلى نصف نهائيّ كأس إفريقيا للأمم.

التّرسيمة رقم: 12



ويُستنتج من هذا التّحليل أنّ السّخريّة لا تكتفي بالمتكلمين فقط، بل تضيف المتلفظين إلى قائمة الكيانات التي تتدخل في الخطاب، كما يمكن الاستنتاج أنّ السّخريّة تُقدم نموذجا من الملفوظات التي يتلفظ بها المتكلمون دون الاعتقاد بها، بل أكثر من ذلك يتخذون مواقف معارضة لها رغم أنّهم يتلفظون بها.

الفرع الثّانيّ: تعدد الأصوات والأقوال المشهورة: سأحاول في ما يلي، بعد حديثي عن الخطاب المروي، فحص نوع آخر من الملفوظات وفق نظريّة تعدد الأصوات، وهي الأقوال المشهورة؛ وأعني بالأقوال المشهورة أنماطا متعددة من الأقوال؛ قد تُدرج فيها الأمثال والحكم والصّيغ الجامدة أو ما يسمى بالمسكوكات، وأعني -بشكل عام- بهذا المصطلح جملة الملفوظات المعروفة المتداولة بين أهل اللّغة، والتي يستعملها النّاس باستمرار لقوة ذاتيّة فيها. وقد ارتأيت أن أميّز، في هذا الفرع من البحث، بين المقالات الحواريّة والمقالات غير الحواريّة لما يحدثه ذلك من أثر في تراتب المتكلمين والمتلفظين.

1: الأقوال المشهورة في المقالات غير الحواريّة: أعني بالمقالات غير الحواريّة، كما سلف في الباب الأول، كلّ المقالات (المقال الصّحافيّ أو المقال

الممزوج) التي لا يظهر في بنيتها العامة شخص ثالث ما عدا المتكلم والقارئ، لكن نظريّة تعدد الأصوات تقيّد هذا الطّرح، وتلغيه نظريّا –وإن كانت لا تلغيه واقعيّا–، وذلك ما يمكن ملاحظته من خلال الأمثلة التّاليّة:

14– ... ومن دون شك أن حضور رئيس أعلى هيئة كروية في الجزائر **شيء لابد منه**[1].

تُعد الجريدة، في هذا المثال، أول متكلم يتعرف عليه القارئ –على اعتبار أنّ المقال غير ممضيّ– لكن يبدو أنّ هذا المتكلم لا يتحمل مسؤوليّة كلّ الملفوظ؛ لأنّه استعمل في آخر الملفوظ الصّيغة (**شيء لابد منه**) وهي من الصّيغ التي تنتمي إلى ما سميته بالأقوال المشهورة، وتدعى (صيغة جامدة) بشكل أدق، أي إنّه ملفوظ لا يُستعمل إلا بهذه الطريقة أو درجت الأعراف اللّغويّة على استعماله على هذه الصّيغة وفي مثل هذه الأوضاع، ويُلاحظ –هاهنا– أنّ المتكلم/الجريدة لم يُشر تماما إلى أنّ الملفوظ مأخوذ من مكان ما؛ ما يجعلني أقول إنّه منخرط كليّا فيه ويتبناه، لكن يبدو لي أنّ المتكلم، رغم هذا الانخراط الكليّ، إنّما هو استعان بمتلفظ آخر؛ ليس مُعَيَّنا لا في الخطاب ولا في السّياق؛ بل هو كيان عام قد أسميه:(اللّغة العربيّة الفصحى) فاستعمال الصيغة (شيء لا بد منه) الذي صيغ على منوال (شر لا بد منه) الموثوق من فصاحته؛ يجعل اللّغة فصيحة وجميلة وراقيّة*، لذلك انخرطت الجريدة في هذا الملفوظ، وتبنته دون الإشارة إلى أي متلفظ آخر، وعلى الطّريقة نفسها –تقريبا– جاء الاستعمال في المثال التّاليّ:

15– كما كان صانع ألعاب الوفاق جابو عبد المومن كان في يومه حيث **صال وجال** في الدفاع القسنطيني...[2].

يُقدم المثال رقم (15) المتكلم المعتاد في الصّحافة؛ وهو الصّحافيّ؛ وفي هذه المقالة هو (إبراهيم خ.) وباعتباره المتكلم الأول؛ يتحمل الملفوظ كلّه، لكنّه مثله مثل ما

---

[1]– دون إمضاء:« روراوة منتظر في بولوغين يوم السبت» الخبر الرّياضيّ، 17 ماي 2012م، ع: 716، ص 14.

*– يبدو لي من خلال السنوات التي قضيتها مع الصّحافة الرّياضية أنّ جريدة الخبر الرّياضيّ هي أكثر الجرائد الرّياضيّة قربا إلى المعيار العربيّ الفصيح كما أعرفه.

[2]– إبراهيم خ.:« و. سطيف: الكحلة دوما من الكبار ويجب عدم التفريط فيما بناه حمار وسرار حتى لا تنهار» الخبر الرّياضيّ، 17 ماي 2012م، ص 14.

ورد في المثال السّابق، استعمل صيغة متداولة وهي (صال وجال) التي لم يشر إلى مصدرها؛ لكن المستعمل البسيط للّغة العربيّة سيتعرّف على هذا المقطع؛ لما فيه من أصالة وجزالة وخفة، ومرد ذلك انتماؤه إلى ما يسمى بالمتلازمات في اللّغة العربيّة مثلها مثل: حيص بيص، شذر مذر... ويمكن تفسير ذلك، بمنظور نظريّة تعدد الأصوات، على أنّ المتكلم/الصّحافيّ قد استنجد بمتلفظ آخر؛ وهو صاحب المتلازمة ثم انخرط في كلامه انخراطا كليّا، والقائل الأصليّ -طبعا- غير معروف، قد أعيّنه اعتباطا -كما فعلت سابقا- على أنّه اللّغة العربيّة الفصحى أو المتكلم العربيّ الفصيح...

وقد تُستعمل الأقوال المشهورة في الخطاب الصّحافيّ الرّياضيّ بطريقة أخرى، أكثر صراحة مما سبق، في مثل ما ورد في الأمثلة التّاليّة:

16-... وهو ما يكشف أن التنافس الكروي كان بطريقة **« أنت منافسي ولست عدوي »**[1].

17- ... كان 17 ماي هو يوم خميس أيضا ويومها كانت كل الأذهان موجهة نحو العاصمة الأردنية وبشعار **«والله ما نفوطي حتى نربح القوطي»** وكان التتويج العربي...[2].

يبدو في المثالين (16) و(17) أنّ المتكلم هو الصّحافيّ -دائما-، وأعني به -هنا- (سمير ب.) وهو صحافيّ من جريدة (الهدّاف) ويكتب في الصفحة المخصصة لوفاق سطيف... وقد مشهد متلفظا آخر في كلا المثالين؛ فجاء، في المثال رقم (16) أعلاه، بالملفوظ:**« أنت منافسي ولست عدوي »** وهو من المبادئ العامة في ميدان الرّياضة، بشكل عام، وكرة القدم بشكل خاص، ولم يقل للقارئ من هو المتلفظ؛ لكن أشار إلى وجود قائل مغاير للمتكلم بقوله:(بطريقة) ويمكن تعيين هذا المتلفظ ب(مبادئ التّنافس الرّياضيّ) مثلا أو (الميثاق الأولمبيّ)... لكن على مستوى الخطاب يمكن القول: هناك متلفظ آخر يتحمل ذلك الخطاب، ويبدو لي أنّ المتكلم غير منخرط -تماما- في الملفوظ، وخاصة من خلال استعماله للصّياغة (وهو ما

---

[1]- سمير ب.:« "روراوة" يهنئ الوفاق برسالة خاصة وحداد يتصل هاتفيا بسرار» الهدّاف، 17 ماي 2012م، ع: 2079، ص 06.

[2]- نفسه.

يكشف) أي إنّ الصّحافيّ يحاول أن يحلل الأمر من خارجه دون الدّخول فيه كمشارك؛ فكأنّه اكتفى بتقديم المعلومة دون الانخراط فيها.

ويبقى التراتب، في المثال رقم (17) أعلاه، على حاله؛ وهو وجود متكلم متمثل في الصّحافيّ (سمير ب.) يتحمل مسؤوليّة كلّ الملفوظ، ومتلفظ يتحمل القول المشهور وهو في هذا المثال:« **والله ما نفوطي حتى نربح القوطي**»* والملاحظ أنّ المتلفظ يمكن أن يكون -هاهنا- جمهور وفاق سطيف، وقد تمكنت من هذا التّأويل انطلاقا من الوحدة (بشعار) والشعارات يرفعها المناصرون والجمهور بشكل عام؛ بما فيهم إدارة النّادي واللاعبين.

2: الأقوال المشهورة في المقالات الحواريّة: يبدو لي أنّ أهم نتيجة وصلت إليها، من خلال تحليل ورود الأقوال المشهورة في المقالات غير الحواريّة، هي وجود متكلم ومتلفظ يتحملان الخطاب في شكل تراتبيّ، لكن هل يمكن تعميم هذا المنظور على المقالات غير الحواريّة؟ سأحاول الإجابة على هذا السؤال انطلاقا من فحص الأمثلة التّاليّة:

18- ... وكما يقال بعد سلسلة الهزائم والتي زعزعت مشاعرنا، **عقدنا العزم** لأجل رد الاعتبار لأنفسنا...[1].

19- ... فقد عملنا كثيرا وثابرنا وبذلنا مجهودات جبارة طيلة الموسم وتمكننا من تجاوز جميع الصعوبات والعراقيل وتعبنا كثيرا، إلا أنه **كل شيء يهون** في سبيل التتويج باللقب...[2].

استخرجت هذين المثالين من حوارين أجرتهما جريدتا (الهدّاف) و(الخبر الرّياضيّ) للاعبيْن من لاعبي وفاق سطيف إثر فوزهم بالبطولة الوطنيّة سنة 2012م، وفيهما ورد استعمال الأقوال المشهورة التي تُمثل موضوع الدّراسة -هاهنا-.

جاء ملفوظ المثال رقم (18) في إطار حوار أجراه صحافيّ ما في جريدة الخبر الرّياضيّ؛ ونُشر دون إمضاء؛ مما يعني في المحصلة أنّ المتكلم هو

---

*- غني عن البيان أنّ الكلام عاميّ هنا، ويعني: لن أصور نفسي (أو لن أنتخب) حتى أرفع الكأس.

1- دون إمضاء: « بن شادي:" مباراة شباب قسنطينة كانت عرسا كبيرا وكان لا بد من الفوز بها من أجل الظفر بلقب البطولة» الخبر الرّياضيّ، 17 ماي 2012م، ص 14.

2- خالد ح.:« بن حمو:" تتويجنا بالثّنائيّة تاريخيّ وسأحدد مستقبلي مع الوفاق عن قريب» الهدّاف، 17 ماي 2012م، ص 06.

الجريدة؛ ويتحمل هذا المتكلم كلّ الملفوظ، لكنّه مشهد، في إطار الجريدة والمقالة، حوارا بينه وبين لاعب نادي وفاق سطيف (بن شادي) وبالتّالي قدم هذا اللاعب على أنّه متكلم ثان يتحمل مسؤوليّة الإجابات؛ ومنها الإجابة الواردة في المثال موضوع الدّراسة، أما الصّحافيّ؛ أي المتكلم (01) فيتحمل –أساسا– الأسئلة*، ويكون ذلك في الصّحافة بشكل نمطيّ كالتّالي:

I. **عنوان:** يُذكر فيه اسم اللاعب المستجوَب في البّداية، ثم نقطتين ومزدوجتين يذكر بينهما أحد أقواله♣.
II. **أسئلة:** تكون بالخط الغليظ، ويعمل كلّ سؤال عمل الفصل بين الفقرات تقريبا.
III. **إجابات:** تكون بالخط العاديّ، وتُشكل عادة الحيز الأكبر من المقالة الحواريّة.

وإذا كانت هذه المشهدة متفق عليها، فإنّني إزاء خطاب مرويّ بشكل من الأشكال؛ لأنّ الصّحافيّ يعرض كلاما يفترض أنّه لشخص آخر، وهو في هذا المثال (رقم (18)) (بن شادي) فتنطبق عليه صفات الخطاب المرويّ التي ذكرتها آنفا.

ويُمشهد المتكلم الثّانيّ (بن شادي) في إطار تعدد الأصوات، متلفظا يتحمل القول المشهور الوارد في المثال؛ وهو (**عقدنا العزم**) وهذه الصّيغة قد لا تكون مشهورة إلا بالنّسبة للجزائريين الذين يكونون قد حفظوا على ظهر قلب النّشيد الوطنيّ، وخاصة في جزئه (وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر)♦ الذي يدوي في كلّ المناسبات الكرويّة منها أو لا، فالمتكلم الثّانيّ باستعماله هذا الملفوظ إنّما يمشهد المتلفظ العام: النّشيد الوطنيّ، وقد يحمل حمولة الثّورة الجزائريّة؛ لأنّ النّشيد الوطنيّ كُتب أثناء الثّورة (1954م–1962م) ويحيل بشكل أقل إلى الشّعر ومفدي زكريا... ويُلاحظ –هاهنا– أنّ المتكلم (02) –أي (بن شادي)– ساعد القارئ أو الصّحافيّ

---

*– أؤكد –دائما– أنّ العملية هي مشهدة؛ أي عمليّة خطابيّة وليست الحقيقة كلّها، كما يعيشها الإنسان خارج الخطاب.

♣– سبق لي عرض هذا النّمط.

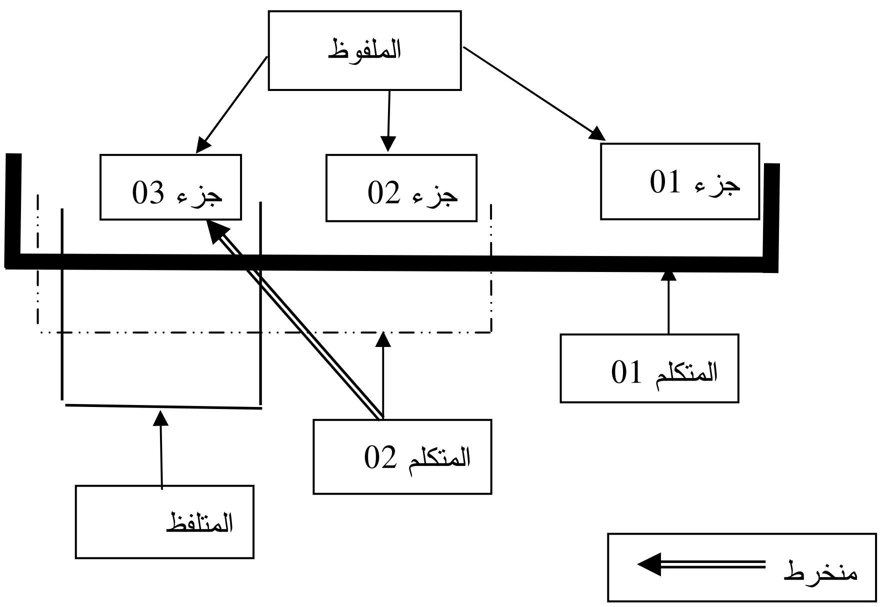
♦– وهو جزء من النّشيد الوطنيّ الجزائريّ (قسما) للشّاعر الجزائريّ مفدي زكريا.

الذي يتحدث إليه على الوعي بوجود متلفظ آخر بقوله:(وكما يُقال...)؛ فهذا القول إشارة إلى أنّ ما سيأتي من الكلام ليس ملكا للمتكلم الثّانيّ، وهذه الطّريقة في المشهدة بالنّسبة لهذا المتكلم الثّانيّ تجعلني أقول إنّه منخرط في الكلام، أما المتكلم الأول؛ أي الصّحافيّ، فيبدو أنّه يبتعد عن كلّ الملفوظ؛ أي إنّه عرضه فقط، ونسبه إلى اللاعب بشكل حياديّ.

ويتمثل المتكلم في المثال رقم (19) في صحافيّ جريدة الهدّاف (خالد ح.) الذي مشهد متكلما ثانيّا هو (بن حمو) لاعب نادي وفاق سطيف الفائز ببطولة الجزائر 2012م، وعلى غرار المثال السّابق، يتحمل اللاعب (بن حمو) باعتباره متكلما ثانيّا الإجابة فقط، ومشهد بدوره متلفظا ونسب له الصّيغة (كلّ شيء يهون) التي أعتبرُها من الصّيغ الجامدة المتداولة في اللّغة العربيّة؛ وتُستعمل في الوضع نفسه الذي استعملها فيه اللاعب؛ أي إنّه لم يحوّر استعمالها، ويُلاحظ أنّ المتكلم الثّانيّ (02) أو اللاعب؛ لم يقدم أي قرينة على صاحب هذه الصّيغة الذي قد يكون (اللّغة العربيّة الفصيحة) أو (الضّمير الاجتماعيّ العام) وتحيل هذه التّغطيّة عن القائل –طبعا– إلى الانخراط التّام في الملفوظ؛ إلى درجة التّماهي بين المتكلم (02)/اللاعب والمتلفظ.

ويمكن، في الأخير، أن ألخص حالة تعدد الأصوات في المقالات الحواريّة –التي يتواجد فيها قول مشهور– بالتّرسيمة التّالية (رقم 12):

الترسيمة رقم: 13



ولا بد من الانتباه –هاهنا– إلى أنّ السّهم (المزدوج) الرّابط بين المتكلم الثّانيّ (02) والجزء الثّالث (03) في التّرسيمة أعلاه (رقم 13) مستمر وليس متقطع؛ كما هو الحال في التّرسيمة رقم (12) التي تُمثل الخطاب المروي والسّخرية؛ لأنّ السّخريّة لا ينخرط فيها المتكلم الثّانيّ (02) في ملفوظ المتلفظ، عكس الأقوال المشهورة التي ينخرط المتكلمون فيها؛ بل يتقمصونها.

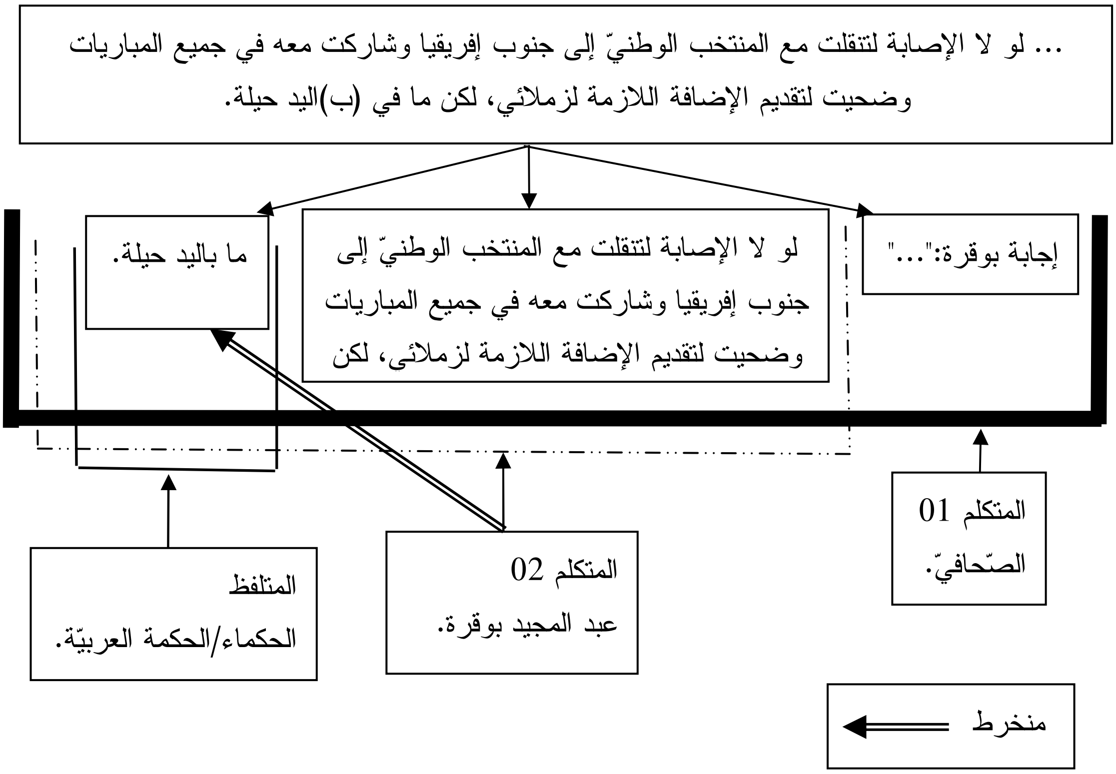
وسأحاول في ما يلي تطبيق هذا النّموذج لتأكيد صلاحيته، وذلك بتحليل المثال التّالي:

20– ... لو لا الإصابة لتنقلت مع المنتخب الوطني إلى جنوب إفريقيا وشاركت معه في جميع المباريات وضحيت لتقديم الإضافة اللازمة لزملائي، لكن ما في (ب)اليد حيلة، الإصابة حرمتني من ذلك...[1].

أخذتُ هذا المثال من حوار للاعب المنتخب الوطنيّ عبد المجيد بوقرة؛ استجوبته جريدة (الهدّاف) بمناسبة إقصاء المنتخب الوطنيّ من كأس إفريقيا للأمم سنة 2013م، ويجب الإشارة إلى أنّ هذا اللاعب لم يشارك في مباريات الفريق الوطنيّ، وذلك لتعرضه لإصابة لا يمكنه معها المشاركة في مباريات المنتخب؛ مما جعله يدلي بالإجابة الواردة في المثال، ويمكن تمثيل عدد المتدخلين فيه، وفق النّموذج الذي استنتجته سابقا، على الشّكل التّالي:

[1]– ع.أ.ع.:« بوقرة:" يجب الحفاظ على الاستقرار لأننا مقبلون على مباراة مهمة"» الهدّاف، 28 جانفي 2013م، ع: 2330، ص 02.

التّرسيمة رقم: 14



يتجلى من مضمون التّرسيمة رقم (14) أنّ المتكلم الأول؛ المسؤول عن الملفوظ كلّه هو الصّحافيّ، ويبدو، حسب الإمضاء الوارد في آخر الحوار، أنّه (ع.أ.ع) وهو اسم مختصر، ثم يُمشهد (هذا الصّحافيّ) متكلما آخر هو اللاعب (عبد المجيد بوقرة) الذي يقدمه (الصّحافيّ) على أنّه المسؤول على كلّ الإجابات الواردة في الحوار، أما هو كسائل؛ فكأنّه لا يتحمل إلا الأسئلة فقط، وإحضار الأجوبة إلى مرآة العين (باعتبار الجريدة من الوسائل المكتوبة؛ وبالتّالي المقروءة) ويُلاحظ –هاهنا– أنّ المشهدة النّسخيّة (المكتوبة) للحوارات لا تَذكر البتة اسم المجيب في المتن، ولا اسم السّائل أو الصّحافيّ، فدرجت العادة أن يظهر اسم الشّخصيّة المستجوَبة (وهي بوقرة هاهنا) في العنوان فقط، أما في متن الحوار، فتكون الأسئلة –عادة– بخط غليظ، ثم تأتي الإجابات بخط عاديّ؛ وهذا يعني أنّ ما هو موجود في الخانة الممثلة للجزء الأول من الكلام في الترسيمة (رقم(14)) أعلاه ما هو إلا محض تجريد مني، وهو شيء افترضته في إطار السّياق النّسخيّ، وما يوفره العقد التّواصليّ الإعلاميّ الرّياضيّ.

ويأتي القول المشهور في جزء ثالث؛ مُدمج في ثنايا أقوال اللاعب، متمثلا في قوله (ما في (ب)اليد حيلة) فكأنّما (بوقرة) تبنى هذا الكلام، وجعله ملكا له أو على الأقل هكذا يظهر من مشهدة الصّحافيّ؛ لأنّ عبد المجيد بوقرة لم ينطق –ربما– بهذا الكلام يوما، ولكن لا يفوت أيّ دارس ومهتم بالثّقافة العربيّة أنّ هذا القول المشهور يمثل حكمة من حكم العرب؛ يستعملها المرء لغرض بيان العجز التّام عن فك طلاسم مشكل ما؛ لسبب من الأسباب، ويمكن بالتّالي نسبة هذا الكلام إلى الحكماء مثلا أو الحكمة العربيّة –أيضا–، ويمكن معه القول إنّ (بوقرة) افترض متلفظا قال بهذه الحكمة، ثم تبناها واستعملها في كلامه، ومعلوم أنّ مثل هذه الأقوال لها أثر حجاجيّ مهم؛ لذلك يكثر استعمالها في الخطاب الصّحافيّ.

وأشير، قبل أن أخرج من وصف المقالات الحواريّة، إلى أنّ ما سبق عرضه موجود في عنصر الإجابات فقط، أما حضور المقولات المشهورة في الأسئلة، فلا يخضع لهذه التّرسيمة؛ بل يميل إلى تفسير المشهورات كما وصفته في المقالات غير الحواريّة، فلننظر معًا في المثال التّاليّ:

21– ... المثل يقول "يضحك كثيرا من يضحك أخيرا" هذا ينطبق عليكم[1].

وجه الصّحافيّ هذا السؤال* باعتباره المتكلم، ثم أورد فيه مثلا♣ مما يجعلني أقول: إنّه مشهد، وفق نظريّة تعدد الأصوات، متلفظا، ثم قدم للقارئ قرينة على ذلك؛ وهي قوله المباشر:(المثل يقول) ويلاحظ –هنا– أنّ الصّحافيّ ليس منخرطا تماما في المثل؛ باعتباره السّائل؛ والسّائل يبحث عن إجابة، لكنّه هناك نوع من الميل، ولو قليل، إلى الانخراط فيه، وفي المحصلة، هناك متكلم واحد ومتلفظ واحد فقط في هذا السّؤال.

---

[1]– خالد ح.:« بن حمو:" تتويجنا بالثنائية تاريخي وسأحدد مستقبلي مع الوفاق عن قريب» الهدّاف، 17 ماي 2012م، ص 06.

*– يُلاحظ –هاهنا– أنّ السّؤال ليس بصيغة الاستفهام.

♣– يبدو أنّ هذا المثل ترجمة للمثل الفرنسيّ:(Rira bien celui qui rira le dernier).

الفرع الثّالث: تعدد الأصوات وظاهرة النفي: أولى (ديكرو) أهميّة كبيرة للنّفي في نظريته العامة، فقد حلّله في إطار تعدد الأصوات والسّلالم الحجاجيّة... وهو ما سأحاول أن أواجه به عيّنة هذا العمل التي ورد فيها النّفي على صيغ كثيرة.

1: الحالة الأساسيّة للنّفي: يبدو لي، من خلال معاينة العيّنة، أنّ الحالة الأساسيّة أو العامة التي يتوارد عليها النّفي هي كما يتجلى في المثال التّالي:

22- ... لم يتلق أعضاء بقية الطواقم الطبية والفنية والإدارية أي سنتيما حيث تلقت وعودا من الإدارة بتعويضها والتكفل بمنحها المكافأة في الأيام القليلة القادمة...[1].

يتحدث هذا الملفوظ عن عدم تلقي الطّواقم الأخرى عدا الطّاقم التّدريبيّ لمكافآتهم الماليّة إثر فوز وفاق سطيف ببطولة الجزائر 2012م، وحدث النّفي فيه باستعمال الأداة (لم) كما هو ظاهر في المثال، أما بمنظور تعدد الأصوات، فالملفوظ –هاهنا– نفي جدليّ؛ لأنّه لا يجيب على ملفوظ ايجابيّ سبق أن تلفظ به متكلم غير المتكلم الذي قال هذا الملفوظ المنفي[*]، ويُلاحظ، إضافة إلى ذلك، أنّ الافتراض المسبق لهذا الملفوظ؛ والمتمثل في:

- هناك طواقم طبيّة وفنيّة وإداريّة.

لم يلغيه هذا النّفي؛ أي إنّ هذا الافتراض المسبق باق في كلتا الحالتين (نفي أو إثبات) مما يؤكد أنّه نفي جدليّ.

ويتحمل النّفي في هذا الملفوظ متكلم واحد فقط هو الصّحافيّ (ك.ف.) من جريدة (الشّباك) لكنّه يفترض متلفظين اثنين –أيضا–؛ أحدهما قال بالملفوظ الايجابي:(تلقى أعضاء بقية الطّواقم الطّبيّة والفنيّة والإداريّة مكافآتهم مثلهم مثل الطّاقم الفنيّ) وهو المتلفظ الأول الذي لا يشاركه المتكلم الرّأي، وهناك متلفظ ثانيّ؛ هو القائل بالملفوظ المنفي:(لم يتلق أعضاء بقية الطّواقم الطّبيّة والفنيّة والإداريّة مكافآتهم مثلهم مثل الطّاقم الفني) والذي يتبناه المتكلم/الصّحافيّ، فالمشهدة

---

[1]- ك.ف.:« 90 مليونا للمدرب قيقير وماضوي وبقية الطواقم تنتظر» الشّباك،17 ماي 2012م، ع: 1170، ص 18.

[*]- أشير إلى أنّني اعتمدت في هذا الحكم على المقالة التي لم تشر إلى ذلك، كما اعتمدت على السّياق العام الذي لم يرد فيه أنّه هناك من قال:(كلّ الطّواقم أخذت مكافآتها) ثم رد عليه الصّحافيّ.

الخطابية –هاهنا– لا تؤسس لمتكلمين؛ بل لمتلفظين، ولكن هل لنوعيّة الأداة التي تُستعمل في النّفي أثر على هذا الوصف؟ فليكن فحص عناصر الإجابة من خلال المثال التّالي:

23– ... أثبت الرباعي المشكل لهذا الخط أن الاستحواذ على المكانة الأساسية ليس مجرد خيار وفقط[1].

يبدو لي أنّ المتكلمين والمتلفظين يتراتبون في هذا المثال (رقم 23) المنفي ب(ليس) بالطريقة نفسها، فهناك متكلم أول هو الصّحافيّ (إبراهيم خ.) من جريدة (الخبر الرّياضيّ) يورد النّفي الجدليّ بمتلفظين؛ لذلك لا يوجد أي أثر لنوع الأداة التي تُستعمل في النّفي على مشهدة المتكلمين والمتلفظين، لكن يلاحظ أنّ الخطاب المروي يستدعي متكلمين والنّفي الجدليّ متكلم ومتلفظين، فكيف تكون الأحوال بمزجهما؟ وهل هذا وارد؟

2: النّفي الجدليّ والخطاب المروي وتعدد الأصوات: قد يقترن النّفي بأنواع أخرى من الخطابات، وأقصد –أساسا– الخطاب المروي الشّائع في خطاب الصّحافة عامة والرّياضيّة خاصة، وقد أخصص الأمر بالمقالات الحواريّة، وهو ما يمكن ملاحظته في الأمثلة التّاليّة:

24– ... ووصول الفريق إلى القمة لم يكن سهلا على الإطلاق...[2].

25– صرح جابو في حديثنا معه أمس بخصوص العرض الذي وصله من مصر قائلا: « في الحقيقة لم أصدق في البداية محدثي، خاصة أنه يتحدث باللهجة المصرية...»[3].

أورد المتكلم الأول، وهو الجريدة؛ لأنّ المقال غير ممضي، في المثال رقم (24) كلاما نسبه لمتكلم ثانيّ هو رئيس وفاق سطيف الذي اعتقد أنّ وصول فريقه

---

[1]– إبراهيم خ.:« و. سطيف: الكحلة دوما من الكبار ويجب عدم التفريط فيما بناه حمار وسرار حتى لا تنهار» الخبر الرّياضيّ، 17 ماي 2012م، ص 14.

[2]– دون إمضاء:« إقناع الركائز والمنتهية عقودهم من أولويات إدارة الوفاق» الخبر الرّياضيّ، 17 ماي 2012م، ص 14.

[3]– إبراهيم خ.:« و.سطيف: مناجير مصري يعرض على جابو اللعب في الأهلي» الخبر الرّياضيّ، 17 ماي 2012م، ص 15.

إلى التّتويجات لم يكن سهلا، ولتحليل الجزء المنفي –ب(لم) دائما– مشهد المتكلم الثّانيّ؛ أي رئيس وفاق سطيف، متلفظين الأول يتحمل مسؤوليّة الملفوظ الايجابيّ:

- وصول الفريق إلى القمة كان سهلا.

وهو الملفوظ الذي لا ينخرط فيه المتكلم الثّانيّ، كما وضع متلفظا ثانيّا يتحمل الملفوظ المنفي:

- لم يكن وصول الفريق إلى القمة سهلا.

وهو الملفوظ الذي يتبناه المتكلم الثّانيّ ويتماهي معه.

ويمكن القول: إن وصف المثال رقم (25) مشابه تماما لما ذكرته عن هذا المثال الذي حللته، فالنّفي الوارد فيه نفي جدليّ –أيضا–، وهناك مشهدة لمتكلميْن؛ الأول هو الصّحافيّ (إبراهيم خ.) من جريدة (الخبر الرّياضيّ) الذي مشهد متكلما ثانيّا هو (عبد المومن جابو) لاعب وفاق سطيف، ثم تكفل المتكلم الثّانيّ بمشهدة النّفي، وذلك بافتراض متلفظيْن؛ الأول يتبنى الملفوظ الايجابيّ:

- صدقتُ في البداية محدثي، وخاصة أنّه يتحدث باللّهجة المصريّة.

والمتكلم الثّانيّ لا ينخرط في الخطاب، ولا في موقف هذا المتلفظ الأول، بل ينخرط في خطاب المتلفظ الثّانيّ الذي يقول بالملفوظ المنفي:

- لم أصدق في البداية محدثي، وخاصة أنّه يتحدث باللّهجة المصريّة...

ويُلاحظ فعلا؛ باعتبار هذا النّفي نفيا جدليّا، كما يقول (ديكرو) أنّ هذا النّوع من النّفي لا ينفي الافتراض المسبق المتمثل –هنا– في:

- هناك شخص تحدث مع عبد المومن جابو.

فهذا الافتراض قائم، في كلّ الأحوال، سواء في الملفوظ المنفي أو في الملفوظ الايجابيّ؛ ولم يلغيه النّفي الذي ذكره (جابو).

ويبدو لي أنّ وصف الملفوظات المنفية ب(لم) في الخطاب المروي لا يختلف عن وصف الملفوظات المنفية ب(ليس) أو ب(لا) في الخطاب المروي؛ كما هو الحال في المثال التّالي:

26- وقد صرح بعد نهاية المباراة أنه لا يرغب في تغيير الأجواء بل يريد البقاء في سطيف...[1].

يبدو في هذا المثال المنفي ب(لا) أنّ تراتب المتكلمين والمتلفظين لم يتغيّر حيث هناك متكلم أول يمشهد متكلما ثانيّا، والمتكلم الثّانيّ يمشهد النّفي الجدليّ بمتلفظين، لذلك لا يوجد أي أثر لنوع الأداة التي تستعمل في النّفي على مشهدة المتكلمين والمتلفظين.

3: نموذج إجرائيّ لتعدد الأصوات في الخطاب المروي المتضمن لنفي جدليّ:

سأحاول في هذه النّقطة أن أقوم بعمليّة تجريديّة تقدم نموذجا إجرائيّا، وأروم أن يتمكن هذا النّموذج أن يكون صياغة عامة تصلح لشرح الملفوظات التي تحمل الصّفات التي ذكرتها؛ والمتمثلة في أمثلة يلتقي فيها النّفي الجدليّ والخطاب المروي ويكثر عدد المتدخلين فيها وكيفية تراتبهم، وفي سبيل تحقيق ذلك؛ سأفحص المثال التّالي:

27- **السؤال:** خاصة أن الفرحة متواصلة والمدة ليست بعيدة بين التتويج بالكأس والبطولة.

الجواب: بالفعل، ففرحتنا تواصلت ولم نفقد بعد ذوق وحلاوة حمل كأس الجمهورية حتى حصلنا على لقب ثان هذا الموسم...[2].

يقدم المثال رقم (27) نموذجا للنّفي في مقالة حواريّة حيث يطرح الصّحافيّ السّؤال ويجيب اللاعب -هنا بن حمو-، ففي السّؤال ورد نفي ب(ليس)[*] أما في الإجابة؛ فورد نفي ب(لم) وكلاهما نفي جدلي، لكن سأهتم -هاهنا- بالإجابة فقط.

يتحمل مسؤوليّة الحوار ككلّ الصّحافيّ (خالد خ.) المنتمي إلى جريدة الخبر الرّياضيّ، لكنّه يُمشهد متكلما ثانيّا هو اللاعب (بن حمو) -وهو لاعب وفاق سطيف- الذي تقع عليه -خطابيّا- مسؤوليّة الإجابة كلّها، ثم يأتي النّفي الذي تلفظ به المتكلم الثّانيّ؛ أي اللاعب (بن حمو) وهو نفي جدليّ لأنّه لا يوجد أي متلفظ حقيقيّ

---

[1]- إبراهيم خ.:« و. سطيف: الكحلة دوما من الكبار...» ص 14.

[2]- خالد ح.:« بن حمو:" تتويجنا بالثنائية تاريخي وسأحدد مستقبلي مع الوفاق عن قريب» الهدّاف، 17 ماي 2012م، ص 06.

[*]- لن أحلل النّفي في السّؤال باعتباره لا يضيف جديدا من حيث الوصف، فهو متكلم واحد ومتلفظين على شاكلة الأمثلة السّابقة؛ بل سأهتم بالثّانيّ فقط على اعتبار وجود تراتب متميّز للكيانات المتدخلة في الخطاب.

قال –فعلا– بالرّأي الايجابيّ؛ أي (إنّنا فقدنا حلاوة حمل كأس الجمهوريّة) كما أنّ الافتراض المسبق لهذا النّفي؛ وهو:

- هناك حلاوة ما لحمل كأس الجمهوريّة قبل الحصول على لقب ثان.

قائم؛ أي إنّ هذا النّفي لم يلغيه؛ مما يعني أنّه نفي جدليّ فعلا.

ويمكن تحليل الإجابة، في المثال رقم (27) دائما، من حيث عدد الأصوات المتدخلة على أنّه هناك افتراض من المتكلم الثّانيّ؛ المتمثل في (بن حمو) لاعب وفاق سطيف، وجود متلفظين؛ الأول هو الذي قال بالملفوظ الايجابيّ؛ وهو:

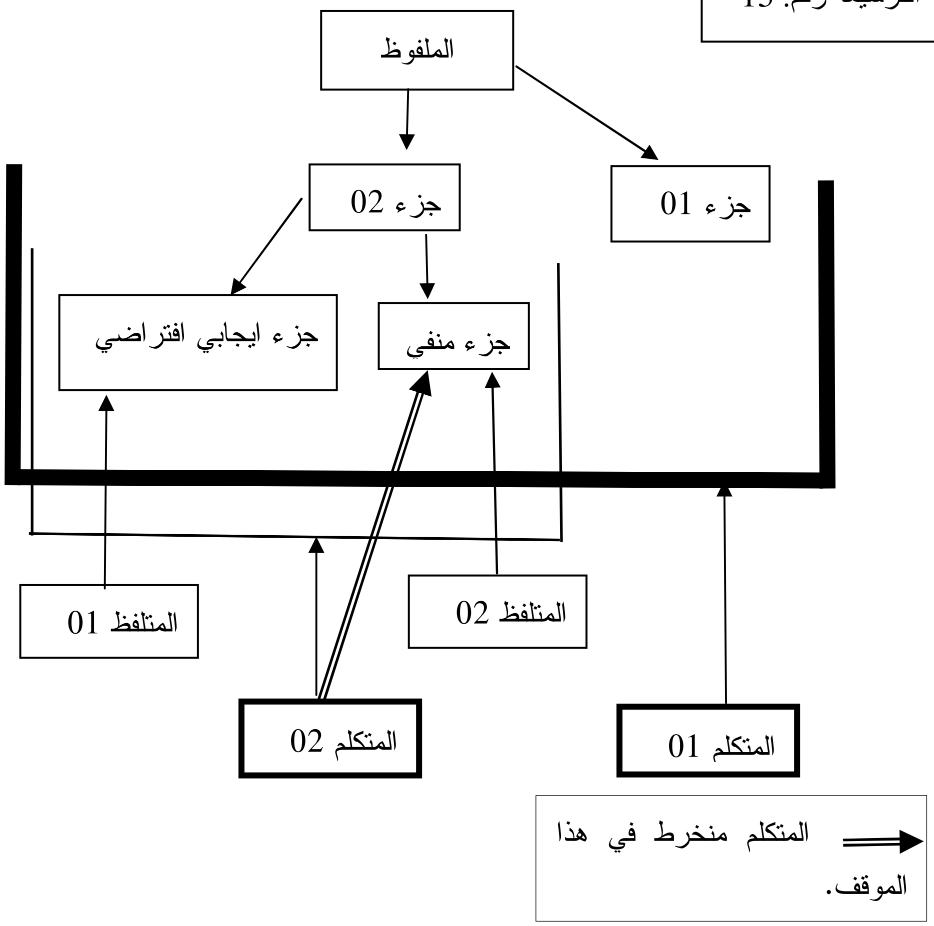
- فقدنا ذوق وحلاوة حمل كأس الجمهوريّة قبل الحصول على لقب ثان.

وهو ملفوظ لا ينخرط فيه المتكلم الثّانيّ، بل ينخرط في الملفوظ الذي يقول به متلفظ ثان؛ وهو ملفوظ منفي على الشّاكلة التّالية:

- لم نفقد بعد ذوق وحلاوة حمل كأس الجمهوريّة حتى تحصلنا على لقب ثان.

ويمكن التّمثيل لمجمل المتدخلين في هذا الملفوظ بالتّرسيمة التّاليّة (رقم 15):

الترسيمة رقم: 15



فينقسم الملفوظ –حسب التّرسيمة رقم (15)– إلى جزأين، ويتحمل مسؤوليته –خطابيّا– متكلمين، أحدهما يتحمل الكل، والآخر يتحمل الجزء الثّانيّ فقط، ثم الجزء الثّانيّ من الملفوظ الذي يتحمله المتكلم الثّانيّ؛ فيه متلفظان من وضع المتكلم الثّانيّ فقط؛ ينخرط هو في كلام المتلفظ الذي يتحمل القول المنفي من الجزء الثّانيّ من الملفوظ الكليّ، وهذا ما يقدم شكلا من أشكال تراتب المتدخلين في الخطاب الصّحافيّ الرّياضيّ، لكن هذا الطّرح ليس إلا نموذجا من بين النّماذج المعقدة التي يمكن إيجادها في هذا النّوع من الخطاب، وهو ما يُبيّنه المثال الموالي:

28– سرار:« حداد هنأني وذكر لي أنه لا يريد أن تسيل قطرة دم واحدة من أجل مباراة».

في بداية الحديث القصير الذي جمعنا بالرئيس سرار، أمس، كشف لنا الرئيس سرار، أن من بين عشرات المكالمات التي تهاطلت عليه، كانت صبيحة أمس، حيث تلقى اتصالا من رئيس اتحاد العاصمة حداد، حيث قدم تهانيه إلى الوفاق، وأكد استحقاقه لانتزاع اللقب، وقد ذكر لي أنه لا

يريد أن تسيل قطرة دم واحدة من أجل مباراة في كرة القدم حيث أشاد الرئيس سرار بالروح الرياضية العالية للرئيس حداد...[1].

أوردتُ في هذا المثال العنوان الفرعيّ للمقال، وأهم أجزاء المقالة التي تنتمي إلى هذا العنوان الفرعيّ؛ لكي تكون مراجع العنوان أكثر وضوحا بالنّسبة للقارئ؛ لأنّ السّياق موجود في متن المقالة بشكل أوضح؛ مما هو عليه في العنوان.

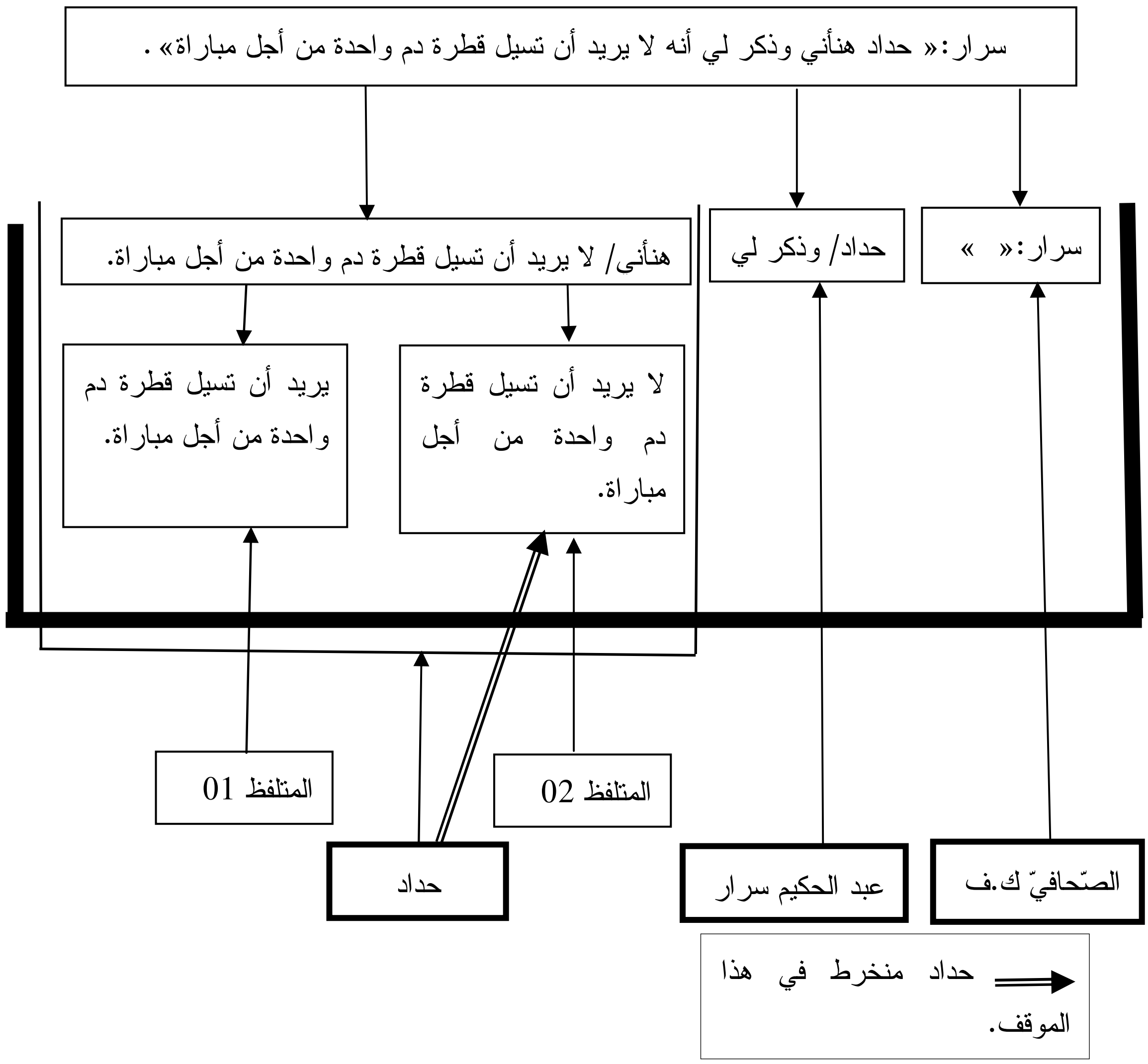
وأشير إلى أن هدفي من تقديم هذا المثال هو تطبيق النّموذج الذي توصلتُ إليه في المثال السّابق (رقم 27) ومقارنة الأمر مع ما هو وارد في هذا السّياق؛ للتّدليل على التّعدد الكبير الذي تتواجد عليه الأوضاع في ملفوظات اللّغة بشكل عام، والصّحافة الرّياضيّة بشكل خاص، وسيُلاحَظ أنّ التّعدد اللانهائيّ للمتدخلين يستدعي دائما تحليلا محليّا، ولو أنّ الأمر فيه بعض المبادئ القابلة للتّجريد؛ لكن المختلف فيه موجود –دائما–.

ويمكن التّمثيل لهذا الملفوظ الوارد في المثال رقم (28) بالتّرسيمة التّاليّة (رقم 16):

---

[1]– ك.ف.:« وفاق سطيف: طحكوت معزوز تواتي وبلعياط يجمعون ملياران و900 مليون» الشّبّاك، 17 ماي 2012م، ع: 1170، ص 18.

التّرسيمة رقم: 16



يتحمل كلّ الملفوظ في هذا المثال –رقم (28)– المتكلم (01) وهو (ك. ف.) صحافيّ في جريدة (الشّباك) الرّياضيّة، ويمشهد –حسب ما يظهر في التّرسيمة رقم (16)– متكلما ثانيّا هو رئيس وفاق سطيف الجزائريّ الفائز بالبطولة الجزائريّة لكرة القدم، ثم يمشهد المتكلم الثّانيّ متكلما ثالثا هو (حداد) رئيس نادي اتحاد العاصمة الجزائريّ، و(حداد) نفسه افترض متلفظين اثنين؛ أحدهما قال الملفوظ الايجابيّ والآخر قال الملفوظ السّلبيّ.

فأضاف هذا المثال، مقارنة بالمثال السّابق، متكلما ثالثا هو (حداد) رئيس اتحاد العاصمة، وهو الأمر الذي يجعلني أقول: إنّه بالإمكان توسيع هذا النّموذج في كلّ الاتجاهات لدخول متكلمين ومتلفظين آخرين.

وأشير –أيضا– إلى أنّني تفاديت تعقيد ذلك الشّكل؛ لأنّ لكلّ من الصّحافيّ و(سرار) مواقف إزاء الملفوظات؛ تظهر من خلال الخطاب أو من خلال السّياق، وإن كنتُ لم أذكرها فهي موجودة، فالصّحافيّ –مثلا– في هذا الكلام حياديّ إلى حد ما، وإن كان يميل إلى كلام (حداد) و(سرار) أكثر؛ لأنّه نقله في الجريدة، لكن لم يفصح عن هذا الميل صراحة، لذا يبدو أنّه يميل نوعا ما أو هو حياديّ نوعا ما؛ لأنّه لو أراد غير ذلك لأفصح عنه، أما الرّئيس (عبد الحكيم سرار) فله موقف واضح من رأي (حداد) والملفوظ المنفي؛ وهو الانخراط في الملفوظ المنفي كليّة، على الأقل كما وضّحه الصّحافيّ؛ من خلال ما جاء في ما تبقى من المقالة؛ حيث يقول:(حيث أشاد الرّئيس سرار بالرّوح الرّياضيّة العاليّة للرّئيس حداد...) بقي أن أشير، أخيرا، إلى أنّ النّفي الوارد في هذا المثال نفي جدليّ –أيضا– وله آثار حجاجية تنازليّة؛ لأنّ قول (حداد):

- لا أريد أن تسيل قطرة دم واحدة من أجل مباراة.

يعني أنّه لا يقبل لا بقطرتين ولا أكثر، علما أنّ تحت القطرة الواحدة لا يوجد تقدير آخر، لكن هذا الملفوظ لا ينفي حجاجيّا نصف قطرة مثلا، وهذا التّحليل يحيل إلى تحليل من نوع آخر تبنته التّداوليّة المدمجة؛ وهو السّلالم الحجاجيّة.

المبحث الثّانيّ: الطّابع الحجاجيّ للخطاب الصّحافيّ الرّياضيّ: اشتغلت التّداوليّة المدمجة كثيرا على الطّابع الحجاجيّ للّغة وجعلته مركزا لأبحاثها، وقد لاحظتُ أثناء تعاملي مع عيّنتي الصّحافيّة الرّياضيّة أنّ المسحة الحجاجيّة، كما وصفها أهل التّداوليّة المدمجة، موجودة على صيغ متعددة؛ سأحاول أن أقدم بعضا منها في هذا المبحث، وهو ما يمكن ملاحظته في المثال التّالي[1]:

29- الجزائر ترفع التاج القاري السابع بعد 18 عاما من الغياب.

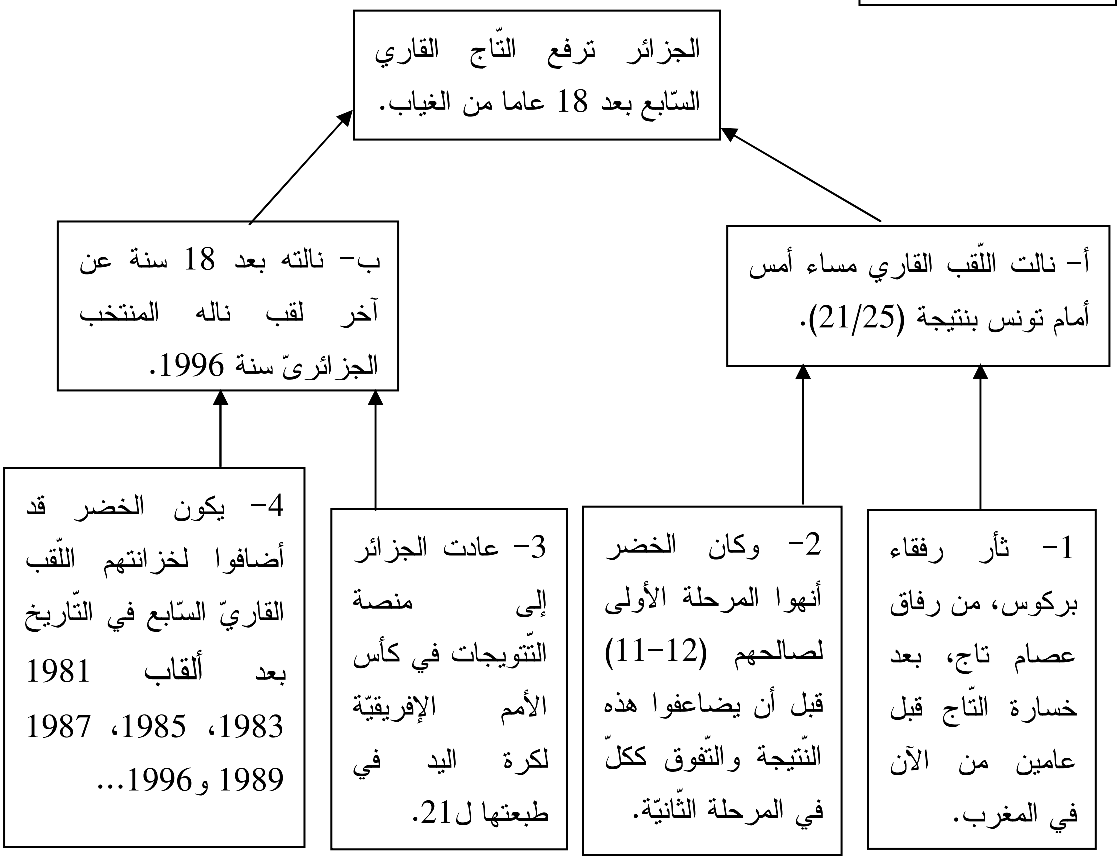
عادت الجزائر إلى منصة التتويجات في كأس الأمم الإفريقية لكرة اليد في طبعتها ل21 عندما نالت اللقب القاري مساء أمس، أمام تونس بنتيجة (21/25)، بقاعة حسان حرشة بالجزائر العاصمة بعد 18 سنة عن آخر لقب ناله المنتخب الجزائري سنة 1996، حيث ثأر رفقاء

[1]- دون إمضاء:« الجزائر ترفع التاج القاري السابع بعد 18 عاما من الغياب» الشّباك، الأحد 26 جانفي 2014م، ع: 1690، ص 03.

بركوس، من رفاق عصام تاج، بعد خسارة التاج قبل عامين من الآن في المغرب... وكان الخضر أنهوا المرحلة الأولى لصالحهم (12-11) قبل أن يضاعفوا هذه النتيجة والتفوق ككل في المرحلة الثانية... وبهذا التاج يكون الخضر قد أضافوا لخزانتهم اللقب القاري السابع في التاريخ بعد ألقاب 1981، 1983، 1985، 1987، 1989 و1996...

لا شك أنّ قارئ (مقتطف) هذه المقالة سيستفيد من المعلومات الواردة فيها على تعددها، لكنّني كدارس يمكنني أن أعتبر أنّ الكثير من الملفوظات الواردة في هذا النّص؛ إنّما هي حجج تخدم (المقام المشترك-Lieu commun) والمتمثل في عنوان المقالة في حد ذاتها، ويمكن تمثيل ذلك بالشّكل التّالي:

التّرسيمة رقم: 17

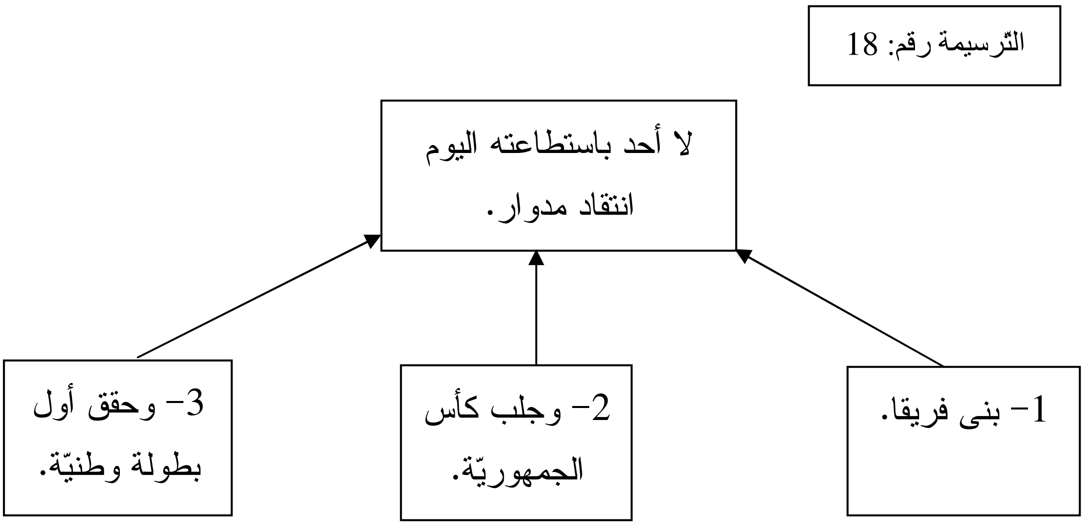


يُلاحظ أنّ المعلومات المرقمة من (01) إلى (04) ما هي في الحقيقة إلا حجج خادمة للعنوان، وهي في حد ذاتها تفريعات لحجتين أساسيتين هما (أ) و(ب) في التّرسيمة السّابقة (رقم 17) فالخطاب الصّحافيّ حافل بمثل هذه النّماذج من الصّياغة التي تقع، من حيث الفهم العام، في أنواع عديدة من النّصوص، لكن يمكن أن يُقدَم

لها توجيه حجاجيّ، وقد يظهر هذا الطّابع الحجاجيّ، بشكل جلي، في ملفوظات تحمل بعض القرائن اللّفظيّة الواضحة كالمثال التّالي:

30- "لا أحد باستطاعته اليوم انتقاد مدوار لأنه بنى فريقا وجلب كأس الجمهورية وحقق أول بطولة وطنية..."[1].

تبدو حجاجيّة هذا الملفوظ أكثر وضوحا، على عكس الملفوظ السّابق، ويعود ذلك -في رأيي- لقصره، وتضمنه للأداة (لأنّ) الحجاجيّة، ويمكن تحليل هذا الملفوظ كالتّالي:



يُستنتج من هذه التّرسيمة (رقم (18)) أنّ المقام المشترك الذي يجمع الصّحافيّ والقارئ هو:(لا أحد باستطاعته اليوم انتقاد مدوار) وهو شيء يشبه العنوان، أما (01) و(02) و(03) فهي كلّها حجج تخدم ذلك العنوان أو المقام المشترك الذي يريد المتكلم إثباته؛ وهو أنّ رئيس جمعية الشلف عبد الكريم مدوار -الفائز بالبطولة الوطنيّة الجزائريّة لسنة 2011م- لا يمكن انتقاده بعد كلّ النّجاحات التي حققها حيث لم يحقق البطولة المذكورة فقط؛ بل سبق أن فاز بكأس الجمهوريّة، وكوّن فريقا قويا ما لم يكن موجودا من قبلُ في ولايّة الشلف الجزائريّة.

الفرع الأول: تراتب الحجج في الخطاب الصّحافيّ الرّياضيّ: لاحظت في تعاملي مع العيّنة، وفق منظور التّداوليّة المدمجة، أنّ الحجج لا تأتي متساويّة -دائما- أثناء

---

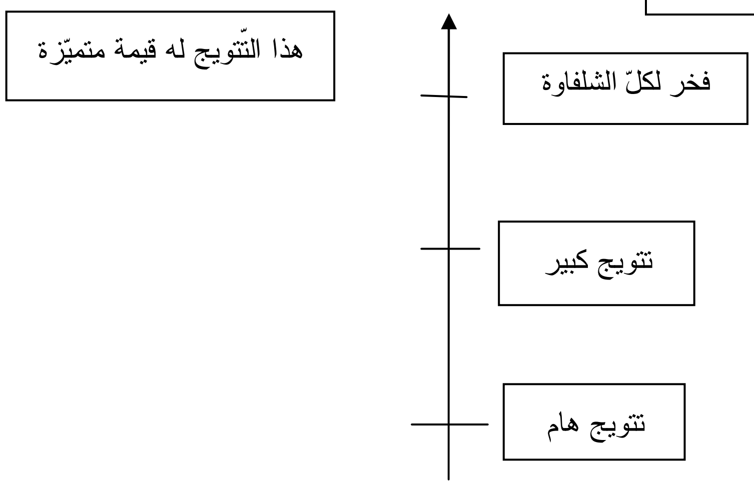
[1]- إبراهيم س:« الطاقم الطبي، الفني والمسير يتحدث عن التتويج: تعبنا كثيرا هذا العام وأول لقب للجمعية أكبر إنجاز في تاريخنا» الهدّاف، 26 جوان 2011م، ع: 1758، ص 17.

الخطاب؛ كما طرحتُ الأمر في الأمثلة السّابقة، فغالبا ما تكون في تَراتُب معيّن، وهو ما يمكن ملاحظته من خلال المثال التّالي:

31- "... أقول عن التتويج أنه كبير وهام وفخر لكل الشلفاوة"[1].

يمكن للقارئ أن يفهم من كلام رئيس بلدية الشلف الوارد في المثال رقم (31) أنّ هذا التّتويج (ويقصد فوز جمعية الشلف ببطولة كرة القدم الجزائريّة سنة 2011م) له قيمة متميّزة بالنّسبة له، وقد قدم حججا متعددة لذلك؛ يمكن تصنيف تراتبها كالتّالي:

التّرسيمة رقم: 19



يبدو من خلال هذه التّرسيمة (رقم (19)) أنّ أول حجة تؤيد المقام المشترك (هذا التّتويج له قيمة متميّزة) الذي يجمع كلّ الحجج، هي كون هذا التّتويج (هام) ثم تبعه بوصف التّتويج نفسه بكونه (كبيرا) وليس هاما فقط؛ فكأنّه -هاهنا- أضاف حجة أخرى* مساندة للنّتيجة المتمثلة في المقام المشترك، ثم عاد وأضاف حجة ثالثة؛ وهي (فخر لكلّ الشلفاوة)✱ كآخر حجة على المقام المشترك، ويبدو أنّ هذه الحجة الأخيرة أكبر قيمة من الحجتين

1- إبراهيم س:« رئيس بلدية الشلف كريم دزيري:" تابعت جل مباريات الجمعية وتأكدت من تتويجها قبل نهاية مرحلة الذهاب» الهدّاف، 26 جوان 2011م، ع: 1758، ص 17.

*- يمكن أن يكون التّأويل على أساس أنّ (هام) و(كبير) في المستوى نفسه من القوة الحجاجيّة، لكن باعتبار أنّ (كبير) جاء بعد (هام) والتّوجيه الحجاجيّ متصاعد مع ما يلي من القول، فيبدو لي أنّ (كبير) أكبر من (هام).

✱- (الشلفاوة) بمعنى مناصري نادي جمعية الشلف الفائز بالبطولة المذكورة، وباعتبار أنّ المتحدث -هنا- هو رئيس البلديّة؛ فقد أُعمم وأقول كلّ سكان مدينة الشلف وليس الأنصار فقط.

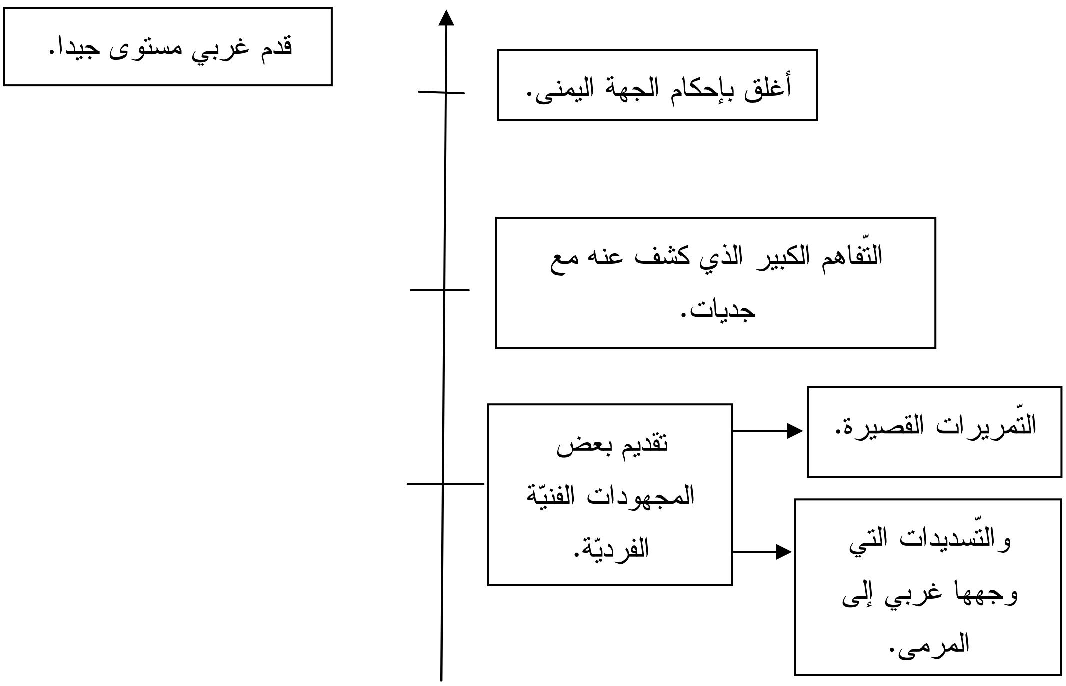
السّابقتين، وتجعل هذا التّتويج متميّزا فعلا؛ لأنّه ليس مجرد تتويج (كبير) فلو كان كذلك لما افتخر به –ربما– كلّ (الشلفاوة) أو النّاس عامة؛ ويبدو، بمنظور هذا الملفوظ، أنّه لا بد أن يكون التّتويج أكثر من (كبير) لكي يفتخر به كلّ النّاس؛ وهو ما جعلني أؤوّل هذا الملفوظ على هذا الشّكل.

ويمكن ملاحظة مثال أكثر تعقيدا في طرحه لمسألة تراتب الحجج؛ وهو ما يفضي به المثال التّالي:

32-... وقدم غربي مستوى جيدا وأغلق بإحكام الجهة اليمنى وأكد بذلك على إمكاناته الكبيرة، ناهيك عن التفاهم الكبير الذي كشف عنه مع جديات والتمريرات القصيرة والتسديدات التي وجهها غربي إلى المرمى[1].

فالمقام المشترك في هذا المثال (رقم 32) هو (قدّم غربي مستوى جيدا) ثم عرض الصّحافيّ على القارئ مجموعة من الحجج التي تؤكد هذا المقام المشترك، ويمكن تمثيلها كالتّالي:

الترسيمة رقم: 20



---

[1]- إبراهيم س:« غربي يخلف سنوسي المعاقب» الهدّاف، 26 جوان 2011م، ص 16.

يُلاحظ في التّرسيمة رقم (20) أنّ ملفوظ الصّحافيّ يتضمن مجموعة من الحجج التي يُحَس فيها بوجود فكرة التّراتب، وخاصة عند استعماله للوحدة (ناهيك)* التي ساهمت بشكل كبير في جعل كلّ ما يأتي بعدها أدنى درجة من حيث القوة الحجاجيّة، فكانت واسطة العقد بين أعلى وأدنى حجة.

وقد فصلت الوحدة (ناهيك) بين حجتين إحداهما أكبر من الأخرى، وإن كانت الصّغرى تنقسم -في رأيي- إلى جزأين كبيرين، وأحدهما ينقسم إلى جزأين أيضا؛ وهذه التّقسيمات التي أنجزتها إنّما كانت ممكنة بالنّظر إلى التّرتيب الذي اعتمده الصّحافيّ، وبالنّظر -أيضا- إلى السّياق العام الذي يذكر تقنية الهرم المقلوب مثلا التي يعتمدها الصّحافيون والتي تأمرهم بترتيب المعلومات حسب أهميّتها في المقال؛ فتُوضع في البدايّة المعلومات المهمة، ثم الأقل أهميّة إلى أن يصل المقال إلى نهايته حيث يجب وضع المعلومات الأقل أهميّة من بين كلّ المعلومات، ويعتمد الإعلاميون هذه التّقنية لكي يتسنى للهيئة التّحريريّة حذف الأجزاء الأخيرة من المقالة؛ ذلك أنّ حجم الجريدة قد يكون غير كاف -في بعض الأحيان-، فتقنية الهرم المقلوب تتيح الحذف (في نهاية المقال) مع الاحتفاظ -دائما- بأهم المعلومات؛ لأنّها موجودة -أساسا- في بداية المقال.

وتأتي في أدني السّلم الحجاجي (في التّرسيمة رقم (20) أعلاه) الحجة الأولى -والأقل قوة- التي تدعم فكرة المستوى الجيد الذي قدمه (غربي) وهو اللاعب موضوع المقال، وتتمثل هذه الحجة في (تقديمه لمجهودات فنيّة فرديّة) بشكل عام، وقد قَسمتُ هذه الجهود -في التّرسيمة- إلى نوعين؛ ففي مستوى أدنى وضعتُ (التّسديدات نحو المرمى) ثم أكبر منه بقليل من حيث القوة الحجاجيّة (التّمريرات القصيرة) وهذا التّرتيب الذي اعتمده الصّحافيّ؛ قد يكون له تفسير حتى في أبجديات ممارسة كرة القدم، فهذه اللّعبة جماعيّة في ممارستها الأساسيّة، لذلك قد أقول -على هذا الأساس- إنّ التّمرير أحسن من القذف؛ وبالتّالي التّمريرات أقوى

*- نحويا هي اسم فاعل من الفعل (نهى) تُعرب حسب موقعها.

حجاجيّا من القذف للمرمى –على الأقل بمنظور هذا الملفوظ–، ولا بد أن أشير، مرة أخرى، إلى أدنى الحجج قوة جاءت في نهاية الملفوظ لا في بدايته.

وذكر المثال، في درجة وسطى بين الحجج الثّلاثة، حجة التّفاهم الكبير مع (جديات) وهو اللاعب الآخر من الفريق (جمعية الشلف) الذي ينتميان إليه، فرغم أنّ هذه الحجة جاءت بعد الأداة (ناهيك) التي تجعلها أدنى درجة أو قوة من الحجة الأولى في الملفوظ؛ لكن يبدو أنّها أقوى من الحجتين اللّتين ذكرتهما سابقا، وذلك يعود للتّرتيب –كما قلتُ– وهذا سبب لغويّ*، كما أنّ المعرفة العامة لفنيات ممارسة كرة القدم تقول إنّ الجماعيّ أحسن من الفرديّ♣؛ والتّفاهم مع لاعب آخر من الفريق يعني بالضّرورة نسوجا كرويّة جميلة، ومثمرة –أيضا– على مستوى النّتائج، وهذا ما يجعلّ هذه الحجة أقوى من الحجة الأولى المتعلقة بالمجهود الفرديّ فقط.

وتأتي أهم الحجج، على الإطلاق، في هذا الملفوظ؛ وهي كما هو مُبيّن في التّرسيمة رقم (20) أعلاه:(أغلق بإحكام الجهة اليمنى) أي لم يترك أي منفذ للمهاجمين من الجهة اليمنى، أما الدّاعي إلى وضعها في أعلى السّلم الحجاجيّ المحدد للفئة الحجاجيّة (قدم غربي مستوى جيدا) فهو –كما أسلفتُ– الوحدة اللّغويّة (ناهيك) التي جعلت التّوجيه الحجاجيّ للملفوظ توجيها تنازليّا؛ بمعنى ما جاء قبلها أقوى مما جاء بعدها؛ وبالتّالي (إغلاق الجهة اليمنى بإحكام) ستكون في أعلى السّلم الحجاجيّ كأقوى حججه، وهذا أثر لغويّ محض يُبيّن الطّابع الحجاجيّ للخطاب الصّحافيّ الرّياضيّ، ويمكن الاعتماد –أيضا– على السّياق لوضع هذه الحجة في أعلى السّلم حيث إنّ اللاعب (غربي) قد أقحمه مدربه في المباراة كمدافع أيمن؛ أي إنّ مهمته الأساسيّة هي غلق كلّ المنافذ على المهاجمين في الجهة اليمنى؛ وبالتّالي أقصى ما يمكن أن يقوم به في المقابل هو إغلاق هذه المنافذ طبعا؛ وهو ما قام به

---

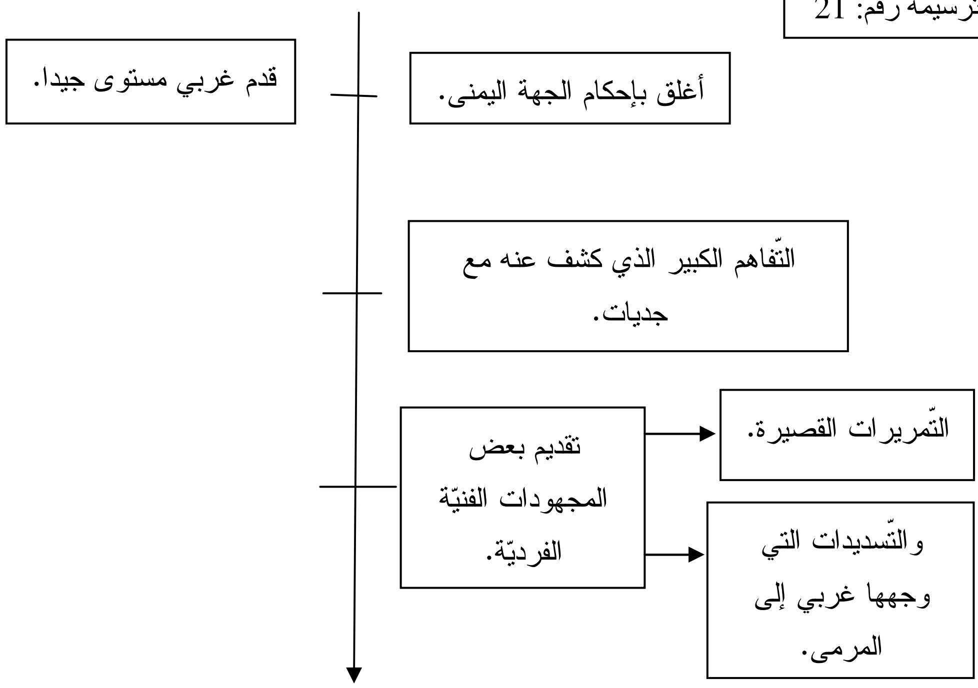
*– أُذكِر القارئ أنّ مثل هذا التّفسير هو الذي جعل تداوليّة (ديكرو) تسمى بالتّداوليّة المدمجة.

♣– أُؤكد على أنّ هذا المبدأ عام؛ لكن قد ترد عليه استثناءات؛ فمثلا لاعب كرابح ماجر أو كمارادونا يُعد استثناء فعلا؛ لأنّه يُشكل ثقلا كبيرا كفرد في الملعب، وقد تكون فنياته الفرديّة كافية لقلب الموازين في المباريات كالهدف التّاريخيّ لرابح ماجر المسمى: عقب ماجر في نهائيّ كأس الأنديّة الأوربيّة البطلة أو الهدف باليد الذي سجله مارادونا ضد انجلترا...

-حسب الصّحافيّ-؛ بل قال (أغلق بإحكام) مما يجعل الملفوظ أكثر تأكيدا؛ و(الإحكام) يعني الإطلاق في معناه، لذلك كانت هذه الحجة أقوى ما ورد في السّلم الحجاجيّ الذي قدمه الصّحافيّ.

ويجب الإشارة، في آخر هذا التّحليل، إلى أنّ تراتب الحجج في هذا المثال ليس تصاعديّا، كما هو مبيَّن في التّرسيمة رقم (20) بل كان ذلك محض تجريد من قِبلي؛ تسهيلا للفهم، فالملفوظ كان قد قدم الحجج على صيغة تنازليّة -كما ذكرتُ- وهي على الشّكل التّالي:

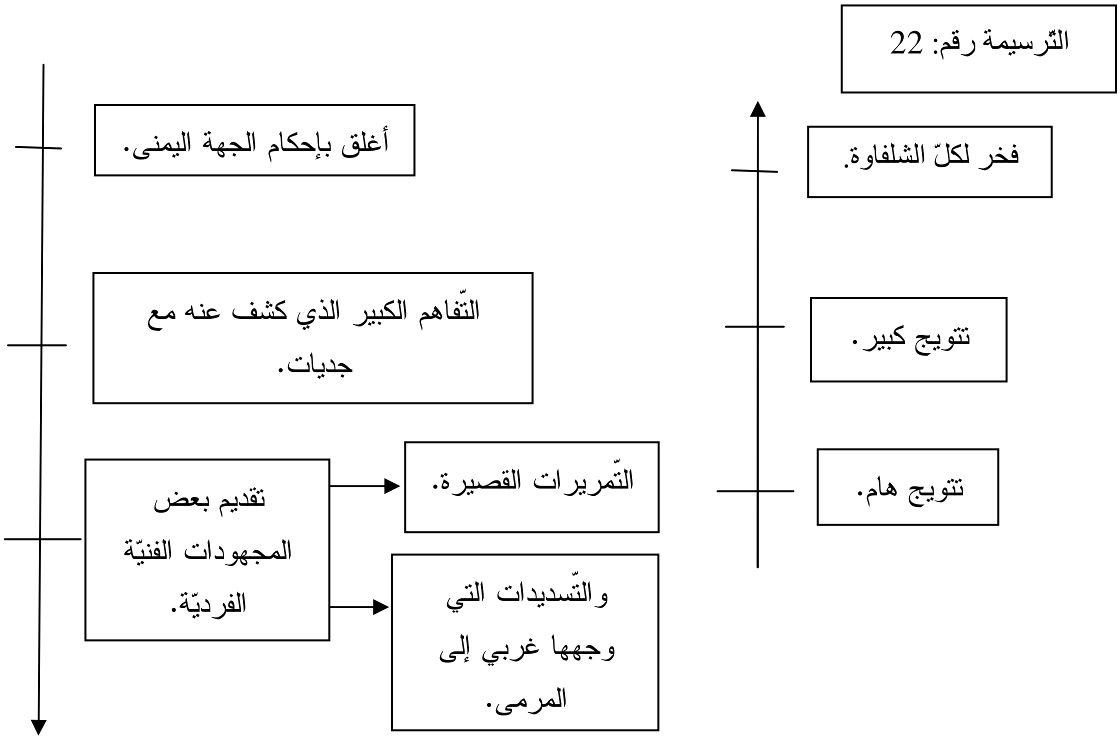
التّرسيمة رقم: 21



فبدأ الملفوظ بعرض أقوى الحجج متجها رويدا رويدا لذكر أضعف الحجج؛ وهي التي تظهر في آخر المثال، وهو ما يُمثله السّهم المتجه نحو الأسفل؛ لكن على مستوى الفهم العام؛ يمكن للقارئ التّأويل وفق الاتجاهين، وترتيب الحجج بما يؤدي إلى الفهم الصّحيح.

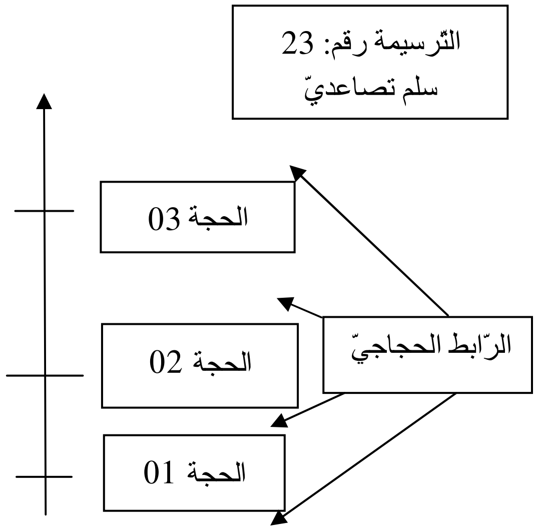
ويبدو لي أنّ أهم شيء يُحدد هذه التّوجيهات الحجاجيّة هو الرّوابط الحجاجيّة -كما تشير إليه التّداوليّة المدمجة-، وعليه لا بد من الإشارة إلى أنّ هذه الرّوابط تلعب دورا مهما في معرفة توجيه الخطاب؛ فيكون ترتيبه للحجج وفقا لما تنص

عليه هذه الرّوابط؛ وهو ما يمكن ملاحظته في المثالين اللّذين حللتهما سابقا، ولا بأس –هاهنا– أن أعيد تقديم السّلالم لتبيين ذلك:

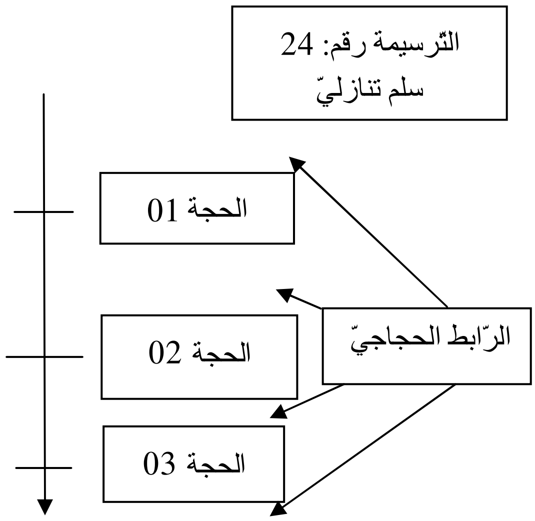


يمكن الملاحظة أنّ السّلمان –هاهنا–، على تراتب الحجج فيهما، يتجهان اتجاهان متعاكسان*، وكما ذكرتُ؛ يعود هذا الأمر إلى طبيعة الرّوابط الحجاجيّة الموجودة في الملفوظيْن؛ ففي التّرسيمة رقم (19) الموافقة للمثال رقم (31) الرّابط هو الواو، وقد استعنتُ بالسّياق –أيضا– من خلال فكرة التّرتيب لتحديد التّوجيه التّصاعديّ، أما في المثال رقم (32) فالرّابط هو (ناهيك) وساعده التّرتيب –أيضا– لتّحديد التّوجيه التّنازليّ، لذلك يبدو لي أنّ فكرة السّلالم الحجاجيّة يجب أن تُدمِج في النّظرية فكرة التّوجيه الحجاجيّ الذي تُقدمه الرّوابط الحجاجيّة، ويمكن نمذجة ذلك على الطّريقة التّالية:

*– أشير إلى أنّ فكرة التّوجيه التّنازليّ والتّصاعديّ طبّقها (ديكرو) على النّفي، لكن لم يطّبقها على تراتب الحجج بشكل عام.



ويكون هذا النّموذج مخصصا لحالات السّلالم الحجاجيّة التّصاعديّة؛ بشكل يجب معه افتراض رابط حجاجيّ في أي موقع من المواقع التي تُشير إليه الأسهم في التّرسيمة، ويمكن أن يأتي هذا الرّابط قبل الحجة أو بعدها، ويصدق الأمر على الحجة الأولى أو الثّانيّة... وعلى شاكلة السّلم التّصاعديّ، سيكون السّلم التّنازليّ على الشّكل التّالي:



وسأحاول أن أطبق هذا النّموذج على المثال التّالي لكي تتبيّن الأمور بشكل أكبر:

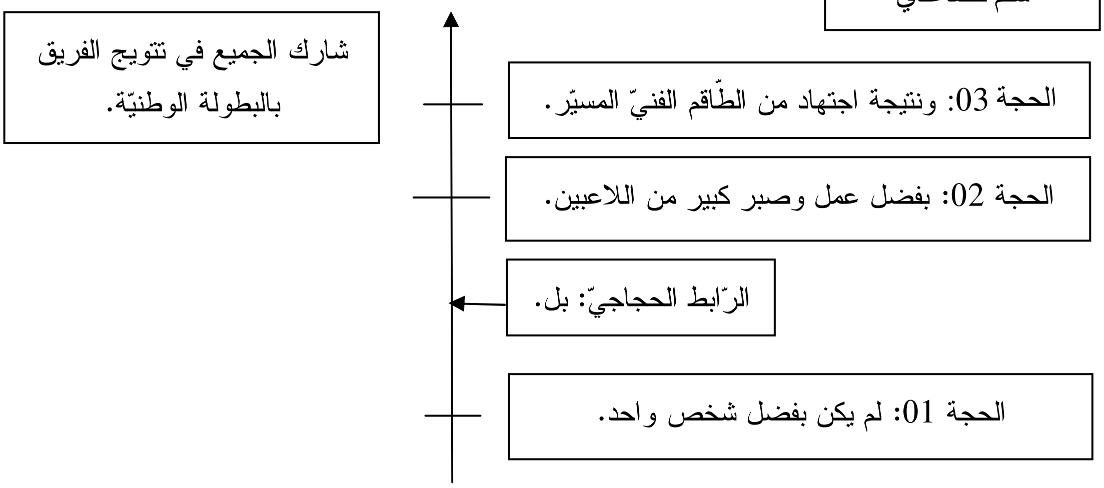
33-... أوضح فقط أن هذا التتويج لم يكن بفضل شخص واحد، بل كان بفضل عمل وصبر كبير من اللاعبين ونتيجة اجتهاد من الطاقم الفني المسير وعلى رأسه السيد مدوار...[1]

سيكون تحليل هذا المثال وفق النّموذج الذي استخرجته كالتّالي:

---

[1]- إبراهيم س: « الطّاقم الطّبيّ، الفنيّ والمسير يتحدث عن التّتويج... » الهدّاف، 26 جوان 2011م، ص 17.

التّرسيمة رقم: 25
سلم تصاعديّ



يُلاحظ أنّ هذا المثال يُقدم سلما حجاجيّا تصاعديّا مكوَّنا من ثلاث حُجج؛ ولم يكن ممكنا أن أقول إنّه تصاعديّ إلا بوجود الوحدة (بل) التي تُعد أمارة دالة على التّوجيه الذي يجب أن يأخذه التّأويل؛ وبموجبها –أساسا– قلتُ ذلك، وبوجودها ميَّزتُ بين الحجة الأولى (التّتويج لم يكن بفضل شخص واحد) والحجتين الباقيتيْن، وعرفتُ، في الوقت نفسه، أنّه هناك توجيه تصاعديّ.

ويمكن، بعد التّعرف على هذا التّوجيه الحجاجيّ، تبيُّن محتويات الحجج التي تعضد هذا التّوجيه الذي استقيته من الوحدة (بل) أعلاه؛ ففي البداية؛ أي قبل الوحدة (بل) أنكر المتحدث*، في هذا المثال، إسناد هذا التّتويج لشخص واحد، فكانت هذه أقل الحجج قوة، ثم توجه المتحدث إلى الإتيان بحجج أخرى؛ لتأكيد الموقف المشترك بين الحجج؛ وهو (شارك الجميع في تتويج الفريق بالبطولة الوطنيّة) كما هو مبيَّن التّرسيمة رقم (25) أعلاه، وجاءت الحجة الثّانيّة، بعد الوحدة (بل) مؤكِّدة أنّ أهم فاعل في التّتويج هم اللاعبون؛ وذلك بصبرهم وتفانيهم من أجل نيل اللّقب، ثم أضاف حجة ثانيّة، بعد الوحدة (بل) المذكورة، وهي اجتهاد الطّاقم الفنيّ المسيِّر، وقد ربط هذه الحجة بالحجة السّابقة بالواو؛ مما يؤكد أنّها تأخذ توجيها مشابها للحجة السّابقة أي التّوجيه التّصاعديّ.

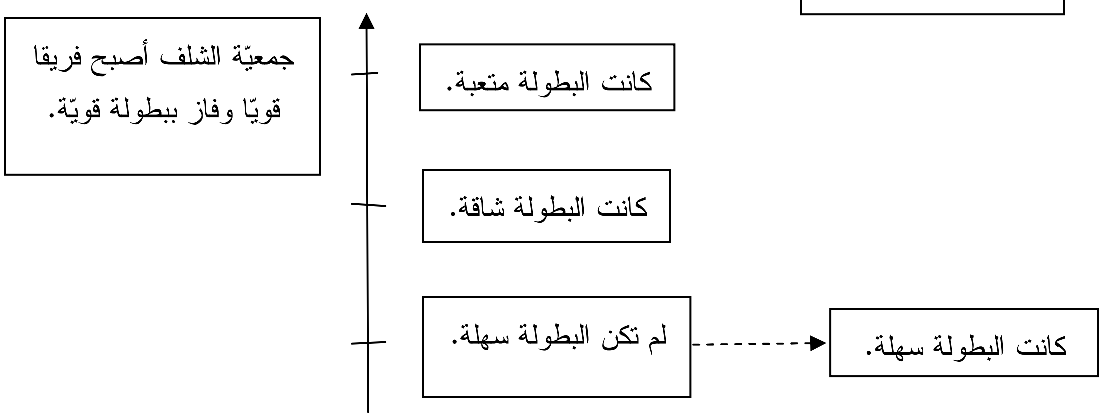
* – سأعود في النّقطة المواليّة لتحليل النّفي، وموقعه الحجاجيّ بشكل معمق.

الفرع الثّانيّ: النّفي والطّابع الحجاجيّ في الخطاب الصّحافيّ الرّياضيّ: تحمل الملفوظات المنفيّة في الخطاب الصّحافيّ الرّياضيّ الطّابع الحجاجيّ على أوجه كثيرة، وهي قابلة للوصف بالتّقنيات التي اعتمدتها التّداوليّة المدمجة، والمثال التّالي يبيّن ذلك:

34-... أكيد أن البطولة لم تكن سهلة بل كانت شاقة ومتعبة خاصة مع التذبدب في البرمجة الذي أثر علينا...[1].

ورد في ثنايا هذا المثال رقم (34) نفي ب(لم) واقترن ذلك بتراتب لمجموعة من الحُجج، وقد قدم الصّحافيّ هذه الحجج على لسان (محمد بن شوية)* المدرب المساعد لفريق جمعية الشلف الفائز ببطولة الجزائر لكرة القدم سنة 2011م، وذلك لتأييد النّتيجة (المقام المشترك) (جمعية الشلف أصبح فريقا قويّا وفاز ببطولة قويّة) وأوّل ما يمكن ملاحظته في هذا الملفوظ؛ هو وجود الوحدة (بل)♣ التي استعملها المتكلم المسؤول عن هذا الملفوظ لتمييز درجتين، على الأقل، من درجات القوة الحجاجيّة؛ فوجود هذه الوحدة هو الذي جعلني أميّز بين (لم تكن سهلة) كحجة أقل قوة عن باقي الحجج؛ أي (شاقة) و(متعبة)، فالوحدة (بل) في هذا المثال رابط حجاجيّ يفيد التّوجيه التّصاعديّ للحُجج، وهو توجه معاكس ل(ناهيك) -الذي قدمته سابقا- الذي كان توجيهه الحجاجيّ توجيها تنازليّا، ويمكن التّمثيل لهذا التّراتب على الشّكل التّالي:

الترسيمة رقم: 26



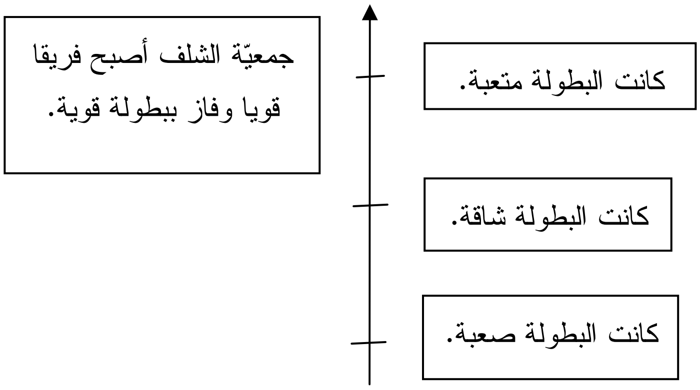
1- إبراهيم س:« الطاقم الطبي، الفني والمسير يتحدث عن التتويج...» الهدّاف، 26 جوان 2011م، ص 17.

*- هذا يدخل في مفهوم تعدد الأصوات الذي عالجته في ما سبق.

♣- نحويّا (بل) حرف عطف يفيد الإضراب عما تقدم والاهتمام بما بعده.

يُلاحظ في التّرسيمة رقم (26) أنّ أول الحجج التي تؤيد المقام المشترك (جمعيّة الشلف أصبح فريقا قويّا وفاز ببطولة قويّة) هي الحجة (لم تكن البطولة سهلة)* ويجب الملاحظة أنّ هذه الحُجة جاءت حجة منفيّة؛ عكس ما تلاها من الحُجج؛ والتي كانت كلّها إثباتيّه، وهو ما يستدعي التّوقف والتّحليل، فالسّلم العاديّ لمثل هذا المقام المشترك يمكن أن يكون سلما متدرجا في (السّهولة) أو متدرجا في (الصّعوبة) إذا كان السّلم تصاعديّا –دائما–، وسيكون تمثيله إذا كان متدرجا في (الصّعوبة) على المنوال التّالي:

التّرسيمة رقم: 27

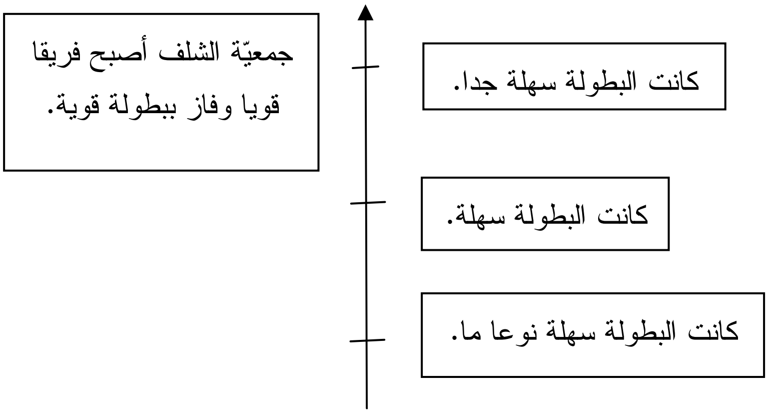


ولا بد من الملاحظة أنّ الحجة الأصغر –هاهنا– هي (كانت البطولة صعبة) التي تظهر في أسفل السّلم، وهو ما يوافق أنّ (البطولة لم تكن سهلة)♣ لكن المتكلم لم يتلفظ بهذا الملفوظ المثبت؛ بل فضل الملفوظ المنفيّ لسبب ما –سأعود إليه لاحقا–، أما الآن، يجب الحديث عن السّلالم الأخرى الممكنة، ومنها السّلم التّصاعديّ –دائما– المبني على (السّهولة) الذي سيكون كالتّالي:

*– لاحظ أنّني أعدت ترتيب الوحدات، وغيّرت مكان الوحدة (البطولة) التي جاءت، في الملفوظ، قبل أداة النّفي (لم) وأنا وضعتها بعد هذه الأداة، لذلك أشير إلى أنّ الغرض من هذا هو تسهيل الشّرح فقط، وليس له أيّ مغزى آخر؛ وأظنه لا يؤثر على الوصف العام.

♣– لا بد من الإشارة إلى أنّ التّقييم الكميّ الدقيق –هنا– غير وارد، فالحدس اللّغويّ تقريبيّ واحتماليّ في جوهره.

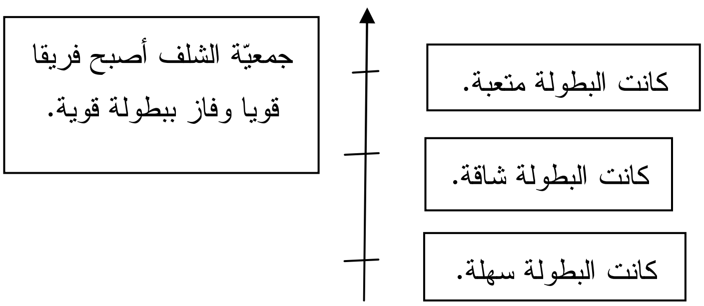
التّرسيمة رقم: 28



يبدو لي، من خلال ملاحظة سلم (السّهولة) هذا؛ أنّه لا يقترب تماما إلى السّلم الذي عرضه الملفوظ الذي أحلله الآن، والوارد في المثال رقم (34) أعلاه، بل يبدو أنّ كلّ الحجج الموجودة في هذا السّلم المبني على (السّهولة) لا تؤيد المقام المشترك: (إنّ فريق جمعيّة الشلف فريق قويّ وفاز ببطولة قويّة) عكس سلم (الصّعوبة) الذي يبدو، في عمومه، موافقا للتّوجيه الحجاجيّ للملفوظ؛ إلا أنّه اختلف معه في الحجة الأولى فقط؛ وذلك على مستوى اللّغة بأن أورد الملفوظ المنفيّ وترك المُثبت.

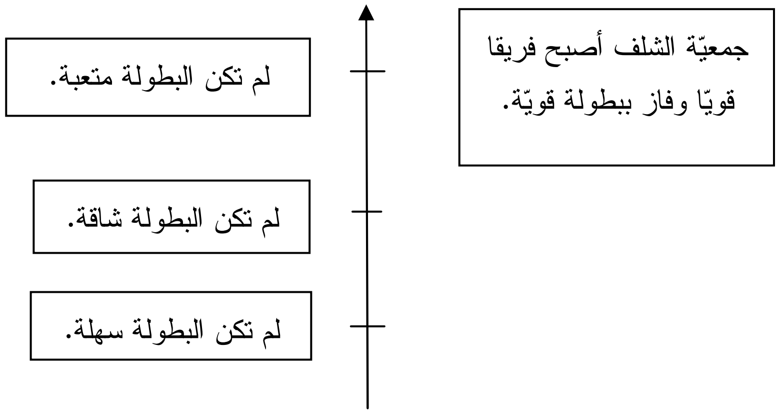
ويمكن أن يكون ترتيب الحجج على منوال آخر، فيُعتمد، كمنطلق للتّراتب؛ إما على سلم من الإثباتات أو على سلم من المنفيات، وسيكون بالتّالي السّلم الحجاجيّ المثبت كالتّالي:

التّرسيمة رقم: 29



لكن يلاحظ –هاهنا– أنّ الحجة الأولى (كانت البطولة سهلة) لا تؤيد المقام المشترك بل تثبت ضده؛ لأنّ الذي يفوز بالبطولة السهلة لا يعني البتة أنّه قويّ، لذلك يبدو لي أنّ هذا السّلم غير وارد في سياق المثال الذي أحلله، أما التّراتب الثّانيّ الذي أفترضه فهو كالتّالي:

التّرسيمة رقم: 30



يبدو لي، حسب هذا السّلم الذي توجد فيه مجموعة من المنفيات، أنّ (لم تكن البطولة شاقة) و(لم تكن متعبة) لا تؤيد المقام المشترك؛ وهو (فريق جمعيّة الشلف قويّ وفاز ببطولة قويّة) فيتغيَّر المعنى جوهريّا، ويختل التّراتب الحجاجيّ بشكل واضح، وبالتّالي، أُرجح أنّ السّلالم الأربعة الممكنة لا تشرح الحجة الأولى، وكيفيّة وجودها في التّراتب الوارد في الملفوظ المدروس؛ أي المثال رقم (34).

ولا شك أنّ الطريق التي تؤدي إلى فهم هذه الحجة؛ ووضعيتها في مثل هذا السّلم (حجة منفيّة في سلم حجج مثبتة) هو العودة إلى أنواع النّفي في التّداوليّة المدمجة، فالنّفي الوارد في هذا المثال نفي جدليّ -في رأيي-، وقد سبق تعريف هذا النّفي في الباب النّظريّ على أساس أنّه نفي يجيب على إثبات سابق لم يتم التّلفظ به؛ وبالتّالي يجب افتراض حجة مثبتة؛ هي -كما يبدو في التّرسيمة (رقم (26)) التي وضعتها لشرح هذا المثال- (البطولة كانت سهلة) ثم هناك الحجة المنفيّة (لم تكن البطولة سهلة) وبافتراض الحجة غير المنفيّة؛ يُفهم أنّ المتكلم إنّما هو وضع حججه على سلم من المثبتات؛ أما الحجة المنفيّة الأولى؛ فما هي إلا حجة مثبتة في أصلها موجودة في السّلم، لكن عمد المتكلم إلى نفيها لأنّها* في حد ذاتها -كحجة مثبته- لا تخدم الغاية التي يصبو إليها الملفوظ، فكأنّه -هاهنا- أجاب على شخص

*- أشير إلى أنّ هذا التّفسير منطقيّ/حدسيّ لا يعني البتة أنّ المتكلم فكر فيه بروية.

قال له:(هذه البطولة سهلة) فرد عليه بالنّفي*، ثم أضاف حججا أخرى مثبتة تؤيد كلّها المقام المشترك.

بقيت لي حجتان في السّلم؛ والتي صنفتهما على أنّهما أقوى من الحجة الأولى (لم تكن البطولة سهلة) وهما حجتان مثبتتان؛ الأولى هي (البطولة شاقة) والثّانيّة هي (البطولة متعبة) ويمكن لأي قارئ أن يعتبرهما متساويتان من حيث القوة، لكن أرى أنّ ترتيبهما -دائما- قرينة على قوة الأولى عن الثّانيّة، كما أنّ المستوى اللّغويّ العام قد يُعبر عن تراتب موافق لما ذهبت إليه، فالبطولة (الشّاقة) قد لا تكون متعبة في كلّ الأحوال؛ وخاصة للذي يملك الزّاد المطلوب للمواجهة، لكن البطولة (المتعبة) أقوى؛ لأنّك حتى لو ملكت العدة والعتاد فهي تُتعبك، لذلك أرى أنّها -على الأقل حجاجيّا♣- أكثر صعوبة من الشّاقة.

وأقترح، في سبيل مواصلة تحليل النّفي في علاقته مع الطّابع الحجاجيّ، فحص المثال التّالي:

35- "لم ندخل المباراة جيدا، الهدفين الأول والثاني أثرا فينا، لو استغللنا فرصة من الفرص التي أتيحت لنا لكانت مجريات اللقاء تغيرت، كذلك أقول إن درجة الحرارة أثرت فينا، كما أن لاعبي فريقي لم يكونوا مستعدين ذهنيا في هذا اللقاء..."[1].

نسب الصّحافيّ هذا الكلام إلى مدرب اتحاد عنابة الجزائريّ الذي خسر مباراته أمام جمعيّة الشلف -التي كانت مباراة ترسيم نيل جمعيّة الشلف لبطولة الجزائر سنة 2011م-، وهذا التّصريح بالمفهوم الشّائع هو محاولة لتبرير الهزيمة التي تلقاها فريق المدرب المذكور؛ وهي أربعة (04) أهداف مقابل لا شيء (00) والتّبرير -بمفهومي على الأقل- لا بد أن يكون مجموعة من الحُجج، وهذه الحجج بمفهوم السّلالم الحجاجيّة لا بد أن يكون بينها تراتب، لكن أشير -دائما- إلى أنّ في هذا الملفوظ نفي؛ وهو في أول الكلام مثله مثل ما حدث في المثال السّابق، فهل سيكون التّحليل مشابها؟

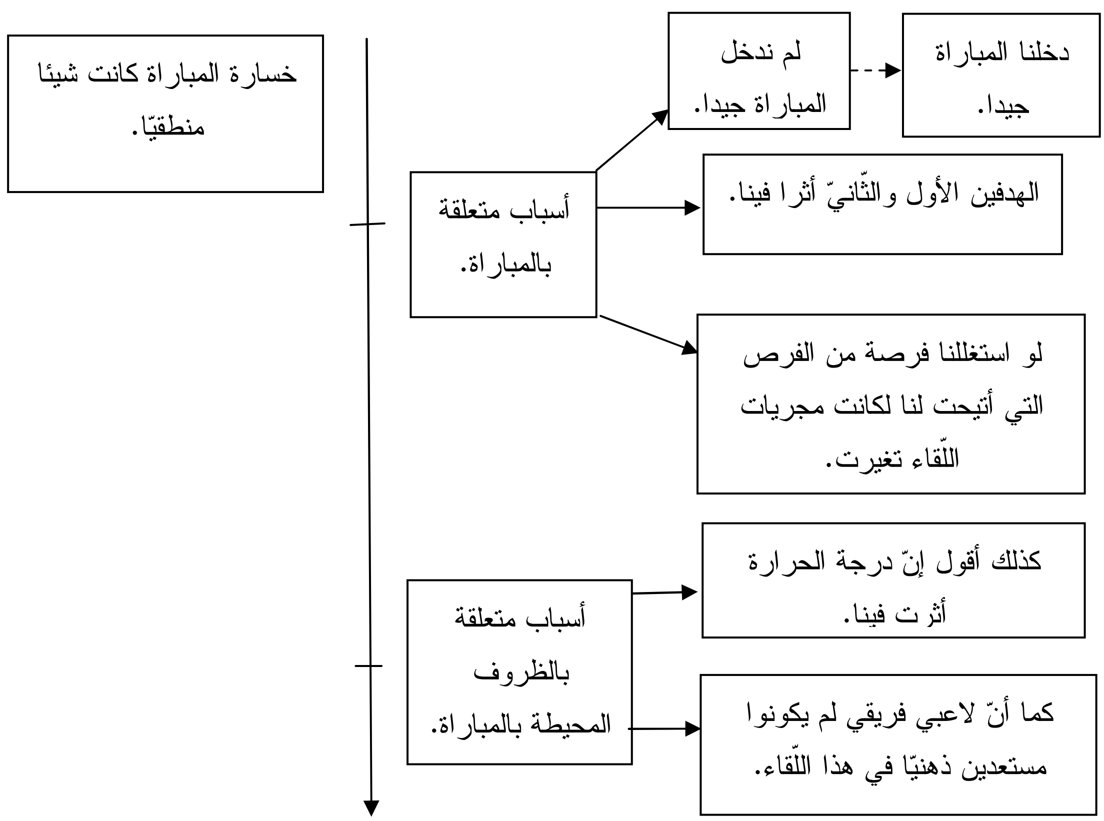
*- أؤكد مرة أخرى حضور نظريّة تعدد الأصوات في هذا التّفسير؛ وهو ما شرحته سابقا.

♣- أنبه القارئ -هاهنا- إلى استعمالي مصطلح: المنظور الحجاجيّ، لأنّ المنظور الحجاجيّ يقع في الخطاب وليس في الواقع الفيزيائيّ.

[1]- دون إمضاء:« بسكري:" أؤكد بأننا سنكمل الموسم بالقوة نفسها"» الهدّاف، 26 جوان 2011م، ص 16.

يبدو لي أنّ تراتب الحجج في هذا المثال مرتبط –أساسا– بالتّرتيب الذي قدمه الصّحافيّ حيث فصل بين كلّ حجة وأخرى بفاصلة في البداية، وهو ما يؤشر أنّ التّرتيب مهم في هذا الكلام على الأقل من حيث التّوجيه الحجاجيّ، ولكن في الجملة* الرّابعة استعمل الوحدة (كذلك)♣ التي تدل، في ما تدل، على أنّ الحجة المواليّة لها دور في الخسارة، لكن تُوجه القارئ –بشكل ما– إلى قلة أهمية هذه الحجة مقارنة بما سبق؛ مما يجعل توجيه القوة الحجاجيّة تنازليّا، ثم تأتي الجملة الأخيرة التي فيها رابط حجاجيّ محايد –في رأيي– وهو (كما) الذي يسوي بين الحجة اللاحقة والسّابقة من حيث القوة، لكن بمنظور التّرتيب الذي تحدثت عنه سابقا، أرى أنّ الحجة اللاحقة أقل شأنا من السّابقة، ويبدو لي، في المحصلة، أنّ هذا الملفوظ تنازليّ من حيث القوة الحجاجيّة، ويمكن تمثيله بالسّلم الحجاجيّ التّالي:

التّرسيمة رقم: 31



*– أستعمل –هنا– مصطلح الجملة بمعنى ما بين فاصلتين.

♣– تتكون الوحدة (كذلك) نحويّا من عدة أجزاء، الكاف حرف جر، (ذا) اسم إشارة...

أشير إلى أنّ السّهم متجه نحو الأسفل في هذه التّرسيمة رقم (31) السّابقة، وهذا يعني أنّ التّوجيه الحجاجيّ في الملفوظ كان تنازليّا؛ فأقوى الحجج جاءت في البداية –عكس المثال السّابق– وهي (لم ندخل المباراة جيدا) وهذه الحجة منفيّة، أما كلّ ما يليها من الحجج فهو مثبت، ويُلاحظ أنّ هذه الحجة إذا حُوّلت إلى ملفوظ مثبت؛ أي (دخلنا المباراة جيدا) لن تكون مؤيدة للمقام المشترك (خسارة المباراة كان شيئا منطقيّا) المذكور في التّرسيمة، وبالتّالي يجب –مرة أخرى– وضع هذا النّفي في سياق الأنواع التي ذكرها (ديكرو) لفهم منزلته؛ وهو –أيضا– نفي جدليّ*، مما يقودني إلى وضع هذه الحجة على أنّها رد على ملفوظ مثبت، وهو ذات الملفوظ الذي سيصبح الحجة الأولى، ثم تأتي باقي الحجج التي تقع في تراتب –مثلما أشرت إليه في المثال السّابق (رقم 34)–.

ويمكن أن يلاحظ القارئ في التّرسيمة رقم (31) أنّني ميّزت في حجج المدرب مصطفى بسكري بين الحجج التي لها صلة بالمباراة، والحجج المتعلقة بالظّروف العامة للمقابلة♣، وهذا التّمييز –في الحقيقة– يساعد كثيرا على تأكيد ما ذهبت إليه من أنّ هناك تراتب بين كلّ تلك الحجج –التي قدمها الصّحافيّ على لسان المدرب مصطفى بسكري–، فالحجج التي لها علاقة بالمباراة مباشرة هي –فعلا– الحجج الأقوى حجاجيّا –أي على مستوى الخطاب– لتبرير الهزيمة؛ لأنّ التّصريح كان متعلقا بالمباراة في حد ذاتها، والأجدر هو تقديم المبررات من سير المباراة، والنّاظر في هذه الحجج، سيجد أنّ المدرب قد رتبها –أيضا– حسب قوتها؛ فالحجة الأكبر والأهم هي الحجة الأولى (الفريق لم يدخل في المباراة جيدا) وهذا يعني أنّه لم يتحكم فيها من البداية؛ فضاعت منه كلّ حظوظ الفوز، وبالنّظر إلى واقع المباراة –فعلا– تلقى فريق المدرب (اتحاد عنابة) هدفين في الدقائق العشر الأولى؛ وهو ما يعني

*– أشرت إلى أنّ (ديكرو) يعتقد أنّ النّفي الجدليّ هو النّفي الشّائع في اللّغة، وهذا ما وقفت عليه في هذا التّحليل.

♣– هذا التّمييز من وضعي، ولم يرد في كلام الصّحافيّ أو المدرب؛ وغرضه تبيان التّراتب الذي بُني عليه الخطاب وتيسير شرحه، علما أنّني لم أغيّر شيئا في تراتب الحجج؛ كما وردت في النّص.

بشكل كبير في كرة القدم الخسارة*، وهو ما شرحه في الحجة الثّانيّة بالحديث عن الهدفين، ثم أضاف حجة ثالثة؛ أقل قوة، هي (عدم تمكنهم من استغلال الفرص التي أتيحت لهم للتّسجيل) لأنّ ذلك كان سيرفع معنوياتهم، ويساعدهم على تدارك النّتيجة؛ وهو ما لم يحدث، وهي أمور كلّها تبرر الخسارة، وتجعلها منطقيّة.

وتتعلق الحزمة الثّانيّة من الحجج التي قدمها المدرب في المثال (رقم 35 الموافق للتّرسيمة رقم (31) دائما) بالظّروف العامة للمقابلة، ويبدو، في الأدبيات الرّياضيّة، أنّ وطأة هذه الظّروف لا تبرر بشكل جيد الخسارة♣، لذلك وضعها المدرب في أدنى سلم الحجج، وذكر –هاهنا– (درجة الحرارة) و(الأحوال النّفسيّة للاعبين) ويقصد بالأحوال النّفسيّة أنّ اللاعبين لم يكونوا مركزين على الفوز بهذه المباراة؛ لأنّها خارج الدّيار؛ بل هم مركزون على المقابلتين المواليتين اللّتين ستكونان في عنابة؛ وفي الأدبيات الرّياضيّة عندما تكون المقابلة خارج الدّيار؛ فمن الصّعوبة بمكان الفوز بها؛ وإن كان ذلك وارد.

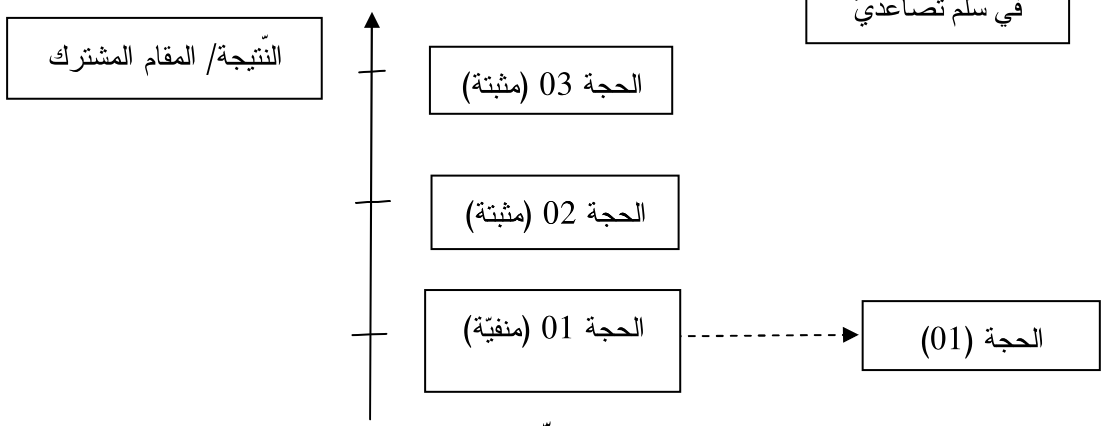
ويمكن أن يكون القارئ قد لاحظ أثناء تحليل المثاليْن السّابقيْن (رقم 34 و35) أنّ النّفي يأتي، في العادة، في بداية الكلام؛ وهو نفي جدليّ في –العادة أيضا– ثم تأتي الحجج الأخرى في سلالم تنازليّة أو تصاعديّة حسب الوحدات، والتّوجيهات اللّغويّة وغير اللّغويّة الموجودة في الملفوظ، ويمكن نمذجة ورود النّفي الجدليّ في الملفوظات الحجاجيّة في خطاب الصّحافة الرّياضيّة كالتّالي:

---

*– أقول:(بشكل كبير) لكن ليس أكيد؛ لأنّ الكثير من المباريات عرفت سناروهات مغايرة لما أذهب إليه، كأن ينهزم الفريق في البداية ثم يعادل ويفوز، لكن هذا ليس بالقاعدة بل هو الاستثناء، والاستثناء وارد.

♣– لأنّ "الميدان هو الفاصل" حسب تعبير الرّياضيين؛ أي المباراة تتحدث عن نفسها؛ فالحرارة مثلا مشكلة للفريقين ليست مشكلة على أحدهما فقط، وخاصة أنّ الفريقين من بلد واحد؛ بل كلاهما من السّواحل الجزائريّة (عنابة والشلف في الجزائر).

التّرسيمة رقم: 32
حالة النّفي الجدليّ
في سلم تصاعديّ



سأعمل، في ما يلي، على تطبيق هذا النّموذج على ملفوظ آخر؛ لتأكيد صلاحيته كنموذج عام قابل للتّطبيق على كلّ الملفوظات التي من نوعه؛ فلننظر معًا في المثال التّالي[1]:

36- علي حاجي تابع اللقاء من النفق

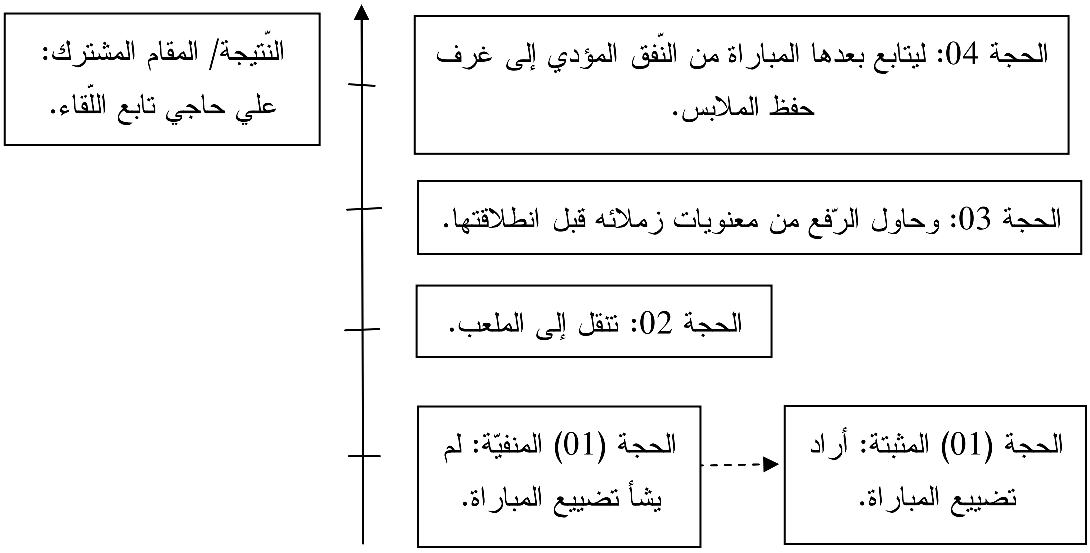
رغم أن علي حاجي كان معاقبا في لقاء أمس، إلا أنه لم يشأ تضييع المباراة، بل تنقل إلى الملعب، وحاول الرفع من معنويات زملائه قبل انطلاقتها، ليتابع بعدها المباراة من النفق المؤدي إلى غرف حفظ الملابس، وهذا ما يؤكد عدم رغبة علي حاجي في تضييع لقاء هام وكبير مثل لقاء أمس.

دون إمضاء

ورد في هذا المثال رقم (36) مقام مشترك عام؛ يمكن أخذه من عنوان المقال، وهو (علي حاجي تابع اللّقاء) وقد جاء الصّحافيّ بمجموعة من الحجج لتأكيد ذلك؛ كما قال في آخر المقالة، ويمكن التّمثيل لها، وفقا للنّموذج الذي وضعته في السّابق، كالتّالي:

[1]- دون إمضاء:« علي حاجي تابع اللّقاء من النّفق» الهدّاف، 26 جوان 2011م، ص 16.

التّرسيمة رقم: 33
حالة النّفي الجدليّ
في سلم تصاعديّ



لا بد من الإشارة، في البداية، إلى أنّ هذا الملفوظ يتضمن توجيها حجاجيّا تصاعديّا؛ يبدأ من أضعف الحُجج إلى أقواها، وقد ورد فيه نفي –في الجملة الأولى (لم يشأ تضييع المباراة)– وهو مثله مثل الأمثلة السّابقة نفي جدليّ؛ وسبق الإشارة إلى أنّ مثل هذه الحجج تفترض كلاما مثبتا؛ قيل في السّابق، والمتكلم لا يوافقه؛ فكأنّه بهذه الحجة يُنكر كلاما سابقا، ثم تأتي الحجة الثّانيّة، بعد الوحدة (بل) التي سبق لي شرح بعض أدوارها في توجيه الملفوظات حجاجيّا، وفي هذا المثال، يبدو لي أنّها تساعد القارئ على فهم التّوجيه التّصاعديّ للحجاج؛ ولكن تساعدها وحدة أخرى، في الحجة الرّابعة الموجودة في التّرسيمة (رقم 33) أعلاه؛ وهي اللام في الوحدة (ليتابع).

وقد جاءت الحجة الثّانيّة المتمثلة في تنقل اللاعب المذكور في المثال إلى الملعب بعد الوحدة (بل) ولكن يبدو أنّ هذه الحجة غير مقنعة؛ مقارنة بما هو منتظر في المقام المشترك (علي حاجي تابع اللّقاء) المذكور في التّرسيمة، فمجرد التّنقل لا يعني متابعة اللّقاء؛ لأنّه يمكن أن يكون قد غادر قبل بدايته، ومن أجل تقديم حجة أكثر إقناعا؛ تحدث الصّحافيّ عن ملاقاة اللاعب المذكور لزملائه اللاعبين، ورفعه لمعنوياتهم، ثم قدم الصّحافيّ، أخيرا، حجة رابعة؛ وهي متابعة اللاعب علي حاجي

للمباراة في النّفق المؤدي إلى غرف تغيير الملابس، وربما هذه الحجة هي أكبر الحجج قيمة؛ وتشرح بشكل جلي كلّ المقالة، لأنّ مشاهدة اللاعب للمباراة من هذا المكان تجعله غير ظاهر للحضور في الملعب، فهذا النّفق عادة ما يكون مغطى بشكل لا يسمح للمتفرجين رؤية المتواجدين بداخله.

الفرع الثّالث: بعض استعمالات السّلالم الحجاجيّة في الخطاب الصّحافيّ الرّياضيّ:

سأتوقف في هذا الجزء على استعمالات محليّة للحجج في الصّحافة الرّياضيّة بشكل يسمح للصّحافيين تقديم صور أكثر حيويّة لمواضيعهم، وذلك بالتّلاعب بالسّلالم الحجاجيّة؛ مثل ما يمكن معاينته في الملفوظ التّالي:

37- ... الحق كل الحق هو أن الحارس عبد المالك سلاحجي قدم مستوى خرافيا، وكان أفضل لاعب فوق الميدان دون منازع، حيث تصدى للكثير من الكرات الخطيرة للمنتخب التونسي، وتألق على وجه الخصوص في الانفراد وجها لوجه مع لاعبي "نسور قرطاج"، ويبدو أن تضييع التونسيين لفرص محققة كثيرة في مواجهة حارس المجمع البترولي تسببت في انهيار معنويات لاعبي المنتخب التونسي، مما أدى إلى اتساع الفارق في النتيجة بين المنتخبين مع مرور الوقت خصوصا في شوط المباراة الثاني[1].

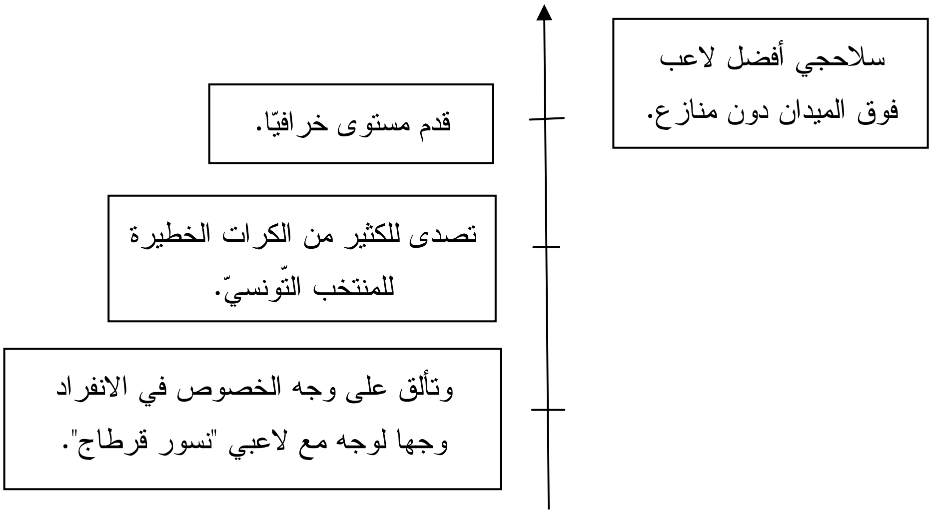
يتحدث الصّحافيّ في هذا الملفوظ عن اللاعب/الحارس عبد المالك سلاحجي الذي أدى دورا بارزا في فوز المنتخب الوطنيّ الجزائريّ ببطولة إفريقيا لكرة اليد سنة 2014م، ويمكن الملاحظة بسهولة أنّ الملفوظ ينقسم إلى جزأين بالمنظور الموضوعاتيّ، الأول يتحدث عن دور سلاحجي، والثّانيّ عن أثر ذلك الدّور على المنتخب التّونسيّ، ويمكن قراءة الطّابع الحجاجيّ -هاهنا- على أنّه هناك سُلمان متعاكسان: الأول صريح، والثّانيّ ضمنيّ؛ وهو ما سأبيّنه في ما يلي.

ورد السّلم الحجاجيّ الأول (الصّريح) في الجزء الأول من الملفوظ الذي يتضمن الجمل* الأربعة الأولى، ويمكن تمثيله بالتّرسيمة التّالية:

1- عادل ح.:« نهائي بطولة إفريقيا لكرة اليد (رجال): رجال الجزائر يرفعون التحدي والنجمة السابعة تبقى في الجزائر » الهدّاف، 26 جانفي 2014م، ع: 2688، ص 16.

*- أُذكّر القارئ أنّني أستعمل مصطلح جملة -هاهنا- للدّلالة على ما بين فاصلتين.

التّرسيمة رقم: 34



يُلاحظ في هذه التّرسيمة (رقم (34)) أنّ الملفوظ يؤيد ككلّ المقام المشترك (سلاحجي أفضل لاعب في الميدان دون منازع) أي إنّه بلغة الرّياضيين (رجل اللّقاء) أو أحسن لاعب بشكل عام، ولتبرير هذا الموقف؛ ساق الصّحافيّ مجموعة من المبررات التي يبدو لي أنّها مرتبة حسب التّرتيب التّصاعديّ الموجود في التّرسيمة، ويجب الملاحظة –هاهنا– أنّ الملفوظ لم يأت بالحجج على التّراتب التّصاعديّ الذي أقترحه في التّرسيمة (رقم (34)) بل لم يكن لي ذلك إلا بعد عمليّة تأويليّة؛ وهي كالتّالي:

ذكر الصّحافيّ في ملفوظه أقوى الحجج أولا؛ وهي (تقديم اللاعب سلاحجي لمستوى خرافي) وعندما يُقال:(خرافيّ) فهذا يعني أنّه يتجاوز كلّ حدود المعقول؛ وهو ما يؤيد مباشرة المقام المشترك الذي يتحدث عنه الملفوظ؛ والمتمثل في (سلاحجي أفضل لاعب في الميدان...) وجاء بعد هذه الحجة حديث عن المقام المشترك؛ فكأنّ الصّحافيّ انبهر بالمستوى؛ فاستبق الحديث عنه، ثم عاد إلى رُويته، وبدأ الحديث من حيث كان يجب أن يبدأ؛ وهو القول أولا (كان سلاحجي أفضل لاعب في المقابلة لأنّه قدم مستوى خرافيّا) ثم باقي الحجج.

وبدأ، بعد تقديم أقوى الحجج، في تقديم الحجتين الأخريَيْن مُتخذا في ذلك توجيها حجاجيا تنازليّا –وليس تصاعديّا مثلما هو موجود في التّرسيمة رقم (34) التي اقترحتها؛ أي من أقوى الحجج إلى أدناها– فذكر الحجة العامة نوعا ما –أولا–

وهي (صده للكثير من الكرات...) دون تحديد لنوعيّة هذه الكرات، ثم ذكر حجة أدنى قوة؛ وهي (صده للكرات وجها لوجه) وهي نوع واحد فقط من الكرات الممكنة في كرة اليد، وبالتّالي فهي حجة أقل قوة من حجة (صد الكثير من الكرات –على أنواعها–).

1: سلم حجاجيّ واحد لنتيجتين مختلفتين: يتميّز السّلم الثّانيّ الذي سأستخرجه من الملفوظ نفسه بأنّه سلم ضمنيّ نوعا ما؛ لأنّ الصّحافيّ لم يقدمه على أساس أنّه مبررات أو حجج؛ بل قدمه كمجموعة من النّتائج المترتبة –وبشكل تسلسليّ تراتبيّ– عن تألق الحارس الجزائريّ عبد الملك سلاحجي الذي أربك المنتخب التّونسيّ، وهذه النّتائج أذكرها على التّرتيب:

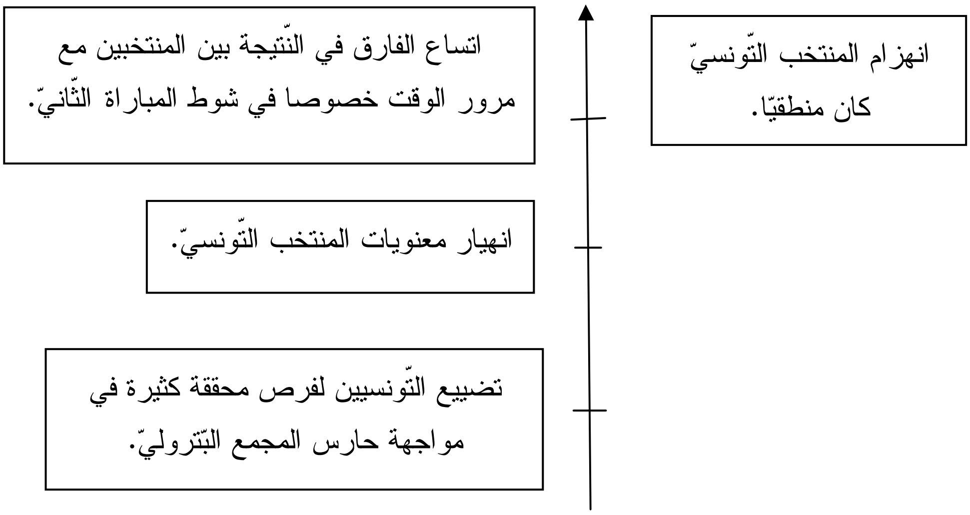
أ- تضييع التّونسيين لفرص محققة كثيرة في مواجهة حارس المجمع البترولي.

ب- انهيار معنويات لاعبي المنتخب التّونسيّ.

ت- اتساع الفارق في النّتيجة بين المنتخبين مع مرور الوقت؛ خصوصا في شوط المباراة الثّانيّ.

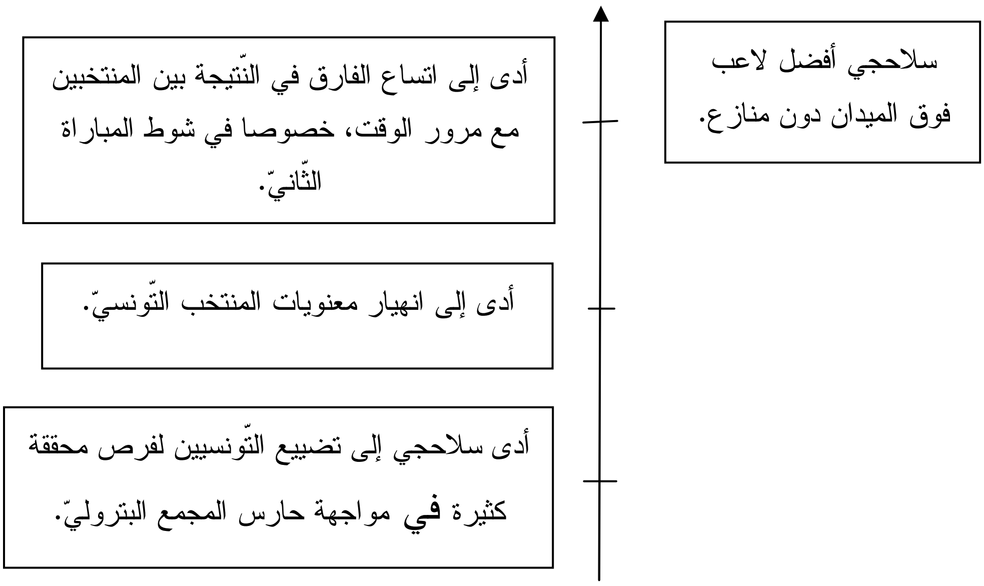
ويبدو لي، من خلال قراءة الملفوظ، أنّ كلّ نتيجة من النّتائج السّابقة أدت إلى النّتيجة التي أتت بعدها على شاكلة:(سبب يؤدي إلى نتيجة ثم النّتيجة تصبح سببا لنتيجة أخرى...) ومن السّياق العام للملفوظ، يمكن القول: إنّ كلّ هذه الأسباب والنّتائج تؤيد المقام العام الذي انطلقت منه؛ وهو (سلاحجي أفضل لاعب في المباراة دون منازع) لأنّها كلّها تُمثل بيانا لأثر اللاعب في الفريق الخصم؛ أي بمفهوم المخالفة هي حجة لتفوقه، وإذا صدق ما أذهب إليه، فيمكن أن أمثل هذه السّلسلة من الأسباب والنّتائج على أنّها حجج في سلم يؤيد نتيجة واحدة هي (انهزام المنتخب التّونسيّ كان منطقيّا) وهو المقام المشترك للحجج كلّها، ويمكن أن يكون هذا السّلم على الشّكل تبيّنه التّرسيمة رقم (35) التّاليّة:

التّرسيمة رقم: 35



ويمكن، بعد هذا، قراءة هذه الحجج على السّلم الأصليّ الذي انطلقت منه، وهو المؤيد للنّتيجة (سلاحجي أفضل لاعب فوق الميدان دون منازع) وسيكون السّلم كالتّالي:

التّرسيمة رقم: 36



ويجب أن أشير –هاهنا– أنّ الحجج الواردة في السّلمين لم يحدث عليها أي تغيير، لكنّها تؤيد مقامين مشتركين مختلفين؛ فالحجج نفسها تؤدي إلى نتائج مختلفة خطابيّا، وهذا متعلق بالمنظور الذي ينطلق منه القارئ؛ سواء هزيمة المنتخب التّونسيّ أو تألق اللاعب عبد المالك سلاحجي–في المثال المدروس أعلاه–.

ولتأكيد هذا النّوع من الاستعمال للسّلالم الحجاجيّة في الخطاب الصّحافيّ الرّياضيّ سأتفحص المثال التّالي:

38- بدا المستوى الذي ظهرت به عناصر عنابة في لقاء أمس وكأنها ضمنت نهائيا البقاء في الدرجة الأولى، حيث كان لعبها بسيطا وغابت الفعالية كلية أمام المرمى، في حين أنها ولحد الآن لم تضمن البقاء، وهي مهددة أيضا بالسقوط...[1].

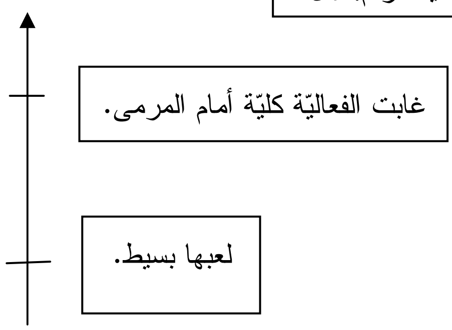
يتحدث هذا الملفوظ على طريقة لعب فريق اتحاد عنابة؛ الذي خسر بأربعة (04) أهداف مقابل صفر (00) أمام فريق جمعيّة الشلف الذي فاز على إثر ذلك ببطولة الجزائر سنة 2011م، وسأركز في تحليلي لهذا الملفوظ على السّلم الحجاجي[*] المتكون من الحجتين:

أ- لعبها بسيط.

ب- غابت الفعاليّة كليّة أمام المرمى.

ويمكن -حسب سياق الملفوظ- أن أمثل السّلم الموافق للحجتين كالتّالي:

التّرسيمة رقم: 37



يُلاحظ -هاهنا- أنّني جعلت (غياب الفعاليّة) أقوى من (اللّعب البسيط) وهذا أبرره بالتّرتيب الموجود في الملفوظ أولا، لكن -أساسا- بما هو معروف في لعبة كرة القدم؛ لأنّ اللّعب البسيط لا يضر البتة إن كان الفريق فعالا أمام المرمى، فالعبرة في النّتائج -كما يقال في أدبيات اللّعبة-، لذلك رتبتُ السّلم تصاعديّا على الشّكل المبيّن في التّرسيمة السّابقة (رقم 37).

---

[1]- عادل ح.:« عنابة "في الغرقة" وتلعب بالنار » الهدّاف، 26 جوان 2011م، ص 16.

[*]- هناك سلم حجاجيّ آخر في الملفوظ هو (لم تضمن البقاء ومهددة بالسّقوط) لكن لن أحلل هذا السّلم؛ لأنّه لا يدخل ضمن أهدافي في هذه النّقطة من البحث.

لم أذكر، إلى غاية هذا الحد، المقام المشترك الذي تخدمه أو تؤيده هاتان الحجتان، وهذا هو هدف هذا التّحليل؛ لأنّ الحجتين بمعزل عن السّياق الذي وردتا فيه، أي الجريدة المدروسة، قد تخدمان نتائج (مقامات مشتركة) متعددة هي:

1- الفريق ضمن البقاء.

2- الفريق ضمن اللّقب قبل المقابلة.

3- الفريق لم يضمن البقاء.

فاللّعب السّيئ الذي تصفه الحجتان، في الحقيقة، يمكن أن يكون دليلا على أنّ الفريق الذي يُقدمه غير مهتم بالمقابلة؛ وهو -عادة- الفريق الذي ضمن البقاء، أو ضمن اللّقب مسبقا؛ لذلك لا يحتاج إلى لعب جيد، كما يمكن أن يكون (اللّعب السّيئ) لفريق ضعيف لم يضمن البقاء مثلا؛ فهو لا يقدم لعبا سيئا؛ لأنّه أراد ذلك؛ بل لأنّه لا يمكنه أن يقدم أفضل من ذلك.

ويحيل هذا التّحليل الأوليّ، الذي لم يتخذ سياق المقالة منطلقا، إلى تعدد في إمكانيات استعمال هذا السّلم الحجاجيّ؛ قد يصل إلى حد استعماله في أوضاع متعاكسة تماما -كما أشرتُ-، وهو -في رأيي- ما يدعو إلى مرونة كبيرة في استعماله في الخطاب الصّحافيّ الرّياضيّ، وما هذا الملفوظ في هذا المثال إلا صيغة من الصّيغ الممكنة لاستعمال هذا السّلم الحجاجيّ.

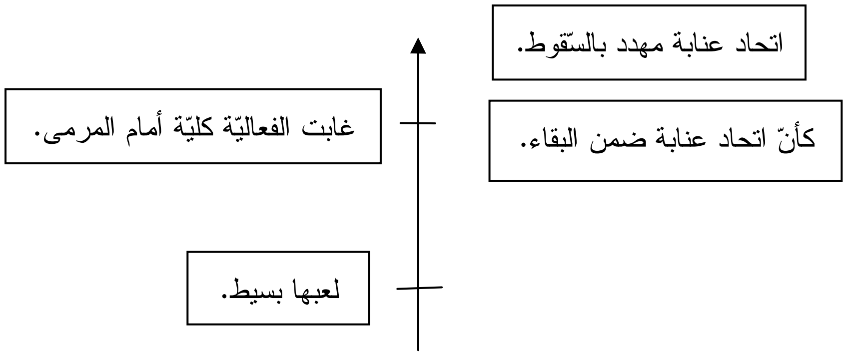
ويبدو لي أنّ تحليل هذا السّلم في إطار الملفوظ المدروس؛ أي في سياقه كما استعمله الصّحافيّ، سيفضي إلى أنّه يخدم أو يؤيد مقامين مشتركين اثنين هما:

أ- كأنّ اتحاد عنابة ضمن البقاء.

ب- اتحاد عنابة مهدد بالسّقوط.

ويمكن بالتّالي وضع السّلم الحجاجيّ على الشّكل التّالي:

التّرسيمة رقم: 38



يظهر، على المستوى الخطابيّ الوارد في الملفوظ، أنّ النّتيجتيْن متعارضتان؛ والدّليل على ذلك استعمال الصّحافيّ للوحدة (في حين) التي تشير إلى التّعارض بين الموقفين؛ أي ضمان البقاء وعدم ضمانه، لكن الحجج المستعملة هي نفسها، وبالنّظر إلى استعمال الوحدة (في حين) كما ذكرتُ، يبدو لي أنّ التّوجيه الحجاجيّ يرجح أنّ الحجتين المستعملتين في الملفوظ لا تؤديان إلى النّتيجة (ضمن البقاء) وما يعضد هذا الشّرح؛ هو استعمال أداة التّشبيه (كأن)* وبالتّالي فإنّهما تؤيدان، بمفهوم المخالفة، إلى أنّ (عنابة لم تضمن البقاء) ويجب الإشارة إلى أنّ الوحدة اللّغويّة (كأنّ) لعبت دورا كبيرا في إسناد الحجتين، فرجحت –في رأيي– إسنادها للّذي (ضمن البقاء) وهذا من آثار الصّور البيانيّة.

ويجدر، في آخر هذا التّحليل، أن أشير إلى أنّ كلتا النّتيجتين مع الحجتين تؤديان إلى نتيجة أخرى تظهر في العنوان، وهي (عنابة تلعب بالنّار أو تخاطر) وهو مقام مشترك أعم.

2- **السّلالم الحجاجيّة غير المقنعة:** يلجأ بعض الصّحافيين في حالات صعبة؛ كإقصاء الفِرق التي يناصرونها إلى استعمال طرق حجاجيّة حذرة؛ فتُمكنهم هذه الاستراتجيات من تقديم أدلة على الإقصاء دون تحملها؛ وذلك بالتّغطيّة على آراء صحيحة بأدلة غير مقنعة؛ لكن ماثلة أمام بصيرة القرّاء؛ ويمكن التّشبث بها دون إلغاء الحجج الحقيقيّة التي قد تصدم القارئ، فليكن المثال التّالي منطلقا للتّحليل:

*- قد يحيل هذا إلى مباحث السّخريّة.

39- صحيح أن المنتخب الوطني ارتكب هفوات في مبارتي تونس والطوغو، وصحيح كذلك أن الناخب الوطني لم يوفق في بعض الخيارات الفنية التي قام بها، إلا أن الحقيقة التي لا ينكرها إلا جاحد أن الخضر قدموا كل شيء في اللقاءين ولم تنقصهم سوى النتيجة بعد أن أدار لهم الحظ بظهره، فمن ناحية الأداء قدم رفقاء فيغولي مستوى فنيا راقيا سيطروا به على المبارتين وصنعوا العديد من فرص التسجيل...[1].

اقتطعتُ هذا الملفوظ من مقال يتحدث عن إقصاء الجزائر من كأس إفريقيا للأمم سنة 2013م؛ بعد خسارتيْن متتاليتيْن، فكان أول منتخب يغادر المنافسة، بعدما كان أول منتخب يصل إلى البلد المنظم للدّورة؛ فشكّل هذا الحدث مفاجأة كبيرة للمتتبعين، وخاصة أنّ الجزائر كانت من البلدان المرشحة للتّأهل المُبكر، وليس الإقصاء المبكر، وقد اجتهدتْ الصّحافة الجزائريّة في تليين الأجواء باعتبارها مناصرة للمنتخب الوطنيّ؛ لكنّها لا تملك وسائل كثيرة لإخفاء الحقيقة؛ فلجأت إلى التّلاعب بالسّلالم الحجاجيّة على الطّريقة التي تظهر في الملفوظ الذي أوردته -هاهنا-.

ويمكن لأي قارئ أن يلاحظ أنّ الصّحافيّ قد أدرج في ملفوظه مجموعة من الحجج المؤيدة لمقامات متعارضة؛ قد أُميِّز في هذا المجال بين مقامين متناقضين وهما:

أ- كان المنتخب الوطنيّ ضعيفا وهزيلا على أكثر من صعيد.

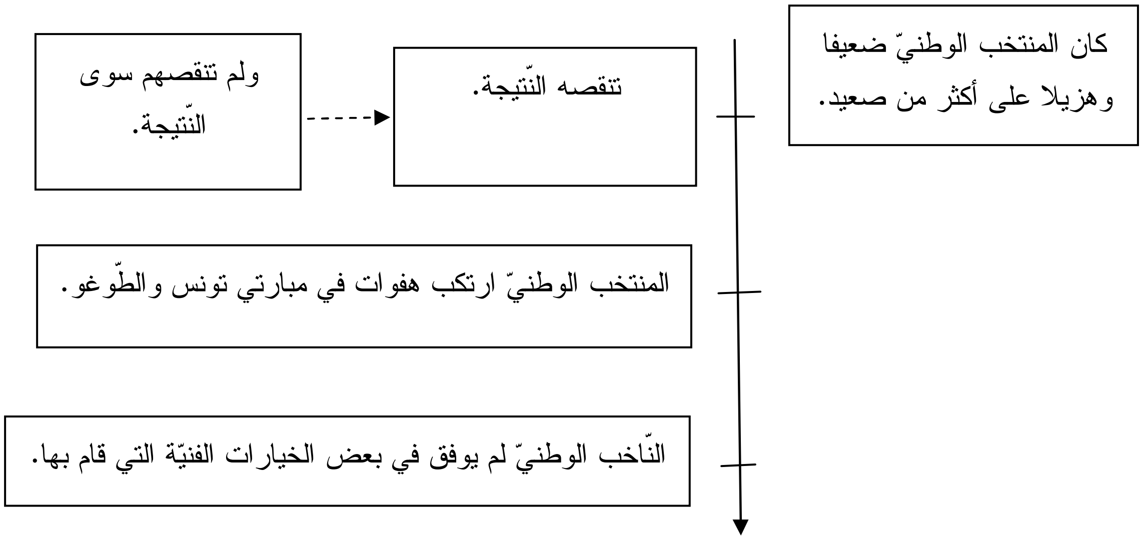
ب-لم يكن الفريق الوطنيّ ضعيفا وهزيلا.

وقد استعمل الصّحافيّ مجموعة من الحجج لتأييد كلّ مقام على حدة، ويمكن التّمثيل للسّلم المؤيد للمقام الأول (كان المنتخب الوطنيّ ضعيفا وهزيلا على أكثر من صعيد) بالسّلم التّالي:

---

[1]- نجمو س.:« "الخضر" قدموا لقاءين رائعين ولا يجب أن ندفن هذا المنتخب الشاب» الهدّاف، 28 جانفي 2013، ع: 2330، ص 03.

التّرسيمة رقم: 39



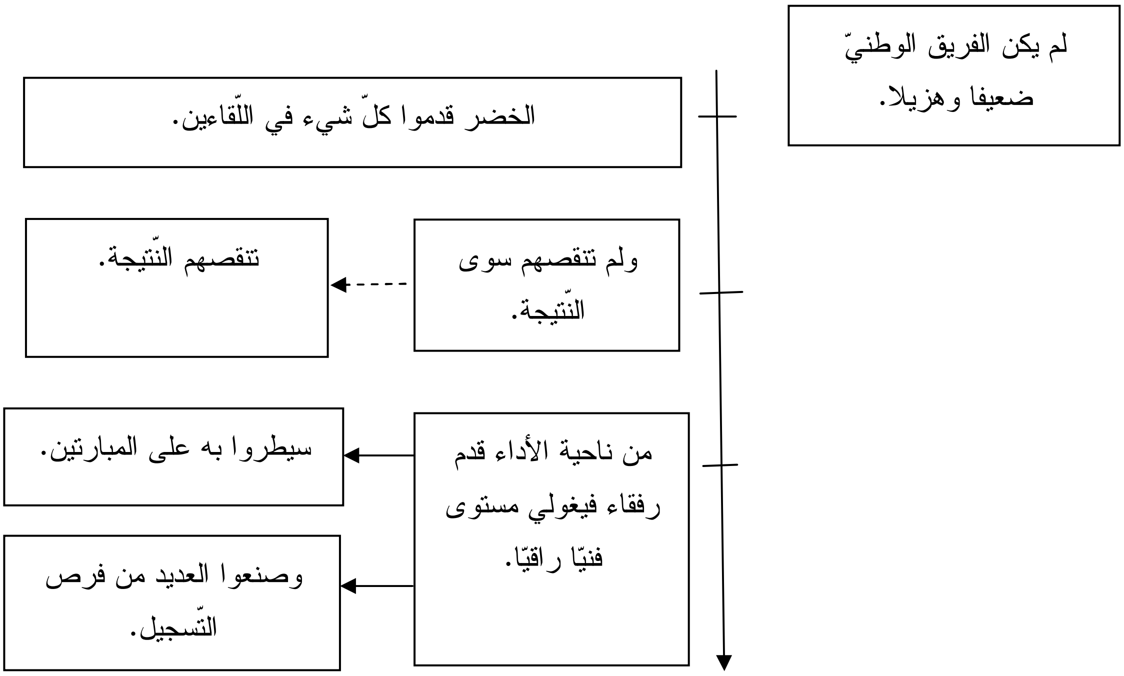
لا بد من الإشارة، أولا، أنّ الحجج الواردة في التّرسيمة رقم (39) لم ترد في المقتطف متتابعة كلّها؛ فقد انفصلت الحجة الأولى (لم تنقصهم سوى النّتيجة) عن الحجتين الأخريين؛ لأنّ الصّحافيّ أوردها في حديثه عن المستوى الرّاقي للمنتخب الوطنيّ؛ لكنّها –في رأيي– تصلح لأن تظهر في السّلم المؤدي إلى النّتيجة (كان المنتخب الوطنيّ ضعيفا وهزيلا على أكثر من صعيد) باعتبارها نفي جدليّ يحيل إلى كلام مثبت؛ وذلك الكلام المثبت؛ ما هو –في الحقيقة– إلا الحجة الأقوى –بمنظوري على الأقل– للقول: إنّ المنتخب الجزائريّ ضعيف.

بقي الحديث عن الحجتين المتبقيتين؛ فهما متتابعتان من حيث الورود؛ أي إنّه لم يفصل بينهما كلام آخر، وقد ربط الصّحافيّ بينهما بالوحدات (وصحيح كذلك) التي يُفهم منها أنّه هناك حجج أخرى ستضاف إلى السّابق من الحجج، ونظرا للتّرتيب، أميل إلى اعتبار أنّ ما يأتي بعد هاتين الوحدتين أقل درجة من حيث القوة الحجاجيّة، وهو السّبب الذي جعلني أضع السّهم في التّرسيمة رقم (39) متجها إلى الأسفل؛ أي إنّ السّلم الحجاجيّ تنازليّ ككلّ، وقد يعضد هذا التّفسير ما تتوفر عليه المعرفة العامة لأدبيات كرة القدم التي تقول: إنّ النّتيجة أهم شيء في المباراة؛ فغيابها يعني أنّ المنتخب ضعيف، ثم يأتي تحكمه في اللّعب؛ فالمنتخب الذي يرتكب هفوات كثيرة في المقابلات؛ قد يُضيّع النّتائج، كما يمكن أن يُضيّع سمعته كمنتخب، ثم يأتي، أخيرا، دور المدرب الذي يُعد مهما؛ لكن ليس بالأهميّة

التي تكتسيها الأمور السّابقة، وهذه المعلومات تقوي ميلي إلى اعتبار هذا السّلم سلما تنازليّا من حيث التّوجيه الحجاجيّ.

وقد ورد، في الملفوظ نفسه، سلم ثان –كما قلت– مؤيد للمقام المشترك الثّانيّ (لم يكن الفريق الوطنيّ ضعيفا وهزيلا) ويمكن التّمثيل لهذا السّلم بالتّرسيمة التّاليّة:

التّرسيمة رقم: 40



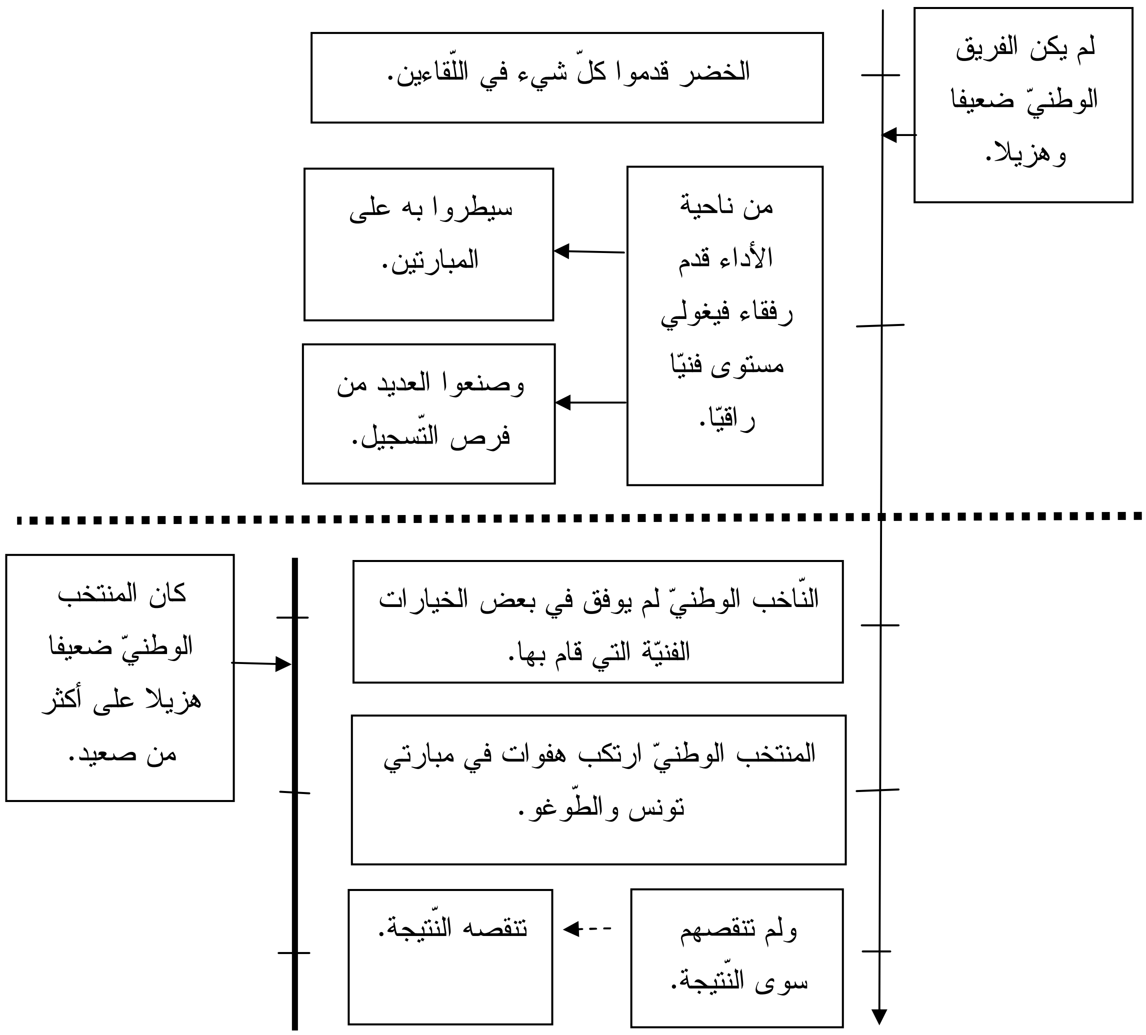
تشير التّرسيمة رقم (40) إلى أنّ السّلم تنازليّ –أيضا– من حيث توجيهه الحجاجيّ، وهو ما يتوافق مع ما هو موجود في الملفوظ، وقد استعمل الصّحافيّ –هاهنا– مجموعة من الحجج التي تؤدي إلى نتيجة مناقضة للمقام المشترك السّابق، أما من حيث التّرتيب، فجاءت الحجج مرتبة من أقواها، وهي تقديم المنتخب الوطنيّ لكلّ شيء، أي إنّه في المستوى، ثم جاء النّفي الجدليّ؛ الذي سبق أن ذكرته في السّلم السّابق رقم (39) وإذا كنتُ قد استثمرت جانبه المُثبت، في ذلك السّلم؛ ففي هذا السّلم يجب الأخذ بجانبه المنفيّ؛ وإلا أصبح لا يؤيد المقام المشترك، كما يجب الإشارة إلى أنّ الصّحافيّ اجتهد في سبيل تقزيم هذه الحجة، وذلك بربطها بسوء الحظ، وجعلها أقل شأنا من (قدموا كلّ شيء) في التّرتيب، على الأقل خطابيّا، كما يبدو أنّه تجاهلها؛ فخصص لما يأتي؛ أي الحجة الثّالثة، حيزا أكبر من حيث الشّرح

والتّحليل؛ مما يجعلها أكثر أهميّة؛ رغم أنّه رتبها في المرتبة الثّالثة، فقدم فيها أداء المنتخب الوطنيّ على أنّه أداء راق، وينم على مستوى فنيّ باهر...

ولم يكتف الصّحافيّ بالحكم القيميّ على أداء الفريق الوطنيّ؛ بل راح يُفصّل في معنى الأداء الفنيّ الرّاقيّ؛ فذكر مظهرين من مظاهر الأداء الرّاقيّ (في الحقيقة يشكلان حججا داخل الحجة الكبرى، كما يظهر في التّرسيمة رقم (40)) فكان المظهر الأول أن سيطر المنتخب الوطنيّ على مجريات اللّعب (وذكرتْ الصّحيفة أنّ هذه السّيطرة بلغت ثمانين بالمائة (80%)) أما المظهر الثّانيّ، فهو خلق فرص كثيرة لتسجيل الأهداف؛ وهذا ما يُشكل فعلا –حسب معرفتي الخاصة– أداءً راقيا.

ويمكن للقارئ أن يُلاحظ بسهولة أنّ السّلمين متعارضين؛ لأنّ أحدهما يبيّن ضعف المنتخب الوطنيّ، والآخر يبيّن قوته، ويقع –ربما– مربط الفرس، في كلّ تلك الحجج، في الحجة (ولم تنقصهم سوى النّتيجة) لأنّ الفريق الوطنيّ أُقصي من كأس إفريقيا 2013م؛ لعدم إحرازه النّتائج الكافيّة للتّأهل للدّور الثّمن النّهائيّ؛ لكن الصّحافيّ أراد الدّفاع على الفريق الوطنيّ؛ فقزّم هذه الحجة حيث ربطها بالحظ واستدل بالأداء... –كما قلت–، لكن يبدو لي أنّ الصّحافيّ نفسه لم يكن مقتنعا بحجاجه؛ لذلك يبدو لي أنّه قام بذلك تفاديا –ربما– لصب الزّيت على النّار، وتأجيج الجماهير ضد القائمين على الفريق الوطنيّ؛ فراح يحاول أن يقدم –خطابيّا– ترتيبا معينا للحجج؛ رغم اعترافه بعكس ما يقول؛ ويظهر ذلك باستعماله للوحدات اللّغويّة (صحيح) في بداية الحجة الأولى، ثم (وصحيح كذلك) في بداية الحجة الثّانيّة، ونفي أقوى الحجج (ولم تنقصهم سوى النّتيجة) التي كان من الممكن أن لا يذكرها البتة، وهذه الوحدات كلّها تبيّن بشكل ما أنّ الصّحافيّ متردد، لكنه يعرض –خطابيّا– حجاجا مدافعا على المنتخب الجزائريّ، وكأنه يقول: إنّه ليس ضعيفا، ويمكن التّمثيل لمجمل الحجج المدافعة منها والمعارضة كالتّالي:

التّرسيمة رقم: 41



ويبدو لي أنّ الحجج وفق هذا السّلم (السّهم الرّقيق نحو الأسفل) تنازليّة، وتصب كلّها في اتجاه القول إنّ المنتخب الجزائريّ ليس ضعيفا؛ وهو الموقف الذي حاول الصّحافيّ تقديمه خطابيّا، لكن يمكن الفهم بسهولة أنّ الصّحافيّ ليس مقتنعا تماما بصحتها، ذلك أنّه يعترف أنّ الحجج المعارضة لرأيه صحيحة، لهذا يمكن للقارئ أن يستخرج سلما متكوّنا من الحجج الثّلاث الأخيرة؛ لتأييد مقام يرى أنّ المنتخب الجزائريّ ضعيف (الخط الغليظ)[*] على أن تكون النّتيجة الأخيرة هي أقوى الحجج، ثم ما سبقها.

[*]- أشير إلى أنّني لم أضع اتجاها للسّهم الغليظ؛ لأنّه يحتاج إلى إعادة ترتيب الحجج؛ وهو شيء متعذر في هذا الفضاء الكتابيّ؛ لكن يمكن العودة إلى التّرسيمة رقم (39) أعلاه لمعرفة التّراتب.

3: قلب السّلالم الحجاجيّة: كثيرا ما يلجأ الصّحافيون أثناء عرض مادتهم الصّحافيّة إلى تقنية تقديم وضعيّة ووضعيّة معاكسة؛ ما يتوافق مع تناقض سُلميْن حجاجين، وهو ما يمكن ملاحظته من خلال المثال التّالي:

40- ... لم يكن أحد يتوقع في بداية الموسم وخاصة بعد لقاء بجاية أنه باستطاعتنا إحراز اللقب، ولكن بمرور الوقت واستعادة الفريق حيويته ورغبته الشديدة في الفوز، بدأ البعض يؤمن بالتتويج وأنا من بين هؤلاء...[1].

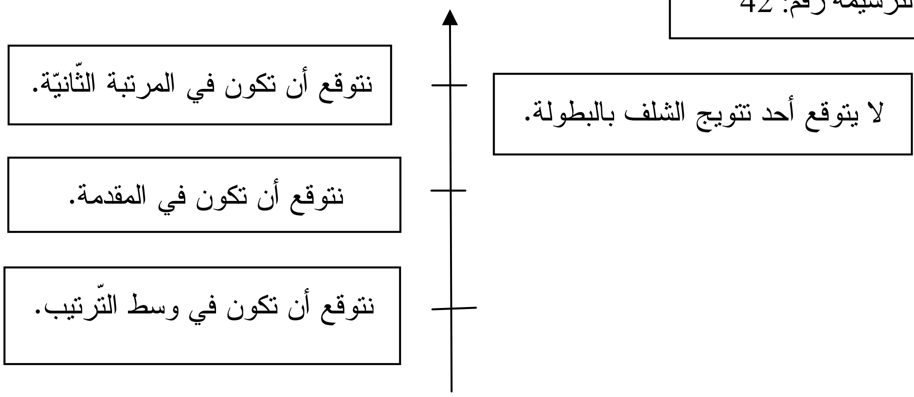
جاء هذا الملفوظ في إطار التّصريحات التي جمعها الصّحافيّ؛ والمتعلقة بتتويج جمعيّة الشلف ببطولة كرة القدم الجزائريّة سنة 2011م، وقد نسب الصّحافيّ هذا الكلام إلى أمين عام جمعيّة الشلف (عبد القادر وهاب) أما من حيث الطّابع الحجاجيّ، فورد في هذا الملفوظ العديد من السّلالم؛ لكن ما يستوقفني هو السّلالم المتعارضة التي تصف وضعيتين متناقضتين، وهما -في رأيي-:

أ- وضعيّة عدم توقع التّتويج.

ب- وضعية الإيمان بالتّتويج.

ويلاحظ -هاهنا- أنّ الفعلين المركزيين هما: التّوقع والإيمان، ولا شك أنّ التّوقع لا يساوي الإيمان في الحجيّة، فما أتوقعه لا يصل في قوته -على الأقل على المستوى النّظريّ والخطابيّ- إلى درجة ما أؤمن به، ووراء هذين الفعلين، يبدو لي أنّ هناك سُلميْن ضمنيين يمكن للقارئ استخراجهما، وأتصورهما على الشّكل التّالي:

التّرسيمة رقم: 42

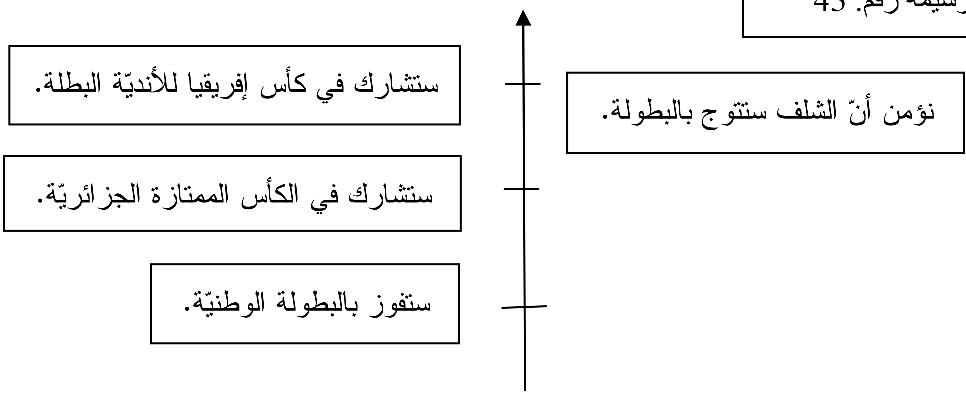


[1]- إبراهيم س.:« الطاقم الطبي، والفني والمسير يتحدث عن التتويج... » الهدّاف، 26 جوان 2011م، ص 17.

يبدو أن أعلى ما يمكن أن تصل إليه جمعيّة الشلف، حسب هذا السّلم الأول (رقم (42) أعلاه) الوارد في فهم أي قارئ، هو المرتبة الثّانيّة في البطولة الوطنيّة دون الفوز بها، وما دون هذه المرتبة ممكن كلّه للجمعيّة، أما ما هو أكثر من ذلك؛ فليس وارد حسب هذا الجزء من الملفوظ.

ويقدم هذا المثال الذي أدرسه (رقم (40)) سلما ضمنيّا آخر؛ وهو المرتبط بوضعيّة الإيمان بالتّتويج، ويمكن التّمثيل له بالسّلم التّالي:

التّرسيمة رقم: 43



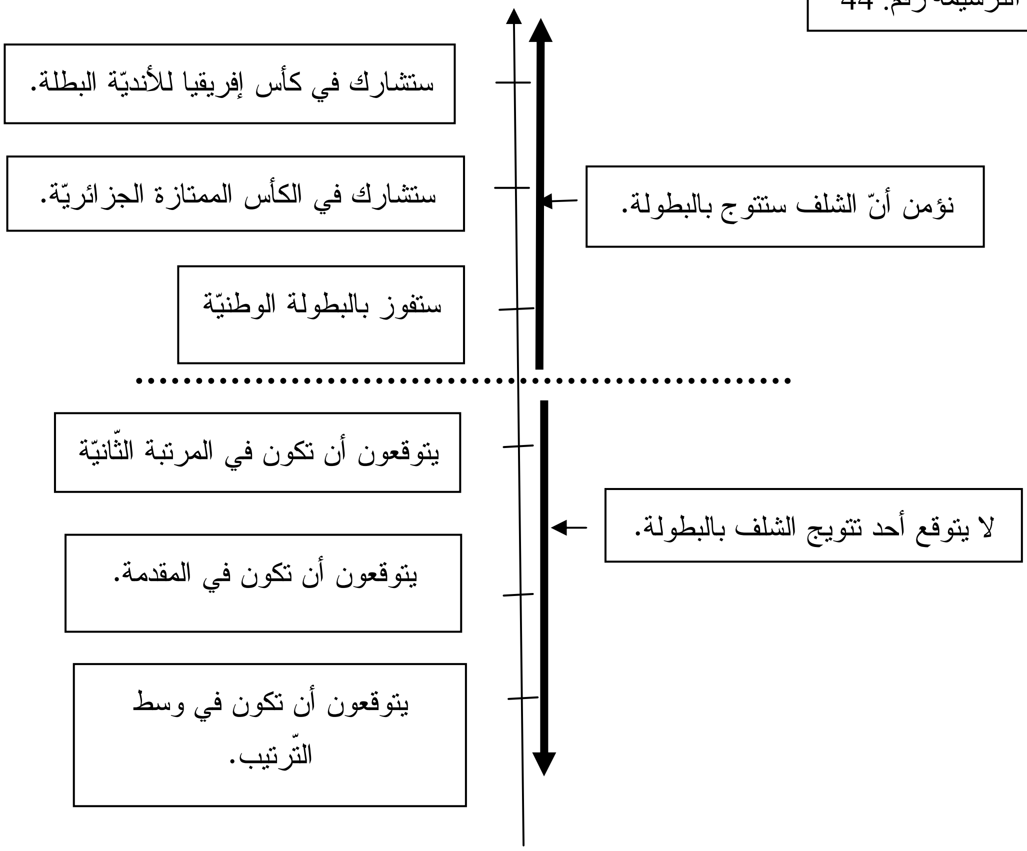
يبدو أنّ هذا السّلم (التّرسيمة رقم 43) بمنظور الجزء الثّانيّ من الملفوظ المتعلق بالإيمان بالتّتويج، لا يحتوي على مستلزمات السّلم السّابق، بل يتضمن مراتب أعلى من التّتويج باللّقب الوطنيّ؛ فالذي يؤمن بتتويج جمعيّة الشلف بالبطولة؛ يؤمن –أيضا– بمشاركتها في الكأس الممتازة*، كما أنّه يؤمن بمشاركتها في كأس إفريقيا للأنديّة البطلة♣؛ أي إنّ التّوجيه تصاعديّ (نحو الأعلى) قد يصل إلى الفوز بكأس العالم للأنديّة؛ إن كان المتكلم واثقا من قوة فريقه، أما الملفوظ الأول (لا أحد يتوقع تتويج الشلف بالبطولة) فتوجيهه تنازليّ سقفه الأعلى هو المرتبة الثّانيّة –كما قلت– ويمكن التّمثيل للسلميْن كالتّالي:

---

*– تُلعب هذه الكأس في مقابلة واحدة يكون طرفاها صاحبا كأس الجمهوريّة والبطولة الوطنيّة، وهي كأس قُطرية موجودة في أغلب بلدان العالم.

♣– تُشارك في هذه الكأس –عادة– الفِرق التي فازت ببطولة بلدها، وتلك التي توجد في المرتبة الثّانيّة من البطولة نفسها.

التّرسيمة رقم: 44



يجب قبل التّعليق على التّرسيمة رقم (44) أن أشير إلى أنّ السّهم الرقيق المتجه للأعلى يشير إلى التّرتيب الحقيقيّ؛ أي في الواقع، للمستلزمات المذكورة، فيُلاحظ أنّ التّواجد في وسط التّرتيب أقل قيمة من الفوز بالبطولة، كما أنّ الفوز بهذه البطولة أقل قيمة من لعب كأس إفريقيا، فالسّلم ككلّ تصاعديّ في الواقع، لكن على مستوى الخطاب الذي في المثال المدروس؛ هناك سُلمان (وهما المرموز إليهما بالسهمين الغليظين) موافقان للسّلم الواحد في الواقع؛ أحدهما تصاعديّ؛ وهو السّهم من الجهة العليا، والآخر تنازليّ من الجهة السّفلى من التّرسيمة، فجمعُ السُلمين يقدم بشكل واضح كيفيّة تعارضهما؛ فأحدهما يسمح بكلّ المستلزمات العليا، أما الآخر فيسمح بكلّ المستلزمات الدّنيا، ومنطلق كلاهما هو (التّتويج بلقب البطولة).

ويمكن، لتفسير هذا التّعارض، التّأكيد على دور الرّابط الحجاجي (ولكن) الوارد في الملفوظ الذي يوجه الخطاب توجيها آخر، كما يمكن الإشارة –أيضا– إلى دور النّفي في الجزء الأول من الملفوظ الذي من خصائصه قلب السّلالم الحجاجيّة –كما

قلتُ أثناء عرض نظريّة السّلالم الحجاجيّة في الباب الثّانيّ- لكن يجب الإشارة -هاهنا- إلى أنّ قلب السّلالم الحجاجيّة ليس متأتيا بالنّفي بالضّرورة، وهو ما يبيّنه المثّال التّالي:

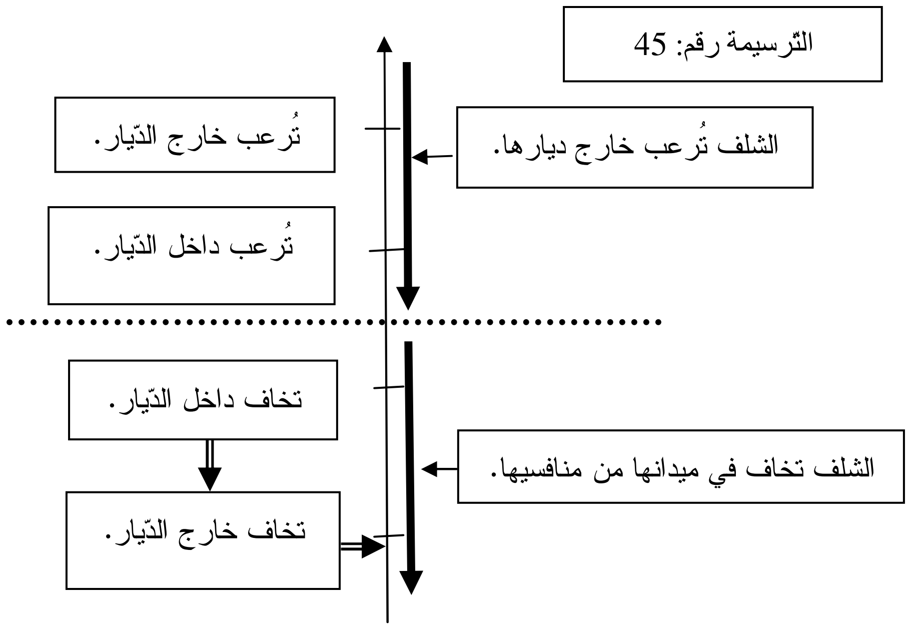
41-... بعد أن كانت الشلف تخاف في ميدانها من منافسيها صارت اليوم ترعب خارج ديارها...[1].

يُلاحظ أنّ هذا الملفوظ يتضمن وضعيتيْن هما:

أ- الشلف تخاف في ميدانها من منافسيها.

ب- الشلف تُرعب خارج ديارها.

وتستلزم كلا الوضعيتين سلالم مختلفة ومتناقضة على الشّكل التّالي:



يظهر في التّرسيمة رقم (45) أنّ السّلم الواقعيّ (السّهم الرقيق الموجه للأعلى) يتدرج تصاعديّا* من الخوف داخل الدّيار إلى التّخويف خارج الدّيار، مرورا بالخوف خارج الدّيار والتّخويف داخل الدّيار[2]، ويُلاحظ، على غرار المثال

---

[1]- إبراهيم س.:« الطاقم الطبي، والفني والمسير يتحدث عن التتويج...» الهدّاف، 26 جوان 2011م، ص 17.

*- أُقدم هذا التّفسير اعتمادا على معرفتي الخاصة لتقاليد كرة القدم وأدبياتها، وهو ما يمكن أن أعتبره من المعارف المشتركة بين قارئ الجريدة والصّحافيّ.

[2] – تابع السّهمين المزدوجين من (تخاف داخل الدّيار) إلى (تخاف خارج الدّيار).

السّابق، أنّ السُّلميْن الموافقين (السّهمين بالخط الغليظ) للسّلم الواقعيّ متعارضان؛ لكن يظهران في التّرسيمة على أنّهما في الاتجاه نفسه، وهو اتجاه تنازليّ غير موافق لتحليلي للمثال السّابق (أي رقم 40) فكيف يمكن تفسير ذلك؟

يبدو لي أنّ هناك العديد من النّقاط المختلفة التي تجعل المثالين مختلفين رغم الاتفاق الجوهريّ بينهما، وهذه الاختلافات تكمن في:

أ- انطلاق كلا السُّلمين في المثال الأول (رقم (40) أعلاه) من نقطة واحدة هي التّتويج بالبطولة الوطنيّة، أما المثال الذي أدرسه (رقم (41) أعلاه) فالمنطلق فيه مختلف؛ أحدهما ركز على الدّيار، والآخر ركز على خارج الديار.

ب- وجود فعل واحد في المثال الأول (رقم (40) أعلاه) هو(التّتويج) كمنطلق، أما في المثال الثّانيّ (رقم (41) أعلاه) فهناك فعلان متعارضان لعبا دورا كبيرا في توجيه الحجاج؛ وهما:(يخاف) و(يُرعب).

لذلك يبدو لي أنّ هذين المنطلقين، وخاصة المنطلق الثّانيّ؛ وهو منطلق لغويّ بحت، هو ما جعل الطّابع المتعارض يختفي في التّرسيمة رقم (45) وإن كان موجودا في الفهم العام، فلو كان ممكنا أن أجعل الملفوظ الثّانيّ مثلا (الشلف تُرعب في ميدانها وخارجه) لأصبحت التّرسيمة رقم (45) موافقة للتّرسيمة السّابقة رقم (44) (أي السهم الغليظ سيصبح تصاعديّا) ويلاحظ أنّ هذا الملفوظ البديل الذي اقترحته موافق تماما من حيث المعنى للملفوظ (الشلف ترعب خارج ديارها) مع الافتراض الذي يتضمنه أنّها (ترعب داخل الديار) أيضا، لكن للخطاب أحوال والحجاج ظاهرة خطابيّة* قبل أن تنبني عن الوقائع.

الفرع الرّابع: الطّابع الحجاجيّ للأسئلة♣: ناقشتُ في كلّ الأمثلة السّابقة الطّابع الحجاجيّ في أوضاع متعددة من متون المقالات الحواريّة وغير الحواريّة، لكن لم

*- وهنا تكمن أصالة فكر (ديكرو) -في رأيي-.

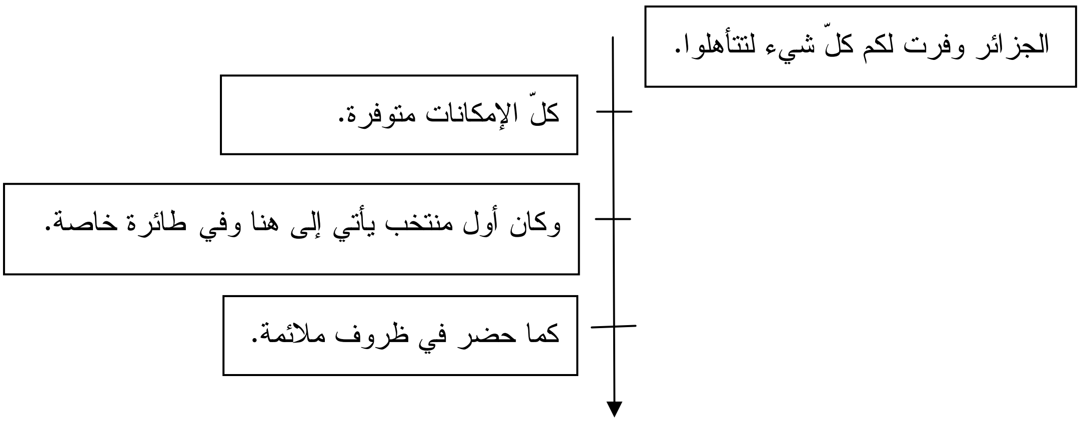
♣- أشير إلى أنّ مفهوم السّؤال -هنا- لا يوافق تماما معنى السّؤال كما هو متعارف عليه، بل أقصد به ذلك الجزء من المقالة الصّحافيّة الحواريّة الذي يكتب بخط غليظ مقارنة بالمتن أو الإجابة، وعادة ما يكون شديد التّركيز لا يتعدى (كمعدل) ثلاثة أسطر، ويكون السّؤال (بالمفهوم العام) مدرجا فيه كفعل كلاميّ أو كسؤال صريح.

أتطرق في تحليليّ إلى هذا الجزء المهم من الخطاب الصّحافيّ الرّياضيّ؛ ألا وهو الأسئلة؛ لذلك سأخصص ما يلي من هذا الفرع لهذا الموضوع، وقد يبدو، من الوهلة الأولى، أنّ ظهور الطّابع الحجاجيّ في السّؤال غير وارد، لأنّ الأسئلة في أصل وضعها تطلب المعلومة؛ ويظهر سطحيّا أنّها لا تحتاج للمحاجة أبدا، لكن استعمالها للوسائل الحجاجيّة التي عرضتها للتّو موجود في الصّحافة الرّياضيّة، وهو ما سأُفصّل فيه في ما يلي، ولتكن البداية من المثال التّالي:

42- ماذا نقص هذا المنتخب ليتأهل فكل الإمكانات متوفرة وكان أول منتخب يأتي إلى هنا وفي طائرة خاصة كما حضر في ظروف ملائمة، لماذا نغادر جنوب إفريقيا من الدور الأول وبعد لقاءين فقط؟[1]

كان هذا سؤال الصّحافيّ (نجمو س.) (من جريدة الهدّاف) للاعب –وقائد- المنتخب الوطنيّ الجزائريّ مهدي لحسن؛ وكان ينتظر منه أن يُبرر إقصاء المنتخب الوطنيّ الجزائريّ من كأس أمم إفريقيا 2013م بجنوب إفريقيا، ولا شك أنّ أيّ قارئ سيُلاحظ اتكاء الصّحافيّ، في سؤاله، على مجموعة من الحجج؛ يمكن التّمثيل لها بالتّرسيمة التّالية:

التّرسيمة رقم: 46



جاء توجيه السّلم –كما تبيّنه التّرسية رقم (46)- تنازليّا، فبدأ الصّحافيّ بالحجة الأقوى؛ وهي توفير الجزائر لكلّ الإمكانيات لهذا المنتخب، ثم سرد تفاصيل هذه

[1]- نجمو س.:« لحسن:" بعد إقصاء كهذا لا يمكنني كقائد أن أحضر زملائي، لكن لا يجب أن ندفن هذا المنتخب» الهدّاف، 28 جانفي 2013م، ع: 2330، ص 02.

الإمكانيات؛ بذكر بعضها؛ من مثل: وصول المنتخب الجزائريّ إلى جنوب إفريقيا قبل كلّ الفِرق؛ وهذا يعني وجود مصاريف ماليّة إضافيّة بالنّسبة للدّولة مقارنة مع كلّ الفِرق الأخرى*، وقد دقق الصّحافيّ في شرحه لهذه الحجة بالحديث عن مجيئهم في طائرة خاصة؛ والعادة أنّ الفِرق تحضر في طائرات عاديّة مع كلّ المسافرين، وهذه الإضافة يمكن اعتبارها حجة مستقلة أو إدراجها -كما فعلتُ- في الحجة الثّانيّة، وفي آخر السّلم الذي استعمله الصّحافيّ في سؤاله، ورد حديث عن ظروف التّحضير الملائمة، وقد يقصد بذلك كلّ ما له علاقة بالمبيت والمأكل... ويجب الإشارة إلى أنّه ربط هذه الحجة بسابقتها بالوحدة (كما) التي تجعل -بشكل ما- الحجة الثّانيّة والحجة الثّالثّة متساويتين؛ لكن التّرتيب الذي اعتمده الصّحافيّ يُرجح -في رأيي- قوة الثّانيّة عن الثّالثة.

ويبدو لي أنّ الصّحافيّ لم يستعمل هذا السّلم الحجاجيّ -الوارد في سؤال- دون سبب؛ فكأنّه يريد به أن يدافع على موقف يقول: إنّ الجزائر وفرت لكم كلّ الظّروف ولم تتأهلوا، لكن بتمحيص الأمر وربطه بمفهوم السّؤال كفعل كلاميّ؛ لا بد أنّ الصّحافيّ لا يحاول إقناع اللاّعب، بل يحاول أن يستخرج منه سلما حجاجيّا معاكسا؛ يُبرر به الإقصاء، ليس لنفسه كصّحافيّ -ربما-، لكن للقرّاء الذين يقرأون الجريدة، فلا أظن أنّ الصّحافيّ ينتظر من اللاّعب أن يقول له:(فعلا) ويسكت، لكنّه يعلم أنّه هناك إجابة ما.

ولاحظتُ، في هذا الصّدد، أنّ الجريدة ككلّ (من خلال مقالاتها العديدة في الموضوع) تدافع على المنتخب الوطنيّ، وتحاول بتكلُف شديد تبرير هذا الإخفاق، ويمكن الاستنتاج أنّ هذا السّؤال بالحجج الموجودة فيه لا يصبو إلى الإقناع ولا إلى التّعجيز مثلا؛ بل يحاول الصّحافيّ، من خلاله، أن ينتشل -كما قلت- سلما آخر من اللاّعب؛ لعله يُقنع به القرّاء من جهة، كما أنّه سيحتفظ بهم بمجرد

---

*- يُفترض -بالمنظور الرّياضيّ- أنّ هذا الوصول المبكر عامل إيجابيّ؛ لأنّ اللاّعبين سيتأقلمون مع مناخ جنوب إفريقيا، وهذا ما يكسبهم قوة زائدة مقارنة بالمنتخبات التي تصل متأخرة حيث يصعب على لاعبيها التّأقلم مع المناخ؛ وهو ما يمكن أن يشكل نقطة ضعف في أداء لاعبي هذه الفِرق.

استعماله، من جهة أخرى، لأنّهم غاضبون كلّهم من الإقصاء، للأسباب ذاتها الواردة في السّؤال، وغيرها مما ورد في أسئلة أخرى.

ويمكن لقارئ هذا الحوار أن يتبيّن أنّ اللاعب لم يَرُد مباشرة على هذا السّلم بسلم معاكس؛ بل تجاوز السّؤال بالحديث عن وصف الخسارة –حتى أنّ الجريدة وضعت جملة اعتراضيّة تقول: صمت اللاعب قليلا ثم واصل– وفي السّؤال الموالي نبه الصّحافيّ اللاعب إلى أنّه لم يجب على السّؤال السّابق؛ مما اضطره لتقديم سلمه المبرر للهزيمة، في نظره، وبالتّالي قدم الصّحافيّ سُلمين؛ أحدهما في السّؤال؛ كأنّه يمثل الجمهور، وآخر في الأجوبة؛ كأنّه يمثل اللاعب، فاستطاع أن يقف في الوسط؛ رغم أنّ الصّحيفة –ككلّ– حاولت أن تدافع على المنتخب الوطنيّ الذي أُقصي إقصاء مرا –كما قلتُ سابقا–.

ويقود هذا التّحليل إلى نتيجة مفادها أنّ السّؤال يمكن أن يتضمن سلالم حجاجيّة، لكن ليس لذاتها؛ بل يُراد من خلالها أغراضا أخرى، وفي السّؤال الذي حللته (رقم (42) أعلاه) هناك غرضين أو غرض مزدوج لاستعمال السّلم المذكور وهو:

- إرضاء الجمهور بتقمص موقفه دون ذكره؛ لكن عنصر السّياق يوجه إليه؛ لأنّ الجمهور كلّه غاضب، ويتبنى السّلم الذي ذكره السّؤال.
- محاولة إرغام اللاّعب على تقديم سلم حجاجيّ معاكس؛ ولو بحجج أخرى (وهو ما حدث فعلا في هذا الحوار –كما قلتُ–) لكن يجب أن يصل إلى نتائج مغايرة تبرر الإقصاء.

وسأواصل تحليلي، في ما يلي، بفحص سؤال آخر؛ لمعرفة مدى صحة ما ذهبت إليه أو الوصول إلى استعمالات أخرى للسّلالم الحجاجيّة في الأسئلة، وليكن هذا المثال منطلقا للتّحليل:

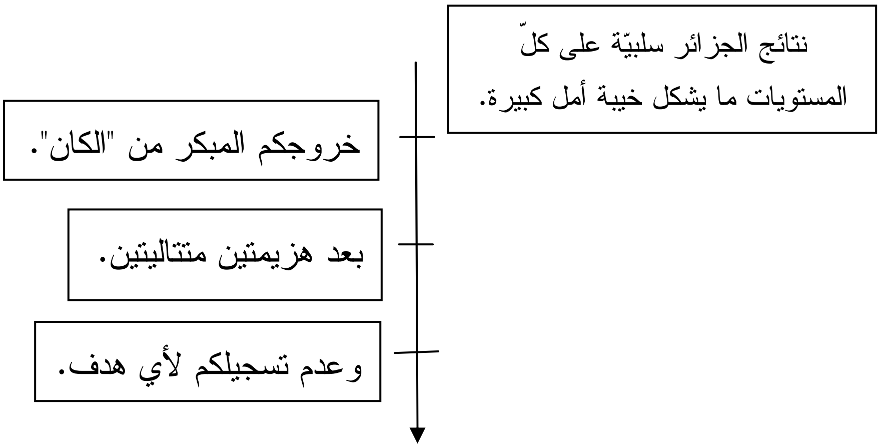
43– بعد خروجكم المبكر من "الكان" بعد هزيمتين متتاليتين وعدم تسجيلكم لأي هدف، كيف يمكن أن ترى مستقبل الخضر بعد خيبة الأمل الكبيرة التي أصابت الجماهير وحتى اللاعبين؟[1]

---

[1]– دون إمضاء:« لحسن:" تأثرنا للإقصاء ونعد بالتدارك في تصفيات المونديال» الخبر الرّياضيّ، 28 جانفي 2013م، ع: 967، ص 04.

وجّه هذا السّؤال صحافيّ من جريدة الخبر الرّياضيّ –لم يُذكر اسمه؛ لذلك سأنسبه للجريدة فقط– وقد وجهه للاعب نفسه الذي تحدث عنه المثال السّابق؛ وهو مهدي لحسن قائد الفريق الوطنيّ الجزائريّ، وبالمناسبة نفسها؛ أي إقصاء المنتخب الوطنيّ الجزائريّ من كأس أمم إفريقيا 2013م، وقد ورد في بدايته سلم حجاجيّ يمكن التّمثيل له بالتّرسيمة التّالية:

التّرسيمة رقم: 47



يظهر في هذا السّلم أنّ التّوجيه الحجاجيّ توجيه تنازليّ، فبدأ الصّحافيّ بأقوى الحجج على المقام المشترك؛ وهي خروج المنتخب الوطنيّ الجزائريّ بشكل مُبكر في المنافسة؛ بل كان أول فريق يخرج من هذه الدّورة، ثم جاء الصّحافيّ بحجج أخرى أقل قوة، ويمكن تحليلها بشكل ما على أنّها الأسباب المباشرة لهذا الخروج المُبكر، فذكر الحجة الثّانيّة؛ وهي تكبد هزيمتين متتاليتين[*]، ويبدو لي أنّ هذه الحجة أقل قوة من الأولى –فعلا–؛ فلو تكبدت الجزائر هزيمتين، ولم تكن أول بلد يغادر الكأس؛ لكان الأمر ألطف على ما هو عليه الحال، لأنّها أول المغادرين وبهزيمتين، وأشير –هاهنا– إلى حضور الوحدة (بعد) قبل الحجة الأولى والثّانيّة؛ ولا أظن أنّ هذه الوحدة تساعد على تحديد ترتيب ما لهذه الحجج، فترتيبها يعتمد على المعرفة العامة لمضامين الحجج –كما عرضته للتو–، والتّرتيب النّسخيّ

[*]– علما أنّ الجزائر لم تلعب إلا لقاءين فقط –وقت صدور هذا الحوار– وانهزمت فيهما أمام تونس والطّوغو.

طبعا، أما الحجة الثّالثة، فهي عدم تسجيل الجزائر لأي هدف؛ وهذا ما يُثبت –فعلا– تدني مستوى الفريق الوطنيّ، فلو سجل هدفا أو هدفين؛ ستكون وطأة الهزائم أقل؛ لكن يجب التّأكيد أنّ عدم التّسجيل أخف من الهزيمة؛ لأنّ عدم التّسجيل قد لا يؤدي إلى الهزيمة؛ كأن يتحصل فريق على تعادلات دون أهداف؛ بل يمكن أن يتأهل بتلك التّعادلات*.

ويبدو لي، في آخر تحليل هذا المثال، أنّ الغرض من الإتيان بهذا السّلم مزدوج –أيضا–، ويمكن شرحه كالتّالي:

- **تقديم حوصلة للأسئلة والأجوبة السّابقة من هذا الحوار:** جاء هذا السّلم في نهاية سلسلة من الأسئلة والأجوبة التي تحدثت كلّها عن تقييم أداء الجزائر في المقابلتين السّابقتين؛ وكانت بالأحرى مخصصة لأسباب إقصاء المنتخب الوطنيّ من كأس إفريقيا للأمم 2013م، وبالتّالي فهو تلخيص لأهم أسباب الإقصاء المذكورة في الأسئلة السّابقة من المقالة نفسها.
- **التّمهيد للقسم الثّانيّ من الحوار:** إذا صح ما ذهبت إليه في كون هذا السّلم تلخيص لما سبق، فيمكن اعتباره، من جانب آخر، كمدخل للانتقال من الموضوع السّابق إلى الموضوع اللاّحق أو المُتَضَمَن في الأسئلة الباقيّة (أربعة أسئلة) أو بالأحرى باقي الحوار، وهي أسئلة تتحدث عن أمور خارجة عن هذا الإقصاء في حد ذاته؛ كمستقبل الفريق الوطنيّ...

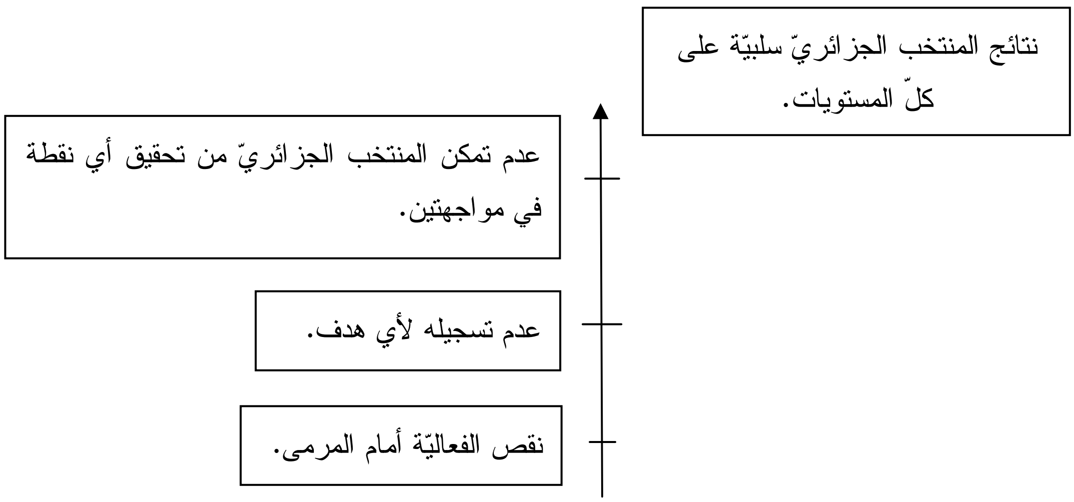
وغني عن البيان أنّ السّلم الحجاجيّ، في هذا السّؤال، لم يأتي للإقناع ولا للتّعجيز، كما قلتُ في حديثي عن المثال (رقم 42) السّابق، لكنّه لا يتشابه معه من حيث الغرض، فيمكن اعتبار المثال المدروس –هاهنا– (رقم (43)) انتقال من موضوع إلى آخر في الحوار نفسه، فكأنّه واسطة العقد لتحقيق انتقال سلس بين المواضيع أو وسيلة لتغيير الموضوع؛ دون إثارة حفيظة القارئ واللاعب.

*– كان الفريق الوطنيّ –قبل هذه الفترة، تحت قيادة المدرب رابح سعدان– يحقق مثل هذه الفرضيّة حيث إنّه كان معروفا بالضّعف الهجوميّ، وعدم تسجيل الأهداف؛ لكنّه كان يحقق نتائج جيدة.

وسأوصل شق طريقي، في اتجاه فهم استعمال السّلالم الحجاجيّة في الأسئلة، بفحص مثال آخر؛ لعله يثير مسائل أخرى، وهو مأخوذ من الجريدة نفسها والحدث نفسه؛ لكن في سؤال موجه للاعب آخر من المنتخب الوطنيّ الجزائريّ وهو رفيق حليش، فكان هذا السّؤال على الشّكل التّالي:

44- إلى ما ترجع نقص الفعالية أمام المرمى وعدم تمكن المنتخب الجزائري من تحقيق أي نقطة في مواجهتين وعدم تسجيله لأي هدف؟[1]

وردت، في هذا السّؤال، مجموعة من الحجج التي يمكن تمثيلها على سلم تصاعديّ على الشّكل المبيّن في التّرسيمة التّالية:



التّرسيمة رقم: 48

يجب التّأكيد، قبل تحليل هذا السّلم، أنّ ترتيب الحجج فيه لا يوافق ما هو موجود في الملفوظ، وكان ترتيبي له وفق قوتها الفعليّة في تقاليد أهل لعبة كرة القدم، لكن سأعود إلى الحديث عن ترتيبها في الملفوظ بعد حين.

ويبدو جليا أنّ التّوجيه الحجاجي، في السّلم الموجود في التّرسيمة رقم (48) أعلاه، تصاعديّ؛ تظهر فيه الحجة الأولى –وهي أقل الحجج قوة– متمثلة في (نقص الفعاليّة) والحال إنّ الفريق النّاقص في الفعاليّة؛ يمكن أن يسجل هدفا واحدا في مباراتين مثلا أو هدفين في ثلاث مباريات... والنّقص قد يغطي بالتّالي من عدم

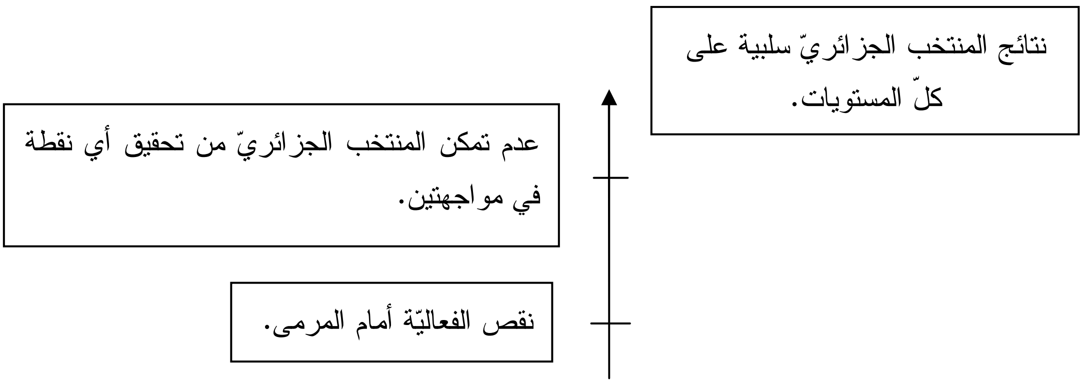
---

[1]– دون إمضاء:« حليش:" افتقدنا للخبرة في الكان ونتفهم غضب أنصارنا"» الخبر الرّياضيّ، 28 جانفي 2013م، ص 03.

التّسجيل إلى تسجيل هدفين في مباراتين مثلا، ثم تأتي الحجة الثّانيّة التي تَذكر أنّ (المنتخب لم يسجل أي هدف) وهذه الحجة اعتبرتها أقوى من الأولى؛ لأنّها لا تتضمن تسجيل هدف أو هدفين، فهي لا تعادل لغويّا (نقص الفعاليّة) بل عدميتها؛ والعدميّة حجة أقوى من النّقص بالنّسبة للمقام المشترك (نتائج المنتخب الجزائريّ سلبيّة على كلّ المستويات) فإذا كان المنتخب الجزائريّ ناقص للفعاليّة؛ فهو أحسن من كونه عديم الفعاليّة، لذلك قلتُ أنّ (العدميّة) تساند المقام الذي يؤيده هذا السّلم؛ لأنّه سلبيّ، أما الحجة الأخيرة (عدم تمكن المنتخب الجزائريّ من تحقيق أي نقطة في مواجهتين) فهي أقوى الحجج؛ لأنّ تحقيق نقطة في مواجهتين قد يتمكن منه عديم وناقص الفاعليّة؛ كأن يحقق تعادلا أبيضا* ويأخذ، تبعا لذلك، نقطة دون أن يسجل أي هدف، لكن الفريق الوطنيّ لم يحقق حتى هذه النّقطة؛ وبالتّالي يمكن القول إنّ نتائجه سلبيّة على كلّ المستويات –فعلا–.

وقد جاء ملفوظ السّؤال رقم (44) بهذه الحجج على تراتب آخر مغاير لهذا التّرتيب الواقعيّ الذي وصفته؛ وأراه ينقسم إلى سلمين؛ لكلّ سلم هدف وتوجيه خاص به، فيمكن تمثيل السّلم الأول بالتّرسيمة التّالية:

التّرسيمة رقم: 49



يتكون السّلم الأول الظّاهر في التّرسيمة رقم (49) من حجتين لا ثالثة لهما، وهو سلم تصاعديّ من حيث توجيهه الحجاجيّ، فذكر فيه صاحب السّؤال الحجة الأقل

*– التّعادل الأبيض هو خروج فريقين بعد نهاية أيّة مباراة بينهما دون أن يسجل أحدهما هدفا على الآخر؛ ويساوي ذلك نقطة لكلّ فريق.

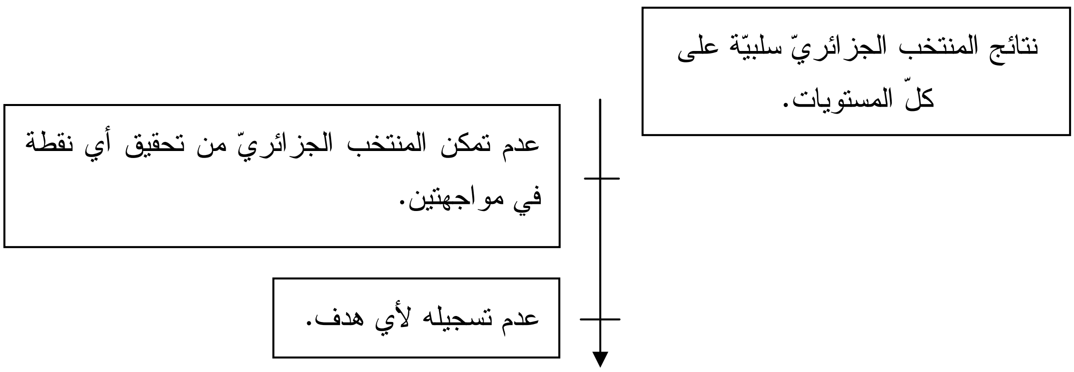
درجة؛ ثم ذكر الأقوى منها، وهو ما يوافق السّلم الذي ذكرته في أول التّحليل؛ والذي يجمع كلّ حجج هذا المثال (التّرسيمة رقم (48)) ويبدو لي أنّ غرض هذا السّلم الأول (رقم (49)) ليس السّؤال فقط عن مضمون هذه الحجج؛ بل هو الانتقال من مضمون الإجابة السّابقة إلى موضوع السّؤال التّالي؛ فأخذ السّائل (الصّحافيّ) الحجة الأولى من إجابة اللاّعب نفسه عن السّؤال السّابق من الحوار نفسه، حيث قال:

أرى أن تضيعنا لعدة فرص أمام مرمى الخصم هو السبب الكامن وراء هزيمتنا بما أن لاعبي الطوغو أتيحت لهم فرصتان جسدوهما إلى هدفين.

أي إنّه أشار إلى نقص الفعاليّة، فكان هذا السّلم الأول –في رأيي– تمهيديّ –إن صح التّعبير– يشبه في غرضه ما استنتجته في المثال السّابق (رقم (43) أعلاه).

ويمكن إجمال تصور السّلم الثّانيّ الوارد في الملفوظ المدروس (رقم (44) أعلاه) في التّرسيمة التّالية:

التّرسيمة رقم: 50

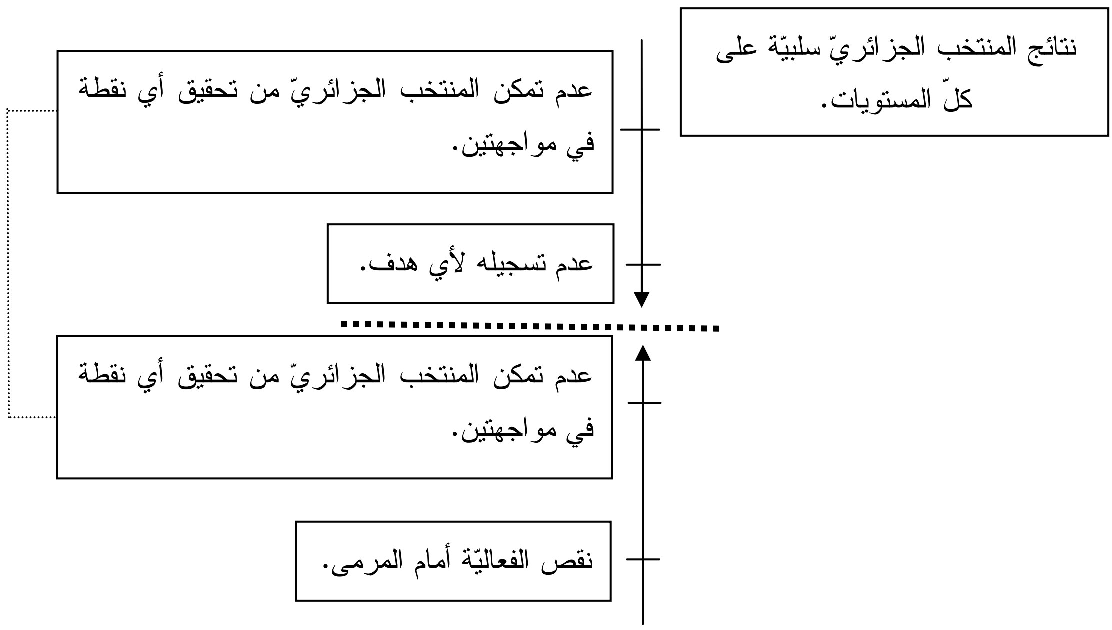


لا بد من الإشارة أولا إلى أنّ توجيه السّلم –هاهنا– تنازليّ، وليس تصاعديّ؛ كما هو الحال في السّلم رقم (49) الذي يمثّل الجزء الأول من الملفوظ الذي أدرسه، وهذا لا يتعارض من حيث تحديد قوى الحُجج مع التّرسيمة رقم (48) أعلاه التي تمثّل كلّ الحجج؛ لكن يعيد ترتيبها بشكل تصبح معها تنازليّة؛ وليست تصاعديّة كما عرضتها في التّرسيمة المذكورة، وليس الغرض من وراء هذا التّغيير في التّرتيب التّعجيز طبعا؛ لأنّ الصّحافيّ لا أظنه يريد ذلك، لكن يبدو لي أنّه يبحث عن تبريرات أخرى، فكأنّه يُحرّض اللاعب بهذا السّلم على تقديم أجوبة أخرى غير

(نقص الفعاليّة) التي طرحها في الإجابة السّابقة، والطّريقة –طبعا– هي تقديم حجج تؤيد سلبيّة النّتائج؛ لكي يَرُد اللاعب بحجج تؤيد ضرورة التماس الأعذار للمنتخب الوطنيّ على إقصائه، وهو ما قام به –فعلا– في الحوار حيث أضاف حجة (نقص الخبرة)...

ويمكن، في الأخير، جمع السّلمين كما وردا في الملفوظ في التّرسيمة التّالية:

التّرسيمة رقم: 51



ويجب التّأكيد –هاهنا– أنّ السّلمين متعاكسين على المستوى الخطابيّ –طبعا–، وليس الواقعيّ؛ كما ذكرت في التّرسيمة رقم (48) أعلاه؛ فأحدهما تنازليّ والآخر تصاعديّ، وتجدر الإشارة –أيضا– إلى أنّ الحجة (عدم تمكن المنتخب الجزائريّ من تحقيق أي نقطة في مواجهتين) موجودة في السّلمين، وهي أقوى الحجج في السّلم الواقعيّ.

ويمكن الاستنتاج في آخر هذا التّحليل أنّ السّلالم الحجاجيّة لها حضور في كلّ أنواع الملفوظات الواردة في الخطاب الصّحافيّ الرّياضيّ؛ سواء في المقالات الحواريّة أو غير الحواريّة، في العناوين والمتون والأسئلة، وتبيّن بشكل واضح كيف

يتلاعب الصّحافيون* بالحجج على مستوى اللّغة؛ فيطمسون حجة، ويظهرون أخرى؛ وذلك على المستوى الخطابيّ فقط، وهو ما يخلق عوالم تبدو غريبة أثناء تحليلها؛ لأنّها لا توافق العوالم الواقعيّة للحجج؛ إلا نادرا.

*– ويمكن التّعميم ربما إلى كلّ مستعملي اللّغة.

الفصل الثّانيّ:
الخطاب الصِّحافيّ (الرّياضيّ) ونظريّة الحصافة.

الفصل الثّانيّ: الخطاب الصّحافيّ (الرّياضيّ) ونظريّة الحصافة: يعتقد أصحاب نظريّة الحصافة أنّ من المهام الأساسيّة للتّداوليّة[1] هو النّظر في كيفيّة إعادة بناء الفرضيات من قِبل المتلقي؛ أي كيف يتوصّل أي مستمع/قارئ لخطاب ما إلى فهمه أو استخراج التّمثلات التي ينطوي عليها، وهو ما سأحاول القيام به وفق إجراءات هذه النّظريّة.

وأشير، قبل الولوج إلى شرح بعض آليات التّلقي في الصّحافة الرّياضيّة، إلى أنّ قارئ الصّحافة بشكل عام والرّياضيّة بشكل خاص، بل كلّ قرّاء المكتوب على الأرجح، إنّما هم يمتلكون بالمنظور التّداوليّ تمثلات عن الصّحافيين والمستجوبين[1]، ومتأكدون من وجود قصد تواصليّ بمنظور نظريّة الحصافة، لذلك فالتّطبيقات التي سأنجزها ستضرب صفحا عن الخوض في هذه المسألة؛ لأنّها مفترضة في المتلقي الذي يشتري صحيفة؛ ويُكرس وقتا؛ ولو قصيرا لقراءة أجزاء منها، فكلا من الصّحافيّ والقارئ إنّما لهم رغبة في التّواصل، ولا حاجة للدّارس أن يبحث عن هذا القصد.

المبحث الأول: حصافة مصرحات الخطاب الصّحافيّ الرّياضيّ: تُعد المصرحات أكبر جزء في اللّغة؛ وأكثر ثراءً في منظور نظريّة الحصافة، لذلك وجب الوقوف على استعمالها في الخطاب الصّحافيّ الرّياضيّ، وخاصة أنّ الصّحافة الرّياضيّة توظف بشكل كبير مثل هذا الخطاب، عكس الصّحافة العامة والسّياسيّة منها بالضّبط، وكذلك الأدب الذي يميل إلى المتضمنات بشكل أكبر، ولا بد من الإشارة –أيضا– إلى أنّ نظريّة الحصافة لا تفصل بين المصرحات والمتضمنات فصلا قاطعا، بل ترى أنّ هناك استرسال بينهما، لذلك ليست الحدود مستقرة بين النّوعين، بل العِبرة في كثرة المصرح أو قلته.

---

[1]- Dan Sperber, Deirdre Wilson, La pertinence…, p 267.

[1]– عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ط 01، الجزائر، منشورات الاختلاف، 2003م، ص 41.

وأشير –قبل البدء في هذا التّطبيق– إلى أنّني سأُميّز أثناء التّحليل بين العناوين والمتون؛ باعتبار العناوين أول شيء يتصل به القارئ، أما المتون، فيملك فيها القارئ سياقا –بمفهوم نظريّة الحصافة– سابقا قد يتشكل على الأقل من العنوان.

الفرع الأول: حصافة المصرحات في عناوين المقالات: تكتسي عناوين المقالات أهميّة كبيرة في قراءة متون الجرائد، ولعل العنوان أهم باب يدخل منه القارئ إلى المقال، والواقع أنّ القرّاء إذا لم يعجبهم العنوان؛ فلا يقرؤون المقال، وهذا الإعجاب مرتبط أيّما ارتباط بمبدأ الحصافة؛ لأنّ العنوان الذي لا يتسم بالحصافة لن يعير له القارئ أي اهتمام؛ وبالتّالي لن يقرأه، والصّحافيون يعلمون ذلك علم اليقين؛ لذلك لن يُقْدموا إراديّا على وضع عناوين غير حصيفة. لكن كيف تتجلى حصافة المصرحات في عناوين مقالات الجرائد الرّياضيّة –أو على الأقل التي أدرسها–؟

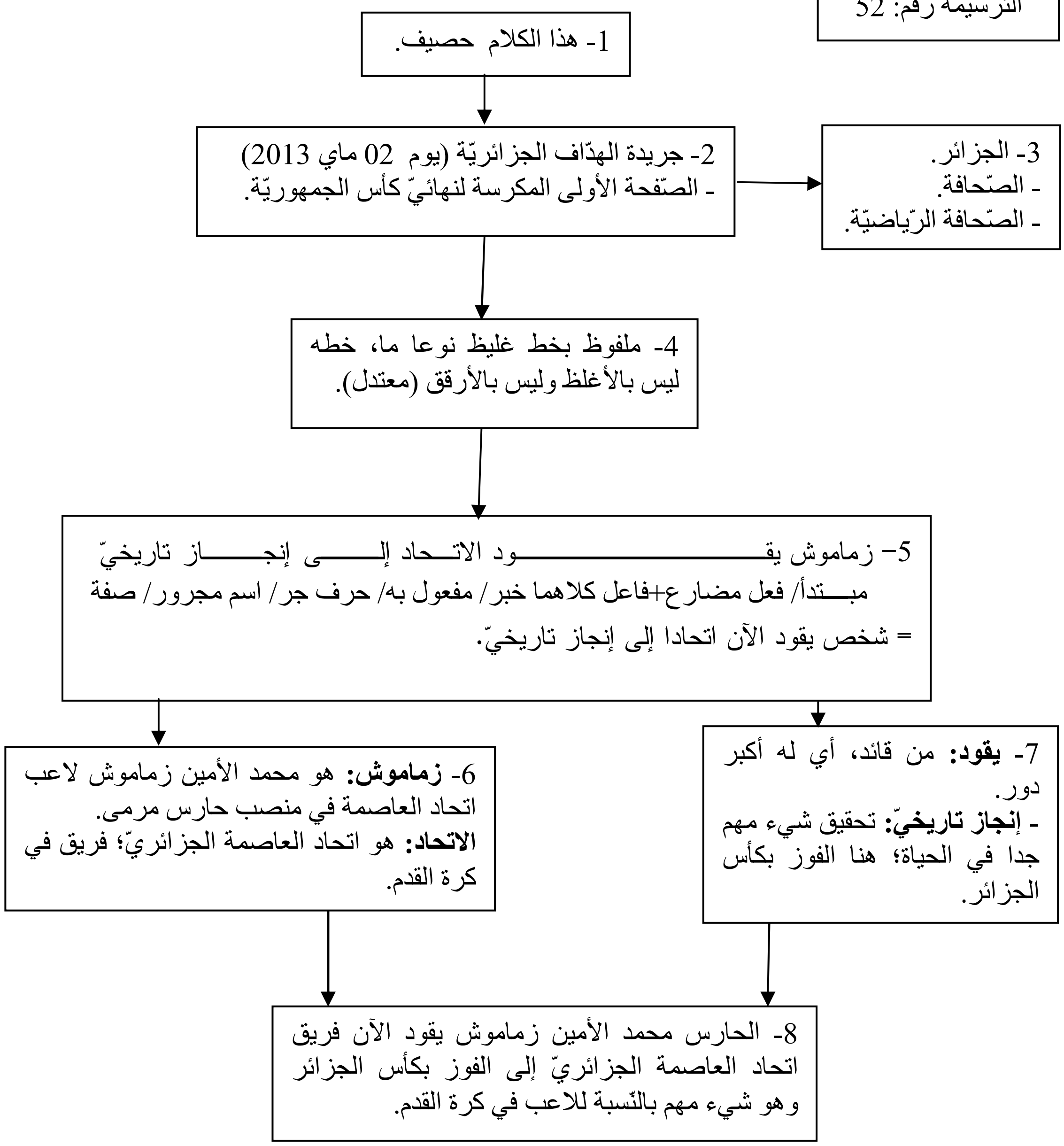
1: استخراج الأشكال القضويّة للعناوين: سأُقدم، في هذه النّقطة من تحليلي للعناوين، آليات القرّاء في فهم المضامين الدّلاليّة بمنظور نظريّة الحصافة، فكيف يصل القارئ إلى تحديد حصافة عنوان من مثل:

45- « زماموش يقود الاتحاد إلى إنجاز تاريخي»[1]؟

يمكن شرح آليات تّأويل هذا العنوان وفق النّموذج التّالي:

[1]- دون إمضاء:« زماموش يقود الاتحاد إلى إنجاز تاريخي» الهدّاف، 02 ماي 2013، ع: 2424، ص 01.

التّرسيمة رقم: 52



يبدأ القارئ أول ما يبدأ، عند رغبته في قراءة العنوان، بافتراض حصافة الكلام؛ وهي الخطوة رقم (01) على التّرسيمة رقم (52) أعلاه، والواقع أنّه بمجرد البدء في قراءة أي عنوان، فالقارئ مُعتقد بأنّ الكلام حصيف، ولا يبقى له إلا تأكيد ذلك بعد إنهاء القراءة، فإن أكد حصافته؛ فيكون الملفوظ بذلك موافقا لمبدأ الحصافة؛ وتأويله مفيد للقارئ بأن وسع له محيطه المعرفيّ المشترك، وإن لم يؤكدها؛ فلن يساعده في توسيع محيطه المعرفيّ المشترك.

ويخطو القارئ خطوة ثانيّة؛ هي ممر لازم لكلّ تأويل للملفوظ السّابق، وهي أولى الفرضيات الموجودة في الجهاز الاستنباطيّ للمتلقي/القارئ، والمتمثلة في

الفرضيّة (يوجد بين يديه جريدة (الهدّاف) الجزائريّة) ويمكن أن تتضمن هذه الفرضية وصفا للجريدة وأجزائها، ومن بين تلك الأجزاء أنّ القارئ يقرأ، في هذا المثال، الصّفحة الخاصة بنهائيّ كأس الجمهوريّة الذي جرى البارحة (الجريدة صدرت في اليوم الموالي للمباراة) وتحيل هذه الفرضيّة إلى كلّ المحيط المعرفيّ العام؛ وإن كان بشكل عرضيّ جدا لكنّه موجود؛ وهو كون جريدة (الهدّاف) تنتمي إلى صنف الصّحافة، والصّحافة الرّياضيّة بشكل خاص؛ بما لذلك من أثر في التّأويل من حيث إنّ الصّحافة تُقدم الأخبار، ولها مصداقيّة معيّنة...

وتأتي الخطوة الرّابعة في التّأويل؛ وهي محيط أكثر ضيقا من الجريدة والصّفحة، فيدخل القارئ في ما يسمى بإعداد الورقة، ويمكن عَدُ هذه التّقنيات مثل النّبر والتّنغيم في الشّفوي... وعليه وضعتُ هذا الجزء مستقلا؛ رغم أنّه، في الواقع، ينتمي بشكل من الأشكال إلى الخطوة المواليّة؛ أي رفع اللّبس، لكن الطّبيعة الكتابيّة للنّص تظهره كأنّه مستقل؛ ومهما يكن، فهذه الإشارات الكتابيّة تفيد المتلقي أنّ الكلام عنوان؛ وإن كان ليس العنوان الأكبر في الصّفحة، لكنّه عنوان؛ ويمثل بابا من أبواب قراءة الصّفحة، وقد يكفي لوحده لأخذ معلومة، واتخاذ قرار بمواصلة قراءة المقال أو الإحجام عن ذلك.

وتُمثل الخطوة الخامسة خطوة حاسمة في عمليّة البحث عن الشّكل القضويّ للملفوظ من حيث إنّها تُقدم لقارئ الجريدة الشّكل المنطقيّ للفرضيّة المُراد إيصالها، وهذه الخطوة هي خطوة (رفع اللّبس) وهي تأويل لسانيّ في جوهره؛ يُنجز على شاكلة ما يحدث في الدّراسات البنيويّة والنّحويّة، وسيصل القارئ في المثال المدروس (رقم 45) أعلاه، بعد إحداث العمليات النّحويّة ومقارنة الملفوظ بقواعد اللّغة العربيّة التي اعتُمدت كشفرة في هذه الصّحيفة، إلى الشّكل المنطقيّ التّالي: (شخص يقود الآن اتحادا إلى إنجاز تاريخيّ) وهذا موافق لأوجه العربيّة من حيث البناء والصّياغة، لكن الملاحظ أنّ هذا الشّكل المنطقيّ لا يقدم كلّ المعلومات اللازمة لاعتبار هذا الملفوظ حصيفا، فلماذا إعطاء أهميّة لأيّ شخص، وأي اتحاد في جريدة مثل جريدة الهدّاف؟ ومن هنا ينتقل المتلقي إلى خطوة أخرى.

تسمى الخطوة المواليّة في عُرف نظريّة الحصافة ب(تحديد المراجع) وفي المثال الذي أدرسه؛ هناك كلمتان تحتاجان إلى تحديد مرجعيتهما؛ وهما:(زماموش) و(الاتحاد) ولا يكون هذا ممكنا إلا بالرجوع إلى العالم الماديّ المحسوس الموجود على شكل تمثلات في حالة الصّحافة الرّياضيّة، ف(زماموش) –وهو اسم علم- يُفترض أن يكون مفهوما موجودا في الذّاكرة الموسوعيّة للقارئ؛ وهو (محمد الأمين زماموش) لاعب اتحاد العاصمة الجزائريّ، ويشغل منصب حارس مرمى، كما أنّه لاعب في الفريق الوطنيّ الجزائريّ... ويمكن أن يستعين القارئ –لا محالة- بالصّورة الفوتوغرافيّة التي جاءت تحت المقال للتّعرف عليه، ومنه سيصل إلى تحديد الشّخص/المرجع الذي يتحدث عنه العنوان/الملفوظ، وإذا لم يتمكّن من معرفة ذلك؛ فقد يصعب عليه تلمس حصافة هذا العنوان؛ في السّياق الذي وصفته، فإن كان (زماموش) المذكور غير موجود في قائمة اللاعبين مثلا، فيصعب تحديد من هو، وقد يبدو العنوان والخبر غير حصيف إلا إذا أُخذ على أساس أنّه سخريّة مثلا، والحال ليس كذلك في هذا السّياق؛ لأنّ (زماموش) لاعب من اللاعبين الحاضرين في المقابلة، وهذا ماثل بكلّ تأكيد أمام قارئ الصّحيفة الرّياضيّة الجزائريّة في اليوم المذكور.

ويتشابه مفهوم (الاتحاد) مع (زماموش) من حيث هو تمثل، كما يتشابهان في طريقة الإحالة إلى مرجعيتهما، لكن مفهوم (الاتحاد) ليس اسم علم؛ بل يشير –هنا- إلى هيئة كرويّة، والواقع في العُرف الرّياضيّ أنّ (الاتحاد) قد يكون –وهو الأشهر- الهيئة المسيّرة لكرة القدم في بلد من البلدان، لكن في سياق المقال الذي أدرسه؛ هذا الاتحاد يعني فريقا واحدا؛ وهو فريق اتحاد العاصمة (الجزائريّ) –كما قلت-، وهو الفائز بكأس الجزائر سنة 2013م، ويُلاحظ –هنا- أنّ كلمة (الاتحاد) قد تلتبس مع اتحادات أخرى في الجزائر كاتحاد بلعباس واتحاد عنابة... وتحديد المرجع مهم في فهم الملفوظ، فإذا فهم القارئ أنّ الاتحاد المعني هو اتحاد عنابة؛ فسيصبح الملفوظ غير حصيف لأنّ (زماموش) يلعب لاتحاد العاصمة، فمفهوم (زماموش) يلعب دورا –أيضا- في تحديد مرجع مفهوم الاتحاد؛ لأنّ الجهاز الاستنباطيّ المسيّر لعمليات

التّأويل لا يأخذ المعاني من كلّ مفهوم لوحده؛ بل يحدث عمليات ذهاب وإياب مستمرة لتأكيد الحصافة.

يصل القارئ، بعد تمام عمليّة تحديد المراجع (الخطوة (06) في التّرسيمة رقم (52)) إلى أنّ الحارس (محمد الأمين زماموش) يقود اتحاد الجزائر إلى إنجاز تاريخيّ، وهذا التّأويل مفهوم عموما؛ لكن فيه من الأمور ما يحتاج إلى توضيح وفحص للحصافة؛ وهو حال استعمال المفهومين (يقود) و(إنجاز تاريخيّ) اللّذين يحتاجان إلى إثراء أكبر لتمام التّأويل؛ لأنّ القارئ/المتلقي يبحث –دائما– على الحصافة المطلقة، ولن يكون للقارئ –هنا– من مكان للجوء إليه إلا ذاكرته الموسوعيّة والمحيط المعرفيّ الحاليّ (Immédiat) والمتمثل في (المباراة) التي يمكن أن يكون قد شاهدها، وإن لم يشاهدها؛ يمكن أن يكون قد سمع عنها في الإذاعة أو سمع أصداء عنها في محيطه الاجتماعيّ، وإن كان بذلك كلّه جاهلا، فسيعتمد على ذاكرته الموسوعيّة، ويفتح مفهوم (مباراة) الذي سيجد فيه كلّ ما يحتاجه عن (مباراة) خاصة نهائيّ كأس الجمهوريّة الجزائريّة.

ويمكن أن يصل، في عمليّة الإثراء، إلى أنّ الحارس المذكور لم يشارك فقط في الإنجاز؛ بل قاده؛ والقائد هو الشّخص الذي له أكبر دور في أي عمل ونشاط؛ وهذا ما يرفع من حصافة العنوان رغم الجهد الإضافيّ الذي يقدمه القارئ في التّأويل، فإذا كان قد شاهد اللّقاء بالأمس، ولاحظ البروز اللافت للحارس (زماموش) فإنّ الحصافة تقع في الرّفع من درجة صحة فرضيته –التي استقاها من المحيط الماديّ–، وإن كان لم يلاحظ بروز ذلك الحارس؛ فإنّه سيصحح فرضياته.

وسيعمل القارئ، إضافة إلى إثراء مفهوم (يقود) على إثراء الشّكل المنطقيّ في موضع (إنجاز تاريخيّ) فالإنجاز التّاريخيّ هو تحقيق شيء مهم جدا في الحياة، وفي السّياق الذي يتواجد فيه القارئ –هاهنا– هو الفوز بكأس الجزائر؛ لأنّنا في صفحة لجريدة رياضيّة تتحدث عن كأس الجزائر، فهذا هو التّأويل الملائم والموافق لمبدأ الحصافة؛ وبالتّالي يجب الأخذ به.

يكون القارئ قد وصل، بعد تمام عمليّة الإثراء التي ذكرتُها، إلى تحديد الشّكل القضويّ الذي يتضمنه المثير اللّغويّ الذي وجده في الجريدة، وهو:

(الحارس محمد الأمين زماموش يقود الآن فريق اتحاد العاصمة الجزائريّ إلى الفوز بكأس الجزائر، وهو شيء مهم بالنّسبة للاعب في كرة القدم).
وبوصوله إلى هذا الشّكل القضويّ يكون القارئ قد أكد حصافة هذا العنوان، وهي حصافة افترضها –للتّذكير– منذ بداية عمليّة التّأويل.

ويُلاحظ أنّ عمليات تأويل العنوان، في هذا المثال، تتبني في أكثر إجراءاتها على الذّاكرة الموسوعيّة والوقائع الماديّة أو المحيط المعرفيّ المباشر؛ وهو المباراة، لكن هناك من العناوين ما ينبني تأويله على معلومات أخرى، وهو ما يظهر في هذا العنوان التّالي:

46- هكذا قضى لاعبو المولودية ليلة اللّقاء...[1].

وفقا للنّموذج الذي عرضته سابقا؛ سيكون مجموع العمليات التّأويليّة لهذا العنوان كالتّالي:

---

[1]- دون إمضاء:« هكذا قضى لاعبو المولودية ليلة اللقاء...» الخبر الرّياضيّ، 02 ماي 2013م، ع: 1060، ص 13.

التّرسيمة رقم: 53

1- هذا الكلام حصيف

2- جريدة الخبر الرّياضيّ الجزائريّة (يوم 02 ماي 2013م).
- الصّفحة الوسطى المكرسة لكأس الجمهوريّة.

3- الجزائر.
- الصّحافة.
- الصّحافة الرّياضيّة.

4- ملفوظ بخط غليظ نوعا ما؛ خطه ليس بالأغلظ وليس بالأرقق (معتدل).

5- هكـــــذا قضـــى لاعبـــــــــــــو المولوديـّـــة ليلـــــــــــــة اللّـــقاء...
اسم إشارة+مبتدأ/ فعل ماضي/ فاعل وهو مضاف كلاهما خبر/ مضاف إليه / ظرف مفعول فيه+ مضاف/ مضاف إليه
= قضى في الماضي لاعبو المولوديّة ليلة اللّقاء على هذه الطّريقة...

7- **ليلة اللّقاء:** بشكل عام اللّيلة تعني –هنا- اللّيلة ما قبل اللّقاء، ومفهوم اللّقاء هنا هو تلاقي الفريقين اتحاد الجزائر ومولوديّة الجزائر في مقابلة لكرة القدم.

6- **هكذا:** اسم إشارة يحيل إلى أوضاع التي يذكرها في ما يلي من المقال.
المولوديّة: هو مولوديّة الجزائر؛ فريق لكرة قدم.

8- قضى في الماضي لاعبو فريق كرة القدم المسمى مولوديّة الجزائر ليلة ما قبل اللّقاء بينه وبين اتحاد العاصمة على الطّريقة التي سنذكرها في هذا المقال.

يبدو الشّكل المنطقيّ* (قضى في الماضي لاعبو المولوديّة ليلة اللّقاء على هذه الطّريقة) والذي استخرجته بعد رفع اللّبس؛ اعتمادا على ما تتيحه اللّغة العربيّة غير كاف لفهم العنوان؛ ولا القبض على حصافته التي افترضها القارئ منذ بداية قراءته، وقد يكون السّبب متعددا؛ مرتبطا بالمفاهيم الموجودة في الشّكل المنطقيّ السّالف، وهذا ما يستدعي الذّهاب إلى عمليّة التّطوير على مستويات تحديد المراجع والإثراء.

وتأتي العمليّة التّأويليّة المواليّة لرفع اللّبس؛ وهي تحديد المراجع التي تظهر في الخطوة (06) من التّرسيمة السّابقة (رقم (53)) وربما يتميّز هذا المثال –كثيرا– عن

*– لن أكرر تفسير العمليات التّأويليّة من (01) إلى (04) بما أنّها هي نفسها مع المثال السّابق، والاختلاف الوحيد هو مصدر العنوان وهو الجريدة؛ ففي المثال الأول الجريدة كانت (الهدّاف) أما في هذا المثال، فالعنوان مأخوذ من جريدة (الخبر الرّياضيّ).

سابقه في هذه الخطوة؛ لأنّ العمليّة –هاهنا– تتطلب من القارئ تحديد مرجع الوحدة (هكذا) وهي من الوحدات التي لا تملك معنى في حد ذاتها، فهي صيغة مرجعيّة*، وربما أكثر إبهاما حتى من اسم العلم، ويلجأ القارئ لتأويل هذا الملفوظ إلى المحيط المعرفيّ المباشر (Immédiat) وهو الموجود في ما يلي من النّص، فيضع فرضيّة أنّ هناك أوضاعا ستأتي في النّص؛ وقرينة الحصافة هي الضّامنة على ذلك♣، وهذا هو الحل الوحيد بالنّسبة له لكي يكوِّن حصافة هذا المفهوم، ومن ثم البحث عن حصافة كلّ الملفوظ.

ويمر القارئ، بعد الفراغ من ذلك، إلى تحديد مرجعيّة مفهوم (المولوديّة) وهو فريق جزائريّ لكرة القدم؛ أي (مولودية الجزائر) ويُلاحظ –هاهنا– أنّ المفهوم (مولوديّة) في الشّكل المنطقيّ هو اسم مشتق من (و.ل.د) بصيغة النّسبة؛ لكن لا يؤيدنا ذلك كثيرا في تحصيل الشّكل القضويّ، ولا إلى الوصول إلى تأويل موافق لمبدأ الحصافة، كما أنّ هذا المفهوم يتحرك داخل اللّغة مثل اسم العلم من حيث مرجعيّته، والملاحظ، أخيرا، أنّني بتحديد مرجعيّة (مولوديّة الجزائر) –مثل ما قلت عن اتحاد– أكون قد أقصيت بالضّرورة مفاهيم (مولودية بجاية) (مولودية البويرة) (مولودية وهران)... وهذا التّحديد للمرجع، في هذا المثال، خاضع للمحيط المعرفيّ المشترك؛ لأنّ القارئ يقرأ الصفحة التي تتكلم عن نهائيّ كأس الجزائر الذي يشارك فيه فريقان فقط؛ أحدهما هو (مولوديّة الجزائر).

ويُجري القارئ، بعد الانتهاء من تحديد المراجع، عمليّة تطوير أخرى على التّأويل كي يكون أكثر حصافة، وذلك بفتح المفهوم (ليلة اللّقاء) التي سيجد في مدخلها الموسوعيّ أنّها تعني:(اللّيلة ما قبل اللّقاء) ومفهوم (اللّقاء) –هنا– ليس أي لقاء؛ بل المباراة التي تجمع الفريقين اتحاد الجزائر ومولوديّة الجزائر في مقابلة

---

* – أي (Expression référentielle) (يُنظر في هذا المفهوم:(Dan Sperber, Deirdre Wilson, La pertinence…, p 268.)).

♣– تحيل الوحدة (هكذا) في الخطاب الشّفوي إلى إشارة جسمانيّة ما أو إلى وضع ماديّ مرئيّ أو مسموع، لكن في الكتابة ترتبط هذه الوحدة بما يلي من النّص، وهو جسم المقال؛ بل حتى العنوان المواليّ المكتوب بخط أغلظ من العنوان الذي أدرسه، وهو (تركيز كبير، النّوم باكرا، ولقاء الريال–دورتموند صنع الحدث في الشّيراطون).

لكرة القدم؛ وهي نهائيّ كأس الجمهوريّة الجزائريّة التي جرت البارحة (مقارنة بتاريخ الجريدة).

ويصل القارئ، بعد هذا الإثراء*، إلى تشكيل الشّكل القضويّ المؤقت♣ الموافق لمبدأ الحصافة؛ وهو (قضى في الماضي لاعبو فريق كرة القدم المسمى مولوديّة الجزائر ليلة ما قبل اللّقاء بينه وبين اتحاد العاصمة على الطّريقة التي سنذكرها في هذا المقال) وبالتّالي يتشكل سبب الحصافة في ذهن المتكلم، فإن كان قد أضاف شيئا لمحيطه المعرفيّ اعتبره حصيفا، وإن لم يضف شيئا إلى محيطه المعرفيّ المشترك شطب الفرضيّة، وربما غيَّر المقالة إثر ذلك.

2: الحصافة وتعدد القرّاء: اعتمدتُ في تحليلي السّابق لعمليات التّأويل والبحث عن حصافة الكلام على قارئ مثاليّ نوعا ما؛ لكن الواقع يؤكد أنّ القرّاء ليسوا نموذجا واحدا، لذلك يحق لي أن أتساءل: هل يستخرج كلّ القرّاء الحصافة نفسها؟ الإجابة الراجحة لي أنّ القرّاء ليسوا على الدّرب نفسه في استخراجها، وليس القرّاء يصلون إلى إعادة بناء تمثلات الصّحافيين -والجريدة من وراءها- على المستوى نفسه من التّجريد والبناء الحصيف، وهو ما سأحاول أن أتحدث عنه في هذه النّقطة حيث سأميّز بين نوعين من القرّاء، ثم سأحاول أن أبيّن العمليات التّأويليّة التي يقومان بها في بحثهما عن تأكيد الحصافة المفترضة.

ليس خفيا أنّ قرّاء الجرائد إنّما هم مناصرو الأنديّة بشكل عام؛ منهم المثقف منهم ذوي المستوى المحدود، لكن الجميع -إلا استثناءات نادرة- إنّما يقرؤون الجريدة الرّياضيّة لمتابعة أخبار ناديهم المفضل، وخاصة أنّ التّلفزيون لا يخصص -عادة- تغطيات لكلّ ناد؛ عكس الصّحافة الرّياضيّة المكتوبة التي تقوم بذلك، وهناك من القرّاء ما لا يقرأ في الجريدة الرّياضيّة إلا ورقة ناديه المفضل، وقد يضيف لها ورقة الفريق الوطنيّ -إن كانت موجودة- والورقة الدّوليّة على أكثر تقدير، وهناك أقليّة قليلة تقرأ صفحات أنديّة أخرى باعتماد انتقاء العناوين... وربما هؤلاء هم

*- لاحظ في العمليّة التّأويليّة لهذا المثال أنّني لم أتحدث عن (لاعبو) إلا في رفع اللّبس؛ لأنّني اكتفيت بمعناه اللّغويّ فقط، فالحصافة لا تستدعي فتح كلّ مفاهيم الشّكل المنطقيّ، بل ما يكفي فقط للوصول إلى الحصافة.

♣- أقول (المؤقت) لأنّ العنوان -هنا- يحمل المفهوم (هكذا) الذي يتعلق مفهومه بمحتوى المقال ككلّ.

–عادة– المثقفون غير المتخصصين في الرّياضة، أو المتخصصون فيها الذين يُفترض أنّهم يقرؤون كلّ شيء أو معظمه، وعلى هذا المسار، سأحاول أن أقدم كيفيّة حدوث تأويلاتهم؛ بِناءً على إجراءات البحث عن تأكيد الحصافة؛ لأنّ الحصافة مُفترضة –كما قلت– في الصّحافة الرّياضيّة لمن قرر قراءتها.

وأشير، في هذا الإطار، إلى أنّ الجرائد الرّياضيّة غالبا ما تجمع المقالات المعنيّة بمباراة ما في الصّفحة نفسها أو المجموعة التّحريريّة نفسها، وهو حال حدث كأس الجزائر سنة 2013م –مثلا– الذي تحدثتُ عنه في المثال السّابق؛ فقد خصصت له جريدة (الهدّاف) مجموعة تحريريّة من الصّفحة الثّانيّة (02) إلى الصّفحة الثّامنة (08) أي ست (06) صفحات، وخصصت له جريدة (الخبر الرّياضيّ) مجموعة تحريريّة من الصّفحة التّاسعة (09) إلى الصّفحة السّادسة عشر (16)... وتوضع في هذه المجموعة التّحريريّة كلّ المقالات المتعلقة بالفريقين المتنافسين، وهما في الحالة السّابقة اتحاد الجزائر ومولوديّة الجزائر، فالقرّاء يجدون أنفسهم أمام مقالات تتحدث عن فريقين والمقابلة التي ستجمعهما أو التي جمعتهما[*]؛ وبالتّالي يلتقي مناصر الفريق الأول بمقالات المتعلقة بفريقه والفريق المنافس، كما يقرأ القارئ الحياديّ (عادة المتخصص) مقالات الفريقين، وعلى هذا التّمييز الذي لا بد منه، سأحاول أن أقدم نماذج لمثل هذه التّأويلات التي يقوم بها هؤلاء القرّاء –وفقا لنموذج الحصافة الذي قدمته– وسأنطلق من العنوان التّالي:

47– زماموش يتألق... يمنح الكأس لسوسطارة ويتفوق على شاوشي[1].

I– تأويل القارئ الذي فاز فريقه وحصافة العناوين: يمكن أن يكون نموذج تأويل المثال رقم (47) عند القارئ الذي فاز فريقه بالمقابلة على النّحو التّالي:

---

[*]– هناك حالات حيث تُخَصص كلّ صفحة لفريق واحد؛ وهي حالات عدم وجود مباريات، لكن أنا اخترت مدوّنة لا توجد فيها مثل هذه الصّفحات؛ لأنّها مرتبطة بالأحداث الكبرى –كما قلت– وهذه الأحداث هي مباريات –دائما– أي هناك فريقان.

[1]– دون إمضاء:« زماموش يتألق... يمنح الكأس لسوسطارة ويتفوق على شاوشي» الشّباك، 02 ماي 2013م، ع: 1465، ص 16.

التّرسيمة رقم: 54

1- هذا الكلام حصيف

2- جريدة الشّبّاك الجزائريّة (يوم 02 ماي 2013م).
- الصّفحة 16 المكرسة لنهائيّ كأس الجمهوريّة.

3- الجزائر.
- الصّحافة.
- الصّحافة الرّياضيّة.

4- ملفوظ بخط غليظ.

5- زماموش يتألـــــــــــق... يمـــــــــــــــــــنح الكأس لسوسطارة ويتفـــــــــــوق على شاوشي
مبتدأ/ فعل مضارع +فاعل مستتر (خبر)... فعل مضارع فاعل مستتر(خبر 02)/ مفعول به/ جار و مجرور/ عطف/ فعل مضارع فاعل مستتر/ جار ومجرور
= شخص يتألق... يمنح كأسا لسوسطارة، ويتفوق على شخص آخر هو شاوشي.

6- **زماموش:** لاعب اتحاد العاصمة الذي أناصره.
- **سوسطارة:** لقب من ألقاب اتحاد العاصمة الذي أناصره.
- **شاوشي:** حارس مرمى مولوديّة الجزائر منافس الاتحاد الذي أناصره.

7- **يتألق:** يعني أنّ الحارس زماموش لم يلعب فقط بشكل جيد بل وصل إلى أوج ما يمكن أن يصل إليه لاعب في التّفوق، وهو ما تبيّنه الأفعال المواليّة (منح) و(تفوق)...

8- محمد الأمين زماموش يصل أوج ما يصل إليه لاعب في التّفوق... فمنح كأس الجزائر لفريقه اتحاد الجزائر الذي يدعى أيضا أبناء سوسطارة، وتفوق على حارس مرمي الفريق الآخر؛ أي مولوديّة الجزائر وهو فوزي شاوشي.

يبدأ القارئ الذي اخترته، بعد افتراض الحصافة، واختيار ما هو مهم في المحيط المعرفيّ العام –كالعادة–، برفع اللّبس عن الملفوظ وفق ما تتيحه العربيّة من قواعد، فيستخرج الشّكل المنطقيّ؛ وهو (شخص يتألق... يمنح كأسا لسوسطارة ويتفوق على شخص آخر هو شاوشي) ثم على القارئ، كخطوة مواليّة، تحديد المراجع في هذا الشّكل المنطقيّ، وسيكون العمل منصبا –أساسا– على الوحدات (زماموش) (لاعب اتحاد العاصمة؛ أي الفريق الفائز والذي يناصره القارئ) ثم (سوسطارة) (لقب من ألقاب اتحاد العاصمة نسبة إلى الحي الذي يتواجد فيه) ثم (شاوشي) (حارس مرمى مولوديّة الجزائر منافس الاتحاد).

وقد يلجأ القارئ إلى عمليّة إثراء –أيضا– وخاصة مع المفهوم (يتألق) الذي لا يدل فقط على التّفوق؛ بل منتهى التّفوق –كما قلت–، وهذه العمليّة ترفع من مردوديّة حصافة الملفوظ، وتُشجع القارئ على المواصلة حتى يصل إلى وضع الشّكل القضويّ الذي ذكرته في التّرسيمة (رقم (54)) أعلاه؛ وهو (محمد الأمين زماموش يصل أوج ما يصل إليه لاعب في التّفوق... فمنح كأس الجزائر لفريقه اتحاد الجزائر الذي يدعى –أيضا– أبناء سوسارة، وتفوّق على حارس مرمى الفريق الآخر؛ أي مولوديّة الجزائر وهو فوزي شاوشي).

ولا بد لي من الوقوف على عمليّة القراءة ككلّ بالنّسبة للقارئ الذي فاز فريقه –وهو مناصر اتحاد العاصمة في هذا المثال–، فيبدو لي أنّه منذ الجزء الأول من الملفوظ (زماموش يتألق) يكون قد تأكد من حصافة الملفوظ؛ لأنّه موافق لنظرته التي تعتقد أنّ الاتحاد أقوى؛ بل أضاف له شيئا إلى محيطه المعرفيّ، أما إذا شاهد أو سمع على الأقل بفوز فريقه؛ فستكون حصافة هذا المثال آنذاك مرتبطة ببروز نجم حارس فريقه المفضل؛ وليس في فوز الفريق، فإن كان عالما بهذا التّألق؛ فسيتأكد بشكل أكبر أنّ الأمر مشترك بينه وبين الجريدة؛ وبالتّالي بالرّأي العام، وإذا لم يكن منتبها لذلك التّألق لحارس ناديه المفضل؛ فقد وسع محيطه المعرفي بمعلومة جديدة موافقة لتوجهه في مناصرة فريقه، ومن هذا المنطلق لوحده سيعتبر أنّ الكلام حصيفا وموافقا للموقف...

وسيتعزز هذا الموقف الذي يتخذه القارئ إزاء الشّكل القضويّ، على أساس الجزء الأول فقط من الملفوظ، بإتمام كلّ الشّكل القضويّ، وخاصة أنّ الأجزاء الأخرى من الملفوظ والشّكل القضوي ما هي إلا تفريعات للجزء الأول.

II– تأويل القارئ الذي خسر فريقه وحصافة العناوين: ستختلف عمليّة التّأويل التي سيستخدمها نوع آخر من القرّاء، وهو القارئ المناصر للفريق المنهزم –وأعني به في المثال (رقم 47 أعلاه) مناصر فريق مولودية الجزائر* – في تحديد المراجع؛ أي

*– فريق (مولوديّة الجزائر) من أعرق الفِرق الجزائريّة له ألقاب كثيرة، ويُسمى عميد الأنديّة لقدم نشأته – وإن لم يكن أول أنديّة الجزائر– وما سأقوله –هاهنا– لا يخص قوة النّادي وأي حكم فنيّ ما عليه؛ بل هو وصف لسانيّ تداوليّ لوضعيّة خاصة من التّواصل؛ وهي وضعيّة انهزامه في كأس الجزائر سنة 2013م.

الخطوة (06) في التّرسيمة رقم (54) أعلاه، فهذا القارئ سيُحدد مراجع العنوان المدروس كالتّالي:

أ- **زماموش:** لاعب اتحاد العاصمة الذي ينتمي إلى منافس فريقي.

ب- **سوسطارة:** لقب من ألقاب اتحاد العاصمة الذي نافس فريقي على كأس الجزائر.

ت- **شاوشي:** حارس مرمى مولوديّة الجزائر الذي أناصره.

ومن هنا ستتغير المرجعيات نوعا ما.

ويبدو لي أنّه ستحدث تغيرات على مستوى الإثراء -أيضا- فسيبقى (يتألق) على معناه الذي ذكرته سابقا؛ أي أنّ الحارس (زماموش) لم يتفوّق فقط؛ بل وصل إلى أوج ما يمكن أن يصل إليه لاعب في التّفوّق، وهو ما تبيّنه الأفعال المواليّة (منح) و(تفوّق) لكن مع الاعتبار -دائما- أنّ (زماموش) من الفريق الخصم.

وسينتج عن تغير بعض منطلقات تحديد المراجع والإثراء من القارئ المناصر للفريق المنهزم تأثير لا محالة على عمليّة التّأويل، وعلى حصافة الكلام، فليس مستبعدا -هنا- أن يعتبر مناصر الفريق المنهزم أنّ هذا الكلام غير حصيف؛ لسبب أساسيّ يتعلق باستعمال المفهوم (يتألق) فقد يعتبره هذا النّوع من القرّاء؛ بسبب انفعالاتهم المرتبطة -أساسا- بمناصرة الفريق الخاسر، تقييما غير مناسب للوضع، وفيه الكثير من التّجاوز ربما*، ومما يُلاحظ في هذا المقام، من خلال تعليقات الجرائد التي ذكرتُها -هاهنا- في هذا العمل، ومن بينها الجريدة التي أخذت منها هذا المثال؛ أنّ فريق مولوديّة الجزائر رفض تسلُم الميداليات من الوزير الأول، وهناك احتجاجات على الحكم... لذلك ليس من المستبعد أن لا يجد القارئ -هاهنا- حصافة ما لهذا العنوان؛ لأنّه يملك فرضيّة أخرى في ذهنه أكثر يقينيّة من

*- أشير إلى أنّ القارئ المناصر للفريق المنهزم ليس قارئا معروفا -أيضا-، بل هو قارئ مثاليّ للقارئ المناصر للفريق المنهزم؛ وبالتّالي أنا أقدم -هاهنا- نموذجا لقارئ وليس القارئ في حد ذاته؛ لأنّه ليس من المستبعد أن يوجد بين قرّاء الجريدة من مناصري (مولوديّة الجزائر) من يعتبر هذا الكلام حصيفا ومناسبا... لكن هذا نادر عند مناصري الأنديّة ليس في الجزائر فقط بل في العالم -ربما-.

الفرضيّة المقدَمة في الجريدة؛ ومفاد تلك الفرضيّة أنّ فريقه قد هزمه الحكم مثلا؛ وبالتّالي قد لا يُكمل المقال.

III- القارئ الحياديّ وحصافة العناوين: يمكن، انطلاقا من المثال السّابق -دائما-، أن يأخذ التّأويل مسارا آخر موافقا لنوعيّة القارئ الذي اخترته في هذا الجزء من البحث؛ وهو القارئ الحياديّ، وقد يكون هذا النّوع من القرّاء الأقرب إلى القارئ المثاليّ الذي يحب الجريدة -ربما- لا الفريقين، والذي يحب كرة القدم لا الفريقين أو الذي يريد التّعرف على البطولة الجزائريّة فقط، وهو عارف بالرّياضة سابقا...

لن يكون الاختلاف، على غرار التّفسير الذي قدمته في تحليل تأويل القارئ المناصر للفريق المنهزم، في التّأويل على مستوى الشّكل المنطقيّ للملفوظ؛ بل سيحدث ذلك انطلاقا من عمليّة تحديد المراجع، وأخصُ بالذّكر مداخل المفاهيم: (زماموش) و(سوسطارة) و(شاوشي) التي ستصبح:

أ- زماموش: لاعب اتحاد العاصمة.

ب- سوسطارة: لقب من ألقاب اتحاد العاصمة نسبة إلى الحي الذي تأسس فيه.

ت- شاوشي: حارس مرمى مولوديّة الجزائر.

فيُلاحظ -هاهنا- غياب التّعليقين (الذي أناصره) أو (منافس الفريق الذي أناصره) وغياب مثل هذا التّحديد بالضّبط هو الذي يُغيّر تأويل القارئ؛ ولو بشكل بسيط مقارنة بالتّأويلات السّابقة، فالقارئ الحياديّ، بعد تحديده للمرجعيات المذكورة، يبدو لي أنّه أكثر حاجة للإثراء من غيره من القرّاء؛ فيمكن أن يكون في حاجة ماسة لتعريف معنى (تألق) لأنّ مجرد (تفوّق زماموش على شاوشي) قد لا يكون حصيفا بما فيه الكفاية، لكن بفتح مفهوم (تألق) وإجراء عمليّة الإثراء التي ذكرتها سابقا (الخطوة (07) في التّرسيمة رقم (54) أعلاه) حيث يبدو فيها (زماموش قد منح الكأس وتفوّق على شاوشي...) مما يعني أنّه في قمة التّفوق؛ وهذا كفيل أن يجعل القارئ الحياديّ في هذا الموضع من التّأويل متأكدا من حصافة العنوان وشكله

القضويّ، وهو ما قد يشجعه على المواصلة في قراءة المقال؛ إذا رغب في تغيرات أكبر وأدق في محيطه المعرفيّ.

الفرع الثّانيّ: حصافة المصرحات في متون المقالات: تؤوّل العناوين من قبل القرّاء على الأشكال التي وضحتها، وغيرها من الأشكال اللامتناهيّة التي لا يمكن حصرها، ولكن هل يكون التأويل في ملفوظات متون المقالات على المنوال نفسه؟ هذا ما سأحاول أن أبحث فيه في ما يلي من العمل، من خلال محاولة فحص مسارات التّأويل في متون المقالات، وسأقف على ذلك حسب مواقع الملفوظ في المقالة الصّحافيّة.

1: تأويل حصافة الملفوظ الأول من مقالة: تأتي بعد العنوان مباشرة أجسام المقالات في شكل ملفوظات متسلسلة؛ يندرج الواحد منها في الآخر بشكل تسلسليّ إلى نهاية المقالة، وسأحاول –هاهنا– فحص مسار تأويل وتأكيد حصافة الملفوظات التي تأتي في بداية جسم المقالة، فلنتوقف معًا عند هذا النّموذج:

48– ثار أنصار المنتخب الوطني على رئيس الفاف محمد روراوة ما بين الشوطين[1].

سيكون نموذج مسار البحث عن تأكيد حصافة هذا الملفوظ، حسب ما تقترحه نظرية الحصافة، على الشّكل التّالي:

[1]– دون إمضاء:« الأنصار ثاروا على روراوة بين الشوطين وحملوه هزائم الخضر» الخبر الرّياضيّ، 28 جانفي 2013م، ع: 967، ص 05.

التّرسيمة رقم: 55

1- هذا الكلام حصيف.

2- ملفوظ بخط عادي في بداية مقالة؛ أي بعد العنوان.

3- ثــــار أنصــــار المنتــــخب الوطــــنيّ على رئيــــس الفــــاف
فعل ماضي/ فاعل وهو مضاف/ مضاف إليه وهو مضاف/ مضاف إليه/ جار / مجرور وهو مضاف/ مضاف إليه
محمد روراوة مــــا بيــــن الشّوطين.
بــــدل/ موصول وظرف زمان وهو مضاف/ مضاف إليه وهو مضاف/ مضاف إليه.
= ثار في الماضي أشخاص على شخص ما بين شوطين.

4- **الفرضيّة (01) المثبتة للعنوان:** أنصار المنتخب الوطنيّ الجزائريّ ثاروا على محمد روراوة رئيس الاتحاديّة الجزائريّة لكرة القدم، وحملوه مسؤوليّة هزائم الخضر خلال كأس إفريقيا 2013م التي أُقصي منها المنتخب الجزائريّ.
- **الفرضيّة (02):** إقصاء المنتخب الوطنيّ من كأس إفريقيا 2013م.

5- الجزائر، الصّحافة، الصّحافة الرّياضيّة...
- جريدة (الخبر الرّياضيّ) الجزائريّة (يوم 28 /2013/01م).
- الصّفحة الخامسة (05) المكرسة للفريق الوطنيّ.

6- **تحديد المراجع والإثراء بناء على الفرضيتين السّابقتين:** الملفوظ عبارة عن تكرار للجزء الأول من الفرضيّة (01) التي كانت تأويلا للعنوان حيث حدد الجهاز الاستنباطيّ في هذه الفرضيّة كلّ المرجعيات وأنجز كلّ الإثراءات المطلوبة؛ إذًا هذا تكرار.

7- الجريدة لم تُكرر الكلام دون غرض، فهناك وجه ما من أوجه الحصافة لهذا التّكرار.

8- هذا بداية متن مقالة والعنوان يجمل ما هو وارد في المقالة، لذلك يجب الإضافة إلى شكله القضوي أنّ هذا الملفوظ ما هو إلا مقدمة لما سيأتي؛ خاصة أنّه لم يُعِد كل ما ورد في العنوان؛ إذاً هذا وارد، وستأتي شروحات في باقي المتن.

لا بد من الملاحظة –بداية– أنّ الملفوظ الذي أدرسه –هاهنا– جاء بعد العنوان مباشرة؛ وهو بداية الملفوظ الأول في المقالة، لذلك فكلّ قارئ يكون قد قرأ العنوان واستخرج شكله القضويّ، ثم أدخله في محيطه المعرفيّ الشّخصيّ؛ وباعتبار هذا الشّكل القضويّ آخر شكل فرضيّة موجودة في جهازه الاستنباطيّ، فمن المؤكد أنّه سيلعب دورا في تأويل الملفوظ الموالي، والمساهمة في توضيح حصافته من عدمها.

وسينصرف القارئ، بعد افتراض الحصافة -أو في الوقت نفسه-* وملاحظته أنّ خط الملفوظ عادي؛ أي إنّه من هيكل المقال وليس في عنوانه، إلى استخراج الشّكل المنطقيّ للملفوظ؛ وذلك بمقارنته بنواميس وقواعد اللّغة العربيّة من فعل ماضي مبني على الفتح (ثار) وفاعل... وهو مسار لسانيّ بنيويّ بحت، يصل فيه إلى أنّ الشّكل المنطقيّ للملفوظ هو (ثار في الماضي أشخاص على شخص ما بين شوطين).

وسيلجأ القارئ، بعد استخراج الشّكل المنطقيّ -كما في الأمثلة السّابقة- إلى تحديد مرجعيات المفاهيم التي تحتاج إلى ذلك؛ من مثل (روراوة) (المنتخب الوطنيّ) (الفاف) كما سيثري معاني المفهوم (ثار) ولكن الملاحظ -هاهنا- أنّ العمليتين؛ وإن كانتا مطلوبتين في البحث عن تأكيد الحصافة، لكن المتكأ في هذا المثال ليس المحيط المعرفيّ -كما سبق في أمثلة العناوين- بل هو الفرضيات الموجودة في الجهاز الاستنباطيّ؛ وهي -كما هو مبيّن في الشّكل- الفرضيات المستخرجة من الشّكل القضويّ للعنوان؛ والمستخرجة، في الأصل، اعتمادا على المحيط المعرفيّ، فتكون موجودة في الجهاز الاستنباطيّ للتّأويل، ولم تُخزن بعدُ في الذّاكرة بعيدة المدى.

وسيُلاحظ القارئ، في مسار تأويل الملفوظ، تشابها في الأشكال القضويّة للملفوظ المؤوّل والفرضيّة الموجودة في الجهاز الاستنباطيّ، وهو ما يطرح إشكاليّة التّكرار لدى القارئ الذي يمكن أن يُسقط حصافة الكلام؛ لأنّ التّكرار لا يضيف أيّ معلومة للمحيط المعرفيّ المشترك للقارئ والصّحافيّ، فلماذا التّشابه بين الملفوظين؟ لذلك يجب العودة إلى ملاحظتهما:

- **العنوان:** الأنصار ثاروا على روراوة بين الشّوطين وحملوه هزائم الخضر.

---

*- أقول (أو في الوقت نفسه) لأنّ الخط في الخطاب المنسوخ إنّما هو شيء مشابه للظّواهر العروضيّة في الشّفويّ، فهي ليست تقطيعيّة، ولا تقع في موقع بعد صوت أو قبله؛ بل مكانها على مجموعة من الأصوات أو الملفوظ كلّه، وهو حال الخط -أيضا- لذلك لا يمكنني أن أفصل هل سيكون قبل أو في الوقت نفسه، وإن كنتُ لدواعي النّسخ -دائما- وضعت التّعرف على الخط قبل تحديد الشّكل المنطقيّ.

- **الملفوظ في بداية النّص:** ثار أنصار المنتخب الوطنيّ على رئيس الفاف محمد روراوة ما بين الشّوطين...

يبدو أنّ الإضافات الموجودة في الملفوظ داخل المقال موجودة كلّها في الشّكل القضويّ للعنوان؛ والذي تحوّل بعد نهاية التّأويل إلى فرضيّة داخل الجهاز الاستنباطيّ، ومن هنا، سيتساءل القارئ عن حصافة هذا الكلام؛ إن كان يعيد -فقط- ما ورد في العنوان، فما هي الأسباب التي جعلت الصّحافيّ يُقْدم على كتابته رغم أنّ مبدأ الحصافة يقول: إن المثير المستعمل -وهنا أقصد الملفوظ- هو أحسن ما يملكه المتكلم للتّعبير عن القصد الإخباريّ والذي يمكن أن يفهمه القارئ؟ فإن كان الملفوظ الذي أدرسه مجرد تكرار؛ فهذا مناقض لمبدأ الحصافة!

تكون الإجابة -حسب مبادئ نظريّة الحصافة- أن يتجه القارئ إلى البحث عن تأكيد الحصافة، لأنّ القصد التّواصليّ مؤكد -كما قلت- في الصّحافة، لذلك سيذهب إلى الذّاكرة الموسوعيّة؛ ويفتح مفهوم (طريقة كتابة المقالات الصّحافيّة) وهناك سيجد فرضيات من قبيل:

- العنوان يُعبر عادة على ما هو موجود في المتن.

لذلك سيصبح هذا النّوع من التّكرار مقبولا؛ وخاصة أنّ في العنوان زيادة حيث إن الجزء الثّانيّ منه لم يرد في الملفوظ الذي أدرسه؛ وبالتّالي سيصل القارئ إلى أنّ هذا الملفوظ لا يمثل إلا بداية للشّرح؛ وليس تكرارا، ومن هنا تظهر حصافة الكلام.

2: تأويل حصافة ملفوظ متوسط في مقالة: إذا كان ذلك هو حال تأويل القرّاء في بداية المقالات، فكيف حال التّأويل، والبحث عن تأكيد الحصافة في وسط المقالات، فلنتأمل سويًا المثال التّالي:

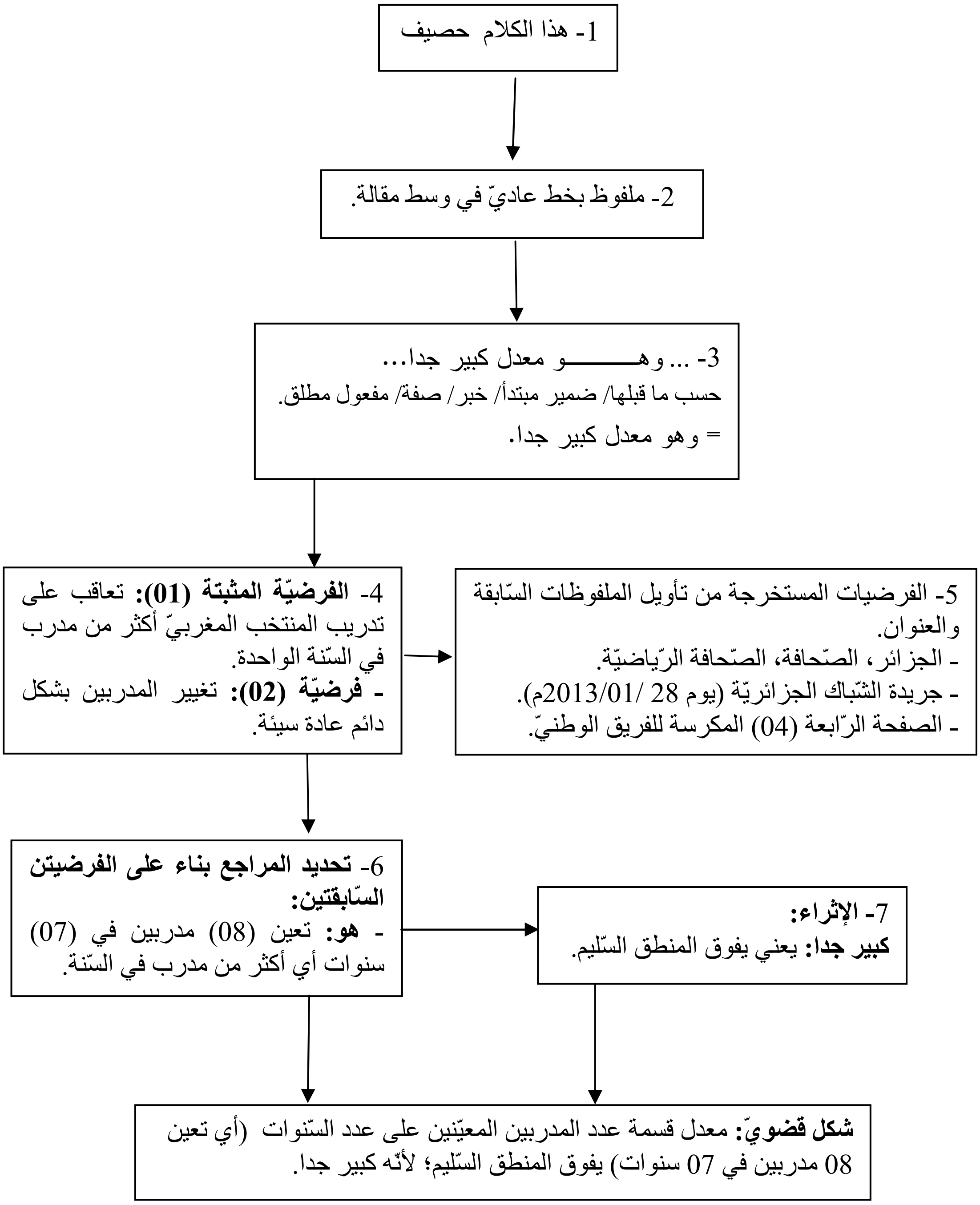
49- ... وهو معدل كبير جدا...[1].

جاء هذا الملفوظ في إطار الحديث عن ظاهرة تغيير المدربين بكثرة في المنتخب المغربيّ الشّقيق؛ وهو الشّيء الذي يجب تفاديه -حسب جريدة الشّباك- بالنّسبة للمنتخب الجزائريّ، ويبدو لي، من جانب التّحليل التّداوليّ، أنّ التّأويل والبحث الدّائم عن الحصافة، سيكون على الشّكل التّالي:

---

[1]- دون إمضاء:« بقاء حاليلوزيتش أفضل قرار في 2013» الشّباك، 28 جانفي 2013م، ع: 1685، ص 04.

التّرسيمة رقم: 56



يستخرج القارئ، بعد افتراض حصافة الكلام، وبيان موقع الملفوظ داخل المقالة، الشّكل المنطقيّ للملفوظ، والملاحظ –هاهنا– أنّه لا يختلف عن الملفوظ، لكن لا يفيد في فهمه الشّيء الكثير، وخاصة بوجود الصّيغة المرجعيّة (هو) لذلك لا بد من الذّهاب إلى تحديد المراجع، وإثراء الشّكل المنطقيّ –إن اقتضى الأمر–.

وسيلجأ القارئ في أول الأمر إلى الفرضيات الموجودة في الجهاز الاستنباطيّ؛ والتي تكون قد استخرجها من آخر تأويل –ما دام الملفوظ موجود في وسط المقالة– وفيه سيجد:

- **الفرضيّة المثبتة (01):** تَعاقب على تدريب المنتخب المغربيّ أكثر من مدرب في السّنة الواحدة، كما سيجد معها –ربما–:
- **فرضيّة (02):** تغيير المدربين بشكل دائم عادة سيئة.

وستكون، بالطّبع، هذه الفرضيات مبنيّة على فرضيات أخرى متعلقة بكلّ الملفوظات المستخرجة من قبل، وفي المقالة نفسها، لكن مقر هذه الفرضيات ليس الجهاز الاستنباطيّ إنّما هو الذّاكرة الموسوعيّة قصيرة المدى، ولا تتدخل بشكل مباشر في تأويل هذا الملفوظ إلا إذا كانت حصافته غير واضحة؛ فيُستعان بها، لكن إذا اتضحت الحصافة من خلال فرضيات الجهاز الاستنباطيّ؛ يتوقف الجهاز عن البحث اقتصادا للجهد ما دام الهدف قد تحقق.

وسيحدد القارئ، من خلال فرضيتي الجهاز الاستنباطيّ، مرجع الصّيغة المرجعيّة التي تعني (الوضع القائم المتمثل في تعين ثمانية (08) مدربين في (07) سنوات) أي أكثر من مدرب في السّنة، لكن ثمة –دائما– نقص في بناء الشّكل القضويّ على القارئ إكماله لتمام الحصافة، وهو إثراء الوحدة اللّغويّة (جدا) المسندة إلى الوحدة الأخرى (كبير) وكما أشرت في التّرسيمة رقم (56) أعلاه، فالمفهوم (جدا) يحيل إلى زيادة من كميّة الشّيء؛ وفي حالة المثال الذي أدرسه يُعبر عن الكثرة الكثيرة؛ وليس مجرد الكثرة، فكأن معدل المدربين المعيّنين ليس (كبيرا) فقط؛ وهذا في حد ذاته حكم يخبر القارئ عن تجاوز الحدود؛ بل (كبير جدا) أي يفوق كلّ قواعد المنطق السّليم.

ويبدو لي –بعد هذا– أنّ القارئ يمكنه أن يتأكد نهائيّا من حصافة الكلام؛ أي إنّ الملفوظ المدروس موافق لمبدأ الحصافة، فكان أحسن مثير مُعبر عن الوضعيّة التي أراد المتكلم التّعبير عنها، وأنّ هذا المثير قد غيّر فعلا المحيط المعرفيّ المشترك للمعنيين به.

3: تأويل ملفوظ في نهاية مقالة: سأحاول في هذه الزّاويّة من البحث التّعرف عن تأويل الملفوظات التي تأتي في نهاية المقالات وفق نظريّة الحصافة، فهل هناك أوضاع متميّزة تتدخل في تحديد حصافة الملفوظات الواقعة في آخر المقال؟ فليكن المثال الآتي منطلقا للتّحليل:

50- ... فإن التاريخ سيحتفظ بالنتائج وليس بالأداء[1].

ينتمي هذا المثال إلى مقالة سبق لي تحليل بعض أجزائها في الفصل السّابق، وهي مقالة علّق فيها المدرب (رابح سعدان) على إقصاء المنتخب الوطنيّ الجزائريّ من كأس إفريقيا للأمم سنة 2013م، وسيكون تأويل الملفوظ الوارد في هذا المثال، وتأكيد حصافته -في رأيي- وفق النّموذج التّالي:

[1]- حمزة ب:« سعدان: "حاليلوزيتش كسر المنتخب وكفانا من أغنية لعبنا مليح» الهدّاف، 28 جانفي 2013م، ع: 2330، ص 08.

التّرسيمة رقم: 57

1- هذا الكلام حصيف.

2- ملفوظ بخط عاديّ في نهاية مقالة.

3- ... فــــــــإنّ التّاريخ سيحــــــــتفــــظ بالنّتائــــج وليــــــــس
حسب ما قبلها/ نصب وتوكيد/ اسمها/ تسويف ومضارع وفاعل+ الكل خبر/ جار ومجرور/ عطف/ ناسخ/ اسمها مستتر خبر مقدر بالأداء.
جار و مجرور.
= سيحتفظ التّاريخ بالنّتائج لا بالأداء.

4- **الفرضيّة المثبتة (01):** غامرنا في الهجوم، ونسينا الدّفاع؛ مما كلفنا الهزيمة.
- **الفرضيّة (02):** التّاريخ سيحتفظ بهزيمة الجزائر أمام الطوغو في كأس إفريقيا سنة 2013م.

5- **الفرضيات المستخرجة من تأويل الملفوظات السّابقة والعنوان أهمها:** إقصاء الجزائر من كأس إفريقيا سنة 2013م.
- الجزائر، الصّحافة، الصّحافة الرّياضيّة.
- جريدة الهدّاف الجزائريّة (يوم 2013/01/28م).
- الصّفحة الرّابعة (04) المكرسة للفريق الوطنيّ.

6- **تحديد المراجع بناء على الفرضيتن السّابقتين:**
النّتائج: أي عدد الأهداف التي تُسجلها الفرق ضد أخرى.
الأداء: التّحكم الفنيّ والتّكتيكيّ من الكرة.

7- **الإثراء:**
سيحتفظ: هنا الفعل لا يعني فقط مجرد تسجيل الحدث، ولكن يحيل –أيضا- إلى نوع من الحسرة جراء هذه الهزيمة التي تبقى راسخة.

شكل قضويّ:... إنّ التّاريخ سيحتفظ، بحسرة، وسيذكرنا دائما بهزيمتنا أمام الطّوغو لأنّ العبرة بالنّتائج أو عدد الأهداف المسجلة وليس بالأداء كالتّمريرات والقذفات...

يبدأ التّأويل –دائما– بافتراض الحصافة، بالإضافة إلى اعتبار الملفوظ في نهاية جسم المقال في هذا المثال، وتكون خطوة استخراج الشّكل المنطقيّ هي الخطوة الموالیّة، والذي يبدو من خلال التّرسيمة رقم (57) السّابقة، أنّه موافق تقريبا للملفوظ؛ لكن ليس كاف لفهم الملفوظ وحصافته، فعن أي أداء ونتائج يتحدث الملفوظ؟

يبدو أنّ اللّجوء إلى تحديد المراجع والإثراء -إن لزم الأمر- وارد -دائما-، ففي هذا المثال يجب فتح المفاهيم (نتائج) و(أداء) في الذّاكرة الموسوعيّة لفهم معانيها، وربطها بما هو موجود في الجهاز الاستنباطيّ، فلا شك أنّ القارئ سيجد في المفهوم (نتائج):

- عدد الأهداف التي يسجلها كلّ فريق في المباريات والبطولات؛
- إذا كان لفريق عدد من الأهداف يفوق عدد أهداف الفريق الآخر، فهو الفائز والآخر مقصى من البطولة؛

وسيتضمن (الأداء) الفرضيات التّاليّة:

- التّحكم الكرويّ في كلّ أبعاده الفنيّة والتّكتيكيّة كالتّمريرات وامتلاك الكرة...
- الأداء حكم فنيّ على لعب فريق، لكن لا يؤهل ولا يقصي أيّ فريق من أيّة بطولة أو كأس...

وبمقارنة هذه المفاهيم بما هو موجود في الجهاز الاستنباطيّ من فرضيات، سيجد القارئ أنّ الجزائر انهزمت في النّتيجة، وبالتّالي فهي مقصاة من البطولة، فالعبرة ليست في الأداء؛ بل في النّتيجة، وإلى هذا الحد، يبدو أنّ الملفوظ حصيف، لكن قد يُثرى الفعل (سيحتفظ) إذا ما أُريد استخراج حصافة أكبر، لأنّ استعمال هذا الفعل من المدرب الوطنيّ السّابق رابح سعدان -مقارنة بفترة التّصريح-* إنّما لا يريد منه القول: إنّ التّاريخ سيسجل هذا الإقصاء من كأس إفريقيا سنة 2013م على يد منتخب الطّوغو؛ لكن يحيل به إلى الحسرة والمرارة التي يحس بها من هذا الإقصاء، وهو الذي لعب نصف نهائيّ مع الفريق الوطنيّ سنة 2010م؛ أي سنتين قبل ذلك فقط.

ويمكن في هذا الإثراء تلمس الجانب الصّدوي لكلام المدرب رابح سعدان؛ وذلك بربط هذا الملفوظ بالمحيط المعرفيّ العام، وحتى بما تناقلته الجريدة نفسها في صفحاتها الأخرى من أنّ المنتخب الجزائريّ لعب بشكل جيد، وكان أداءه

*- يُعد رابح سعدان أحسن مدرب جزائريّ، وربّما أحسن مدرب على المستوى العربيّ والإفريقيّ؛ فقد يكون المدرب العربيّ والإفريقيّ الوحيد الذي شارك في ثلاث (03) كؤوس عالميّة 1982م-1986م-2010م، كما أنّه حاز على الكثير من الألقاب الوطنيّة والإفريقيّة مع النّوادي الجزائريّة والعربيّة وخاصة في المغرب.

ممتازا لكن أقصي في نهاية المطاف! فكان ملفوظ المدرب رابح سعدان ردا أو صدى لمثل تلك الأحكام التي لا تبدو حصيفة بالنّسبة له، وهنا يظهر –أيضا– دور الموقف القضويّ في التّأويل، وهو ما سأناقشه في النّقطة المواليّة.

ويمكن أن يخرج القارئ، بعد هذا الإثراء، بشكل قضويّ، وهو الوارد في التّرسيمة رقم (57) أعلاه، ويمكنه أن يعتبره تأكيدا لحصافة الملفوظ التي افترضها في بداية القراءة، ويبدو لي أنّ حصافة ذلك الشّكل القضويّ مرتبطة –أيضا– بكونها نتيجة عامة للمقال الذي شرح فيه المدرب رابح سعدان أسباب إقصاء الجزائر من كأس إفريقيا سنة 2013م.

المبحث الثّانيّ: حصافة الأفعال الكلاميّة والنّصوص: سأحاول في هذا المبحث أن أفحص مستويات عليا من الخطابات وفقا لنظريّة الحصافة، وسأهتم –أساسا– بالأفعال الكلاميّة والنّصوص؛ مع إدراج مفاهيم أخرى من نظريّة الحصافة من مثل المواقف القضويّة...

الفرع الأول: حصافة الأفعال الكلاميّة: أشرتُ في الباب النّظريّ إلى أنّ نظريّة أفعال الكلام قد تعرضت إلى إعادة نظر، في إطار نظريّة الحصافة، وهو ما سأفحصه في ما يلي من خلال فِعْلَيْ الكلام (يقول إنّ) والاستفهام.

1: الفعل الكلاميّ (يقول إنّ): يمكن أن تُفهم حصافة الملفوظات، في أغلب أحوال المصرحات، انطلاقا من الشّكل القضويّ فقط؛ وهو حال الأمثلة السّابقة[*]، لكن هناك من الأوضاع ما يحتاج فيها التّأويل إلى معرفة الموقف من الشّكل القضويّ لتأسيس الحصافة، وهو ما سأقف الآن على شرحه.

I– الفعل الكلاميّ (يقول إنّ) في الأقوال الإعلانيّة والمواقف القضويّة: تُشكل أقوال الإعلان العاديّة نمطا طاغيّا في خطاب الصّحافة الرّياضيّة، وتحمل في طياتها مواقف متعددة؛ يمكن أن يُعبر عنها بوسائل مختلفة.

أ– فعل (القول إن) مقرون بالتّأكيد: قد يرد الفعل الكلاميّ (يقول إنّ) مقرونا بالتّأكيد في مثل ما يلي:

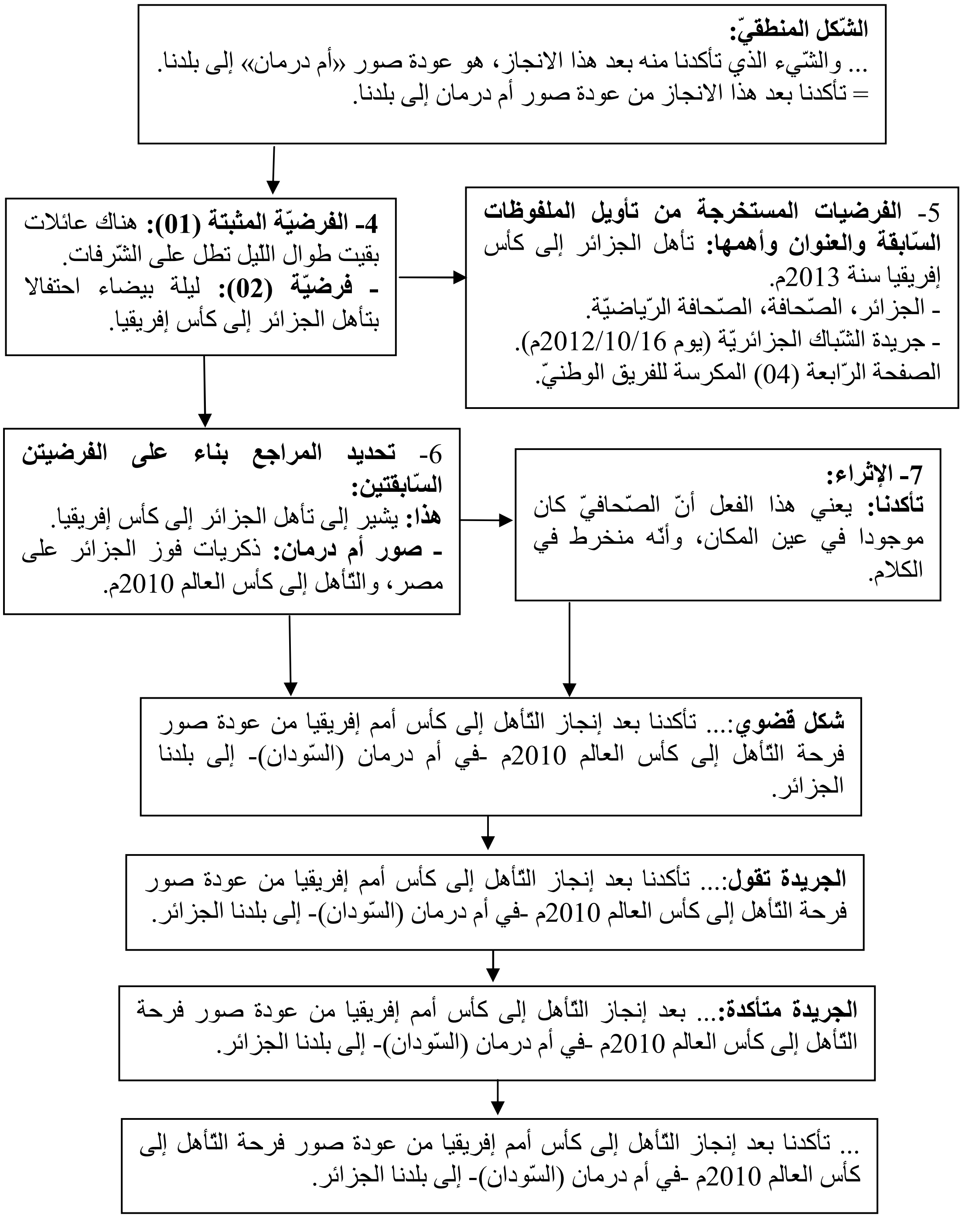
---

[*]– على الأقل كما طرحتُها؛ وأستثني المثال الأخير للمدرب رابح سعدان، الذي تحدثت فيه عن الصّدى.

51-... والشيء الذي تأكدنا منه بعد هذا الانجاز، هو عودة صور «أم درمان» إلى بلدنا...[1].

بعد افتراض الحصافة، والعمل على استخراج الشّكل المنطقيّ، ستأتي عمليات التّطوير الأخرى التي تبدو لي كالتّالي:

التّرسيمة رقم: 58



[1]- دون إمضاء:« اللاعبون يحتفلون بالتأهل مع الجمهور وحليلوزيتش يحمل على الأكتاف» الشّبّاك، 16 أكتوبر 2012م، ع: 1298، ص 24.

يبدو، من خلال هذه التّرسيمة* (رقم (58)) أنّ القارئ، بعد القيام بعمليات تحديد المراجع والإثراء يصل إلى الشّكل القضويّ (تأكدنا بعد إنجاز التّأهل إلى كأس أمم إفريقيا من عودة صور فرحة التّأهل إلى كأس العالم 2010م –في أم درمان (السّودان)– إلى بلدنا الجزائر) وهذا الشّكل القضويّ قد يكون كافيا للتّأويل في أحوال ما، لكن يمكن تطويره اختياريّا[1] وذلك في محاولة فهم الملفوظ؛ وفي هذه الحالة –طبعا– يكون القارئ إزاء الفعل الكلاميّ الذي يدخل في الرّسم (المتكلم يقول إنّ) وإذا وُضع الشّكل القضويّ المذكور في هذا الرّسم؛ أي (المتكلم يقول إنّ) الذي يشكل لدى (سبربر) و(ولسن) نوعا من أنواع أفعال الكلام؛ فإنّ الفرضيّة التي يصل إليها القارئ ستكون على الشّكل المبيّن في التّرسيمة المذكورة أعلاه، وهو:

- **الجريدة تقول:**... تأكدنا بعد إنجاز التّأهل إلى كأس أمم إفريقيا من عودة صور فرحة التّأهل إلى كأس العالم 2010م –في أم درمان (السّودان)– إلى بلدنا الجزائر.

والمُلاحَظ –هاهنا– أنّ الشّكل القضويّ الذي ذكرتُه ورد فيه الفعل (تأكد) منسوبا إلى الجريدة، ومن هنا يحق للقارئ أن يستنبط أنّ الجريدة لا تكتفي بمجرد (القول إنّ) بل هي متأكدة مما تقوله؛ أي يضع الفرضيّة الأخرى الموجودة في التّرسيمة السّابقة:

*– **الجريدة متأكدة:**... بعد إنجاز التّأهل إلى كأس أمم إفريقيا من عودة صور فرحة التّأهل إلى كأس العالم 2010م –في أم درمان (السّودان)– إلى بلدنا الجزائر.

ويمكن للقارئ، بعد هذا التّطوير، والوصول إلى هذا الموقف القضويّ للجريدة إزاء الشّكل القضويّ، أن يتقبل الفرضيّة الأخيرة؛ أي الفرضيّة المؤكدة، على أنّها حصيفة؛ بل يمكنه –وفي أغلب الحالات– أن يعتبر حتى (الجريدة تقول) حالة مؤكدة؛ وخاصة إن كان القارئ يثق كثيرا في الجريدة التي بين يديه؛ وأقصد هنا جريدة (الشّباك) وذلك انطلاقا من مصداقيتها وجهودها لإيصال الخبر، أما إذا كانت مصداقيتها مهزوزة لدى القارئ، فيبقى قبوله للفرضيّة قاصرا على (الجريدة تقول)

*– سأكتفي، انطلاقا من هذا المثال، بتبيان عمليات تحديد المراجع والإثراء فما فوق، رغبة في عدم التّطويل.

[1]- Dan Sperber, Deirdre Wilson, La pertinence…, p 270.

ولو قالت هي أنّها متأكدة، فسينسب التّأكد للجريدة؛ لكن يكتفي فقط بفرضيّة أنّ (الجريدة قالت) لاعتبارات المصداقيّة -كما قلت-، وهذا مرتبط أيّما ارتباط بمجموع تمثلات القارئ عن الجريدة؛ أي بمحيطه المعرفيّ الخاص.

ويمكن تحديد قول الإعلان -هاهنا- بشكل عرفانيّ -حسب نموذج (سبربر) و(ولسن)- بالقول: إن الملفوظ السّابق وصف لحالة الأشياء الواقعيّة وليست تمثيلا[*]، كما أنّه قول مباشر وليس ضمنيّ.

ب- فعل (القول إنّ) دون تأكيد: سأقف، في إطار فحص المواقف القضويّة وداخل نموذج الأفعال الكلاميّة (المتكلم يقول إنّ) الذي ذكرته سابقا، أمام هذا المثال الذي يتحدث عن نتيجة سلبيّة من نتائج مباريات كرة القدم؛ والمتمثل في ممارسة العنف في كلّ أبعاده، والمثال يقول:

52- تعرضت السفارة الجزائرية بليبيا نهار أمس إلى الاقتحام...[1].

ويمكن إجمال عمليات التّأويل التي يمكن أن ينجزها القارئ -حدسيّا- في التّرسيمة التّاليّة:

---

[*]- يُنظر التّرسيمة رقم (11) في الفصل الثّانيّ من الباب الأول.

[1]- ياسين ق:« ليبيون يقتحمون سفارة الجزائر بطرابلس، يحرقون العلم الوطني ويهينون شهداء الجزائر» الهدّاف، الثّلاثاء 16 أكتوبر 2012م، ع: 2229، ص 02.

التّرسيمة رقم: 59

الشّكل المنطقيّ:
تعرضت السّفارة الجزائريّة بليبيا نهار أمس إلى الاقتحام...
= تعرضت سفارة الجزائر بليبيا نهار أمس إلى الاقتحام...

4- **الفرضيّة المثبتة (01):** ليبيون يقتحمون السّفارة الجزائريّة، ويهينون رموز الجزائر.
فرضيّة (02): وجود فتنة.

5- فرضيات موجودة في المحيط المعرفيّ المشترك من تأهل الجزائر إلى كأس إفريقيا 2013م على حساب ليبيا.
- الجزائر، الصّحافة، الصّحافة الرّياضيّة.
- حرق العلم الجزائريّ من قبل الليبيين.
- جريدة الهدّاف الجزائريّة (يوم 2012/10/16م).
- الصّفحة الرّابعة (04) المكرسة للفريق الوطنيّ.

6- **تحديد المراجع بناء على الفرضيتين السّابقتين:**
أمس: تعني اليوم السّابق عن وقت الحديث، وهنا هو يوم 15 أكتوبر 2012م وبعد نهاية مباراة الجزائر ليبيا بالضّبط.

7- **الإثراء:**
تعرض: هو حدوث شيء لكيان ما لكن يحمل معنى بشكل مفاجئ –هنا-.
اقتحام: بمعنى أنّ الأمر ليس مجرد دخول؛ بل هو –هنا- الدّخول بالقوة.

شكل قضويّ: تعرضت سفارة الجزائر بشكل مفاجئ نهار 15 أكتوبر 2012م، وبعد نهاية مباراة الجزائر ليبيا بالضّبط، إلى الاقتحام أو الدّخول بالقوة...

ياسين ق. يقول: تعرضت سفارة الجزائر بشكل مفاجئ نهار 15 أكتوبر 2012م، وبعد نهاية مباراة الجزائر ليبيا بالضّبط، إلى الاقتحام أو الدّخول بالقوة...

ياسين ق. يؤمن: تعرضت سفارة الجزائر بشكل مفاجئ نهار 15 أكتوبر 2012م، وبعد نهاية مباراة الجزائر ليبيا بالضّبط، إلى الاقتحام أو الدّخول بالقوة...

تعرضت سفارة الجزائر بشكل مفاجئ نهار 15 أكتوبر 2012م، وبعد نهاية مباراة الجزائر ليبيا بالضّبط إلى الاقتحام أو الدّخول بالقوة...

تنتهي عمليّة التّأويل الأوليّة دائما –كما سلف– إلى شكل قضويّ، وذلك بعد افتراض الحصافة، والعمل على استخراج الشّكل المنطقيّ، وعمليات التّطوير الأخرى كتحديد المراجع والإثراء، كما هو مبيّن في التّرسيمة رقم (59) أعلاه، وفي حالة الإعلانات يكون الملفوظ موجودا في الشّكل القضويّ، وهو حال هذا المثال الذي أدرسه، وفي

عمليات التّطوير –دائما– يُحدد القارئ الموقف القضويّ الوارد في الملفوظ، وذلك لإيجاد الأسباب التي تكمن وراء اعتقاد المتكلم أنّ الملفوظ سيفهمه المتلقي، في السّياق المعرفيّ المشترك، على أنّه أحسن مثير مُعبر عن الفكرة التي يريد إيصالها له.

وسيستخرج القارئ، كما سلف الذّكر، المصرحة:

*– **ياسين ق. يقول:** تعرضت سفارة الجزائر بشكل مفاجئ نهار 15 أكتوبر 2012م، وبعد نهاية مباراة الجزائر ليبيا بالضبط، إلى الاقتحام أو الدّخول بالقوة..

ويبدو أنّ هذه المصرحة تحتفظ بالشّكل القضويّ؛ لكنها تنسب الكلام إلى قائله –وإن كان المعتاد أن يُنسب الكلام إلى الجريدة وليس إلى الصّحافيّ–، وفي هذه الحالة، يمكن للقارئ أن يستخرج مستلزمات سياقيّة أخرى، انطلاقا من محيطه المعرفيّ العام مثل الفرضيات:

أ– الصّحافيّ لا يكذب.

ب– الصّحافيّ يقول ما تأكد منه...

أو –بشكل عام– كلّ ما له علاقة بمصداقيّة الخبر الصّحافيّ، وسيصل إلى فكرة أنّ الصّحافيّ يؤمن بالشّكل القضويّ السّالف؛ رغم أنّه لم يقل ذلك جهرا أو نصّا؛ لكن المحيط المعرفيّ يشجع على ذلك، بل قد يشجع على أكثر من ذلك؛ في سبيل تأكيد حصافة الملفوظ، كأن يتقبل القارئ –إن كان واثقا جدا من كلام الصّحافيّ– فرضيّة: (تعرضت سفارة الجزائر بشكل مفاجئ نهار 15 أكتوبر 2012م، وبعد نهاية مباراة الجزائر ليبيا بالضّبط، إلى الاقتحام أو الدّخول بالقوة...) أي ليس فقط (الصّحافيّ قال إنّ) أو (يؤمن أنّ) بل حدث الشّكل القضويّ فعلا في الواقع، والقارئ –هاهنا– إنّما وصل إلى هذه الدّرجة القصوى من الحصافة بالاعتماد على الشّكل القضويّ للملفوظ، ومحيطه المعرفيّ الخاص المتمثل في مجموع الذّاكرات التي يمتلكها وخاصة الذّاكرة الموسوعيّة.

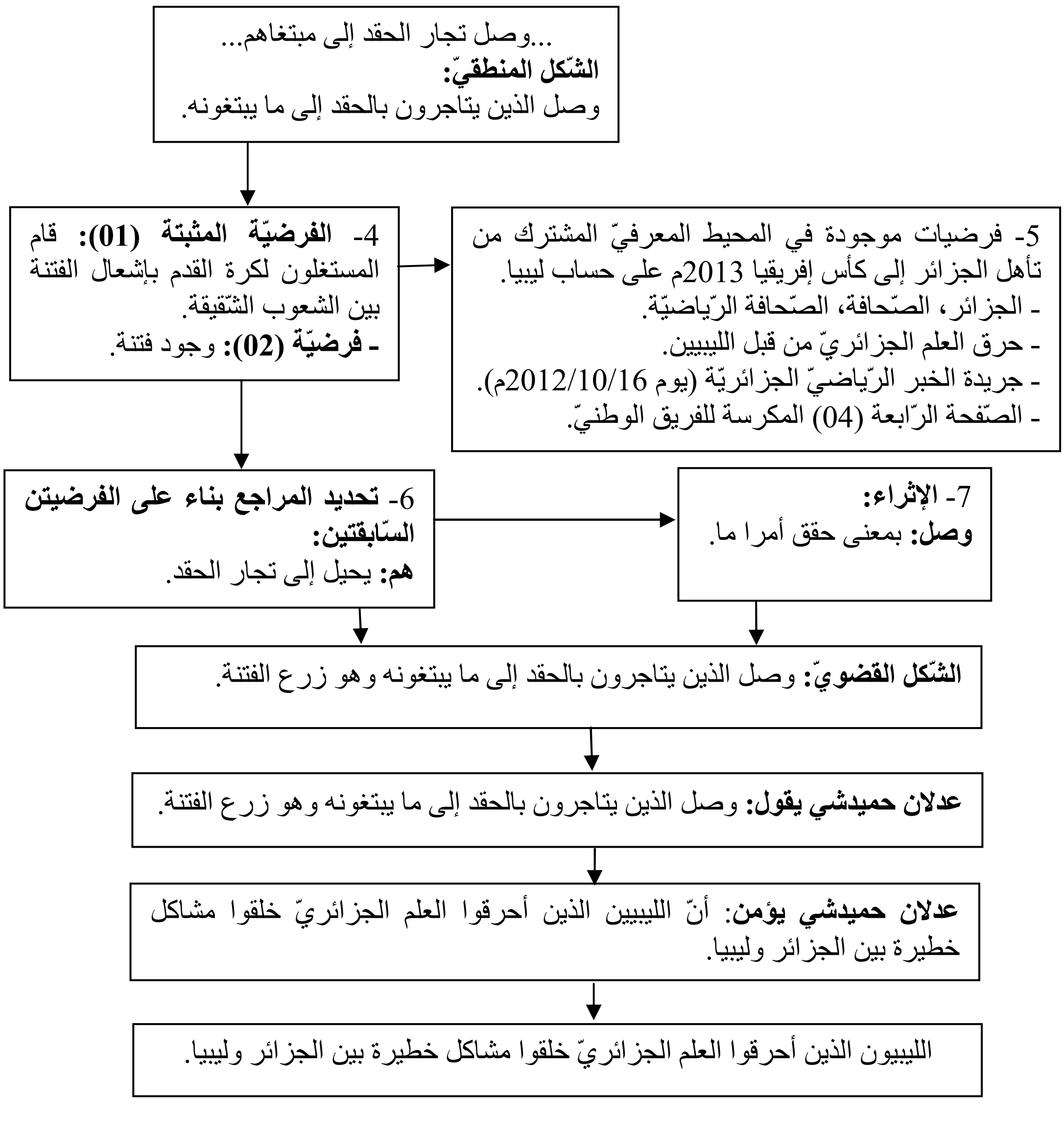
II: الفعل الكلاميّ (يقول إنّ) في الموقف الاستعاريّ والمواقف القضويّة: تابعت في السّابق حصافة الفعل الكلاميّ (المتكلم يقول إنّ) في صيغ إعلانيّة، أما في هذه

النّقطة، فسأحاول أن أعرض أوضاعا حيث يكون الفعل (المتكلم يقول إنّ) لا حصافة له إلا بربطه بالموقف الإستعاريّ، فلنلاحظ معًا المثال التّالي:

53-... وصل تجار الحقد إلى مبتغاهم...[1].

يقوم القارئ في بحثه عن حصافة هذا الكلام، بعد افتراض حصافته طبعا، بالعمليات التّالية:

التّرسيمة رقم: 60



يُفترض أن يصل القارئ، بعد تحديد الشّكل المنطقيّ وتحديد المراجع والإثراء، إلى الشّكل القضويّ المذكور؛ وهو (وصل الذين يتاجرون بالحقد إلى ما يبتغونه، وهو

[1]- عدلان حميدشي:« ضربة حرة (الجلد المنفوخ يشعل نار الفتنة)» الخبر الرّياضيّ، الثّلاثاء 16 أكتوبر 2012م، ع: 866، ص 02.

زرع الفتنة) وإذا أراد القارئ البحث عن حصافة أكثر ثراء؛ يمكنه أن يُطوّر هذا الشّكل القضويّ بالاعتماد على الرسم (المتكلم يقول إنّ) الذي يستخرج منه المصرحة المذكورة في التّرسيمة رقم (60) أعلاه؛ والتي تبدو منطقيّة في المحيط المعرفيّ للمتكلم؛ وهو الصّحافيّ عدلان حميدشي أو الجريدة بالنّسبة لعامة القرّاء لأنّهم لا يميّزون –عادة– بين المتلفظين؛ وإن كان حضور الصّحافيّ –هنا– واضح جدا؛ بوجود اسمه، وبريده الالكترونيّ، وصورته –أيضا– وهو مدير نشر الجريدة.

ويمكن للقارئ أن يفترض، بناءً على المحيط المشترك بينه والصّحافيّ، العديد من الفرضيات منها التي ذكرتُها في التّرسيمة، وهذه الفرضيات تستدعي مستلزمات سياقيّة أهمها:

- (عدلان حميدشي يؤمن أنّ اللّيبيين الذين أحرقوا العلم الجزائريّ خلقوا مشاكل خطيرة بين الجزائر وليبيا).

ويُلاحظ –هاهنا– أنّ هذه المستلزمة التي يتقبلها القارئ؛ وهي بيان الحصافة في الملفوظ المذكور أو تأكيد لموافقة ملفوظ (عدلان حميدشي) لمبدأ الحصافة، لا تتضمن البتة الشّكل القضويّ الذي استخرجته أعلاه، وهذا ما يُخرج التّحليل –طبعا– من المصرحات إلى المتضمنات، وهذه المستلزمة تفك للقارئ الصّيغة الإستعاريّة (تجار الحقد) لكي يفهم منها أنّه يقصد الذين أتوا العمل الشّنيع المتمثل في إحراق العلم الوطنيّ الجزائريّ في ليبيا، وهذا ليس متأت للقارئ إلا بربط الأمر بالمحيط المعرفيّ المشترك، والذّاكرة الموسوعيّة لاستعمالات الصّيغة (تجار الحقد) التي يمكن أن يرد فيها (الذين يحرقون أعلام البلدان لخلق القلاقل والمشاكل).

ويمكن للقارئ، إن كان يثق في مصداقيّة الجريدة (الخبر الرّياضيّ –هنا–) وعدلان حميدشي بالضّبط؛ بصفته صحافيّا له ما له من حظوة في الجريدة، أن يستخرج مستلزمة سياقيّة أخرى أكثر حزما على مسؤوليته، وليس على مسؤوليّة الصّحافيّ أو الجريدة، باعتبارها مستلزمة ضعيفة؛ لكن موجودة، وهي:

- (اللّيبيون الذين أحرقوا العلم الجزائريّ خلقوا مشاكل خطيرة بين الجزائر وليبيا).

ويتحمل القارئ –هنا– التّأويل، ويعتبر، كتحصيل حاصل، أنّ الملفوظ قد وصل إلى أقصى درجات الحصافة الممكنة لديه، في إطار السّياق المعرفيّ المفتوح بالنّسبة إليه.

2: الفعل الكلاميّ الاستفهاميّ: يُميّز (سبربر) و(ولسن) بين نوعين من الاستفهامات[1]؛ أحدهما هو الاستفهام التّام (Totale) وهي الأسئلة التي تكون أشكالها المنطقيّة قضويّة؛ وتقبل الإجابة بنعم أو لا، والأسئلة السّطحيّة (Partielle) التي تكون أشكالها المنطقيّة غير قضويّة[*]، وهو ما سأحاول اعتماده كمرجعيّة لتحليل الاستفهام في الخطاب الصّحافيّ الرّياضيّ بمنظور نظريّة الحصافة، وخاصة أنّ الاستفهام يلعب دورا مهما في الصّحافة –كما قلتُ سلفا–؛ لأنّه محور المقالات الحواريّة، كما يرد حتى في المقالات غير الحواريّة، وخاصة منها مقالات الرأي.

I– الاستفهام التّام (المتكلم يطلب إذا): ينتشر ورود هذا النّوع من الاستفهامات في المقالات الحواريّة؛ وهي المكان الطبيعيّ لورود الأسئلة بكثرة؛ ففيها يتجاذب الصّحافيّ والشّخصيّة المستجوَبة أطراف الحديث في مسائل ذات الصّلة بموضوع السّاعة، ومن أمثلة الاستفهامات التّامة الواردة في العيّنة السّؤال التّالي:

54– هل تريد لعب أول كأس أمم[♣] إفريقيا؟[2]

أخذتُ هذا السّؤال من حوار بين لاعب المنتخب الوطنيّ الجزائريّ (رياض بودبوز) وصحافيّ جريدة الهدّاف (هـ. مراد) والذي ورد طرحه في السّياق السّابق؛ أي تأهل الجزائر إلى كأس إفريقيا للأمم 2013م على حساب المنتخب اللّيبيّ، أما من حيث تحليله بمنظور نظريّة الحصافة، فيمكن التّمثيل لعمليات تأويله بالتّرسيمة التّالية:

---

[1]- Dan Sperber, Deirdre Wilson, La pertinence…, p 278.

[*]– قد يكون هناك مشكل في التّرجمة –هاهنا– من الانجليزيّة والفرنسيّة أو خلل آخر لم أحدده؛ أظن أنّ المقصود من كلام اللّغويين هو أنّ الشّكل القضوي غير مكتمل أو التّأويل ناقص يحتاج إلى عمليات أخرى، وليس غير قضويّ.

[♣]– وردت هذه الكلمة على صيغة (أمام) لكن يبدو لي أنّه خطأ مطبعيّ.

[2]– هـ. مراد:« بودبوز:" حليلوزيتش غضب بسبب وصولي متأخرا وهو ما جعله يبعدني إلى المدرجات» الهدّاف، 16 أكتوبر 2012م، ص 05.

التّرسيمة رقم: 61

هل تريد لعب أول كأس أمم إفريقيا.
الشّكل المنطقيّ:
هل تريد (أنت) لعب كأس أمم إفريقيا.

4- **الفرضيّة المثبتة (01):** حاليلوزيتش لم يُشرك (بودبوز) في المباراة.
- **فرضيّة (02):** (بودبوز) سعيد بتأهل الفريق الوطنيّ الجزائري وتقاسم الفرحة مع زملائه.

5- فرضيات موجودة في المحيط المعرفيّ المشترك مثل تأهل الجزائر إلى كأس إفريقيا 2013م على حساب ليبيا.
- الجزائر، الصّحافة، الصّحافة الرّياضيّة.
- جريدة الهدّاف الجزائريّة (يوم 2012/10/16م).
- الصّفحة الخامسة (05) المكرسة للفريق الوطنيّ.

6- **تحديد المراجع بناء على الفرضيتن السّابقتين.**
- **كأس أمم إفريقيا:** يعني كأس أمم إفريقيا في كرة القدم المقبلة؛ أي سنة 2013م.
- **أنت:** هو رياض بودبوز.

الشّكل القضويّ: هل تريد يا (رياض بودبوز) لعب كأس أمم إفريقيا لكرة القدم المقبلة؛ أي سنة 2013م.

الصّحافيّ (هـ مراد) **يطلب** من (رياض بودبوز) **إذا** كان يريد أن يلعب كأس أمم إفريقيا لكرة القدم المقبلة؛ أي سنة 2013م.

يجب الإشارة –بدءا– إلى أنّ هذا السّؤال موجه –هاهنا– إلى لاعب، وفور تلقيه له يقوم بعملية تأويليّة لفهمه، كما أنّ القارئ –أيضا– يقرأ هذا السّؤال ثم يقوم بعملياته التّأويليّة؛ لكن سأهتم في ما يلي بالقارئ بشكل عام؛ وليس اللاّعب في حد ذاته، وهذا لا يعني إقصاء مثل هذا التّحليل؛ بل سأعود في الأمثلة اللاّحقة إلى ذلك –متى تسنى لي الأمر–.

وسينطلق تأويل القارئ بعمليات تحديد المراجع واستخراج الشّكل القضويّ؛ كما هو مبيّن في التّرسيمة (رقم (61)) أعلاه، لكن الأمر لن يقف عند هذا الحد؛ بل سيتعداه إلى محاولة فهم الملفوظ، وما يرمي إليه، ويكون ذلك بوضع الشّكل القضويّ في الوصف (المتكلم يطلب إذا) الذي يمثل الأسئلة التّامة –كما قلت سابقا–، وسيصل القارئ العاديّ إلى أنّ الأمر ممكن، وإجابة اللاعب في حد ذاتها، في ما بعد، تثبت

ذلك حيث بدأ إجابته بالوحدة (بالطّبع) ثم أضاف أشياء أخرى، لكن الوحدة المذكورة تكفي لوحدها كإجابة عن السّؤال.

وترتبط حصافة هذا السّؤال، كما يشير إليه (سبربر) و(ولسن) بصدق الفكرة التي يُعبر عليها الملفوظ المُدمج داخل رسم الفرضيّة، وبالنّظر إلى إجابة اللاعب رياض بودبوز؛ وهي (بالطّبع) فالفكرة التي عبّر عليها الشّكل القضويّ والمدمجة في السّؤال حصيفة فعلا.

ولا بد من الإشارة، مرة أخرى، إلى أنّ الاستفهام التّام كثير الورود في الخطاب الصّحافيّ الرّياضيّ؛ لكنّه لا يضاهي الاستفهام السّطحيّ من حيث الانتشار، كما يجب التّأكيد على أنّ الاستفهام التّام إنّما يبحث فيه المتكلم عن المعلومة، وهو ما يوافق تماما نظرة نظريّة أفعال الكلام التي سبق شرحها في الفصل النّظريّ، فالاستفهام بهذا المفهوم (أي التّام) يدخل في أفعال طلب المعلومات أو الطلبيات، لكن الاستفهام السّطحيّ قد لا يدخل في هذا النّوع؛ وهو ما سأفحصه في النّقطة المواليّة.

II-الاستفهام السّطحيّ (يطلب م)*: يُشكل الاستفهام السّطحيّ أنواعا كثيرة من الاستفهامات، وقد يرد في المقالات الحواريّة أو غير الحواريّة، وهو ما سأحاول دارسته في هذه النّقطة من العمل.

أ- الأسئلة السّطحيّة في المقالات الحواريّة: تُعد المقالات الحواريّة نمطا مستقلا من الكتابة الصّحافيّة -كما قلتُ في البّاب النّظريّ-، ويُشكل فيها السّؤال عنصرا محوريّا لدرجة لا يمكن تخيُّل حوار صحافيّ دون أسئلة، فإذا فقد الحوار أسئلته أصبح ركاما من المعلومات لا جدوى منها، ويمكن، على الأقل، أن تتغير طبيعته باعتباره خطابا؛ كأن يصبح مجرد سرد للمعلومات. ويلعب السّؤال في المقالات الحواريّة دور العنوان الفرعيّ تقريبا حيث يحدد الموضوع الفرعيّ الذي يليه، وفي سبيل تحليله، وفق أطروحات نظريّة الحصافة، سأنطلق من المثال التّالي:

---

*- يعني (سبربر) و(ولسن) ب(م) في (يطلب م) متى وماذا... وهذه الميم رمز فقط ليس بداية حتمية للأسئلة، لأنّه يمكن أن يكون الفعل الكلاميّ على الصّيغة (يطلب كيف) أي البدايّة بالكاف.

55- ما قولك في تأهل الجزائر على حساب منتخب بلادك؟[1]

ورد هذا السّؤال في الجريدة نفسها (الهدّاف) وقد طرحه الصّحافيّ نفسه (هـ. مراد) وبالمناسبة نفسها؛ أي تأهل الجزائر لكأس إفريقيا للأمم 2013م على حساب منتخب ليبيا، لكن طُرح على لاعب آخر هو اللاعب اللّيبي أحمد الزوي، ويمكن تمثيل العمليات التي يقوم بها القارئ في سبيل تأويل هذا الملفوظ كالتّالي:

التّرسيمة رقم: 62

ما قولك في تأهل الجزائر على حساب منتخب بلادك؟
الشّكل المنطقيّ:
ما قولك (أنت) في تأهل الجزائر على حساب منتخب بلادك (أنت)؟

↓

5- فرضيات موجودة في المحيط المعرفيّ المشترك مثل تأهل الجزائر إلى كأس إفريقيا 2013م على حساب ليبيا.
- الجزائر، الصّحافة، الصّحافة الرّياضيّة.
- جريدة الهدّاف الجزائريّة (يوم 2012/10/16م).
- الصّفحة السّادسة (06) المكرسة للفريق الوطنيّ.

→

4- **الفرضيّة المثبتة (01):** الزوي هنأ لاعبي المنتخب الجزائريّ على فوزهم.
- **فرضيّة (02):** لم يتحمل الزوي تصرفات الجمهور الجزائريّ، فرد عليهم بتصريحات سياسيّة خارجة عن النّطاق الرّياضيّ.

↓

6- **تحديد المراجع بناء على الفرضيتن السّابقتين:**
- **بلادك:** بلد أحمد الزوي؛ وهو ليبيا.

↓

الشّكل القضويّ: ما قولك (أنت) في تأهل الجزائر على حساب منتخب بلادك (ليبيا)؟

↓

الصّحافيّ (هـ. مراد) **يطلب** من اللاعب أحمد الزوي أن يدلي برأيه في تأهل الجزائر على حساب منتخب بلاده (ليبيا)؟

يُمثل هذا السّؤال المثال النّموذجي للاستفهام السّطحيّ الذي لا يقبل الإجابة بنعم أو لا؛ أي إنّه يستدعي نوعا من الإجابات المطوّلة التي قد تتطلب شرحا وحجاجا... أما من حيث تفسير آليات تأويل القارئ له (وحتى اللاعب إن كان قد سمعه بهذه الصّيغة) فيبدو لي أنّ الآليات لن تختلف كثيرا عن السّؤال التّام –الذي عرضته

---

[1]- هـ. مراد:« أحمد الزوي:" مبروك للرياضيين الجزائريين، لكن أبدا لن أناصر الجزائر» الهدّاف، 16 أكتوبر 2012م، ص 06.

سابقا-، وذلك يعود إلى ارتباط حصافة هذا السّؤال بصدق الفكرة التي يُعبر عنها الشّكل القضويّ الذي استخرجته؛ إذا ما قورن بالإجابة التي سيقدمها المجيب، وهذا الأمر مرتبط -أيضا- بكون هذا السّؤال يبحث عن المعلومة؛ أي إنّه سؤال عاديّ يدخل في نمط الأفعال الطلبيّة بمنظور نظريّة أفعال الكلام التّقليديّة (عند سورل).

ويُلاحظ في التّرسيمة رقم (62) أنّ وضع الشّكل القضويّ المستخرج في رسم الفرضيّة (المتكلم يطلب من... أن...) يجعل القارئ يعتقد أنّ السّؤال حصيف في حد ذاته، لكن يمكن أن تزداد حصافته إذا أيدتها الإجابة؛ وخاصة إن ورد فيها رأي، أو تم التّفصيل فيه؛ مما يوحي للقارئ أنّ السّؤال جدير بالطّرح في هذا المقال، وهذا ما حدث -فعلا- حيث شرح الزوي موقفه من اللّقاء، ولم يرفض مثلا الإجابة عن السّؤال[*]؛ فلو فعل ذلك لأصبح السّؤال غير حصيف.

وسأحاول، في ما تبقى من تحليلي للأسئلة، أن أقدم نماذج من الأفعال الاستفهاميّة التي ليست بحثا على معلومة بالضّرورة، بل هي أنماط متعددة من الاستفهامات؛ يختلف منظور حصافتها عما قدمته سابقا، وليكن المثال التّالي أول هذه الأنماط:

56- هذا يعني أنك تتهم الحكم الغيني بانغورا بالتحيز لصالح الخضر؟[1]

طُرح هذا السّؤال على اللاعب نفسه (أحمد الزوي) وبالمناسبة نفسها؛ أي تأهل الجزائر إلى نهائيات كأس أمم إفريقيا لسنة 2013م، لكن هذه المرة من قِبل الصّحافيّ (رفيق حريش) من جريدة (الخبر الرّياضيّ) الجزائريّة، ويمكن تمثيل عمليات التّأويل الممكنة لهذا السّؤال وفق التّرسيمة التّالية:

---

[*]- لابد من الإشارة، مرة أخرى، إلى أنّ هذا اللّقاء عرف غضبا شديدا من قبل اللّيبيين إثر استعمال الجماهير الجزائريّة لكلمة (الجرذان) في هتافاتهم، وهي كلمة لها وقع كبير على اللّيبيين لاتصالها بالخطابات الأخيرة للرئيس اللّيبي معمر القذافي الذي اُغتيل في تلك الفترة؛ أثناء اضطرابات كبيرة في ليبيا؛ لازالت ارتداداتها تهز الشّعب اللّيبي الشّقيق إلى يومنا هذا.

[1]- رفيق حريش:« أحمد الزوي:" عيب ما قام به جمهوركم ولن نناصركم في الكان» الخبر الرّياضيّ، 16 أكتوبر 2012م، ص 06.

التّرسيمة رقم: 63

هذا يعني أنّك تتهم الحكم الغينيّ بانغورا بالتّحيّز لصالح الخُضر؟
الشّكل المنطقيّ:
هذا يعني أنّك (أنت) تتهم الحكم الغينيّ بانغورا بالتّحيّز لصالح الخُضر؟

5- فرضيات موجودة في المحيط المعرفيّ المشترك مثل تأهل الجزائر إلى كأس إفريقيا 2013م على حساب ليبيا.
- الجزائر، الصّحافة، الصّحافة الرّياضيّة.
- جريدة الخبر الرّياضيّ الجزائريّة (يوم 2012/10/16م).
- الصّفحة السّادسة (06) المكرسة للفريق الوطنيّ.

4- **الفرضيّة المثبتة (01):** الزوي هنأ لاعبي المنتخب الجزائريّ على استقبالهم.
- فرضيّة (02): تساءل عن تحيّز الحكم لصالح المنتخب الجزائريّ.

6- **تحديد المراجع بناء على الفرضيتن السّابقتين:**
- هذا: الكلام السّابق.
- **الخُضر:** لقب من ألقاب المنتخب الجزائريّ لكرة القدم.
- ك (أنت): هو أحمد الزوي أو المستَجوَب.

7- الإثراء:
- **التّحيّز**: التّحيّز في هذا الملفوظ لا يعني الميل فقط، بل قد يصل في مداه إلى إقصاء الفريق اللّيبيّ؛ بما أنّه أثر في النّتيجة.

الشّكل القضويّ: هذا (أي كلامك السّابق) يعني أنّك (أنت أحمد الزوي) تتهم الحكم الغينيّ بانغورا بالتّحيّز لصالح الخُضر؛ أي الفريق الوطنيّ الجزائريّ.

الصّحافيّ (رفيق حريش) **يطلب من** اللاعب أحمد الزوي **أن يؤكد** اتهامه للحكم الغينيّ بانغورا بالتّحيّز لصالح الخُضر؛ أي الفريق الوطنيّ الجزائريّ.

لا تبدو عمليات استخراج الشّكل القضويّ مختلفة عن الأمثلة السّابقة من حيث استخراج الشّكل المنطقيّ، وعمليات تحديد المراجع، والإثراء... إلى غاية وضع الشّكل القضويّ:(هذا (أي كلامك السّابق) يعني أنّك (أنت أحمد الزوي) تتهم الحكم الغينيّ بانغورا بالتّحيّز لصالح الخُضر؛ أي الفريق الوطنيّ الجزائريّ) لكن يمكن الملاحظة أنّ هذا الشّكل القضويّ ناقص نوعا ما؛ فيبدو أنّه كلام تقريريّ؛ وليس استفهاما، كما أنّه مختلف عن الأسئلة العاديّة حيث لا يتضمن طلب معلومة كالمعتاد، لذلك يجب وضع هذا الشّكل القضوي النّاقص في الرّسم (المتكلم يطلب م) الخاص بالأسئلة السّطحيّة لمعرفة علاقته بالاستفهام.

يُلاحظ، بعد إدماج الشّكل القضويّ في رسم الفرضيّة الخاص بالأسئلة السّطحيّة، أنّ الطّلب –هاهنا– يتجه إلى تأكيد معلومة؛ وليس المعلومة في حد ذاتها

كما هو معروف الأفعال الإنشائيّة الطّلبيّة، لأنّ اتهام الحكم من قبل اللّيبيين، واللاعب نفسه، معلومة موجودة في المحيط المعرفيّ المشترك للصّحافيّ واللاعب، وهو موجود كفرضيّة مثبتة في الجهاز الاستنباطيّ للصّحافيّ نفسه واللاعب والقارئ؛ لأنّها موجودة في الإجابة السّابقة من المقال نفسه حيث يقول اللاّعب:

نعم أنا أشكر لاعبي المنتخب الجزائري الذين استقبلونا أحسن استقبال... ورغم أنهم تفوقوا علينا في الكرة إلا أنني لا أعرف سبب من(ح)* الحكم الأولوية لهم وهم الذين كانوا قادرين على تحقيق الفوز دون مساعدة منه.

فالمعلومة موجودة ومعروفة لدى الجميع (اللاعب والقارئ والصّحافيّ) لذلك يبدو لي أنّ الغرض من السّؤال هو تأكيد المعلومة السّابقة؛ لكن قد يتساءل المرء عن حصافة هذا السّؤال عند هذا الحد من التّحليل؛ فكيف يمكن اعتبار طلب تكرار المعلومات حصيفا؟ يمكن القول إنّ المتكلم (الصّحافيّ هنا) يعتقد أنّ الإجابة التي سيقدمها المجيب (أحمد الزوي) حصيفة بالنّسبة للمجيب نفسه أو لمن يتوجه إليه السّؤال والقارئ –أيضا–، ومعلوم أنّ الصّحافة هي منبر المستجوَبين في المقالات الحواريّة؛ وتتوجه إلى القرّاء في الوقت نفسه، وفي حال هذا السّؤال؛ فكأنّما هناك ما يشبه التّذكير بالموقف، وليس الموقف في حد ذاته؛ لأنّ الموقف سبق التّعبير عنه في الإجابة السّابقة –كما قلت–، والإجابة التي قدمها المجيب (اللاعب أحمد الزوي) في ما بعد على هذا السّؤال الذي أحلله تؤكد ما ذهبتُ إليه حيث قال:

ليس هذا فحسب، أظن أن الكاف أخطأت العنوان عندما عينت حكما مغمورا وضريرا...

فاللاعب ذكّر وأكد موقفه –هاهنا– بما لا يدع الشّك يتسلل إلى ذهن القارئ، ثم أضاف أدلة أخرى على موقفه.

ب– الأسئلة السّطحيّة في المقالات غير الحواريّة (المقال الصّحافيّ والمقال الممزوج): عرضتُ –في ما سبق– أسئلة مأخوذة من مقالات حواريّة يكون فيها السّؤال محورا مهما من محاور المقالة، لكن سأحاول، في ما يلي، عرض نماذج من

---

*– هناك خطأ مطبعيّ في هذا الموضع؛ أي الوحدة (منح) فوردت مبتورة من الحاء في الجريدة، لكني أوّلتها حسب السّياق فقط.

الأسئلة التي ترد في مقالات غير حواريّة حيث لا يشكل السّؤال ممرا ضروريا لبناء الخطاب، فليكن المثال التّالي أول نموذج لذلك:

57- أتذكر جيدا يوم عودتي من القاهرة في نوفمبر 2009 بعد لقاء الخضر ضد الفراعنة، مررت على طرابلس وبالمطار مكثت ساعتين أو ثلاث، وكان الجميع يحيي رفقاء حليش وتضامن الليبيون معنا بشكل كبير... وتمنى كل الليبيين تأهل الجزائر في لقاء أم درمان، فمن الذي أقلب الأمور رأسا على عقب وجعل مناصر المنتخب الليبي يحقد على الجزائري بهذا الشكل؟...[1]

أخذتُ هذا المقطف في عمود (عدلان حميدشي) صحافيّ ومدير تحرير جريدة الخبر الرّياضيّ الجزائريّة الصّادر بالمناسبة نفسها -التي كنت أتحدث عنها سابقا-؛ وهي تأهل الجزائر إلى كأس إفريقيا للأمم لسنة 2013م، ويبدو جليا من خلال المقتطف أنّ السّؤال لم يرد في مقالة حواريّة، بل أُدرج في (مقالة صحافيّة) -حسب تصنيفي في الفصل الأول من البّاب الأول لهذا العمل-، فبعد حديث الصّحافيّ عن موقف أنصار المنتخب اللّيبيّ الذين ساندوا المنتخب الجزائريّ؛ غداة اعتداءات المصريين عليه في المباراة التي جمعتهما سنة 2009م[*]، تساءل الصّحافيّ عن الشّخص أو الكيان الذي استطاع أن يغيّر هذه المساندة للمنتخب الجزائريّ إلى عداء شديد. ويمكن تمثيل عمليات تأويل حصافة هذا السّؤال كالتّالي:

---

[1]- عدلان حميدشي:« ضربة حرة (الجلد المنفوخ يشعل نار الفتنة)» الخبر الرّياضيّ، 16 أكتوبر 2012م، ص 02.

[*]- سأعود إلى الحديث عن هذه المباراة في الأمثلة اللاّحقة، وأشير فقط أنّ الجزائر انهزمت في تلك المباراة في مصر، لكنّها تأهلت في ما بعد على حسابها إلى كأس العالم 2010م.

التّرسيمة رقم: 64

فمن الذي أقلب الأمور رأسا على عقب وجعل مناصر المنتخب اللّيبيّ يحقد على الجزائريّ بهذا الشكل؟
الشّكل المنطقيّ:
من الذي أقلب الأمور رأسا على عقب وجعل مناصر المنتخب اللّيبيّ يحقد على الجزائريّ بهذا الشكل؟

4- **الفرضيّة المثبتة:** مساندة المناصرين اللّيبيين للجزائر بعد اعتداء المصريين على المنتخب الوطنيّ الجزائريّ سنة 2009م.

5- فرضيات موجودة في المحيط المعرفيّ المشترك مثل تأهل الجزائر إلى كأس إفريقيا 2013م على حساب ليبيا.
- الجزائر، الصّحافة، الصّحافة الرّياضيّة.
- جريدة الخبر الرّياضيّ الجزائريّة (يوم 2012/10/16م).
- الصّفحة الثّانيّة (02) المكرسة للفريق الوطنيّ.

6- **تحديد المراجع بناء على الفرضيات السّابقة:**
- من الذي: شخص مسؤول عن الأحداث الدّاميّة التي عرفتها سفارة الجزائر في ليبيا.
- بهذا: الكلام السّابق (اقتحام سفارة الجزائر، وحرق العلم الوطنيّ الجزائريّ...).

7- الإثراء:
- أقلب الأمور رأسا على عقب: هذه صيغة جامدة تعني تغيُّر الأحوال من النّقيض النّقيض، وهنا تحمل معنى التّعجب، وربما الحسرة -أيضا- على الأوضاع.

الشّكل القضويّ: من الذي (أي الشّخص المسؤول عن الأحداث الدّامية التي عرفتها سفارة الجزائر في ليبيا) أقلب الأمور رأسا على عقب بهذا الشّكل العجيب والمخزي، وجعل مناصر المنتخب اللّيبيّ يحقد على الجزائريّ بهذا الشّكل (أي اقتحام السّفارة الجزائريّة وحرق العلم الجزائريّ)؟

الصّحافيّ (عدلان حميدشي) **يطلب من** مستجوَب وهمي تعريفه بالشّخص المسؤول عن الأحداث الدّاميّة التي عرفتها سفارة الجزائر في ليبيا والتي قلبت الأمور رأسا على عقب بشكل عجيب ومخزي، وجعلت مناصري المنتخب اللّيبيّ يحقدون على الجزائريّ، فاقتحموا السّفارة الجزائريّة وأحرقوا العلم الجزائريّ.

لا يشذ هذا المثال عن الأمثلة السّابقة من حيث عمليات البحث عن الحصافة المفترضة، فلا بد أنّ القارئ سيَمُر عبر مراحل استخراج الشّكل المنطقيّ، وإجراء عمليات تحديد المراجع، والإثراء، وخاصة على مستوى الصّيغة الجامدة (أقلب الأمور رأسا على عقب) ثم يصل إلى الشّكل القضويّ الذي يُعبّر عليه السّؤال، لكن يجب الملاحظة -دائما- أنّ هذا العمل كلّه لا يوصل إلى التّأويل التّام للسّؤال؛ فلمن يوجه الصّحافيّ (عدلان حميدشي) السّؤال؟ وخاصة أنّ المقال ليس حواريّ؛ أي إنّ المشهدة الخطابيّة في المقال لا تعطي للصّحافيّ شخصا آخر كند أو ككيان يمكنه الإجابة، لهذا يظهر رسم الفرضيّة (المتكلم يطلب م) الذي يختص بالأسئلة السّطحيّة موافقا لهذا المقام، وهو ما يظهر في الخانة الأخيرة في التّرسيمة رقم (64) أعلاه، لكن بقراءة ما وصلتْ إليه عمليّة إدماج الشّكل القضويّ النّاقص في رسم

الفرضيّة (المتكلم يطلب م) لا يبدو السّؤال حصيفا بما فيه الكفايّة، فلماذا يسأل مستجوَبا وهميّا؟

لن تكون الإجابة على مثل هذا التّساؤل إلا في سياق المقال الذي ورد فيه الخطاب المدروس؛ فـ(عدلان حميدشي) في هذا المقال يتحدث على صناعة الفتنة بين الأشقاء الجزائريين واللّيبيين الذين يملكون مقومات الاجتماع أكثر من محفزات الصّراع، وهذه العوامل أكبر من أن تطمسها هزيمة في كرة القدم أو كلام أنصار، فشبّه الذين تعدوا على السّفارة الجزائريّة بصُنّاع الفتنة، ثم جاء السّؤال محل هذه الدّراسة الذي يبدو لي أنّه ليس موجها لشخص بعينه؛ ولا حتى إلى الذين اقتحموا السّفارة؛ بل هو سؤال جدليّ لا ينتظر منه أيّة إجابة من أيّ أحد، فيحمل -في رأيي- صبغة الحجة أكثر من السّؤال، وهو حجة لصالح الأُخوة الموجودة بين اللّيبيين والجزائريين، كما يفند به قيام كلّ اللّيبيين باقتحام سفارة الجزائر.

ولا يمكن، انطلاقا من ما سبق، بناء حصافة هذا السّؤال على طلب المعلومات، لأنّ الصّحافيّ ليس يبحث عن إجابة؛ إنّما الحصافة -هاهنا- مرتبطة -في رأيي- باعتقاد الصّحافيّ أنّ الإجابة على مثل هذا السّؤال هي ما يقدمه المقال كلّه؛ لكنّه باستعمال وسيلة السّؤال، فكأنما يأخذ به القارئ من يده، ثم يوجهه إلى الإجابة التي يعتقد هو كمتكلم أنّها الأصح، وقد أجاب بنفسه -فعلا- بعد طرح السّؤال بالإجابة التّالية:

دون شك مهندسو الفتنة الذين يستغلون كل الفرص، ويترصدون كل المواعيد الرياضية لإحداث الشرخ بين الشعوب العربية...

فهذه الإجابة إن دلت على شيء إنّما تدل على أنّ سؤاله كان يوجه ويحضر لهذه الإجابة، لكن حاول أن يحرّض القارئ بالسّؤال لاستخلاصها بنفسه، ثم قدمها له كإجابة صريحة في ما بعد، وهذا وجه الحصافة فيه.

وسأفحص، في ما يلي، مثالا آخر لتأكيد هذا التّوجه في بناء حصافة الأسئلة السّطحيّة على أساس منطلقات أخرى غير طلب المعلومات، فلننظر معًا في المثال التّالي:

58-... ولا أدري اليوم لماذا لم يعتمد حاليلوزيتش على بودبوز، وخاصة أنه لاعب يتمتع بإمكانات كبيرة...[1].

سبق لي أن حللتُ ملفوظا ينتمي إلى هذه المقالة التي أصنفها ضمن المقالات الممزوجة؛ لأنّها تتضمن خصائص المقالة الصّحافيّة العاديّة حيث يتوجه الصّحافيّ باسمه إلى القرّاء، لكن تحمل في ثناياها مجموعة من الإحالات إلى مستجوَب ما على شكل حوار مفترض، ويكون سرد ذلك بشكل غير مباشر من حيث لا يذكر الصّحافيّ مثلا صيغة السّؤال في حد ذاتها، كما هو الحال في المقالات الحواريّة، ولا يذكر -أيضا- كلام المستجوَب كما هو؛ بل يشير إليه بشكل غير مباشر -دائما-.

ويتحدث الصّحافيّ، في هذه المقالة، عن آراء المدرب الوطنيّ السّابق (رابح سعدان) في إقصاء المنتخب الجزائريّ من نهائيات كأس أمم إفريقيا 2013م، وفي خضم ذلك، يبدو أنّ (سعدان) قد تساءل عن وضعيّة اللاّعب (رياض بودبوز)[*] في تصور المدرب الوطنيّ آنذاك؛ وهو (وحيد حاليلوزيتش). لكن كيف يتم تأكيد حصافة ذلك السّؤال الذي طرحه (رابح سعدان)؟ يبدو لي أنّ عمليات التّأويل وتأكيد الحصافة ستعتمد على العمليات المعتادة؛ وهي التي أُمثل لها بالتّرسيمة التّالية:

---

[1]- حمزة ب:« سعدان: "حاليلوزيتش كسر المنتخب وكفانا من أغنية لعبنا مليح» الهدّاف، 28 جانفي 2013م، ص 08.

[*]- يُعد (رياض بودبوز) من أصغر لاعبي الفريق الوطنيّ في هذه الفترة، وهو لاعب مهاري متميّز، لذلك حظي بمكانة في المنتخب رغم صغر سنه.

التّرسيمة رقم: 65

ولا أدري اليوم لماذا لم يعتمد حاليلوزيتش على بودبوز؟
الشّكل المنطقيّ:
ولا أدري (أنا) اليوم لماذا لم يعتمد حاليلوزيتش على بودبوز؟

↓

5- فرضيات موجودة في المحيط المعرفيّ المشترك مثل الإقصاء السّلبي والمر للجزائر من كأس إفريقيا 2013م.
- الجزائر، الصّحافة، الصّحافة الرّياضيّة.
- جريدة الهدّاف الجزائريّة (يوم 2013/01/28م).
- الصّفحة الثّامنة (08) المكرسة للفريق الوطنيّ.

4- **الفرضيّة المثبتة (01):** موافقة (سعدان) على وضع (بودبوز) في قائمة لاعبي الجزائر في كأس العالم 2010م.
- **الفرضية المثبتة (02):** اشتراط (سعدان) على (بودبوز) عدم طلب مكانة كأساسيّ إلا إذا استحقها.

↓

6- **تحديد المراجع بناء على الفرضيات السّابقة:**
- **اليوم:** أي يوم 28 جانفي 2013م.
- **حاليلوزيتش:** هو (وحيد حاليلوزيتش) مدرب المنتخب الجزائري في فترة صدور الجريدة.
- **بودبوز:** هو (رياض بودبوز) لاعب الفريق الوطنيّ في فترة صدور الجريدة.

7- **الإثراء:**
- **لا أدري:** هذه الصّيغة لا تعني فقط عدم العلم بشيء، لكنّها تتضمن معنى الاستغراب والتّحدي في الإجابة عن السّؤال الذي يطرحه في ما بعد.

↓

الشّكل القضويّ: لا أدري (أنا) (وبشيء من الاستغراب والتّحدي) اليوم (أي يوم 28 جانفي 2013م) لماذا لم يعتمد حاليلوزيتش (مدرب المنتخب الجزائريّ) على بودبوز (لاعب الفريق الوطنيّ)؟

↓

المدرب (رابح سعدان) **يطلب من** نفسه (وبشيء من الاستغراب والتّحدي) تبرير عدم اعتماد حاليلوزيتش (مدرب المنتخب الجزائريّ) على بودبوز (لاعب الفريق الوطنيّ).

↓

المدرب (رابح سعدان) لا ينتظر إجابة من أي أحد، بل يشجع على اعتماد الإجابة التي يتخيلها والتي تُفهم من السّياق على أساس أنّها حجة مبررة لقوله: حاليلوزيتش كسر المنتخب الوطنيّ.

لا يشكل هذا المثال من حيث السّير العام لتأويله استثناء –كما أسلفت– إلا في مضامين العمليات التي يقوم بها القارئ، فمثلا في عملية تحديد المراجع على القارئ أن يبحث عن تحليل المفاهيم (اليوم) (حاليلوزيتش) (بودبوز) كما أنّه يمكن أن يعمل على إثراء مضمون (لا أدري) الموجود في بداية السّؤال، ولا شك أنّ كلّ العمليات ستفضي إلى شكل قضويّ؛ لكنّه شكل قضويّ ناقص، مثل المثال السّابق؛ لأنّه لا يعلن عن حصافة الكلام الكليّة، فلماذا صيغة السّؤال موجهة إلى المتكلم نفسه؟ ولماذا استبق الإجابة بقوله (لا أدري)؟

ويبدو لي أنّ فهم السّؤال ووظيفته، ومن بعدُ حصافته، قد لا تكون ممكنة خارج سياق المقالة بشكل عام؛ فالمدرب (رابح سعدان) –هاهنا– يقدم خطابا حجاجيّا في الأصل؛ يُبرهن به على أخطاء المدرب (حاليلوزيتش) وقد ذكر منها، قبل هذا السّؤال، خطأ الاستغناء على لاعب قوي ك(كريم زياني)* الذي لا يزال قادرا على تقديم إضافة للمنتخب، كما أضاف بعد هذا السّؤال حُججا أخرى؛ كالاستغناء على (عنتر يحي) و(بوقرة)* والمغامرة كثيرا في لقاء الطّوغو... لذلك كلّه؛ لا يمكن اعتبار هذا السّؤال إلا ضمن الخطاب الحجاجيّ.

ويمكن للسّؤال –في رأيي– أن يشكل حجة في هذا السّياق إذا كان يحمل نبرة التّعجيز؛ أي إنّه لا يمكن الإجابة عنه؛ لأنّ إمكانية تبرير عدم إقحام اللاعب (بودبوز) في كأس إفريقيا يعني أنّ السّؤال والحجة التي يتضمنها ليست قويّة، والحال إنّ هذا السّؤال الذي قدمه الصّحافيّ على لسان (رابح سعدان) متضمن –في فهمي على الأقل– لفكرة صعوبة أو استحالة الإجابة عنه، لذلك استبق المدرب الإجابة عنه –كما قلت– وهي (لا أدري) ثم أضاف بعد السّؤال أدلة على استحقاق (بودبوز) الدّخول كلاعب في الميدان؛ مثل قولة: إنّه يملك الإمكانيات...

ويُستخلص، من كلّ هذا التّحليل، أنّ حصافة هذا السّؤال مبنيّة على اقتراح مجموعة من المعلومات التي يعتقد المتكلم (رابح سعدان) أنّ الإجابة عنها حصيفة بالنّسبة له؛ وهذه الحصافة ليست في حاجة إلى انتظار إجابة من أي مستجوَب؛ بل يكتفي فقط بالإجابة التي يقدمها هو كمتكلم، وعلى الفرضيات التي يُشجع على استخراجها، ويمكن تصنيف هذا السّؤال بالمفهوم العام على أنّه سؤال غرضه الجدل ليس إلا.

الفرع الثّانيّ: حصافة النّصوص: استقرأت في الدّراسة السّابقة عيّنة من الأمثلة التي يمكن عَدُّها من الملفوذات القصيرة؛ ممثلة في العناوين، وبعض الملفوظات القصيرة

---

*– كان (كريم زياني) قائد المنتخب الوطنيّ قبل مجيء (حاليلوزيتش) لكن فور وصوله؛ أبعده من التّشكيلة رغم أنّه ليس كبيرا في السّن، ويُقدم مستويات جيدة، في وقت صدور الجريدة.

*– وكلاهما فعلا من أحسن لاعبي الجزائر في فترة صدور الجريدة، والدّليل على ذلك أنّ (بوقرة) أعاده (حاليلوزيتش) إلى المنتخب في ما بعد، وأبدع كثيرا في تأهيل المنتخب الجزائريّ إلى كأس العالم 2014م.

في متون المقالات، وحاولت، من خلالها، تبيان كيفية تأكيد الحصافة من قِبَل القرّاء، لكن التّحليل التّداوليّ؛ والتّحليل وفق نظريّة الحصافة بالضّبط، قابل للتّطبيق -أيضا- على وحدات أكبر ممثلة في المقالات أو ما يعادل تقريبا النّص[1]؛ على أنّ النّصوص تتفاوت بين القصيرة والطّويلة، لكن يبقى تحليلها متشابها -في رأيي- من حيث الإجراءات، وهو ما سأحاول أن أبيّنه في هذا الجزء من البحث.

1: استخراج الأشكال القضويّة للنّصوص (المقالات الصّحافيّة): يبحث القارئ في قراءته -كما قلت سابقا- عن القصد الإخباريّ دون القصد التّواصليّ؛ لأنّ القصد التّواصليّ مفترض في الصّحافة؛ فالصّحافيّ لأسباب تجاريّة ومهنيّة يقصد التّواصل، كما أنّ القارئ يهدف إلى التّواصل؛ مادام قد خصص وقتا لقراءة الجريدة، فالبحث القائم -هنا- هو عن القصد الإخباريّ الذي يمكن الوصول إليه عبر البحث عن الأشكال القضويّة، كما بيّنته سابقا في الملفوظات القصيرة، لكن كيف يحصل الأمر في الملفوظات الطّويلة أو النّصوص أو على الأقل في الخطابات التي تتضمن عددا من الملفوظات يفوق الملفوظين أو أكثر؟ هو ذا الأمر الذي سأحلله بملاحظة المثال التّالي[*]:

59- حوالي 05 آلاف مناصر كانوا خارج الملعب[2]

لم يتمكن حوالي 05 ألاف شنوي من متابعة مباراة فريقهم أمام "البوبية" من البداية، وبقوا خارج الملعب بسبب عدم اقتنائهم التذاكر على مستوى الشبابيك بالرغم من توفرها اعتقادا منهم أن الدخول إلى الملعب سيكون مجانيا منذ البداية، وانتظروا إلى غاية ما بين شوطي المباراة للدخول بعدما فتح أعوان الملعب الأبواب في وجههم وسط تنظيم جيد.

دون إمضاء

يبدو لي أنّ عملية تأكيد حصافة هذا الملفوظ، عند القارئ، ستكون على الشّكل التّالي:

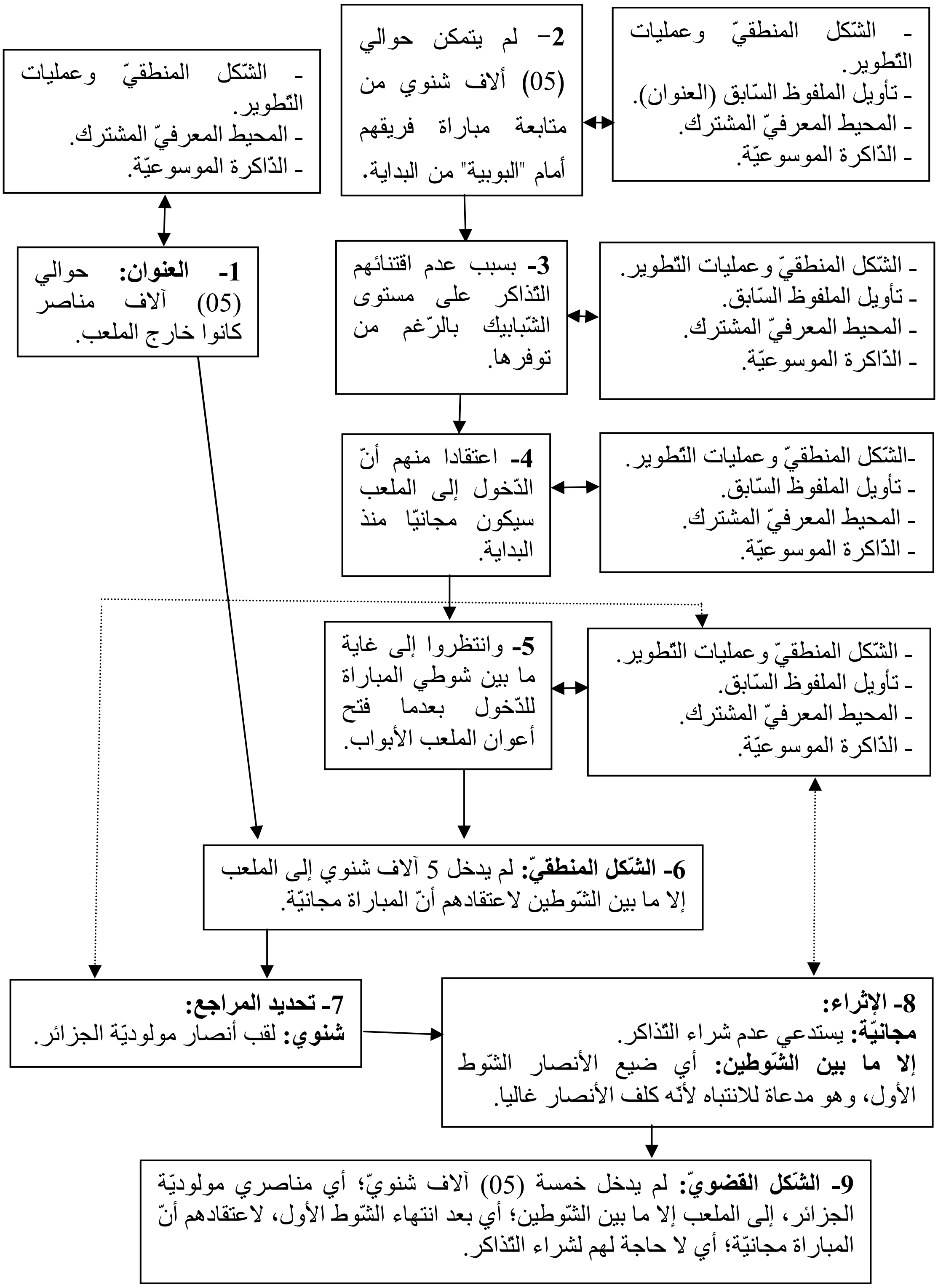
---

[1]- Martine Bracops, Introduction à la pragmatique…, p 142.

[*]- سأعتمد في تحليلي للنّصوص على المقالات القصيرة نوعا ما؛ لكي يسهل إيضاح أبعاد التّحليل، لكن أؤكد أنّ هذا التّحليل هو الذي يمكن تطبيقه حتى على النّصوص الطّويلة مثل الرّوايّة...

[2]- دون إمضاء:« حوالي 05 آلاف مناصر كانوا خارج الملعب» الهدّاف، الثّلاثاء 01 جوان 2010م، ع: 1373، ص 17.

الترّسيمة رقم: 66



يبدو، من خلال هذه التّرسيمة (رقم (66)) أنّ استخراج الشّكل القضويّ أكثر تعقيدا من ذي قبل، ولقد عملت –هاهنا– على إبراز أهم الخطوات فقط*؛ وهي تلك التي تبيّن مسار التّأويل عند القارئ حيث يبدأ –بعد افتراض الحصافة طبعا– باستخراج الشّكل القضويّ للعنوان، وكل ما يرافق ذلك من عمليات لسانيّة لرفع اللّبس، وعمليات تداوليّة من تحديد المراجع والإثراء... وبعد ذلك يستخرج لكلّ ملفوظ من ملفوظات النّص أشكالها القضويّة♣؛ وهي الخطوات من (02) إلى (05) في التّرسيمة المذكورة أعلاه، ويذهب القارئ مباشرة، بعد تمام ذلك، إلى تشكيل الشّكل القضويّ للنّص وفقا للإجراءات المشتركة؛ وهي وضع الشّكل المنطقيّ وتحديد مراجعه ثم إثرائه، وصولا إلى الشّكل القضويّ.

ويبدو لي أنّ القارئ♦، في بحثه عن تأكيد الحصافة، سيضع الشّكل المنطقيّ المذكور أعلاه (لم يدخل خمسة (05) آلاف شنويّ إلى الملعب إلا ما بين الشّوطين لاعتقادهم أنّ المباراة مجانيّة) وهذا الشّكل المنطقيّ يكون جامعا نوعا ما لكلّ الفرضيات التي يجعلها النّص والمتكلم/الصّحافيّ جليّة بالنّسبة للمتلقي/القارئ، ويمكن من خلال إثرائه، وتحديد مراجعه، أن تظهر الفرضيات الفرعيّة الأخرى الواردة في المقال.

ولا بد من الإشارة إلى أنّ تحديد مراجع الشّكل المنطقيّ للنّص وإثرائه يكون انطلاقا من روافد عدة، كما يبدو في التّرسيمة أعلاه؛ فقد يكون ذلك في المحيط المعرفيّ المباشر الذي اُستعمل في استخراج الأشكال القضويّة لملفوظات النّص نفسه، أو من الشّكل القضويّ لعنوانه، أو من المحيط المعرفيّ الذي استعمل لاستخراج شكله القضويّ، فيتبيّن أنّ الملفوظات السّابقة لها دخل التّأويل، والمحيط المعرفي –أيضا– له دخل؛ حتى لو لم يُستعمل في تطوير الشّكل المنطقيّ للمفوظات المكوّنة للنّص؛ فمثلا الجزء (كلف الأنصار غاليا) الموجود في إثراء الشّكل

*– من حيث لم أفصل في عمليات استخراج الأشكال القضويّة لكلّ ملفوظ من ملفوظات النّص؛ لأنّها لا تمثل الشّكل القضويّ للنّص؛ لكن رغم ذلك تساهم بشكل مباشر في تأسيسه.

♣– لاحظ في التّرسيمة أنّني احتفظت فقط بالملفوظ، وأشرت بجانبه إلى المحيط المعرفيّ الذي يستند إليه القارئ في التّأويل، ولم أفصّل في الأمر على اعتبار أنّني عرضت هذه العمليات بالتّفصيل في التّطبيقات السّابقة.

♦– القارئ –هنا– بالمفهوم المثاليّ الذي يتداخل بشكل كبير بالدّارس –أيضا– ويصعب كثيرا التّمييز بينهما.

القضويّ للنّص أو المقالة، قد لا يصل إليه القارئ من أي ملفوظ من ملفوظات النّص؛ لكن يمكن أن يستخرجه من فتح مفهوم (إلا ما بين الشّوطين) الموجود في الشّكل المنطقيّ للنّص.

ومما يُلاحظ –هاهنا– أنّ العنوان لا يملك كلّ مفاهيم الشّكل القضويّ الذي استخرجته من النّص؛ وخاصة الجزء الثّانيّ منه، وهذا ما يعني أنّ هذا الشّكل القضويّ يُثْرِي العنوان بشكل رجعي؛ فكان القارئ، عند تمام قراءة العنوان، يعلم أنّ بعض أنصار مولوديّة الجزائر لم يشاهدوا لقاء ترسيم نيل فريقهم لبطولة الجزائر سنة 2010م، لكن باستخراجه لهذا الشّكل القضويّ سيعود إلى العنوان؛ ويُثريه بأنّ الأنصار ضيعوا الشّوط الأول فقط دون الثّانيّ، وأنّ الأمر كان لاعتقادهم بمجانيّة المباراة؛ وليس لسبب آخر؛ كرفض أعوان الملعب –مثلا– فتح الأبواب أو امتلاء الملعب...

2: حصافة النّصوص والسّياق المتغيّر: يعتقد (سبربر) و(ولسن) أنّ السّياق ليس ثابتا ولا مُفترضا في تأويل حصافة الملفوظات؛ بل هو متغيّر بتغيّر الملفوظات أثناء سير الكلام نحو نهايته[1]، وهي الفرضيّة التي سأحاول فحصها في النّص التّالي:

60– المولودية دخلت بلباس أخضر[2].

دخل لاعبو المولودية بلباس أخضر في الوقت الذي دخلت فيه باتنة بلباس أبيض، وكان لاعبو المولودية ينوون الدخول بالبذلة البيضاء لكن تعذر عليهم ذلك في آخر لحظة وقرروا الدخول بالبذلة الخضراء كي يتسنى لباتنة لباس البذلة البيضاء.

دون إمضاء

تتدرج هذه المقالة –كالنّص السّابق– في إطار الصّفحة المخصصة لفوز مولوديّة الجزائر بلقب بطولة الجزائر سنة 2010م، وتتحدث عن لون البّذلة التي ارتدتها مولوديّة الجزائر في مقابلة ترسيمها كبطل للجزائر أمام مولوديّة باتنة، لكن في

---

[1]- Dan Sperber, Deirdre Wilson, La pertinence…, p 201.

[2]– دون إمضاء:« المولودية دخلت بلباس أخضر » الخبر الرّياضيّ، 01 جوان 2010م، ع: 13، ص 13.

جريدة أخرى؛ هي جريدة (الخبر الرّياضيّ) الجزائرية، وسأحاول أن أحدد سياقات تأويل القارئ لبعض ملفوظات هذا النّص* التي سأحتفظ من بينها بما يلي:

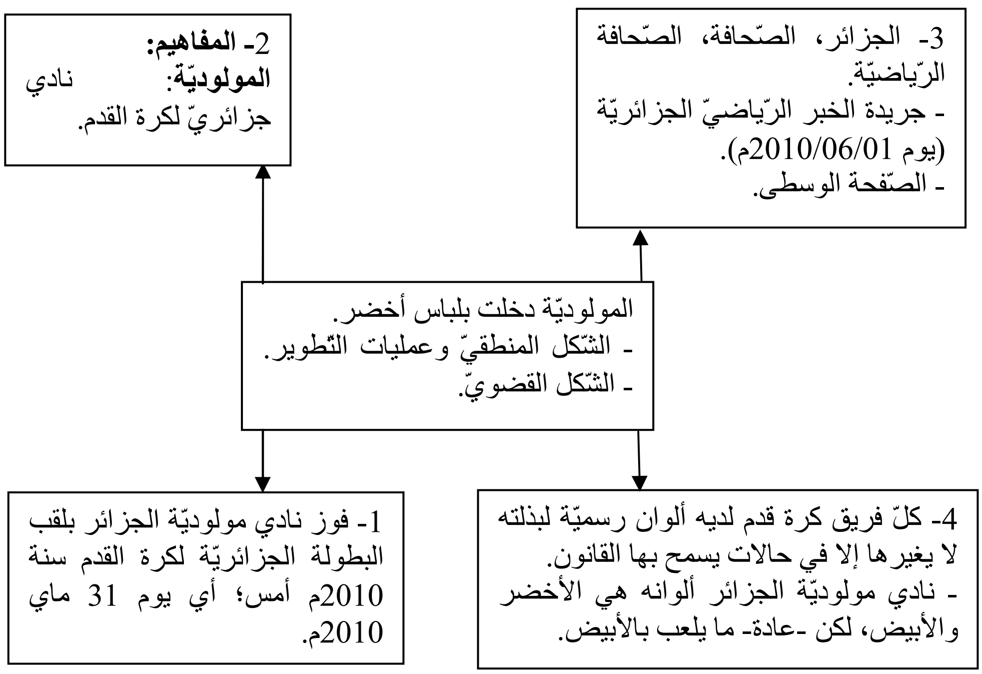
*- المولودية دخلت بلباس أخضر.

*- كان لاعبو المولوديّة ينوون الدّخول بالبّذلة البيضاء.

*- قرروا الدّخول بالبّذلة الخضراء كي يتسنى لباتنة لباس البّذلة البيضاء.

I- سياق تحليل الملفوظ الأول (المولوديّة دخلت بلباس أخضر): يمكن تمثيل مجمل الفرضيات المتواجدة في سياق تحليل هذا الملفوظ بالتّرسيمة التّالية:

التّرسيمة رقم: 67



يبدو لي أنّ استخراج الشّكل القضويّ للملفوظ (المولوديّة دخلت بلباس أخضر) سيحمل القارئ على اللّجوء إلى مجموعة من الأماكن لتحقيق ذلك، فسيستنجد الجهاز الاستنباطيّ في موضع هذا العنوان بفرضيات من أماكن متعددة، أولها ذاكرة الجهاز الاستنباطيّ نفسه التي لن يجد فيها إلا فرضيّة واحدة؛ متأتية من تأويل المقالات

*- يمكن تقسيم هذا النّص بأشكال مختلفة، لكن التّحليل الذي أرمي إليه لا يهدف إلى تحليل كلّ النّص، بل أصبو إلى فحص فرضيّة تعدد السّياقات، لذلك لن أدرس كلّ الملفوظات؛ بل سأختار ثلاثة فقط؛ أي في البّداية (العنوان) في الوسط والنّهاية لغرض مقارنة السّياقات.

السابقة -إن كان القارئ قد قرأ مقالات سابقة في هذه الصفحة- والفرضيّة هي (01) في التّرسيمة رقم (67) أعلاه، ويمكن أن يكون الجهاز الاستنباطيّ فارغا -في رأيي- إذا لم يقرأ القارئ أيّ مقالة عن فوز المولوديّة بالبطولة الجزائريّة؛ وبالتّالي الفرضيّة (01) يأخذها من المحيط المعرفيّ العام؛ وبالضّبط في المحيط الإدراكيّ المباشر -إن شاهد المقابلة- وهو الأرجح، أو من الذّاكرة الموسوعيّة المباشرة -إن سمع بالنّتيجة والمقابلة-.

وسيلجأ القارئ إلى المكان رقم (02) في التّرسيمة المذكورة الذي يتشكل منه السّياق في عملية تحديد المراجع، وذلك بحثا عن مفهوم (مولوديّة) الوارد في الشّكل القضويّ، وترى -هنا- نظريّة الحصافة أنّ المفاهيم تقع في الذّاكرة الموسوعيّة للمتلقي، وتنقسم هذه الذّاكرة إلى ذاكرتين: الأولى بعيدة المدى والثّانيّة قصيرة المدى، كما تنقسم إلى متخصصة وغير متخصصة... ويبدو لي أنّ الذّاكرة الموسوعيّة المقصودة -هنا- بالنّسبة للقارئ العاديّ للصّحافة الرّياضيّة، هي الذّاكرة بعيدة المدى، أما بالنّسبة لقارئ جديد للصّحافة الرّياضيّة، فهي ذاكرة قصيرة المدى.

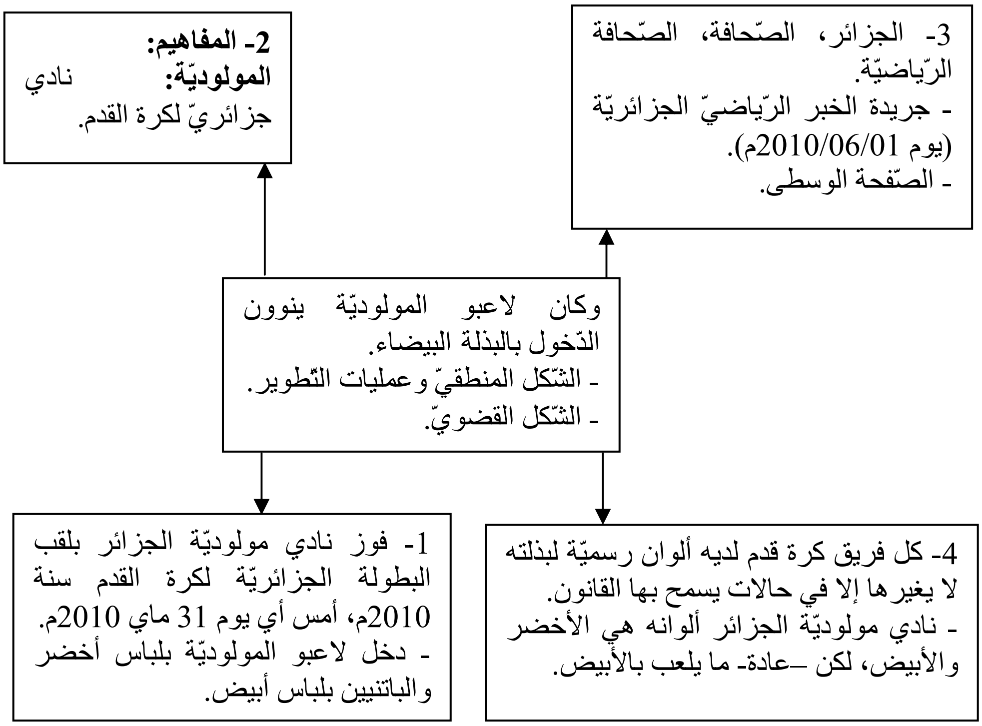
ويجب التّأكيد على أنّ فهم كلا الفرضيتين لا بد أنّه خاضع لمكان ورود الملفوظ المذكور؛ وهو الجريدة المذكورة التي تنتمي إلى نوع من الصّحافة... (العمليّة رقم (03) في التّرسيمة نفسها) وهذا كلّه -أيضا- موجود في السّياق على شكل تمثلات، ثم فرضيات لها دور -ولو أنّها موجودة في السّاحة الخلفيّة- لكنّها تساهم في تأويل الحصافة -في رأيي-، وهي موجودة في الذّاكرة طويلة المدى عند كلّ القرّاء تقريبا.

وتظهر، في الخانة (04) من التّرسيمة التي أستعين بها في شرحي هذا، مجموعة من الفرضيات الأخرى التي لها دخل في تأكيد الحصافة بالنّسبة للعنوان الذي أدرسه، وهي فرضيات موجودة في الذّاكرة الموسوعيّة المتخصصة (معلومات في قانون لعبة كرة القدم؛ في ما يخص اللّباس المعتمد في المباريات).

ويبدو لي، بناءً على ما سبق، أنّ القارئ سيعتمد على كلّ هذه الذّاكرات التي تُقدم له فرضيات تساعده على بناء شكله القضويّ (مولوديّة الجزائر دخلت ببذلة خضراء، وهو أحد ألوان بذلتها الرّسميّة، لكن العادة ما كانت تلعب بالأبيض).

II- سياق تحليل الملفوظ الثّانيّ (كان لاعبو المولوديّة ينوون الدّخول بالبذلة البيضاء): ستكون أهم الفرضيات المتدخلة في معالجة هذا الملفوظ كالتّالي:

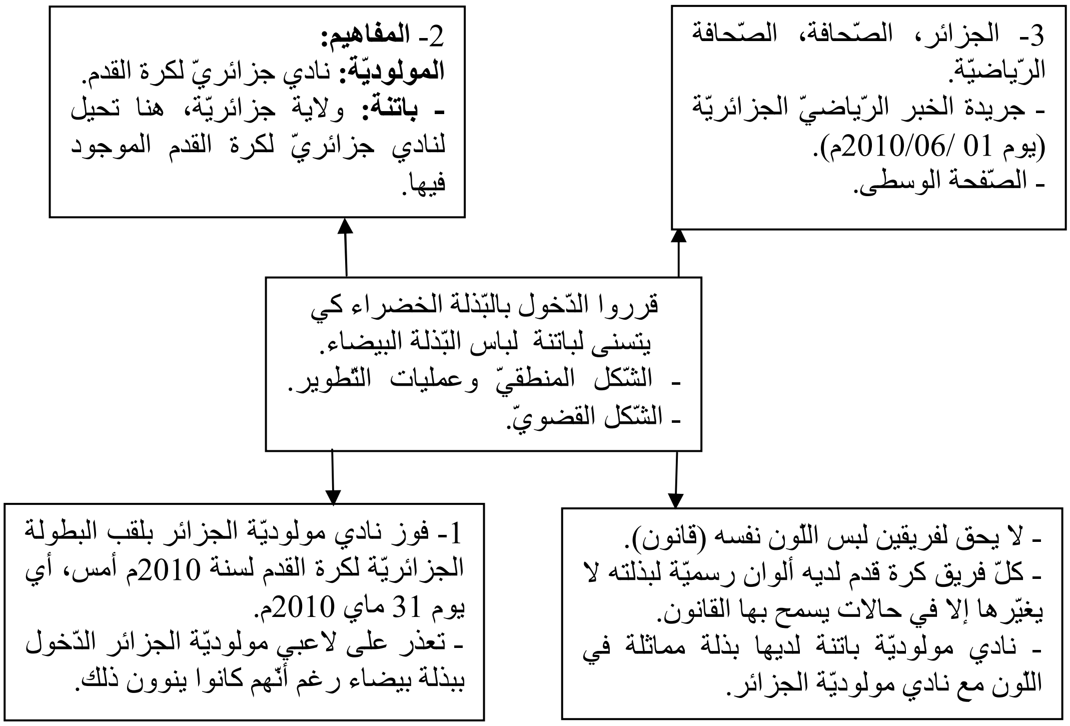
التّرسيمة رقم: 68



سيُلاحظ الدّارس، إذا ما حاول أن يقارن بين سياق الملفوظ السّابق والملفوظ الذي أنا بصدد دراسته، أنّ هناك تغيّر في السّياق، وهو الواقع في الخانة (01) التي اعتبرتها ذاكرة الجهاز الاستنباطيّ، فيكون الجهاز الاستنباطيّ، في حالة هذا الملفوظ الثّانيّ (كان لاعبو المولوديّة ينوون الدّخول بالبّذلة البيضاء) الوارد في وسط المقالة، قد احتفظ على الأقل بآخر تأويل أجراه من خلال الملفوظ الأخير الذي عالجه، وهو الوارد في النّص كالتّالي:(دخل لاعبو المولوديّة بلباس أخضر في الوقت الذي دخلت فيه باتنة بلباس أبيض) وهذه الفرضية لم تكن موجودة في معالجة العنوان؛ وهو ما يثبت فعلا أنّ السّياق متغيّر أثناء سير الملفوظ إلى نهايته، وهو ما سأحاول تأكيده من خلال معالجة الملفوظ الأخير من النّص الذي بدأت تحليله من المثالين السّابقين.

III- سياق تحليل الملفوظ الأخير:(قرروا الدّخول بالبّذلة الخضراء كي يتسنى لباتنة لباس البذلة البيضاء): يمكن التّمثيل لمجمل الفرضيات التي تتدخل في معالجة هذا الملفوظ كالتّالي:

التّرسيمة رقم: 69



يُلاحظ أنّ الجهاز الاستنباطيّ انطلق في تأويل هذا الملفوظ الأخير من النّص من فرضيّة مغايرة للفرضيّة التي انطلق منها في الملفوظ السّابق، كما أنّ الجهاز قد يلجأ إلى الذّاكرة الموسوعيّة المتخصصة؛ لكن لفتح مفاهيم مغايرة عن تلك التي فتحها في الملفوظ السّابق؛ لأنّ حصافة هذا الملفوظ الأخير تستدعي البحث عن فرضيات أخرى في السّياق للرّفع من درجة الحصافة، فيحق مثلا للقارئ أن يتساءل عن حصافة (يتسنى للاعبي باتنة لباس البذلة البيضاء) والتي لا يمكن إيجادها إلا بفتح الذّاكرة المذكورة (الذّاكرة الموسوعيّة المتخصصة) أعلاه؛ وفحص الأوضاع القانونيّة التي تتيح التّأويل الحصيف للملفوظ؛ لأنّ القارئ لن يعتقد بسهولة أنّ الصّحافيّ يريد أن يقول:(إن المولوديّة تنازلت هكذا دون جدوى عن اللّون المعتاد

لبذلتها) والتّأويل الحصيف –طبعا– هو أنّ القوانين لا تتيح لفريقين في المباراة نفسها أن يلبسا لباسا متشابه الألوان...

ومما يلاحظ، من خلال تحليل نص المقالة السّابقة وملفوظاتها، أنّ السّياق متعدد متغيّر كما قال (سبربر) و(ولسن) لكن –ربما– هذا التّحليل يقلص شيئا ما من إطلاق هذا الحكم، لأنّني لاحظت أنّ هناك بعض عناصر السّياق التي لا تغيب عن القارئ في كلّ مراحل التّأويل؛ سواء في العنوان أو في متن المقال، لذلك يبدو لي أنّ السّياق هو شيء بين المعطى المستقر والبناء المتغيّر، فليس هو معطى كلّه؛ كما يقول البعض، وليس متغيّر كلّه؛ كما تقول نظريّة الحصافة التي وضعها (سبربر) و(ولسن).

3: حصافة النّصوص بالنّسبة للقرّاء: سبق لي أن عالجت مسألة تعدد القرّاء، وسأعود إليها في حديثي هذا عن حصافة النّصوص، لكن بأنواع أخرى من القرّاء ممن يمكن أن يتصل بخطاب صحافيّ رياضيّ، واخترت أن أنظر إليهم –هاهنا– بمعيار مزدوج؛ هو المستوى الثّقافيّ ومناصرة الفريق الذي يتحدث عنه المقال.

وسأستخرج، قبل بحث حصافة الملفوظ لدى القرّاء، الشّكل القضويّ وفق الإجراءات التي اعتدت إتباعها، ثم سأناقش المسألة في ضوء ذلك، فليكن المثال التّالي منطلقا للتّحليل:

61– راية كبيرة لبطروني والكل هتف باسمه[1].

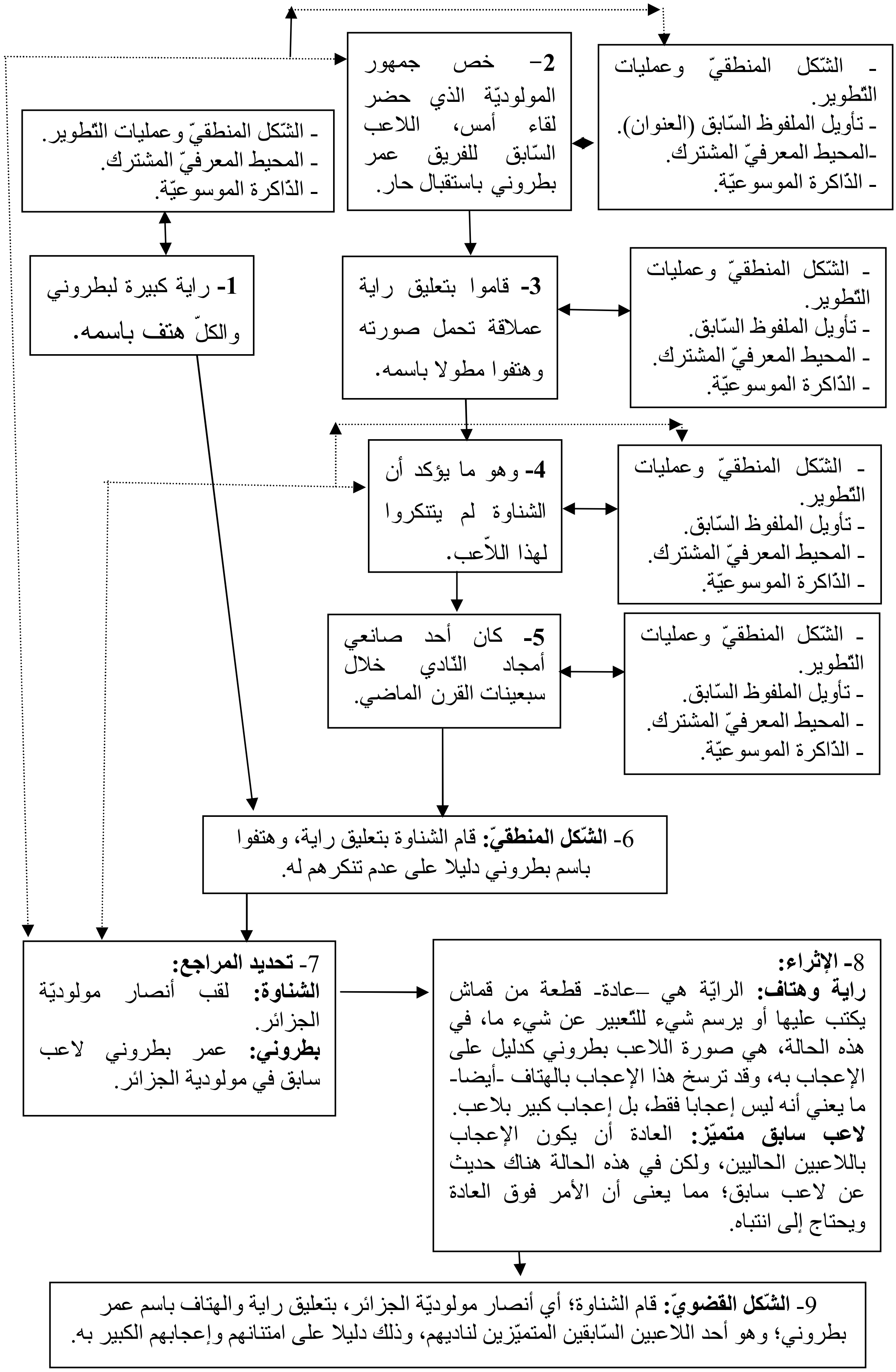
خص جمهور المولودية الذي حضر لقاء أمس، اللاعب السابق للفريق عمر بطروني باستقبال حار، حيث قاموا بتعليق راية عملاقة تحمل صورته وهتفوا مطولا باسمه، وهو ما يؤكد أن الشناوة لم يتنكروا لهذا اللاعب الذي كان أحد صانعي أمجاد النادي خلال سبعينات القرن الماضي.

دون إمضاء

ستكون عمليّة استخراج الشّكل القضويّ، وتأكيد الحصافة عند القارئ العاديّ المحايد كالتّالي:

[1]– دون إمضاء:« راية كبيرة لبطروني والكل هتف باسمه» الشّباك، 01 جوان 2013م، ع:565، ص 15.

الترسيمة رقم: 70



يُلاحظ أنّ تأكيد الحصافة في النّص يتضمن عمليات معقدة جدا؛ فيها الكثير من الآليات حاولت اختصارها* في التّرسيمة السّابقة (رقم (70)) لكن سأركز في شرحي على استخراج الشّكل القضويّ للنّص، فالقارئ يستخرج الشّكل المنطقيّ (الخطوة (06) في التّرسيمة المذكورة) ثم يحدد المراجع (الخطوة (07) في التّرسيمة نفسها) حيث يقوم بعمليات كثيرة، وخاصة العودة إلى تأويل الملفوظات السّابقة، ودخول الذّاكرة الموسوعيّة التي اُستعملت في تلك التّأويلات السّابقة التي تكون، في حد ذاتها، موجودة في الجهاز الاستنباطيّ، ويقوم، من بعدُ، بعمليّة إثراء ذلك الشّكل المنطقيّ، وخاصة في معاني (تعليق الرّاية) و(الهتاف) باسم شخص اللاعب السّابق المتميّز؛ وذلك بحثا عن حصافة أكبر يكون المتكلم قد قصد إبلاغها للمتلقي، وفي الأخير، يصل إلى الشّكل القضويّ الذي يظهر في التّرسيمة (الخطوة رقم 09) وهو (قام الشناوة؛ أي أنصار مولوديّة الجزائر بتعليق راية والهتاف باسم عمر بطروني؛ وهو أحد اللاعبين السّابقين المتميّزين لناديهم، وذلك دليلا على امتنانهم وإعجابهم الكبير به).

ولا بد، في إطار إثراء الشّكل القضويّ، القول: إن حصول مثل هذا الأمر في الملاعب ليس شيئا عاديا، أي إنّ تعليق مثل هذه الرّايات إنّما يُعبر عن حدث، وخاصة إن كان اللاعب اعتزل اللّعب منذ ما يقارب العشرين (20) سنة، مما يجعل تذكره شيئا مهما وحدثا يستدعي التّوقف؛ ذلك أنّ نادي مولوديّة الجزائر لديه نجوم كبار بعد (بطروني) ربما أشهرهم، في فترة المقال، هو اللاعب (رفيق صايفي) الذي ترك بصمة في المولوديّة، ثم ذهب للاحتراف، وتأهل مع الجزائر لكأس العالم، لكن الأنصار عادوا إلى السّبعينات؛ لذلك يبدو لي أنّ هذه المعلومات من شأنها أن تجعل المقال -بالنّسبة لمتابع أحوال هذا النّادي- مثيرا للانتباه، وما قدمته قد يكفي لجعل الشّكل القضويّ المذكور حصيفا بالنّسبة للقارئ العاديّ، لكن

*- أقول:(اختصرتها) لأنّني لم أفصّل في استخراج الأشكال القضويّة لكلّ ملفوظ بعينه، وذلك بالحديث عن عمليات تطويره (رفع اللّبس، تحديد المراجع، والإثراء حتى المواقف القضويّة -في بعض الأحيان-) بل قدمت الملفوظ وحده؛ للإشارة فقط إلى وجود تحليل خاص لذلك الملفوظ، وقد ميّزت (05) ملفوظات، كما يبدو في التّرسيمة رقم (70) لكلّ ملفوظ شكل منطقيّ وتطوير في الأصل؛ لم أقدمهما تفاديا للتّعقيد أكثر.

هل هذا وارد على هذا الشّكل في كلّ الأحوال؟ هذا ما سأحاول طرحه من خلال أنواع القرّاء الذين اخترتهم.

I- تأويل المثقف المناصر لفريق مولوديّة الجزائر: سيبني القارئ المثقف والمناصر لمولوديّة الجزائر حصافة ذلك الشّكل القضويّ الذي استخرجته في التّرسيمة السّابقة (رقم (70) دائما) وهو (قام الشناوة؛ أي أنصار مولوديّة الجزائر بتعليق راية والهتاف باسم عمر بطروني؛ وهو أحد اللاعبين السّابقين المتميّزين لناديهم، وذلك دليلا على امتنانهم وإعجابهم الكبير به) على افتراضات أخرى، قد أضع من بينها:

1. أنا مناصر لمولوديّة الجزائر.
2. تكريم اللاعبين القدامى للمولوديّة شيء محبذ.
3. بطروني يعتبر رمزا من رموز المولوديّة.
4. بطروني قدم خدمات جليلة للمولوديّة*.
5. أنا أساند تكريم اللاعبين القدامى لأنّها الذّاكرة.
6. تكريم اللاعبين القدامى هو تواصل للأجيال.
7. جميل أن نتقاسم اليوم أفراح المولوديّة مع من صنعها البارحة...
8. المولوديّة لها تقاليد كبيرة في الفوز بالألقاب.

تؤدي كلّ هذه الفرضيات الممكنة إلى تأكيد حصافة الملفوظ والشّكل القضويّ الذي استخرجته عند شخص مثقف ومناصر لمولوديّة الجزائر، ولكن يبدو لي أنّ (01) و(04) هي أقرب الفرضيات إلى الاستعمال من قِبل هذا النّوع من القرّاء، وهي التي تؤدي به إلى توسيع محيطه المعرفيّ الخاص، والمحيط المعرفيّ المشترك بمستلزمة سياقيّة هي (تم الاحتفاء بعمر بطروني الذي ينتمي إلى فريقي في المقابلة السّابقة على شاكلة الأبطال؛ احتراما لما قدمه لفريقنا).

*- قدم عمر بطروني (1949م) في سبعينات القرن الماضي الكثير من الألقاب لمولوديّة الجزائر أهمها: كأس إفريقيا للأنديّة البطلة (1976م) وهي أول كأس إفريقيّة تفوز بها الجزائر منتخبا وأنديّة.

وقفت –هاهنا– على حال الحصافة عند النّوع الأول من القرّاء، وهم المثقفون المناصرون لمولوديّة الجزائر، لكن ألا يحق لي أن أتساءل عن حالها عند غيرهم ممن افترضته من قرّاء، فكيف ستكون يا ترى؟

II– تأويل القارئ المثقف غير المناصر لمولوديّة الجزائر: يبدو لي أنّ القارئ المثقف غير المناصر قارئ متخصص –إن صح التّعبير–، فهو يقرأ أغلب الجريدة لمعرفة الجديد في الميدان، وتجده مُلما بالرّياضة وكرة القدم بشكل خاص؛ باعتبار الصّحافة الرّياضيّة الجزائريّة والعربيّة تهتم بكرة القدم، فهذا القارئ –في رأيي– قد يجد حصافة لهذا الملفوظ انطلاقا من الفرضيات التّاليّة:

1. تكريم اللاعبين القدامى هو تواصل للأجيال.
2. أنا أساند تكريم اللاعبين القدامى لأنّها الذّاكرة.
3. المولوديّة لها تقاليد كبيرة في الفوز بالألقاب.

يُلاحظ أنّ هذه الفرضيات مشتركة بينه وبين القارئ المناصر، لكن الحصافة لا تتبني على هذه الفرضيات فقط عند القارئ المثقف غير المناصر؛ بل قد تتواجد في محيطه فرضيات أخرى مختلفة عن تلك الموجودة عند المثقف المناصر ك:

1– مر على مولوديّة الجزائر العديد من اللاعبين الكبار.

فهذه الفرضيّة واردة، وخاصة إن كان لا يعرف عمر بطروني، فيستخرج منها مسلزمة سياقيّة هي:

2– إذاً تكريم بطروني يعني أنّه يستحق ذلك، أي إنّه لاعب كبير –أيضا–.

وهي المستلزمة/الفرضيّة التي تبنى عليها كلّ الحصافة؛ لأنّها توسع محيطه المعرفيّ بفرضيّة جديدة، وتُنمي مداركه، ويلاحظ –هاهنا– أنّ مصدر الحصافة ليس متماثلا تماما مع القارئ المثقف المناصر.

III– تأويل القارئ غير المثقف غير المناصر لمولوديّة الجزائر: تتميّز الصّحافة الرّياضيّة بولوجها عالم القرّاء غير المثقفين؛ أي الذين لا يتوفرون على مستوى علمي متميّز، وهذه الشّريحة قد تكون الشّباب الأصغر سنا؛ ممن لم يصل إلى مراحل النّضج كتلاميذ المتوسط والثّانوي، أي الذين تقل أعمارهم عن (17) سنة، وقد يكون الأمر مع شخص بالغ عاقل؛ لكن لم تتح له الفرصة للتّعلم أكثر من

المستوى المتوسط مثلا*، وقد تكون هذه الشّريحة من أهم قرّاء الصّحافة الرّياضيّة، فكيف تؤكد حصافة الشّكل القضويّ الذي استخرجته من النّص؟

يبدو لي أنّ هذا النّوع من القرّاء ليس مُلِما بتقاليد النّواديّ، لذلك لا أظنه يبني حصافة هذا الكلام على أساس تقاليد التّكريم عند الأنديّة الكبيرة وحتى الصّغيرة، كما لا أرى أنّه يبني الحصافة على أساس أنّه يحمل تعاطفا مع مولوديّة الجزائر التي لا يناصرها، لذلك أميل إلى أن تكون حصافة الملفوظ –هاهنا– مبنيّة على الفرضيّة:

- الجريدة قالت كذا (قام الشناوة؛ أي أنصار مولوديّة الجزائر بتعليق راية والهتاف باسم عمر بطروني؛ وهو أحد اللاعبين السّابقين المتميّزين لناديهم، وذلك دليلا على امتنانهم وإعجابهم الكبير به).

ويبني القارئ غير المثقف غير المناصر، على هذا الأساس، حصافة الملفوظ ببناء مستلزمة سياقيّة من مثل (مادام الجريدة قالت هذا الكلام؛ فإنّ هذه المعلومة جديرة بالاحتفاظ في المحيط المعرفيّ الخاص، وهو السّبب الذي جعل الصّحافيّ يكتبها) وأظن أنّ خارج هذا التّفسير، سيَعتبر هذا القارئ أنّ هذا الملفوظ غير حصيف، ومما وقفت عليه، من خلال ملاحظتي التّشاركيّة، أنّ أغلب القرّاء من هذا النّوع؛ بل حتى من الأنواع الأخرى؛ لا يقرؤون إلا صفحات فِرقهم –التي يناصرونها– وعلى أكثر تقدير؛ صفحات الفريق المنافس المباشر لفريقهم في المقابلة المواليّة أو السّابقة*؛ لذلك لا أظن أنّ هذا القارئ سيبني حصافة ما لهذا الملفوظ خارج احترامه للجريدة التي بين يديه.

IV– تأويل القارئ غير المثقف والمناصر لمولوديّة الجزائر: يشترك هذا القارئ مع السّابق في محدوديّة مستواه الثّقافيّ، لكنّه يتميّز عنه بمناصرته للفريق الذي يتحدث عنه الملفوظ، وهذا كفيل لوحده أن يقدم له معلومات معيّنة حول ذلك الفريق، فيمكن أن يكون قد سمع ب(عمر بطروني) لكن الأرجح أن هذا النّوع من

---

*– المستوى المتوسط في الجزائر يعادل تسع (09) سنوات من الدّراسة، وهي فترة الدّراسة المجانيّة الرّسميّة في الجزائر، وإن كانت المراحل الأخرى –أيضا– مجانيّة مقارنة بالدّول الأخرى، وهذا بفضل مبادئ الثّورة الجزائريّة.

*– كما لاحظت ميلا إلى قراءة الأخبار الدّوليّة؛ للفرجة التي تصنعها تلك البطولات.

القرّاء، وخاصة إن كان صغيرا في السّن، لا يعرف هذا اللاعب؛ لبُعد أيام شهرته عن زمان نشر هذا الملفوظ، وابتعاد بطروني عن النّجوميّة بشكل عام، وعلى هذا الأساس، أرى أنّ حصافة الملفوظ الذي أدرسه عند هذا القارئ، ستكون مبنيّة -أساسا- على الفرضيات التّالية:

1- أنا أناصر مولوديّة الجزائر.

2- الجريدة قالت هذا الكلام عن اللاعب القديم للمولوديّة عمر بطروني.

وأُرجح من بين الفرضيتين أن تكون الأولى هي التي تُبنى عليها حصافة الملفوظ؛ من حيث إن الصّحافيّ قال هذا الكلام لقارئ مناصر للمولوديّة عن لاعب سابق في المولوديّة، فأخبره أنّ هذا اللاعب قد تم الاحتفاء به، لذلك يبدو لي أنّ هذا القصد الإخباريّ حصيف؛ لمناسبته واحترامه أحكام العلاقة من حيث إنّه يوسع المحيط المعرفيّ لهذا القارئ غير المثقف المناصر للمولوديّة؛ كأن يضيف له المعلومة أنّ بطروني لاعب قديم في المولوديّة، وقد تم الاحتفاء به، وقد تكون هناك مستلزمات أخرى أكثر ضعفا يمكن استخراجها.

المبحث الثّالث: الآثار السّياقيّة الأخرى (درجات الحصافة، الشّطب): تحدثتُ في ما سبق على مجموع آليات تأويل الملفوظات على اختلاف طولها؛ مع التّركيز -دائما- على البحث الدّائم على تأكيد الحصافة من قبل القارئ، أما في هذا المبحث، فسأركز على طابع آخر متعلق بالحصافة باعتبارها تُنتج آثارا سياقيّة متعددة؛ وباعتبار أنّ تلك الآثار لا تتمثل فقط في إضافة فرضيّة إلى المحيط المعرفيّ المشترك، كما هو الحال في كلّ الأمثلة السّابقة، بل تُحدث آثارا أخرى متعددة؛ كتغيير قوة فرضيّة موجودة في المحيط الخاص لقارئ ما، ويكون ذلك نظريّا؛ إما بتقويّة الفرضيات أو بإضعافها، كما يمكن أن يكون الأثر شطبا للفرضيّة، وهو ما سأحاول أن أتفحصه -كالعادة- من خلال بعض الأمثلة المستقاة من عيّنة هذا العمل.

الفرع الأول: درجة الحصافة في العناوين: سأحاول في هذا الفرع فحص درجات الحصافة في بعض العناوين، وستكون الانطلاقة من هذا المثال:

62- الجزائر 1 -مصر 0 (فاشهدوا، فاشهدوا، فاشهدوا...)[1].

هذا أول عنوان يلتقي به القارئ في الصّفحة الثّانيّة لجريدة (الهدّاف) الصّادرة في اليوم المواليّ لتأهل الجزائر إلى كأس العالم 2010م المنظمة في جنوب إفريقيا، ويظهر فيه، بشكل عام، إعلان النّتيجة وترتيل -إن أمكن القول- لآخر سطر من النّشيد الوطنيّ الجزائريّ -أو اللازمة كما تسمى في بعض الأحيان-.

ويبدو لي أنّ التّميّز الجوهريّ الذي أقمته بين أنواع كثيرة من القرّاء قائم -هاهنا- أيضا، فليس تأويل القارئ الجزائريّ كتأويل القارئ المصريّ* أو القارئ المحايد، وإن كانت الجريدة موجهة -أساسا- إلى القارئ الجزائريّ، فإنّ ذلك لا يستبعد أن تكون محل قراءة أي قارئ أجنبيّ؛ بما فيه القارئ المصريّ، لذلك يمكن التساؤل: كيف ستكون تأويلات القرّاء؟ وما هي الآثار السّياقيّة التي سيحدثها هذا الملفوظ على المحيط المعرفيّ للقرّاء؟

1: الآثار السّياقيّة المتوقعة لدى القارئ الجزائريّ: يبدو لي أنّ القارئ الجزائريّ، بعد استخراج الشّكل القضويّ♣ والذي لا يختلف -فرضا- عن الملفوظ، سيبدأ في تحليل حصافته بناء على السّياق التّالي الذي كان موجودا قبل قراءة العنوان:

1. الجزائر فازت على مصر 1-0 في السّودان (مؤكدة).
2. الجزائر خسرت مع مصر في مصر 2-0 (مؤكدة).
3. كانت هناك اعتداءات في مصر نقلتها القنوات التّلفزيونيّة العالميّة (مؤكدة).
4. فازت الجزائر على مصر في الجزائر 3-1 في ظروف عاديّة (مؤكدة).

---

[1]- ب.رضوان:«الجزائر 1 -مصر 0 فاشهدوا، فاشهدوا، فاشهدوا...» الهدّاف، 19 نوفمبر 2009م، ع: 1187، ص 02.

*- صاحَبَ هذه المقابلة مشاحنات كبيرة بين الأنصار، والصّحافة؛ وخاصة من الجانب المصريّ، إثر الاعتداء على المنتخب الجزائريّ في مصر، مما جعل منطق الإشاعة غالبا على كلّ ما يُقال في هذه الفترة، كما كادت أن تعصف هذه المقابلة حتى بالعلاقات السّياسيّة بين البلدين؛ وخاصة أنّ بعض الوجوه السّياسيّة في مصر ظهرت بشكل جلي في هذه المباراة، وهذا ما لم تشهده أيّة مباراة عاشها جيليّ -على ما أظن-، وتسمى حتى الآن بملحمة (أم درمان) نسبة إلى تلك المدينة السّودانيّة التي جرى فيها اللّقاء.

♣- أشير، مرة أخرى، إلى أنّني سأتجاوز عرض خطوات استخراج الشّكل القضويّ من رفع اللّبس وتحديد المراجع وإثراء... على اعتبار أنّني طبقتها سابقا، وسأركز الحديث عن الآثار السّياقيّة فقط.

5. أنا مناصر للجزائر (مؤكدة).
6. الجزائر أقوى من مصر (مؤكدة نوعا ما).
7. فازت مصر بكأسين إفريقيتين متتاليتين في السّنوات الأخيرة (مؤكدة).

يبدو لي أنّ هذه الفرضيات يدخل كلّها أو بعضها في تأويل حصافة الشّكل القضويّ للعنوان الذي أدرسه، لكن قد يكون هناك تفاوت بين القرّاء في الجزائر في استعمال كلّ هذه الفرضيات أو بعضها، فليس كلّ القرّاء من المستوى نفسه، ويملكون المعلومات نفسها... فإن كان اختلاف الجزائريين وارد في هذه الفرضيات، لكن أميل إلى أنّ أغلبهم يمتلكون أغلبية هذه الفرضيات في فترة صدور الجريدة؛ أي يوم واحد بعد المقابلة المذكورة*.

ويمكن الملاحظة أثناء قراءة الفرضيات التي وضعتها أنّ الفرضيّة (06) (الجزائر أقوى من مصر) (مؤكدة نوعا ما) فقط، ومرد هذا طبعا إلى تاريخ المنتخب المصريّ الذي فاز بالكثير من الألقاب، وحتى الفرضيّة (07) التي تقول: (فازت مصر بكأسين إفريقيتين متتاليتين في السّنوات الأخيرة) (مقارنة بسنة 2009م) تؤكد قوته –أيضا–، لكن القارئ الجزائريّ يقول:(الجزائر أقوى) لأنّه مناصر يميل –دائما– إلى فريقه؛ بغض النّظر عن الجانب الموضوعيّ♣.

ولاحظ كذلك أنّ العنوان المدروس (المثال رقم 62 دائما) يأتي بفرضيّة مشابهة للفرضيّة (06) التي ذكرتُها للتّو؛ أي إنّ الجزائر أقوى، ويطلب المتكلم فيه من الجميع أن (يشهدوا) على هذا الفوز♦ وعن تفوق الجزائر على مصر، لذلك، يبدو لي أنّ هذه الفرضيّة ستنتقل في الذّاكرة الموسوعيّة للقارئ الجزائريّ من (مؤكدة نوعا

---

*– أي الجزائر ومصر في السّودان.

♣– يبدو لي أنّ الجانب الموضوعيّ في مثل هذه المسألة يستدعي تقييما دوريّا؛ فمثلا في سنة 2013م الجزائر أقوى من مصر، لأنّ الجزائر تأهلت إلى كأس العالم 2014م ومصر لم تُحقق شيئا، لكن لو أفحص فترة أخرى؛ فلتكن 2008م؛ فمصر أقوى؛ لأنّها كانت فائزة بكأس إفريقيا مثلا، والجزائر في ذلك الوقت غائبة تماما عن التّتويجات منذ 1990م؛ أول وآخر تتويج للجزائر بكأس إفريقيا للأمم، لذلك يبدو لي أنّ الجانب الموضوعيّ متغيّر حسب معايير كثيرة، قد لا يعترف بها المناصرون.

♦– هذا العنوان يمكن أن يُدرس على مستويات كثيرة؛ وهي من بلاغة الخطاب الصّحافيّ، فيشير ضمنيّا مثلا إلى أنّ فوز الجزائر فوز متميّز؛ لأنّه كان في بلد محايد، وهذا ما يعطي له قيمة أكبر من أي فوز آخر في تقاليد لعبة كرة القدم.

ما) إلى (مؤكدة) مثل غيرها من الفرضيات المؤكدة، وهو ما يسميه أصحاب نظريّة الحصافة ب(تقوية الفرضيات) التي تُمثل نوعا من الآثار السّياقيّة النّاتجة عن بعض عمليات التّواصل، فالملفوظ في هذه الأحوال لا يضيف فرضيّة إلى المحيط المعرفيّ المشترك أو محيط القارئ على الأقل؛ بل يقوي فرضيّة موجودة.

وقد ينطبق ما سُقته من حديث على القارئ الجزائريّ الذي لم يطلع على النّتيجة، لكن الغالب أنّ القارئ قد شاهد أو سمع، على الأقل، بنتيجة المباراة، وفي هذه الحالة، يبدو لي أنّ الفرضية (06) السّابقة تكون قد اقتربت من التّأكيد في ذهن القارئ، أما الجريدة، فتجعلها أكثر جلاء فقط أو ستقويها أكثر مما كانت عليه.

2- الآثار السّياقيّة المتوقعة لدى القارئ المصريّ: ليس مستبعدا أن يطلع على العنوان الذي أدرسه أحد المصريين؛ رغم أنّ الجريدة ليست موجهة لهم بفعل إقليميتها الجزائريّة؛ لكن في زمن الشّابكة حيث لكلّ صحيفة -تقريبا- موقع إلكترونيّ توضع فيه نسخة للجريدة يوميّا*؛ يمكن تصور ذلك بكلّ سهولة، وإذا صح ما ذهبت إليه، فما هي آثار تأويل العنوان السّابق (رقم 62) من قِبل القارئ المصريّ؟

سيشترك القارئ المصريّ مع القارئ الجزائريّ في بعض الفرضيات؛ وهي:

1. الجزائر فازت على مصر 1-0 في السّودان (مؤكدة).
2. الجزائر خسرت مع مصر في مصر 2-0 (مؤكدة).
3. كانت هناك اعتداءات في مصر نقلتها القنوات التّلفزيونيّة العالمية (مؤكدة نوعا ما).
4. فازت الجزائر على مصر في الجزائر 3-1 في ظروف عاديّة (مؤكدة نوعا ما).
5. فازت مصر بكأسين إفريقيتين متتاليتين في السّنوات الأخيرة (مؤكدة).

*- توضع في الشّابكة نُسخ إلكترونيّة لكلّ جريدة، بل هناك نسخ تسمى بالنّسخة الورقيّة؛ بمعنى نسخة إلكترونيّة لكن تُقرأ كما تقرأ النّسخة الورقيّة -تماما- من حيث وضعية المقالات ووجوب قلب الورقة... رغم أنّ ذلك العالم افتراضيّ كلّه.

ويجب الملاحظة -هاهنا- أنّ الفرضيّة رقم ثلاثة (03) ليست مؤكدة بالنّسبة للقارئ المصريّ؛ لأنّه هناك اعتقاد في المحيط المعرفيّ المشترك المصريّ أنّ الاعتداء، وإن كان موجودا، لكن قد يكون فيه تهويل*، كما أنّ الفرضيّة الرّابعة (04) ليست مؤكدة؛ لأنّه في تلك الظّروف تكون الشّكوك تحوم على الجميع، أما الفرضيات (01) و(02) و(05) فهي مشتركة من حيث الدّرجة، ويمكن، على صعيد آخر، أن يمتلك القارئ المصريّ فرضيات أخرى من نوع:

6. أنا مناصر لمصر (مؤكدة).
7. مصر أقوى من الجزائر (مؤكدة).

ولا أظن، إذا حاولتُ أن أقرأ آثار الملفوظ الذي أدرسه على هذا السّياق الذي يمتلكه المصريّ، أنّه سيضيف فرضيّة جديدة إلى محيطه المعرفيّ من قبيل مثلا:

- المنتخب الجزائريّ أقوى من المنتخب المصريّ.

وخاصة في هذه الفترة (2009م) حيث كانت الكرة المصريّة مسيطرة على إفريقيا؛ بل وواصلت سيطرتها بأن فازت بكأس إفريقيا المواليّة؛ أي سنة 2010م؛ أي بعد سنة من هذا الإخفاق أمام الجزائر، فأصبح لها ثلاث (03) كؤوس إفريقية متتاليّة، لهذا يبدو لي أنّ الملفوظ السّابق سيُغيّر قوة الفرضيات التي يمتلكها القارئ المصريّ، وهنا أميل إلى أنّ الآثار السّياقيّة ستكون في اتجاه (الإضعاف) وليس (التّقوية) كما كان الحال لدى القارئ الجزائريّ؛ فالفرضيّة:

7. مصر أقوى من الجزائر (مؤكدة).

ستضعف -في رأيي- فتصبح أقل تأكيدا، لكنّها لن تزول، ولن تتغيّر نحو الأقوى، وربما سبب بقائها هو الطّابع العاطفيّ للمناصرين، إضافة إلى كون مستويات قوة المنتخبات لا تقاس -عادة- بإخفاق واحد؛ بل بإخفاقات متواليّة.

---

*- لا بد من الإشارة إلى أنّني لا أقيّم حقيقة الأحداث التي حدثت؛ فهذا من مهام الشّرطة... لكن أنا أقدم -هاهنا- آراء الرأي العام والقرّاء الذين يخضعون للجانب الإعلاميّ وضغطه، ومعلوم أنّ الاتحاديّة المصريّة لكرة القدم لم تعترف بجسامة تلك الاعتداءات رغم ما عُرض في الإعلام العالميّ ثم نُسب إلى أنصار معزولين... كما أنّ الإعلام المصريّ لم يعترف بقوة المنتخب الجزائريّ؛ إلا بعد أكثر من سنة من اللّقاء الذي أدرسه في هذا المثال؛ مما يعني أنّ المحيط المعرفيّ للقارئ المصريّ؛ سيتضمن هذه الفرضيات الموجودة في المحيط المعرفيّ المشترك للمصريين.

كما يمكن أن تتغيّر قوة الفرضيّة الرّابعة (04) على مستوى آخر من التّأويل حيث ستصبح أكثر تأكيدا مما هي عليه؛ لأنّ فوز الجزائر في بلد محايد؛ قد يجعل القارئ المصريّ أكثر إيمانا بفوزها على مصر في الجزائر في ظروف عاديّة، وهذا لا يعني البتة أنّ الفرضيّة الرّابعة (04) ستصبح مؤكدة تماما، لكن يمكن أن تصبح أكثر قوة؛ عكس الفرضيّة الثّالثة (03) التي يبدو لي أنّها لن تتغيّر من حيث قوتها؛ لأنّ المحيط المعرفيّ المشترك للمصريين يفترض أنّه متحكم في المحيط المعرفيّ الخاص للقارئ؛ مما يجعل تحريك درجة هذه الفرضيّة غير وارد –في رأيي– بواسطة جريدة جزائريّة.

الفرع الثّانيّ: درجة الحصافة في المتون: سأحاول في هذا الفرع، وفي إطار الحدث الرّياضيّ نفسه؛ أي فوز الجزائر على مصر، والتّأهل إلى كأس العالم 2010م بجنوب إفريقيا، النّظر في الآثار السّياقيّة التي تؤثر في درجات حصافة الفرضيات، لكن ليس في العناوين –كما فعلت– بل في المتون هذه المرة.

1: الآثار السّياقية لملفوظ في بداية مقال: ورد في جريدة الشّباك الجزائريّة الملفوظ التّالي:

63– فوز رائع ومبهر ذلك الذي سجله أشبال رابح سعدان...[1].

سيبدأ المتلقي/القارئ –كالمعتاد– في استخراج الشّكل القضويّ لهذا الملفوظ، وبناء فرضيته النّهائية مع افتراض الحصافة مسبقا، ثم يبني السّياق وفقا للاعتبارات التي ذكرتُها في ما سبق من التّطبيقات، وتنتهي المعالجة إلى آثار سياقيّة، فما هي آثار هذا الملفوظ؟

يبدو لي أنّ أطروحة أنواع القرّاء قائمة –دائما– حتى في هذه الحالة؛ لأنّ ملفوظا كهذا لن يكون تأويله، ولا أثاره السّياقيّة مماثلة عند كلّ القرّاء، ومن هنا، سأحاول معرفة هذه الآثار بناءً على أنواع من القرّاء، سأختار منهم هذه المرة القارئ الجزائريّ المناصر؛ بما أنّ هذا الخطاب موجه إليه –أساسا–، وسأعوّض القارئ المصريّ بقارئ محايد؛ كقارئ بديل محتمل لقراءة الخطاب الذي أدرسه.

---

[1]– نبيل ب.:« الخضر الشبح الأسود للفراعنة» الشّباك، 19 نوفمبر 2009م، ع:389، ص 03.

I- الآثار السّياقيّة لدى القارئ الجزائريّ: سيعالج القارئ الجزائريّ -في رأيي- هذا الملفوظ في سياق الفرضيات السّابقة، وهي:

1. فازت الجزائر على مصر 1-0 في السّودان (مؤكدة).
2. خسرت الجزائر مع مصر في مصر 2-0 (مؤكدة).
3. كانت هناك اعتداءات في مصر نقلتها القنوات التّلفزيونيّة العالميّة (مؤكدة).
4. فازت الجزائر على مصر في الجزائر 3-1 في ظروف عاديّة (مؤكدة).
5. أنا مناصر للجزائر (مؤكدة).
6. الجزائر أقوى من مصر (مؤكدة).

يُلاحظ أنّني احتفظت بكلّ الفرضيات التي ذكرتها في تحليل عنوان المقالة السّالف الذّكر، فرغم أنّ هذا المثال لا ينتمي إلى المقالة نفسها، ولا إلى الجريدة نفسها؛ لكن عنوانه المتمثل في « الخضر الشّبح الأسود للفراعنة» له الآثار السّياقيّة نفسها -في رأيي- والمتمثلة في تأكيد الفرضيّة السّادسة (06) أعلاه؛ أي (الجزائر أقوى من مصر) التي يُفترض أنّها كانت (غير مؤكدة) ثم أصبحت (مؤكدة) بهذا العنوان، لكن بعد هذا التّأكيد، يمكن أن تتواجد فرضيّات أخرى في السّياق لمعالجة الملفوظات الأخرى التي تنتمي إلى المتن؛ من مثل:

7. لعبُ الجزائر كان باهرا (غير مؤكدة).

أقول هنا (غير مؤكدة) لأنّ الفوز كان في مباراة فاصلة وبأقل عدد الأهداف؛ مما يجعل هذه الفرضيّة في أغلب الظّن (غير مؤكدة) لكن بسيقنة (Contextualisation) فرضيّة المثال الذي أدرسه (رقم 63) (فوز رائع ومبهر ذلك الذي سجله أشبال رابح سعدان...) في مجموع الفرضيات، بما فيه الفرضيّة رقم (07) التي أضفتها، فإنّ هذه الفرضيّة ستُصبح أكثر قوة؛ كأن ترقى إلى (مؤكدة نوعا ما) أو (مؤكدة) إن كان القارئ يثق كثيرا في جريدة (الشّباك) أو في الصّحافيّ (نبيل ب.) الذي كتب المقال، وخاصة إن كان لا يتقن كثيرا تمييز اللّعب الجميل من

الأقل جمالا أو إذا كان لم يشاهد المباراة وعلم فقط بالنّتيجة... هذه كلّها حالات تجعل القارئ الجزائريّ يدعم هذه الفرضيّة، فتُصبح أكثر من (غير مؤكدة)*.

II- الآثار السّياقيّة لدى القارئ المحايد: يمكن أن يكون القارئ المحايد جزائريّا أو مصريّا أو من أيّة جنسيّة أخرى، لكن لا بد من الإشارة إلى أنّ هذا القارئ المحايد مُتابع لما يجري في أمور الرّياضة؛ وخاصة كرة القدم، رغم أنّه لا يناصر الفريقين الجزائريّ والمصريّ؛ وإلا لما وجدته يهتم بمثل هذه الجرائد، ولا بمثل هذا المتن الذي أتحدث عنه، ويمكن الافتراض -أيضا- أنّه مثقف رياضيّ؛ وخاصة إن كان من جنسيّة غير جزائريّة، لذلك سأبني تحليلي على هذا الأساس، فأظن، بالتّالي، أنّ هذا النّوع من القرّاء سيعالج المثال المذكور ضمن الفرضيات التّاليّة:

1. فازت الجزائر على مصر 1-0 في السّودان (مؤكدة).
2. خسرت الجزائر مع مصر في مصر 2-0 (مؤكدة).
3. كانت هناك اعتداءات في مصر نقلتها القنوات التّلفزيونيّة العالميّة (مؤكدة).
4. فازت الجزائر على مصر في الجزائر 3-1 في ظروف عاديّة (مؤكدة).
5. الجزائر أقوى من مصر (مؤكدة نوعا ما).

لا بد من الملاحظة أنّ الفرضيّة (أنا أناصر مصر أو الجزائر) غير موجودة في سياق هذا القارئ، وهذا له أثار في عمليّة التّأويل من حيث إنّ الفرضيّة (الجزائر أقوى من مصر) (مؤكدة نوعا) بعد قراءة عنوان المقال؛ وليست (مؤكدة) كما هو الحال عند القارئ الجزائريّ، إضافة إلى هذا، يمكن الافتراض أنّ القارئ المحايد بعد قراءة عنوان المقالة التي ورد فيها المثال المدروس:« الخضر الشّبح الأسود للفراعنة» سيمتلك فرضيّة أخرى في سياقه، وهي:

- الجزائر لعبت بشكل جيد.

*- أنبه القارئ إلى أنّ (سبربر) و(ولسن) قد أشارا إلى أنّ هذه السّلالم غير دقيقة جدا؛ بل هي أحكام عامة يمتلكها حدس الإنسان ولا يمكن بناؤها بناء رياضيّا دقيقا، فعمليات التّواصل الإشاريّ-الاستنباطيّ سهلة لا تستدعي تدقيقا؛ لذلك أتحدث -هاهنا- عن الانتقال من (غير مؤكد) إلى (مؤكد نوعا ما) أو من (مؤكد نوعا ما) إلى (مؤكد) دون الجزم بهذا أو ذاك؛ بل الأهم هو التّأكد من عمليّة التّقويّة التي تحدث في نهاية المعالجة ومسار التّأويل.

أما درجة هذه الفرضيّة، فالرّاجح –أيضا– أن تكون (غير مؤكدة) للاعتبارات نفسها الموجودة عند القارئ الجزائريّ؛ أي الفوز في مباراة فاصلة بأقل عدد الأهداف... لكن الاختلاف سيكون في مرحلة سيقنة الملفوظ المدروس في هذا السّياق؛ وهو (فوز رائع ومبهر ذلك الذي سجله أشبال رابح سعدان...) فيبدو لي أنّ الأثر السّياقيّ الذي سينتجه الملفوظ سيكون تقوية أيضا –مثل القارئ الجزائريّ–، لكن ليس بالقوة نفسها التي افترضتها عند القارئ الجزائريّ، فالقارئ المحايد لديه في محيطه المعرفيّ الخاص أنّ الجريدة التي يقرأها جزائريّة، والفائز هو الفريق الجزائريّ، لذلك لا يجب أخذ كلّ الأحكام على الإطلاق، فيمكن أن يكون في الكلام إطلاق دون تقييد والاحتراز –هاهنا– بالنّسبة لقارئ محايد مفيد.

2: الآثار السّياقيّة للملفوظ في نهاية متن مقالة: سأدرس، في إطار دراسة درجات الحصافة في المتون –دائما– مثالا آخر جاء في نهاية متن مقالة، وفي سياق آخر هو فوز الجزائر على منتخب كوت ديفوار ثلاثة (03) أهداف مقابل اثنين (02) في كأس إفريقيا سنة 2010م، وتأهلت الجزائر على أثر ذلك إلى الدّور النّصف النّهائيّ من الكأس المذكورة*، فلننظر معًا في هذا الشّاهد:

64– ... أحسن لاعب في القارة السمراء ديدي دروغبا[1].

ورد هذا الملفوظ في إطار الحديث عن مردود اللاعب الجزائريّ (عبد المجيد بوقرة) الذي تكفل بحراسة مهاجم الكوت ديفوار (ديدي دروغبا) الموصوف بأحسن لاعب في إفريقيا، حسب الصّحافيّ على الأقل♣، فإن كان هذا حُكم الصّحافيّ كما يبدو من المثال، فما آثاره السّياقيّة على القرّاء؟

أفترض في البداية –دائما– أنّ الملفوظ حصيف بالنّسبة للقرّاء على أنواعهم وإلا لن يتكبدوا عناء قراءته، وبعد ذلك، سأعتمد مرة أخرى على نوعين من القرّاء هما –دائما– القارئ الجزائريّ والقارئ المحايد.

---

*– وكان مدرب الجزائر آنذاك رابح سعدان ومدرب كوت ديفوار هو وحيد حاليلوزيتش.

[1]– دون إمضاء:« بوقرة "دخل محرش"» الشّبّاك، 25 جانفي 2010م، ع: 449، ص 03.

♣– هذا ما يوافق –تقريبا– التّفسير الحدسيّ لأي قارئ حياديّ.

I- الآثار السّياقيّة لدى القارئ الجزائريّ: يبدو لي أنّ هذا الملفوظ سيعالجه القارئ الجزائريّ في سياق متعدد الفرضيات من قبيل:

1- أنا مناصر للجزائر (مؤكدة).

2- ديدي دروقبا لاعب منتخب كوت ديفوار (مؤكدة).

3- كوت ديفوار منافس الجزائر في هذه المقابلة (مؤكدة).

4- فازت الجزائر على كوت ديفوار (مؤكدة).

5- الجزائر تفوز على الأقوياء (مؤكدة نوعا ما).

6- يلعب دروقبا لمنتخب كوت ديفوار القوي (مؤكدة).

7- بوقرة نجح في حراسة دروقبا (مؤكدة نوعا ما).

أميل إلى أنّ هذه الفرضيات تُشكل أعمدة من بين أعمدة السّياق الذي سيعالج فيه القارئ الجزائريّ الملفوظ الذي أدرسه، ويبدو، في هذا السّياق، أنّ الجزائر قويّة بشكل لا جدال فيه بالنّسبة لهذا القارئ، ويمكن القول إنّ الاتجاه العام للفرضيات أنّ الجزائر هي الأقوى مقارنة بكوت ديفوار، ومن مستلزمات ذلك أنّ (بوقرة) نجح؛ ولو بمشقة –حسب مفهوم بعض الملفوظات السّابقة من هذه المقالة– في منع (دروغبا) من إثارة الخطر، وهذا ما يجر التّحليل، في إطار مداخل المفاهيم الموسوعيّة، إلى فرضيتين فرعيتين أخريين؛ هما:

8- دروقبا من أحسن اللاعبين الأفارقة (مؤكدة نوعا ما).

9- فاز دروقبا بجائزة أحسن لاعب في إفريقيا سنة 2010م (مؤكدة).

وإذا حاول القارئ الجزائريّ أن يضع الملفوظ المدروس (... أحسن لاعب في القارة السمراء ديدي دروقبا) في هذا السّياق، فمن المؤكد أنّه ستكون له آثار سياقيّة متعددة، وهي –في رأيي– كالتّالي:

ستصبح الفرضيّة رقم ثمانية (08) (دروقبا من أحسن اللاعبين الأفارقة) التي كانت (مؤكدة نوعا ما) إلى فرضيّة (مؤكدة) أو أكثر بقليل، أما إذا كان القارئ يثق كثيرا في الجريدة؛ فستصبح (مؤكدة جدا) أو أكثر، لكن لا بد من التّأكيد على أنّ الآثار لن تتوقف عند هذا الحد؛ لأنّه حدسيّا لا أظن أنّ الأثر المرغوب هو هذا الاستنتاج فقط؛ بل سيتعدى الأمر إلى المساس بقوة الفرضيات الأخرى؛ مثل

الفرضيّة السّادسة (06) (دروقبا يلعب لمنتخب كوت ديفوار القوي) التي كانت (مؤكدة) وستصبح (مؤكدة جدا) أو أكثر؛ وخاصة في الجزء المتعلق بقوة المنتخب الإيفواريّ، فإن كان المنتخب الإيفواريّ يضم أحسن لاعب في إفريقيا؛ فقوته ستتعزز بكلّ تأكيد، وبجمع فرضيّة الملفوظ المدروس والفرضيّة السّادسة (06) أعلاه، بعد تعديل قوتها، سينتج تحليليّا تعديل لقوة الفرضيّة الخامسة (05) (الجزائر تفوز على الأقوياء) حيث ستتأثر في اتجاه التّقويّة، وستنتقل من (مؤكدة نوعا ما) إلى (مؤكدة)*.

II- الآثار السّياقيّة لدى القارئ المحايد: قد يكون القارئ المحايد من أفاق متعددة كأي قارئ عربيّ مثلا أو حتى قارئ أجنبيّ يعرف اللّغة العربيّة؛ ومتابع لكأس إفريقيا، لكنّه ليس مناصرا للفريقين... ويبدو لي أنّ هذا القارئ سينطلق من فرضيات مشابهة نوعا ما مع تلك التي يعتمدها القارئ الجزائريّ؛ مع إضافة فرضيات أخرى خاصة به؛ وعلى ذلك، سيكون سياقه كالتّالي:

1- أنا قارئ محايد (مؤكدة).

2- ديدي دروقبا لاعب منتخب كوت ديفوار (مؤكدة).

3- كوت ديفوار منافس الجزائر في هذه المقابلة (مؤكدة).

4- فازت الجزائر على كوت ديفوار (مؤكدة).

5- الجزائر تفوز على الأقوياء (غير مؤكدة).

6- يلعب دروقبا لمنتخب كوت ديفوار القوي (غير مؤكدة).

7- بوقرة نجح في حراسة دروقبا (مؤكدة نوعا ما).

يبدو لي أنّ هذا السّياق هو السّياق الأكثر مناسبة للقارئ المحايد، وإذا ما تمّ مقارنته مع سياق القارئ الجزائريّ، سيُلاحظ تغيّر قوة الفرضيّتين رقم (05) و(06) فالفرضيّة (05) كانت قوية (مؤكدة نوعا ما) باعتبار وجود الفرضيّة (01) التي تقول:(أنا مناصر للجزائر) (مؤكدة) وفرضيات أخرى من المحيط المعرفيّ للقارئ

---

*- يبدو لي أنّ المغزى النّهائيّ من كلّ المقال مرتبط -ربما- بتأكيد هذه الفرضيّة الخامسة؛ أي (الجزائر واللاعب بوقرة فازا على فريق قوي وليس على فريق ضعيف) وهذا جانب آخر من تحليل الحصافة.

الجزائريّ، لكن في سياق القارئ المحايد، قد تكون (غير مؤكدة)* لأنّ كوت ديفوار كمنتخب قد يصنف تصنيفات مختلفة، وإن كان العام والشّائع أنّه قوي إفريقيّا لكن ليس عالميّا، كما أنّ الجزائر لا تفوز بالضّرورة على كلّ الأقوياء ودائما، ويُلاحظ، إضافة إلى ذلك، أنّ الفرضيّة السّادسة (06) التي كانت (مؤكدة) أصبحت في سياق القارئ المحايد (غير مؤكدة) أيضا، وخاصة من جانب قوة منتخب كوت ديفوار –كما أسلفت–.

وقد تتواجد في سياق القارئ المحايد، على غرار القارئ الجزائريّ، فرضيات أخرى مبنيّة على أساس مداخل المفاهيم الموجودة في الفرضيات السّابقة من مثل:

8- دروقبا من أحسن اللاعبين الأفارقة (مؤكدة نوعا ما).

9- فاز دروقبا بجائزة أحسن لاعب في إفريقيا سنة 2010م (مؤكدة).

يُلاحظ أنّ هذه الفرضيات متساويّة من حيث القوة مع القارئ الجزائريّ، وهذا مرده –في نظري– إلى الاحترام الكبير الذي أبداه الصّحافيّ؛ بل كلّ الصّحافة الجزائريّة لمنتخب كوت ديفوار؛ مما جعلها تعترف بقوة هذا المنتخب♣، وربما هذا ما يثبت، بمفهوم المخالفة، أنّ الجزائر صنعت المعجزة بفوزها على الإيفواريين.

ويبدو لي، من حيث الآثار السّياقيّة، أنّ الملفوظ المدروس (... أحسن لاعب في القارة السمراء ديدي دروغبا) سيحدث آثارا مشابهة، وآثارا أخرى مخالفة نوعا ما♦ لما أحدثه في المحيط المعرفيّ للقارئ الجزائريّ؛ ومن بينها:

سيتشابه الأثر من حيث تقوية الفرضيّة رقم (08) (المؤكدة نوعا ما) والتي ستصبح (مؤكدة) أي إنّه ستحصل عمليّة تقويّة، أما الجانب الذي سيكون مختلفا، فهو في كون الفرضيّة رقم (05) (الجزائر تفوز على الأقوياء) (غير مؤكدة)

---

*- (غير مؤكدة) أكبر من (ضعيفة) و(ضعيفة جدا)...

♣- قدمت الصّحافة هذا الفوز على أساس أنّه إنجاز باهر أمام فريق قوي جدا، ويعود ذلك إلى سببين؛ الأول: هو قوة المنتخب الإيفواريّ فعلا، لكن –أيضا– إلى غياب الجزائر لمدة عشرين (20) سنة عن هذا المستوى من النّجاحات؛ مما جعل الصّحافيون يقيّمون الفوز على كوت ديفوار تقييما إيجابيّا للجزائر دون التّقليل من شأن الإيفواريين، ولكن في مباريات مصر مثلا –المشحونة– قد لا تكون الأحكام بهذه الموضوعيّة.

♦- قد تكون لهذا الملفوظ مستلزمة سياقيّة من قبيل:(الصّحافيّ يعترف بعلو شأن دروقبا) أو مستلزمة أخرى من مثل:(الصّحافيّ يُقر بتفوق دروقبا على المستوى الإفريقيّ) لكن البحث يهتم –هاهنا– بالآثار السّياقيّة.

ستبقى على حالها –في رأيي–، فهذا الملفوظ لن يُحرك قوة هذه الفرضيّة؛ لأنّ القارئ المحايد لا ينفعل لأيّة معلومة، بل يعتمد التّفسير الموضوعيّ؛ ولتغيير قوة هذه الفرضيّة يجب أن يكون هناك ملفوظ من مثل (الجزائر فازت على مصر وكوت ديفوار ونيجيريا...) ليس مثل الملفوظ الذي أدرسه، أما الفرضيّة السّادسة (06) أي (يلعب دروقبا لمنتخب كوت ديفوار القوي) (غير مؤكدة) فأظن أنّها ستتغيّر في اتجاه التّقوية؛ كأن تصبح (مؤكدة نوعا ما) لكن ليس إلى درجة تعادل قيمة هذه الفرضيّة بعد تعديلها عند القارئ الجزائريّ؛ كأن تصبح (مؤكدة) فقط دون (مؤكدة جدا) كما هو الحال عند القارئ الجزائريّ.

الفرع الثّالث: درجة الحصافة في النّصوص: بعد فحصي لأنواع صغرى من الملفوظات كالعناوين والملفوظات الصغرى في المتون، سأحاول في هذا الفرع الحديث عن الآثار السّياقيّة التي تُحدثها النّصوص، فلنلاحظ معًا هذه المقالة:

65– مصريون في المدرجات يناصرون كوت ديفوار[1].

الشيء الذي لفت انتباهنا خلال تواجدنا في ملعب "شيازي" بكابيندا، هو تواجد عدد كبير من المصريين الذين يعملون في شركة بترولية في أنغولا، حيث اغتنموا الفرصة وتنقلوا إلى الملعب لكنهم لم يشجعوا المنتخب الجزائري، بل كانوا إلى جانب المنتخب الإيفواري ولسوء حظهم أن "الخضر" حطموا حلمهم وتأهلنا إلى المربع النهائي بجدارة واستحقاق.

دون إمضاء

جاءت هذه المقالة في إطار صفحة المنتخب الوطنيّ في المقابلة التي تحدثت عنها في المثال السّابق، وهو فوز الجزائر على كوت ديفوار، وتأهلها إلى نصف نهائيّ كأس إفريقيا للأمم، والملاحظ أنّ المقالة تتحدث عن المصريين الذين يُفترض، نظريّا، أن يشجعوا الجزائر باعتبارها بلدا يتقاسم مع مصر أكثر من شيء كالموقع والتّاريخ... لكن المناصرين المصريين شجعوا الفريق الإيفواريّ، ومما يمكن الخروج به من خلال كلّ عمليات البحث عن تأكيد الحصافة (رفع

[1]– دون إمضاء:« مصريون في المدرجات يناصرون كوت ديفوار» الهدّاف، 25 جانفي 2010م، ع: 1246، ص 02.

اللّبس، تحديد المراجع، الإثراء الشّكل القضويّ، الموقف القضويّ) هو الوصول إلى الفرضيّة*:

- المصريون يفضلون كوت ديفوار عن الجزائر كرويّا✤.

وأفترض –دائما– وجود عدة آثار ممكنة؛ وفقا لأنواع القرّاء، وسآخذ في هذا المثال القارئ الجزائريّ كمنطلق، ثم سأحاول عرض مسارات تغيير درجات الحصافة عند القارئ المصريّ من بعده.

1: الآثار السّياقيّة لدى القارئ الجزائريّ: يُفترض من القارئ الجزائريّ المناصر، والقارئ لجريدة رياضيّة مثل جريدة (الهدّاف) أن يبني سياقه التّأويليّ للفرضيّة الآتيّة من الملفوظ السّابق على أساس الفرضيات الآتيّة:

1- أنا أناصر الجزائر (مؤكدة).

2- ستلتقي الجزائر مع مصر في النّصف النّهائيّ؛ في حالة فوز الجزائر على كوت ديفوار، وفوز مصر على منافسها (مؤكدة).

3- يشترك المصريون والجزائريون في أشياء كثيرة تجعلهم أكثر قربا منا (مؤكدة).

4- الإيفواريون أكثر بعدا –حضاريا– من المصريين عن الجزائريين (مؤكدة).

5- نظرا ل(02) و(03) و(04) المصريون سيناصرون الجزائر (مؤكدة).

يبدو لي أنّ هذه الفرضيات التي يمكن أن يبنيها القارئ الجزائريّ سوف تؤدي به –في الرّاجح– إلى أنّ المصريين سيساندون المنتخب الجزائريّ ضد المنتخب الإيفواريّ، والأسباب –طبعا– حضاريّة؛ فوجود فريقين مثل مصر والجزائر في النّصف النّهائيّ أحسن من غياب أحدهما للتّقارب الموجود بينهما –كما أشرت–، لكن

---

*– إن قراءة وتأويل هذا النّص متشعبة جدا، لكن لن أخوض في ذلك؛ لأنّ الهدف –هاهنا– هو البحث عن الآثار السّياقيّة فقط، وليس كيفيّة التّأويل –كما سبق أن عرضت الأمثلة في بداية هذا الفصل–.

✤– أشير إلى أنّ الجزائر أقصت مصر من كأس العالم في هذه الفترة؛ أي قبل أشهر فقط، وقد أشرتُ إلى ذلك في التّطبيقات السّابقة، وكانت الأمور مشحونة جدا بين المناصرين، كما أنّ الجزائر بفوزها على كوت ديفوار وجدت نفسها مع مصر، مرة ثانيّة، في أقل من عام، وكان اللّقاء ضاريا، وفازت فيه مصر بنتيجة عريضة أربعة (04) مقابل صفر (00) كما افتكت، في ما بعد، كأس إفريقيا للأمم في هذه الدّورة (2010م) وهي الكأس الثّالثة لها بشكل متتاليّ.

سيْقنة الفرضيّة المستخرجة من الملفوظ (رقم 65 أعلاه) ستؤدي إلى مشكل في التّأويل؛ فستصطدم هذه الفرضيّة مباشرة بالفرضيّة الخامسة (05) لوجود تناقض بينهما، ويرى (سبربر) و(ولسن)[1] أنّ الجهاز الاستنباطيّ في هذه الحالات يتوقف لمعالجة القضيّة؛ وذلك بشطب إحدى الفرضيتين باعتبار الشّطب أحد الآثار السّياقيّة التي يمكن أن تنجر عن سيْقنة أيّة فرضيّة في سياق ما، وأظن أنّ الآليّة ستكون ببناء فرضيات أخرى، وذلك بفتح مفاهيم أخرى في الذّاكرة الموسوعيّة، والمحيط المعرفيّ المشترك بين الصّحافيّ والقارئ الجزائريّ من مثل الفرضيات:

1- الجزائر أقصت منذ ثلاثة أشهر مصر من كأس العالم 2010م (مؤكدة).
2- المصريون لم يتجرعوا الإقصاء بعدُ (مؤكدة نوعا ما).
3- هناك أحداث اعتداء على المنتخب الجزائريّ، في تلك المقابلة، عرضتها كلّ وسائل الإعلام العالميّة (مؤكدة).

يمكن للقارئ الجزائريّ أن يستعمل كلّ هذه الفرضيات أو واحدة منها؛ فتُشكل المنطلق في حل إشكال الجهاز الاستنباطيّ حيث سيميل لا محالة إلى شطب الفرضيّة الخامسة (05) أعلاه، وشطب كلّ الفرضيات المبنيّة عليها من مثل:

1- المصريون سيحضرون أعلاما جزائريّة إلى الملعب.
2- سيهتفون بتأهل الجزائر إلى الدّور القادم...

وتُدمج، بعد عمليّة الشّطب، فرضية النّص المدروس في المحيط المعرفيّ للقارئ.

2: الآثار السّياقيّة لدى القارئ المصريّ: يبدو لي أنّ القارئ المصريّ سيعالج الفرضيّة المستخرجة من الملفوظ، وهي (المصريون يفضلون كوت ديفوار عن الجزائر كرويّا) في إطار السّياق التّالي:

1- أنا مناصر لمنتخب مصر (مؤكد).
2- تأهل المنتخب الجزائريّ وتأهل المنتخب المصريّ يعني التقاءهما في النّصف النّهائيّ (مؤكد).
3- أقصت الجزائر مصر من كأس العالم منذ ثلاثة أشهر تقريبا (مؤكد).
4- ذلك الإقصاء مر على المصريين ككلّ (مؤكد).

[1]- Dan Sperber, Deirdre Wilson, La pertinence…, p 175.

5- المصريون لا يريدون لقاء آخر مع الجزائر (مؤكدة نوعا ما).

6- تبعا ل(05) يُستحسن إقصاء الجزائر (مؤكدة نوعا ما).

7- تبعا ل(04) و(05) و(06) يُستحسن مناصرة كوت ديفوار (مؤكدة نوعا ما)*.

يبدو لي أنّ الآثار السّياقية المتوقعة لهذا النّص على القارئ المصريّ ستكون في اتجاه تقويّة الفرضيّة رقم (07) أعلاه، فستصبح (مؤكدة) مثلا؛ وهو الشّيء نفسه الذي سيحصل مع الفرضيات (05) و(06) كما ستؤكد الفرضيات الأخرى التي كانت (مؤكدة) فستصبح (مؤكدة جدا) مثلا.

ويجب الملاحظة أنّه إذا كان القارئ المصريّ لا يثق في جريدة (الهدَّاف) وهذا وارد جدا، فإنّ هذا الملفوظ لن يحدث أيّ أثر سياقيّ؛ لأنّه يقدم فرضيّة مشابهة للفرضية رقم (07) (المؤكدة نوعا ما).

ويمكن الاستخلاص من هذا المثال أنّ النّصوص تُحدث آثارا سياقيّة مثلها مثل العناوين والمتون، كما أنّ هذه الآثار متعددة؛ قد تكون تقويّة أو شطبا؛ حسب أنواع القرّاء والسّياقات، وهو ما يُشجع على تحليل أمثلة أخرى لتأكيد ذلك، وفي هذا الاتجاه، أقترح تحليل الأمثلة التّاليّة لمعرفة الآثار السّياقيّة التي تُحدثها.

3- نماذج نصية متعددة وآثارها السّياقيّة: استقيتُ المقالة التّاليّة من مجمل المقالات التي تتحدث عن فوز جمعيّة الشلف ببطولة الجزائر سنة 2011م[1]:

66- دخول لاعبي الجمعية تحت التصفيقات

دخل لاعبو جمعية الشلف تحت تصفيقات حارة من قبل أنصار فريقهم وهذا قبل بداية التسخينات، حيث كانت التصفيقات مطولة جدا وحارة طالما أن هذه التشكيلة حققت ما كانت تبحث عنه الجماهير منذ 64 سنة.

دون إمضاء

*- أؤكد أنّني أتحدث -هنا- عن القارئ المصريّ النّموذجيّ في فترة صدور الجريدة؛ أي (جانفي 2010م) وهذا لا يعني البتة أنّه ليس هناك قارئ مصريّ له الفرضيات نفسها مع القارئ الجزائريّ؛ لكنّني أظن -حدسيّا- أنّ مثل هذا القارئ المصريّ نادر في الوضعيّة التي ذكرتها سابقا.

[1]- دون إمضاء:« دخول لاعبي الجمعية تحت التصفيقات» الخبر الرّياضيّ، 26 جوان 2011م، ع: 397، ص 10.

لا شك أنّ هذا النّص، كغيره من النّصوص، يخضع في تأويله إلى كلّ العمليات التي سبق لي وصفها من رفع اللّبس وتحديد المراجع وإثراء... ويمكن أن يخرج القارئ منها بالشّكل القضويّ التّالي:

- حظي لاعبو جمعيّة الشلف باستقبال حار في الملعب نظير تحقيق حلم الأنصار بإحراز اللّقب الوطنيّ الجزائريّ.

ويبدو لي أنّ هذا الشّكل القضويّ، الذي يُمثّل فرضيّة بعد استخراجه، سيحلله القرّاء، أيا كان نوعهم، على الطّريقة نفسها؛ لأنّ هذا الأمر محتمل مع أي فريق يفوز باللّقب الوطنيّ، علما أنّ البطولات لا تُلعب في مباراة واحدة؛ بل يكون ذلك على مدار السّنة تقريبا، وفي الجزائر يتحقق الأمر في ثلاثين (30) جولة، فالبطولات في أغلب الأحيان تفوز بها الفِرق قبل المقابلة الأخيرة، وحتى إن بقيت إلى الجولة الأخيرة، فملامح البطل تظهر بشكل كبير قبل ذلك، وفي حالة جمعيّة الشلف، وفي هذا اللّقاء الذي يصفه الصّحافيّ؛ فاز هذا الفريق بالبطولة قبل ثلاث (03) جولات (مباريات).

وسيكون، بالتّالي، تأويل القرّاء موحدا، ولا أرى تعددا فيه؛ فكلّ القرّاء أظنهم يعترفون بفوز جمعيّة الشلف بالبطولة الوطنيّة؛ لأنّها لم تفز بها في مباراة واحدة، كما أنّ كلّ القرّاء يعلمون أنّ الفريق الفائز سيصفق له جمهوره نظير تحقيقه اللّقب، وبناء على ما ذكرته؛ كيف سيكون التّأويل؟ وما هي آثاره السّياقيّة؟

يبدو لي أنّ القارئ، بشكل عام، سينطلق من السّياق التّالي لتأويل الملفوظ:

1- جمعيّة الشلف أنجزت مشوارا ناجحا طوال السّنة (مؤكدة).

2- تملك جمعيّة الشلف أربع عشرة (14) نقطة كفارق عن ملاحقها (شباب بلوزداد) (مؤكدة).

3- في حالة عدم فوز جمعيّة الشلف، فهي –دائما– رائدة البطولة، وبقي ثلاث مقابلات؛ مما يجعلها فائزة باللّقب آليّا (نظرا للفرضيّة الواردة في 02) (مؤكدة).

4- مقابلة جمعيّة الشلف واتحاد عنابة –التي يتحدث عنها الصّحافيّ– مباراة ترسيم فوز جمعيّة الشلف باللّقب الوطنيّ (مؤكدة).

5- الفِرق التي تفوز بالبطولة؛ عادة ما تحظى باستقبال حار في ميدانها (مؤكدة).

6- يمكن أن ينتظر الجمهور إلى غاية نهاية البطولة رسميّا لإقامة الاحتفالات (ضعيفة).

سيتجه القارئ العادي لهذا المقال؛ أثناء عمليّة سيْقنة هذا الملفوظ في سياق هذه الفرضيات إلى تحريكها في اتجاهين، ويبدو لي أنّ جميع القرّاء سيتجهون نحو ما يلي:

I- الآثار السّياقيّة الايجابيّة (التّقويّة): ستحظى الفرضيّة رقم (05) بتقويّة عند كلّ القرّاء؛ كأن تصبح (مؤكدة جدا) وهذا يصدق -في رأيي- مع القارئ المناصر مثلا لجمعيّة الشلف أو حتى بالنّسبة للقارئ غير المناصر لها، بل يمكنني الذّهاب بعيدا إلى القول: إنّ الآثار نفسها ستحدث حتى لدى المناصر لفريق اتحاد عنابة الذي خسر المقابلة؛ لأنّ جمعيّة الشلف فائزة باللّقب لا محالة؛ بفوزها على عنابة أو لا، وافتكاكها للقب إنّما هو بسبب عملها قبل هذا اللّقاء وليس أثناءه.

ويمكن أن يكون هناك تحريك لقوة الفرضيّة الأولى (01) -أيضا-؛ أي (جمعيّة الشلف أنجزت مشوارا ناجحا طوال السّنة (مؤكدة)) ويكون ذلك بتقويتها؛ كأن تصبح (مؤكدة جدا) ويبدو لي أنّ هذا صحيح بالنّسبة لكلّ القرّاء؛ رغم أنّ قوة هذه الفرضيّة لدى القارئ المناصر أكبر مما هي عليه عند القارئ العنابيّ مثلا، لكن أميل إلى أنّ كلاهما سيتجه إلى تقويتها، وليس إلى إضعافها، إضافة إلى أنّ القارئ المناصر لاتحاد عنابة، والمتابع للبطولة الوطنيّة يعلم ذلك (أي مضمون الفرضيّة 01) علم اليقين؛ وخسارة فريقه بأربعة (04) أهداف مقابل صفر (00) ستقوي لديه هذا الاعتقاد.

II- الآثار السّلبيّة (الشّطب): يبدو لي أنّ الآثار السّياقيّة السّلبيّة لهذا الملفوظ ستكون واردة مع الفرضيّة الأخيرة فقط من السّياق؛ أي رقم (06) (يمكن أن ينتظر الجمهور إلى غاية نهاية البطولة رسميّا لإقامة الاحتفالات (ضعيفة)) حيث سيتجه القارئ، أيا كان الفريق الذي يناصره، إلى شطب هذه الفرضيّة؛ لأنّها مناقضة مباشرة لمضمون الفرضيّة المستخرجة من الملفوظ المدروس (حظي لاعبو جمعيّة

الشلف باستقبال حار في الملعب نظير تحقيق حلم الأنصار بإحراز اللّقب الوطنيّ الجزائريّ) وربما ما يؤيد طرح شطب الفرضيّة السّادسة (06) في السّياق؛ هو كونها (ضعيفة) في الأصل؛ أي إنّها لا تملك القوة التي يجعلها تقوى على مواجهة الفرضيّة الآتيّة من الملفوظ؛ والتي تتضمن في ثناياها الكثير من اليقين، وخاصة إن كان القارئ يثق كثيرا في الجريدة؛ لكن حتى إن كان لا يثق فيها كثيرا، فهذا النّوع من الأخبار –عادة– ما لا يوجد فيه تحيّز، لذلك يمكن أن يصدقه القارئ؛ ولو لم يكن واثقا في الجريدة بشكل كبير.

ويمكن الاستنتاج، من هذا المثال، أنّ الآثار السّياقيّة تأخذ اتجاهات متعددة، فليست هي (الآثار السّياقيّة) موحدة في السّياق الواحد؛ لذلك تُعد فكرة توسيع المحيط المعرفيّ المشترك ل(سبربر) و(ولسن) وصفا مناسبا لأهداف عمليّة التّواصل، وفي سبيل تبيان كيفية اشتغال درجات الحصافة في النّصوص –دائما– سأواصل التّحليل اعتمادا على النّص الموالي:

67- عصام تاج الجزائري[1].

نزولا عند طلبات بعض المناصرين الجزائريين الذين سنحت لهم الفرصة للدخول إلى المنطقة المختلطة، ارتدى لاعب المنتخب التونسي لكرة اليد، عصام تاج، قميص المنتخب الجزائري عقب انتهاء مباراة فريقه أمام مصر أول أمس، كما أدلى لاعب مونبيليه الفرنسي بتصريحات لوسائل إعلام تونسية مرئية وهو حامل لهذا القميص.

دون إمضاء

ورد هذا الملفوظ في الصّفحة المخصصة لفوز الفريق الوطنيّ الجزائريّ لكرة اليد بكأس إفريقيا للأمم سنة 2014م التي نُظمت بالجزائر العاصمة، وقد أدرجت الجريدة (الخبر الرّياضيّ) أخبارا عن كلّ هذه الدّورة الإفريقيّة مثل: خسارة سيدات كرة اليد الجزائريّة للكأس الإفريقيّة، وخسارتهن حتى للمرتبة الثّالثة، إضافة إلى فوز الفريق التّونسيّ على المنتخب المصريّ في النّصف النّهائيّ، وتأهله إلى النّهائيّ الذي خسره أمام الجزائر، أما الملفوظ الذي اخترته؛ فيتحدث عن اللاعب التّونسيّ عصام تاج الذي أدلى بتصريحات تلفزيونيّة بعد فوز فريقه على المنتخب المصريّ، والملفت

---

[1]- دون إمضاء:« عصام تاج الجزائري» الخبر الرّياضيّ، 26 جانفي 2014م، ع: 1324، ص 24.

للانتباه أنّه كان بقميص المنتخب الجزائريّ، ويمكن أن تكون الفرضيّة التي يُعبر عليها الملفوظ على الشّكل التّالي:

- قَبِل عصام تاج التّونسيّ ارتداء القميص الجزائريّ بناء على طلب المناصرين الجزائريين، وأدلى حتى بتصرحات تلفزيونيّة، وهو على تلك الهيئة؛ مما يعني أنّه يتميّز بالرّوح الرياضيّة.

ستكون الآثار السّياقيّة –إذا صحت الفرضيّة التي استخرجتها– مختلفة حسب أنواع القرّاء الذين سيطلعون على هذا الملفوظ، وحسب درجة تقبلهم لمثل هذا السّلوك، وسأعتمد في تحليلي على طائفة من القرّاء؛ أصنفهم إلى ثلاث؛ وهم: القارئ الجزائريّ والقارئ المصريّ والقارئ التّونسيّ.

I– الآثار السّياقية المتوقعة لدى القارئ الجزائريّ: يبدو لي أنّ القارئ الجزائريّ المُطلع على جريدة الخبر الرّياضيّ في هذا اليوم بالذّات؛ أي الموالي لتتويج المنتخب الجزائريّ بالكأس الإفريقيّة على حساب منتخب تونس الذي يلعب له عصام تاج نفسه، سيؤوِّل هذا الملفوظ في سياق يشتمل مجموعة من الفرضيات منها –على الأرجح–:

1– أنا جزائريّ (مؤكدة).

2– الجزائر فازت على تونس، وافتكت كأس إفريقيا البارحة (مؤكدة).

3– تونس أحسن فريق إفريقيّ في كرة اليد حيث فاز بتسعة (09) ألقاب مقابل سبعة (07) للجزائر وخمسة (05) لمصر (مؤكدة).

4– تونس متفوقة على الجزائر منذ سنوات (مؤكدة).

5– عصام تاج يلعب في فريق مونبيليه الفرنسيّ، وبالتّالي يمكن أن يكون قد تعلم من الأوربيين احترافيتهم (مؤكدة).

6– التّونسيون جيراننا ولدينا تاريخ مشترك؛ مما يجعلنا متقاربين (مؤكدة).

7– تونس فازت على مصر، ثم التقت بالجزائر في النّهائيّ، وفزنا عليها (مؤكدة).

8– لن يقبل أي لاعب ارتداء قميص فريق آخر؛ وإدلاء بتصريح تلفزيوني به (مؤكدة).

قد تكون كلّ أو بعض أو أغلب هذه الفرضيات موجودة في السّياق الذي سيعتمد عليه القارئ الجزائريّ العادي لتأويل الملفوظ المطروح للدّراسة، وأظن أنّ الآثار السّياقيّة التي يمكن أن تحدث هي كالتّالي:

أ- الآثار الايجابيّة المتوقعة: ستكون هناك تقويّة للفرضيّة الخامسة (05) (عصام تاج يلعب في مونبيليه الفرنسيّ، وبالتّالي يمكن أن يكون قد تعلم من الأوربيين احترافيتهم) التي كانت (مؤكدة) حيث ستصبح (مؤكدة جدا) مثلا، كما ستتجه الفرضيّة السّادسة (06) (التّونسيون جيراننا ولدينا تاريخ مشترك مما يجعلنا متقاربين) التّوجه نفسه حيث ستصبح أكثر من (مؤكدة) أيضا.

ب- الآثار السّلبيّة المتوقعة: ستمس هذه الآثار الفرضيّة الأخيرة رقم (08) (لن يقبل لاعب تونسيّ ارتداء قميص فريق آخر وإدلاء بتصريح تلفزيونيّ به) وهي فرضية (مؤكدة) لكنّها متعارضة مع الفرضيّة التي انبثقت من الملفوظ المدروس؛ وهي (قَبِل عصام تاج التّونسيّ ارتداء القميص الجزائريّ بناء على طلب المناصرين الجزائريين، وأدلى حتى بتصريحات تلفزيونيّة، وهو على تلك الهيئة؛ مما يعني أنّه يتميّز بالرّوح الرّياضيّة) ولحل هذا التّناقض؛ سيفتح القارئ الجزائري مفهوم (الرّوح الرّياضيّة) الذي سيجد فيه مجموعة من المبادئ من مثل:

- المنافس ليس عدو؛
- يمكن تبادل القمصان كذكرى بين لاعبين من منتخبات مختلفة؛
- ارتداء قميص منتخب آخر تقدير فقط، وليس انتماء له...

ويمكن، بناءً على هذه التّفسيرات الموجودة في المفهوم؛ أن يميل القارئ الجزائريّ إلى شطب الفرضيّة التّاسعة (09) في السّياق، ويدمج فرضيّة الملفوظ المدروس في محيطه المعرفيّ.

II- الآثار السّياقيّة المتوقعة لدى القارئ المصريّ: ليس مستبعدا أن يلجأ القارئ المصريّ المهتم بكرة اليد لمتابعة أخبار المنتخب المصريّ في الصّحافة الجزائريّة، وخاصة أنّ الصّحف العربيّة، بشكل عام، لا تهتم برياضة ككرة اليد؛ وبالتّالي ليس هناك مصادر إعلاميّة كثيرة لمثل هذه الرّياضات، وأظن أنّ اهتمام الصّحافة الجزائريّة بها لم يأت عن تقليد، بل لأنّ الجزائر هي البلد المُنظم

لهذه الدّورة، وإذا صح هذا الكلام، فإنّ القارئ المصريّ سيهتم -لا محالة- بمقالة من هذا النّوع؛ لأنّ عصام تاج لاعب في المنتخب التّونسيّ الذي أقصى المنتخب المصرّي في النّصف النّهائيّ، أما السّياق الذي سيستعمله القارئ المصريّ، في الأحوال التي صدر فيها هذا المقال، فسيكون -على الأرجح- كالتّالي:

1- أنا مصريّ (مؤكدة).
2- تونس أقصت مصر من كأس الأمم الأفريقيّة المنظمة في الجزائر (مؤكدة).
3- المصريون يشتركون مع التّونسيين في التّاريخ والقارة... (مؤكدة).
4- هناك صراع بين مصر والجزائر وتونس على الزعامة الإفريقيّة في كرة اليد (مؤكدة).
5- التّونسيون يميلون إلى البلدان المغاربيّة بفعل الموقع (مؤكدة).
6- لن يقبل لاعب ارتداء قميص منتخب آخر غير المنتخب الذي يلعب له، وإدلاء بتصريح تلفزيونيّ به (مؤكدة).
7- الملفوظ الذي أقرأه مأخوذ من جريدة جزائريّة (مؤكدة).

يبدو لي أنّ القارئ المصريّ العاديّ -أو النّموذجيّ- سيستعمل هذه الفرضيات في تأويل ملفوظه، والفرضيّة المستخرجة منه -التي سبق لي تقديمها-، وأميل إلى أنّ الآثار السّياقيّة التي ستحصل مختلفة عما ذكرته في تحليلي للقارئ الجزائريّ؛ وستكون كالتّالي:

سيتجه القارئ المصريّ إلى تقويّة الفرضيّة رقم (05) (التّونسيون يميلون إلى البلدان المغاربيّة بفعل الموقع) التي كانت (مؤكدة) فستصبح أكثر من ذلك؛ كأن تصبح (مؤكدة جدا) مثلا، أما الفرضيّة رقم (06) التي اصطدمت مع الفرضيّة المستخرجة من الملفوظ المدروس عند القارئ الجزائريّ، فيبدو لي أنّ آثارها السّياقيّة عند القارئ المصريّ لن تمس درجة الحصافة؛ بقدر ما ستكوِّن مستلزمة سياقيّة أخرى؛ لأنّني لا أظنه سيذهب إلى المدخل (روح رياضيّة) مثلا، ثم سيشطب الفرضية السّادسة (06) المذكورة هنا، بل أُرجح أنّه سيُبقي على هذه الفرضيّة السّادسة (06) أعلاه، وسيشطب فرضيّة الملفوظ التي استخرجتها سابقا (قَبِل عصام تاج التّونسيّ ارتداء القميص الجزائريّ بناء على طلب المناصرين

الجزائريين، وأدلى حتى بتصريحات تلفزيونيّة، وهو على تلك الهيئة؛ مما يعني أنّه يتميّز بالرّوح الرّياضيّة) إن استخرجها في موضع ما من قراءته للمقال، وسيبني على أنقاضها مستلزمات سياقيّة من قبيل:

- عصام تاج يغازل الجزائريين في بلدهم؛
- عصام تاج ارتدى القميص الجزائريّ خوفا من بطشهم؛
- عصام تاج ارتدى القميص الجزائريّ نكاية في المصريين...

وهذه كلّها مستلزمات سياقيّة، وليست درجات للحصافة.

III- الآثار السّياقيّة المتوقعة لدى القارئ التّونسيّ: لن يكون القارئ التّونسيّ بمعزل عن استقطاب هذه المقالة؛ لأنّها تتحدث عن أحد أكبر نجوم المنتخب التّونسيّ وهو اللاعب عصام تاج، فليس مستبعدا أن تكون محل قراءته وتأوليه للفرضيّة التي استخرجتها، والملفوظ المدروس ككلّ، وسيكون سياقه -حسب رأيي- كالتّالي:

1- أنا تونسي (مؤكدة).

2- تونس أحسن فريق إفريقيّ في كرة اليد حيث فاز بتسعة (09) ألقاب مقابل (07) للجزائر و(05) لمصر (مؤكدة).

3- تونس أقصت مصر من كأس الأمم الإفريقيّة المنظمة في الجزائر (مؤكدة).

4- الجزائر فازت على تونس، وافتكت كأس إفريقيا البارحة (مؤكدة).

5- هناك صراع بين تونس والجزائر ومصر على الزعامة الإفريقيّة في كرة اليد (مؤكدة).

6- التّونسيون يميلون إلى البلدان المغاربيّة بفعل الموقع والتّاريخ المشترك؛ مما يجعلنا متقاربين مع الجزائر (مؤكدة).

7- لن يقبل لاعب ارتداء قميص منتخب آخر غير المنتخب الذي يلعب له، وإدلاء بتصريح تلفزيونيّ به (مؤكدة).

8- الملفوظ الذي أقرأه مأخوذ من جريدة جزائريّة (مؤكدة).

9- عصام تاج يلعب في فريق مونبيليه الفرنسيّ، وبالتّالي يمكن أن يكون قد تعلم من الأوربيين احترافيتهم (مؤكدة).

يبدو لي أنّ التّونسيين لن يكون لهم موقف واحد من هذا الملفوظ؛ فسينقسمون إلى نوعين من القرّاء -على الأرجح-؛ فأفترض أنّه هناك الرّافضون لهذا السّلوك باعتبارهم وطنيين والمتقبلين له.

أ- الآثار السّياقيّة المتوقعة لدى الرّافضين لسلوك عصام تاج: يبدو لي أنّ هذا النّوع من القرّاء سيرفض إدماج الفرضيّة التي استخرجتُها ((قَبِل عصام تاج التّونسيّ ارتداء القميص الجزائريّ بناء على طلب المناصرين الجزائريين، وأدلى حتى بتصريحات تلفزيونيّة، وهو على تلك الهيئة؛ مما يعني أنّه يتميّز بالرّوح الرّياضيّة) في محيطه المعرفيّ؛ لأنّها مناقضة للفرضيّة رقم (07) الموجودة في سياقه؛ أي إنّ هذا الملفوظ لن يحرك هذه الفرضيّة، لكنّه سيدفع بالفرضيّة رقم (09) إلى أدنى الدّرجات -ربما-، كما يمكن، على غرار القارئ المصريّ، أن يستخرج مستلزمات سياقيّة جديدة.

ب- القارئ التّونسيّ المتقبل لسلوك عصام تاج: أميل إلى القول إلى أنّ هذا النّوع من القرّاء هو الغالب، وبالنّسبة لهم، يبدو لي أنّ الآثار السّياقيّة تتجه نحو تقويّة كلّ الفرضيات الموجودة في السّياق؛ إلا الفرضيّة رقم (07) التي سيتعامل معها مثل ما تعامل معها القارئ الجزائريّ من حيث ستكون الآثار الأساسيّة هي شطبها، وإدماج فرضية الملفوظ التي سبق أن استخرجتها.

خلاصة عامة للباب الثّانيّ: لا بد، قبل غلق أقفال على هذا الباب التّطبيقيّ، من الوقوف على بعض النّتائج المهمة التي خرجتُ بها، والتّأكيد عليها من مثل:

I. **تعدد أنماط ظاهرة تعدد الأصوات في الصّحافة الرّياضيّة:** لاحظت أنّ تعدد الأصوات واقع في الصّحافة، وبشكل معقد إلى حد يصعب معه وضع نماذج نهائيّة، ومما وصلت إليه أنّ المشهدة الخطابيّة للمتكلمين لا تقتصر على متكلميْن فقط؛ بل قد يتعدد المتكلمون إلى أكثر من ذلك؛ وفي تراتبات متعددة، كما لاحظت أنّ الخطاب يسمح للصّحافيين أن ينسبوا كلاما واحدا لكيانات كثيرة مثل (الأنصار) و(شخصين)... وقد تفضح هذه التّقنية تحويرات الصّحافيين للكلام؛ مثل ذلك الصّحافيّ الذي نسب الكلام نفسه لرئيسي ناديين

دفعة واحدة، والمنطق يقول إنّه من غير المعقول أن يعيد الرئيسان الكلام نفسه! فأحوال الخطاب غير أحوال الواقع الماديّ.

II. **تشابك الظّواهر اللّغويّة في الاستعمال:** تتشابك وتتداخل الظّواهر اللّغوية في الاستعمال بشكل كبير، فلا يرد النّفي وحده إلا نادرا؛ بل تجده غالبا في تجاذب مع إثباتات، ويتراتب معها في تعدد الأصوات وفي الحجاج، وهذا ما جعلني أطرح تساؤلا: هل يمكن نمذجة هذه الأمور؟ فحاولت أن أقدم نمذجة في آخر تحليلي، وأظن أنّها تحتاج إلى تجارب عدة لقياس مدى نجاحها.

III. **تعدد وتشابك أنماط الظّاهرة الحجاجية في الخطاب الصّحافيّ الرّياضيّ:** وقفت أثناء حديثي عن الطّابع الحجاجي للخطاب الصّحافيّ الرّياضيّ على تعقد الظّاهرة الحجاجية؛ وما تُقدمه على المستوى الخطابيّ من ظواهر؛ تصل –في بعض الأحيان– إلى درجة الغرابة؛ لتعارض بينها والمقتضيات المنطقيّة العادية للواقع، كما واجهتني الإشكاليّة نفسها مع تعدد الأصوات؛ والمتمثلة في تداخل الظّواهر اللّغويّة على مستوى الاستعمال، فليست النّصوص حجج واضحة المعالم؛ بل يختلط فيها النّفي والإثبات، السّلم التّصاعدي والسّلم التّنازليّ... مما يصعب عمليات النّمذجة؛ ورغم ذلك؛ حاولت تقديم بعض مظاهر الحجاج في المدوَّنة، وخاصة الاستخدام المتعارض للسّلالم الحجاجيّة الذي يشكل ظاهرة تحتاج إلى بحث معمق لتبيان جنسها؛ وهل هي ظاهرة مستقلة؟

IV. **تشعب عمليات التّأويل التي يقوم بها القرّاء:** كان أول تطبيق أنجزته في إطار التّداوليّة العرفانيّة متعلق بالبحث عن الأشكال القضوية للملفوظات على أنواعها؛ فدرست العناوين والمتون والأفعال الكلاميّة والنّصوص، وكنتُ كلّ مرة ألاحظ فائدة العمليات التي وصفتها هذه النّظريّة، وخاصة في ما يتعلق باستخراج الأشكال القضوية والمواقف منها، فليس القارئ يذهب إلى المعلومات مباشرة؛ بل هناك مسارات طويلة؛ تكون أكثر تعقيدا كلّما كان الخطاب طويلا؛ لأنّ العمليات محليّة ودقيقة جدا؛ تستنجد بالبنيّة اللّغويّة (نحويّا

ودلاليّا) وهي العمليات المسماة –أساسا– رفع اللّبس، كما تستنجد بمسارات تداوليّة كتحديد المراجع والإثراء وعمليات التّطوير.

V. **نسبيّة فكرة السّياق المتعدد:** وقفت على نقص نظريّ في فكرة السّياق المتعدد الذي تبنته نظريّة الحصافة، فيبدو حسب تطبيقاتيّ أنّ السّياق متعدد فعلا؛ أي أنّه يتغيّر من ملفوظ إلى آخر، ولا يبقى على حاله طوال عمليّة القراءة؛ لكن يبدو لي أنّ هناك مجموعة من الفرضيات المعطاة التي لا يمكن للقارئ أن يتجاوزها في عمليات التّأويل التي يقوم بها، وهذه الفرضيات محليّة، لكنّها قائمة في الملفوظات، وفي وضعية محليّة واحدة –دائما–.

VI. **أهمية فكرة الآثار السّياقيّة في تحليل الملفوظات:** استنجت، في سياق حديثي عن الآثار السّياقيّة الأخرى للملفوظات (تقوية وإضعاف الفرضيات) أنّ هذه العمليات من أهم ما توصلت إليه نظريّة الحصافة؛ ولها أهميّة كبيرة في فهم لغة الصّحافة الرّياضيّة، فتشرح مدى تعدد آثار الملفوظات على إدراك المتكلمين للعالم، كما أنّها تبيّن أنّ مسار فهم الملفوظات يتدخل فيه الجانب الحدسيّ بشكل لا يمكن معه تجاهل الجانب النّفسيّ للّغة.

خاتمة:

وصل عملي إلى نهايته، وقد طاف على قمم التّداوليّة المتعددة والخطاب الصّحافيّ الرّياضيّ المتميّز، وكان لي في فسحتي هذه أن توقفتُ على خبايا كثيرة لنظريات وتطبيقات؛ منها ما وافقت على طرحه، ومنه ما طرحته رفضا لنظرته، وزبدة ذلك هي ما سأدبجه في هذه الأسطر المعدودات المتبقيّة من عملي.

التقيت في دهاليز حديثي عن الصّحافة الرّياضيّة بفراغات لا بد لي من ذِكرها، وإعادة التّأكيد على وجود نقص في موادها؛ وأهم تلك القضايا ما له صلة بتاريخ الصّحافة الرّياضيّة الذي لم يقم الدّارسون بتدوينه، فكانت لي محاولة لا أجزم أنّها عامة شاملة؛ رغم أنّني بحثت في كلّ صوب وحدب، وأنتظر أن ينهض بذلك غيري من الباحثين ممن له اهتمام بهذا الشّأن؛ وسيكون ذلك عملا جليلا يُحسب له.

كما اصطدمت بضبابية الحدود في ما يتعلق بتحديد ماهية التّداوليّة ومدارسها، فتوجهتُ إلى انتقاء تداوليتين فقط هما: التّداوليّة المدمجة والتّداوليّة العرفانيّة، لذلك أُذكر القرّاء ونفسي أنّ التّداوليّة أوسع من ذلك؛ فمازال الخطاب الصّحافيّ الرّياضيّ قابل للدّراسة من زوايا أخرى؛ كالتّداوليّة الحجاجيّة وغيرها من التّداوليات.

وسعيتُ، في الجزء التّطبيقيّ من هذا العمل، لفهم الخطاب الصّحافيّ الرّياضيّ، فاستعملتُ -كما أسلفتُ- سلاحين لا ثالث لهما؛ وهما التّداوليّة المدمجة ونظريّة الحصافة؛ وقد جابهت بهما قوة هذا الخطاب -الذي أعتقد أنّه أرض خاليّة لم تنهض الدّراسات لإعمارها؛ وخاصة منها الدّراسات اللّغويّة- وقد كان لي، بعد ذلك، أن وصلت إلى الكثير من النّتائج عرضتها في ثنايا العمل؛ لكن لا بأس من تلخيصها مرة أخرى.

حاولتُ، في بداية التّطبيق، أن أفهم بمنظور التّداوليّة المدمجة آليتين تداوليتين معروفتين وهما: الحجاج وتعدد الأصوات، فليس يخفى على أيّ مشتغل في الدّراسات التّداولية وتحليل الخطاب؛ أنّ هذين المحورين من المحاور الأساس في أي تحليل يروم إلى فهم الظّاهرة اللّغويّة، وقد توصلت إلى ملامسة تشعب الظّواهر اللّغويّة التّداوليّة، وكيف أنّ ظواهر الحجاج وتعدد الأصوات ليست نمطيّة كما

تصفها النّظرية؛ بل هي أكثر تعددا وتشعبا من حيث يمكن أن يتراتب متكلمون ومتلفظون كثيرون في الملفوظ الواحد؛ وبطُرق متعددة، كما يمكن للصّحافيين استعمال الحجج بطرق مختلفة غير نمطيّة؛ بشكل يمتزج فيه النّفي مع الإثبات ويشكلان سلما واحد.

وسخرتُ نظريّة الحصافة، في بحثي هذا في اتجاه فهم عمليات التّأويل التي يقوم بها القرّاء أثناء قراءتهم لخطابات الصّحافة الرّياضيّة، وقد وقفتُ، أثناء ذلك، على جدة أفكار هذه النّظريّة التي تُصنف في ما يسمى بالتّداوليّة العرفانيّة؛ ذلك أنّها تركز على الجوانب النّفسيّة في عمليات التّواصل أكثر من تركيزها على الجوانب البنويّة، كما أنّها تتميّز بانطلاقها من القارئ -وليس المتكلم- في تحليل اللّغة والتّواصل بشكل عام، فاستنتجتُ أنّ القرّاء والمتعاملين مع الخطاب الصّحافيّ الرّياضيّ يستعملون في عمليات تأويل الملفوظات آليات كثيرة؛ فيها مزج بين اللّغويّ والمعرفيّ والتّداوليّ، كما أنّ أثر الملفوظات ليس موحدا على كلّ القرّاء، فكلّ ملفوظ ينتج آثارا متميّزة على كلّ قارئ بعينه؛ قد لا تكون مشابهة لما ينتج من آثار عند قارئ آخر.

ويبدو لي، قبل ختم هذه الخاتمة، أنّه من الواجب تقديم بعض الاقتراحات التي تصب في اتجاه تطوير منظومتنا الصّحافيّة، ومنها:

- ضرورة تنقيّة وترقيّة لغة الصّحافة الرّياضيّة لكي تساهم في ترقية اللّغة العربيّة بشكل عام، فتربيّة الصّبيّة على لغة سليمة؛ يعني فتح الأبواب على أجيال من المتمكنين من ناصية اللّغة العربيّة.
- الاهتمام بلغة الصّحافة الرّياضيّة من حيث الدّراسة، فهذه اللّغة من أكثر اللّغات استقطابا للشّباب الذين يشكلون العمود الفقريّ لكلّ المجتمعات، ورغم ذلك؛ ابتعدت الدّراسات اللّغويّة عنها كأنّها ناكرة لتأثيرها، وهو ما يستدعي إعادة النّظر، وضرورة الاتجاه قدما لفهمها وتصحيح أوضاعها -إن اقتضى الأمر ذلك-.
- ضرورة التّفكير في الاستعانة ببعض نصوصها في الكتاب المدرسيّ؛ مادام الشّباب مدمنون عليها؛ فلماذا استبعادها من الميدان التّعليميّ؟ ويجب الإشارة

-هاهنا- أنّ بعض نصوص هذه الصّحافة عربيّة راقيّة؛ تستحق التّواجد في الكتاب المدرسيّ.

- تثمين ما حققته الصّحافة الرّياضيّة على مستوى اللّغة حيث بذلت جهودا لا ينكرها إلا جاحد في عملية مواكبة المستجدات العالميّة باللّغة العربيّة، فهي تساهم في تعويم العديد من المصطلحات العربيّة مثل (الحكم) و(المدرب) و(اللاعب)...
- ضرورة توظيف المدققين اللّغويين في كلّ جريدة، وأرى أنّ هذا سيساهم لا محالة في ترقية عربيّة الجرائد الرّياضيّة، وهو ما من شأنه أن يرقى بلغة الشّباب والمجتمع ككلّ.
- تعميم الأخذ بهذه الاقتراحات حتى على الإعلام الرّياضيّ المسموع والسمعيّ البصريّ ممكن -أيضا-.

أتلمس، بعد هذه النّتائج والاقتراحات، المدى الحقيقيّ لعملي؛ فقد قبضت على أشياء وفاتت مني أشياء، ورغم ذلك، أتمنى أن أكون قد شرحت بعض خبايا الخطاب الصّحافيّ الرّياضيّ، وأن أكون قد خدمت الله والوطن والعلم والقارئ بما كانوا ينتظرونه مني، وما هذا إلا بداية لنهاية لا نهاية لها.

﴿ من اجتهد وأصاب فله أجران، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد﴾

فهرس المراجع:

01- **القرآن الكريم.**

I: المصادر والمراجع باللّغة العربيّة:

أ: المعاجم:

02- أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقيّ، لسان العرب، ط 05. بيروت: 2005م، دار صادر، مج: 05.

03- دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح في تحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، الجزائر: 2005م، منشورات الاختلاف.

04- موساوي فريدة، المفاهيم الأساسيّة في تحليل الخطاب، سلسلة مقاربات آداب ولغات، ط 02. الجزائر: 2010م، عالم الكتب.

05- نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسيّة في لسانيات النّص وتحليل الخطاب (دراسة معجميّة)، ط 01. عمان: 2009م، عالم الكتب الحديث/ جدارا للكتاب العالميّ.

ب: الكتب:

06- أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسيّ، العقد الفريد، تح: وشر: محمد التّونجي، ط.01. بيروت: 2001م، دار صادر، مج: 04.

07- أحمد مداس، لسانيات النّص (نحو منهج لتحليل الخطاب الشّعريّ)، عمان: 2007م، جدارا للكتاب العالميّ/عالم الكتب الحديث.

08- أديب خضور، الإعلام الرّياضيّ (دراسة علميّة للتّحرير الرّياضيّ في الصّحافة والإذاعة والتّلفزيون) سلسلة المكتبة الإعلاميّة (09)، ط 01. دمشق: 1994م.

- أديب خضور، الإعلام المتخصص (الاقتصاديّ.... الرّياضيّ... الثّقافيّ... السّكانيّ... العلميّ... خصائص الكتابة للإذاعة والتّلفزيون) سلسلة المكتبة الإعلاميّة، ط 02. دمشق: 2005م.

09- الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللّسانيات التّداوليّة، تر: محمد يحياتن، الجزائر: 1992م، ديوان المطبوعات الجامعيّة.

10- المنظمة العربيّة للتّربيّة والثّقافة والعلوم، الإعلام العربيّ حاضرا ومستقبلا (نحو نظام عربيّ جديد للإعلام والاتصال)، تونس: 1987م.

11- أمين ساعاتي، أزمة الصّحافة الرّياضيّة (الأسباب... والعلاج) ط 01. القاهرة: 1993م، المركز السعوديّ للدّراسات الاستراتجيّة.

12- ج. ب. براون/ ج. يول، تحليل الخطاب، تر: وتع: لطفي الزلطيني/ منير التّريكي، الرّياض: 1997م، النّشر العلميّ والمطابع –جامعة الملك سعود.

13- جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، تح: عبد الحميد هنداوي، ط 01. بيروت: 2001م، دار الكتب العلميّة، ج 01.

14- جورج يول، التّداوليّة، تر: قصي العتابي، ط01. بيروت/ الرّباط: 2010م، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون/ دار الأمان.

15- جون ل. أوستين، القول من حيث هو فعل (نظريّة أفعال الكلام)، تر: محمد يحياتن، ط 02. الجزائر: 2010م، عالم الكتب.

16- خير الدّين على عويس، م.م. عطا حسن عبد الرّحيم، الإعلام الرّياضيّ، القاهرة: د.ت، مركز الكتاب للنّشر، ج 01.

17- ديفيد روي، الرّياضة، والثّقافة ووسائل الإعلام (الثّالوث الصّعب)، تر: هدى فؤاد، سلسلة قضايا في الدّراسات الثّقافيّة والإعلاميّة، ط 01. القاهرة: 2006م، مجموعة النّيل العربيّة.

18- رابح بومعزة، الجملة والوحدة الإسناديّة الوظيفيّة في النّحو العربيّ، سلسلة دراسات نحويّة، دمشق: 2009م، دار رسلان للطّباعة والنّشر والتّوزيع.

19- روبرت دي بوجراند، النّص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، ط01. القاهرة: 1998م، عالم الكتب.

20- رولان كايرول، الصّحافة المكتوبة والسّمعية البصرية، تر: محمد مرشلي، سلسلة المجتمع، الجزائر: 1984م، ديوان المطبوعات الجامعيّة.

21- صالح بلعيد، الصّرف والنّحو (دراسة وصفيّة تطبيقيّة في مفردات برنامج السّنة الأولى الجامعيّة) الجزائر: 2003م، دار هومة.

- صالح بلعيد، اللّغة العربيّة العلميّة، الجزائر: 2002م، دار هومة.

22- صلاح عبد اللّطيف، الصّحافة المتخصصة، ط 01. القاهرة: 2002م، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنيّة.

23- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط 02. الرّباط/ بيروت: 2000م، المركز الثقافيّ العربيّ.

24- عبد الرّحمن بن خلدون، المقدمة، تح. وتق: عبد السّلام الشّدادي، الجزائر: 2006م، المركز الوطنيّ للبحوث في عصور ما قبل التّاريخ وعلم الإنسان والتّاريخ، ج:01.

25- عبد العزيز شرف، علم الإعلام اللّغويّ، سلسلة لغويات، ط01. القاهرة: 2000م، الشّركة العالميّة للنّشر–لونجمان.

26- عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحيّ في ضوء النّظريّة التّداوليّة، ط 01. الجزائر: 2003م، منشورات الاختلاف.

- عمر بلخير، مقدمات في الحجاج والنّص، الجزائر: 2011م، منشورات مخبر الممارسات اللّغويّة في الجزائر.

27- عيسى محمود الحسن، الصّحافة المتخصصة، ط 01. عمان: 2010م، دار زهران.

28- فاروق أبو زيد، الصّحافة المتخصصة (السّياسة الخارجيّة، المرأة، الرّياضة الجريمة، الفن)، القاهرة: 1986م، عالم الكتب.

29- فيردنان دي سوسير، دروس في الألسنيّة العامة، تعريب صالح القرمادي، محمد الشاوش، محمد عجينة، تونس: 1985م، الدّار العربيّة للكتاب.

30- مجموعة من الكتّاب الألمان والبلغار، دراسات نظريّة في علم الصّحافة، تر: أديب خضور، دمشق: 1986م، منشورات وزارة الثّقافة.

31- محمد خطابي، لسانيات النّص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، ط 02. الرّباط: 2006م، المركز الثّقافيّ العربيّ.

32- محمود فهمي حجاري، الأسس اللّغويّة لعلم المصطلح، القاهرة: 1993م، دار غريب.

33- مسعود صحراوي، التّداوليّة عند العلماء العرب (دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التّراث اللّسانيّ العربيّ) الجزائر: 2008م، دار التّنوير.

34- يعقوب فام، البراجماتزم أو مذهب الذّرائع، سلسلة فلسفة، ط 02. بيروت: 1985م، دار الحداثة.

35- يوسف نور عوض، نظريّة النّقد الأدبيّ الحديث، القاهرة: 1994م، دار الأمين.

ت: المقالات:

36- أحمد الجوة:« التّداوليّة وتحليل الخطاب» في مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، الجزائر: ع: 08، 2011م.

37- إميل بنفنيست:« اللّغة والتّجربة الإنسانيّة» تر: ذهبية حمو الحاج، في مجلة الممارسات اللّغويّة، مخبر الممارسات اللّغويّة في الجزائر، الجزائر: ع: 14، 2012م.

38- بوقرومة حكيمة:« التّداوليّة وعلاقتها بعلم الدّلالة والسّيميائيّة» في مجلة الممارسات اللّغوية، مخبر الممارسات اللّغويّة في الجزائر، الجزائر: ع: 10، 2012م.

39- صالح بلعيد:« دفاعا عن لغة الإعلام» في مجلة اليوم الدّراسيّ حول دور وسائل الإعلام في نشر اللّغة العّربيّة وترقيتها المنظم يوم الاثنين 5 ربيع الثّانيّ 1423هـ الموافق 15 يوليو 2002م، المجلس الأعلى للّغة العربيّة، الجزائر: 2004م.

40- عائشة هديم، ملامح معرفيّة في تفسير ابن عاشور (سورة الأعراف نموذجا) منشورات مخبر تحليل الخطاب، الجزائر: ع: 14، عدد خاص بأعمال الملتقى الدّوليّ حول "واقع البحوث المعرفيّة وتحليل الخطاب (المنظم أيام 11-12-13 مارس 2013).

41- عبد القادر تواتي:« خصائص لغة الإعلام وسماتها» في أعمال مشروع: أثر لغة الإعلام في الواقع اللّغويّ الجزائريّ، منشورات مخبر الممارسات اللّغويّة في الجزائر، الجزائر: د.ت.

42- عمر ديدوح:« دور الصّحافة الرّياضيّة الجزائريّة في نشر اللّغة العربيّة» في مجلة اليوم الدّراسيّ حول "دور وسائل الإعلام في نشر اللّغة العربيّة وترقيتها" المنظم يوم الاثنين 5 ربيع الثّانيّ 1423هــ الموافق 15 يوليو 2002م، المجلس الأعلى للّغة العربيّة، الجزائر: 2004م.

43- كورتيس ماكدوغال:« الصّحفيّ الرّياضيّ وتغطية المباريات والمسابقات» في دراسات في الصّحافة الرّياضيّة (تغطية المباريات صّحفيّا وإذاعيّا وتلفزيونيّا وتحرير الأخبار الرّياضيّة) مجموعة من الباحثين الأمريكيين، تر: أديب حضور، ط 01. دمشق: 1995م.

44- محمود أحمد نحلة:« الاتجاه التّداوليّ في البحث اللّغويّ المعاصر» في اللّغة والأدب، مجموعة من المؤلفين، تق: محمد مصطفى أبو الشّوارب، ط 01. القاهرة: 2004م.

45- يعمرانن نعيمة:« الحجاج اللّغويّ عند ديكرو وأنسكومبر» في مجلة الممارسات اللّغويّة، منشورات مخبر الممارسات اللّغويّة في الجزائر، الجزائر: ع: 14، 2012م.

ث- المذكرات والأطروحات:

46- ذهبية حمو الحاج، استراتجيّة التّواصل: التّصريح والتّلميح في الخطاب السّياسيّ، أطروحة دكتوراه، جامعة مولود معمري-تيزي وزو/الجزائر: قسم اللّغة العربيّة وآدابها، 2006م/2007م.

47- رشيد عزي، إشكاليّة المصطلح في المؤلفات العربيّة (تحليل الخطاب نموذجا دراسة تحليليّة وصفيّة) جامعة البويرة-الجزائر: قسم اللّغة العربيّة وآدابها، 2008م-2009م.

48- سامية عليوات، تعدد الأصوات في الرّوايّة الهامشيّة (تحليل رواية التّبر لإبراهيم الكوني) مذكرة ماجستير، جامعة البويرة-الجزائر: قسم اللّغة العربيّة وآدابها، 2008م-2009م.

49- عمر بلخير، معالم لدراسة تداوليّة وحجاجية للخطاب الصّحافيّ الجزائريّ المكتوب ما بين 1989 و2000، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر: قسم اللّغة العربيّة وآدابها، 2005م-2006م.

50- غنية لوصيف، الاتساق والانسجام في قصيدة "مديح الظّل العاليّ" لمحمود درويش (مقاربة لسانيّة نصيّة) مذكرة ماجستير، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة البويرة-الجزائر: 2008م-2009م.

51- فتيحة بوسنة، انسجام الخطاب في مقامات "جلال الدّين السيوطي"، مذكرة ماجستير، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة تيزي وزو-الجزائر: د.ت..

52- لاوسين سليمان، الصّحافة الرّياضيّة ومدى تأثيرها على انتشار ظاهرة إقالة واستقالة مدربي أندية القسم الوطنيّ الأول أكابر لكرة القدم الجزائريّة في الفترة الممتدة من 2005 إلى 2010 (دراسة تحليليّة وميدانيّة) أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر 03: معهد التّربية البدنيّة والرّياضيّة، 2012م/2013م.

53- موساوي فريدة، المقام في الشّعر الجاهليّ (تناول تداوليّ لمعلقتي عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة) رسالة ماجستير، جامعة الجزائر: قسم اللّغة العربيّة وآدابها، 2004م/2005م.

ج: الجرائد والمجلات:

54- الخبر، الأربعاء 05 أفريل 2006م، ع: 4670.

55- الهدّاف، 17 ماي 2012.

56- الهدّاف، 22 إلى 28 جانفي 2005.

57- بانوراما حوادث، من 13 إلى 19 فيفري 2014، ع: 301.

58- دزيريات، جانفي 2014م، ع: 80.

59- سفيان بوعياد/ حفيظ صواليلي:« 'الخبر' الأكثر مصداقية لدى الجزائريين» الخبر، الثّلاثاء 03 أفريل 2012م، ع: 6675.

60- م. لكحل: « في حفل بهيج حضرته عدة وجوه كرويّة.. الأربعاء تحظى بتكريم الأبطال... وتسترجع بريقها من فندق "السوفيتال"» الهدّاف، 16 ماي 2012م، ع: 2078.

61- مدوّنة الأطروحة: (الهدّاف، الشّباك، الخبر الرّياضيّ).

II: المصادر والمراجع باللّغات الأجنبيّة:

أ: فهرس المصادر والمراجع باللّغة الفرنسيّة:

01- Anne Reboul, Jacques Moeschler, Dictionnaire encyclopédique de pragmatique, Paris: 1994, Ed. le Seuil.

- Anne Reboul, Jacques Moeschler, La pragmatique aujourd'hui (une nouvelle science de la communication), Paris: 1998, Ed. le Seuil.

02- Bakhtine Mikhail, Esthétique de la création verbale, Paris: 1984 Gallimard.

03- Dan Sperber, Deirdre Wilson, La pertinence (communication et cognition), Tr. Abel Gerschenfeld et Dan Sperber, Paris: 1989, Ed. Minuit.

04- Dominique Maingueneau, Analyser les textes de communication, Paris: 1998, Dunod.

- Dominique Maingueneau, Genèses du discours, Coll. Philosophie et langage, 02 ed. Liège/Bruxelles: 1984, Pierre Mardaga.
- Dominique Maingueneau, Pragmatique pour le discours littéraire, Edition mise à jour, Paris: 1995, DUNOD.

05- Emile Benveniste, Problème de linguistique générale, Tunis: 1995, Cérès ed. T.02.

06- Encyclopédia universlis (France), corpus 18, Paris: 1995.

07- Erving Goffman, Façons de parler, Coll. Sens commun, Paris: 1987, Ed. Minuit.

- Erving Goffman, La mise en scène de la vie quotidienne (2.Les relations en publique), Coll. Sens commun, Paris: 1973, Ed. Minuit.
- Erving Goffman, Les rites d'interaction, Coll. Sens commun, Paris: 1974 Ed. Minuit.

08- Evelyne Combeau-Mari, sport et presse en France (xix-xx siècle), Paris: 2007, Le publieur.

09- Ferdinand de Saussure, cours de linguistique générale, pr. Dalila Morsli, 03 ed. Alger: 2004, ENAG.

10- Françoise Armengaud, La pragmatique, Que sais-je, 04 éd. Paris: 1999, P.u.f.

11- Georges-Elia Sarfati, Précis de pragmatique, France: 2002, Nathon/Vuef.

12- J.L.Austin, Quand dire, c'est faire, tr: Gilles Lane, coll: L'ordre philosophique, Paris: 1970, Ed. le Seuil.

13- Jacques Marchand, Responsable… (Déontologie pratique et vécu du journalisme de sport, un métier parfois méprisé, souvent critiqué, et toujours envié), Paris/ Pays basque: 2011, Atlantica.

14- Jean Dubois et autres, Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, Paris: 1994, Larousse.

15- Jean Michel Adam/ André Petitjean, Le texte descriptif, Paris: 2006, Nathon.

- Jean-Michel Adam, Elément de linguistique textuelle (théorie et pratique de l'analyse textuelle), coll. Philosophie et langage, Liège: 1990, Pierre Mardaga.
- Jean-Michel Adam, La description, Que sais-je? 01 ed. Paris: 1993, Presse Universitaire de France.
- Jean-Michel Adam, Les textes types et prototype (récit, description argumentation, explication et dialogue), 04 ed. Paris: 2001, Nathan/HER.
- Jean-Michel Adam, Linguistique textuelle (des genres d e discours aux textes), Paris: 2004, Nathan/Sejer.
- Jean-Michel Adam, Linguistique textuelle (des genres de discours aux textes), Paris: 2004, Nathan/Sejer.
- Jean-Michel Adam: « La 'translinguistique des textes' à l'œuvre (l'exemple d'un récit de Jorge Louis Borges) », in des discours aux textes (modèles et analyses), sous dir. Philipe Lane, Coll: DYALANG dynamique langagières, 2005, Publication des universités de Rouen et du Havre.
- Jean-Michel Adam: « Unités rédactionnelles et genres discursifs: cadre générale pour une approche pour la presse écrite » in pratique, Paris: 1997, n°94.

16- Jean-Pierre Esquenazi:« Bakhtine et les concepts essentiels d'une sociologie du langage » in la revue européen des pratiques médiatiques et culturelles, Paris: 2006, L'Harmattan, N° spéciale media et culture.

17- John Gumperz, Engager une conversation (introduction à la sociolinguistique interactionnelle), tr. Michel Dartivelle et autres, Paris: 1989, Ed. Minuit.

- John J. Gumperz, Sociolinguistique interactionnelle (une approche interprétative) présentation de Jacky Simoin, Université de la réunion, 1989, L'Harmattan.

18- John R.Searl, Les actes du langage (essai de philosophie du langage), Coll: Savoir lettres, 2eme ed. Paris: 1996, Hermann.

- John R.Searl, Sens et expression (études de théorie d'acte de langage), Tr: Joëlle Proust, Sens commun, Paris: 1982, Ed. Minuit.

19- Julien Longhi, Georges Sarfati, Dictionnaire de pragmatique, Paris: 2011, Armand Colin.

20- Louis De Saussure, Temps et pertinence, Elément de pragmatique cognitive du temps (Google books).

22- Marie-Louise Moreau, Sociolinguistique 'les concepts de base', Liége: 1997, Pierre Mardaga.

23- Martine Bracops, Introduction à la pragmatique (les théories fondatrice: actes du langage, pragmatique cognitive, pragmatique intégrée), coll. Champs linguistique, Bruxelles: 2006, Deboek et Larcier s.a.
24- Michel Foucault, Archéologie du savoir, Paris: 1969, Gallimard.
25- Nam-seong LEE, Identité langagière du genre (analyse du discours éditorial), Paris: 2003, L'Harmattan.
26- Nathalie Garric, Frédéric Calas, Introduction à la pragmatique, HU Linguistique, Paris: 2007, Hachette.
27- Oswald Ducrot, Jean-Marie Schæffer, Nouveau dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, coll. Points, Paris: 1995, Ed. le Seuil.

- Oswald Ducrot, Le dire et le dit, Paris: 1984, Ed. Minuit.
- Oswald Ducrot, Les échelles argumentatives, Paris: 1980, Ed. Minuit.

28- Patrick Charaudeau, Dominique Maingueneau, Dictionnaire d'analyse du discours, Paris: 2002, Ed. le Seuil.

- Patrick Charaudeau, Le discours d'information médiatique (la construction du miroir social), coll. Medias–Recherches, Paris: 1997, Nathan-Institut National de l'Audiovisuel.
- Patrick Charaudeau, Les medias et l'information (L'impossible transparence du discours), 01 ed. Bruxelles: 2005, De bœck et Larcier s.a, Institut national de l'audiovisuel.

29- Philippe Blanchet, La pragmatique d'Austin à Goffman, coll: Référence, Paris: 1995, Bertrand-Lacoste.
30- Sophie Moirand, Les discours de la presse quotidienne (observer, analyser, comprendre), coll. Linguistique nouvelle, 02 ed. Paris: 2008, Presse Universitaire de France.
31- Violaine de Nuchese et Jean-Marc Colleta(éds), Guide terminologique pour l'analyse du discours (lexique des approches pragmatiques du langage), Bern: 2002, Peter Lang SA.

ب: المصادر والمراجع باللّغة الإنجليزيّة:

32- Alan Cruse, A glossary of semantics and pragmatics, Finland: 2006, Edinburgh university press.
33- Charle A. Ferguson," Diglossia", In language and social context, Selected reading edited by Pier Giglioli, London: 1972, Qenguin Books.
34- Jacob L. May, Concise encyclopedia of pragmatics, 1st ed. London: 1998, Elsevier science LTD.

- Jacob L. May, Concise encyclopedia of pragmatics, 2nd ed. London: 2009, Elsevier science LTD.

35- John R.Searl:« What is a Speech act ? » in language and social context, Edited by Pier Paolo Giglioli, London: 1990, Penguin Books.

36- Margaret A. Blanchard, History of mass media in the United States (an encyclopedia), 01st ed. Chicago/London: 1998, Fitzroy Dearborn publishers.
37- Richard Orodenker, Dictionary of literary biography, V. 241 (American sportswriters and writers on sport), USA: 2001, Gale group.
- Richard Orodenker, Dictionary of literary biography, V. one handred seventy-one (twentieth-centry American sportswriters), Detroit/ Washington, D.C/ London: 1996, Gale research, Pennsylvania stat university.

III-المواقع الالكترونيّة:

01- http://algerfoot.com/
02- http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%84%D8%A7%D9%83%D9 %85 D8%A9
03- http://elmedan.com/fr/
04- http://fr.wikipedia.org/wiki/Financial_Times
05- http://fr.wikipedia.org/wiki/France_Football
06- http://fr.wikipedia.org/wiki/L%27%C3%89quipe
07- http://planetesport.dz/
08- http://ryadi.ahram.org.eg/
09- http://sada.pagesperso-orange.fr/alonyWEB2007/cultures/journale.htm
10- http://sport.ahram.org.eg/
11- http://sport-newspaper.blogspot.com/2006/08/american-sport-newspapers_15.html
12- http://sportsillustrated.cnn.com/
13- http://www.almla3eb.com/pag13.html
14- http://www.almountakhab.com/
15- http://www.competition.dz/
16- http://www.djazairess.com/alfadjr/197462
17- http://www.echibek.net/
18- http://www.elheddaf.com/
19- http://www.elkhabarerriadhi.com/
20- http://www.elkhabarerriadhi.com/
21- http://www.el-mouradia.dz/arabe/president/biographie/biographie.htm
22- http://www.ft.com/home/uk
23- http://www.koura.net.eg/
24- http://www.lechiffredaffaires.net/
25- http://www.lequipe.fr/
26- http://www.magazine-litteraire.com/
27- http://www.maracanafoot.com/
28- http://www.nationalspeedsportnews.com/
29- http://www.radioalgerie.dz/ar/2010-04-29-14-15-33/2010-04-29-14-19-51/25913-2013-10-22-21-30-04

30- http://www.sport-andyouth.net/
31- http://www.sportingnews.com/
32- http://www1.albassair.org/
33- www.adabmag.com

فهرس الموضوعات

تتناول هذه الأطروحة خطاب الصّحافة الرّياضيّة من منطلق تداوليّ، وتحاول الإجابة عن مجموعة من التّساؤلات، أهمها: هل يمكن معرفة آليات تأويل القرّاء للملفوظات؟

وعالجت الموضوع في الإطار النّظريّ للتّداوليّة، وقد ركزت في عملي على تيارين هما: التّداوليّة المدمجة والتّداوليّة العرفانيّة، وقد وقفت أثناء العمل على مجمل الآليات التي يهتدي بها القرّاء إلى فهم الخطابات الواردة في الصّحافة الرّياضيّة (أشير إلى أنّني اخترت عيّنة من الجرائد المعرّبة فقط؛ وهي: الهدّاف، الخبر الرّياضيّ، الشّبّاك) وقد توصلت إلى أنّ هذه الآليات معقدة جدا لا يمكن وصفها إلا محليّا.

L’objet de cette thèse est le discours de la presse sportive ; étudier d’un point de vu pragmatique, elle essaye de répondre à un certain nombre de problématique ; la plus importante entre elles est la suivante : est il possible de reconnaître les mécanismes d’interprétation des énoncés par les lecteurs ?

Ainsi, j’ai étudié le sujet dans la cadre théorique de la pragmatique, et je me suis focalisé dans mon travail sur deux courant ; en l’occurrence : la pragmatique intégré et la pragmatique cognitive , et j’ai présenté durant le travail l’ensemble des mécanismes que les lecteurs usent pour comprendre les discours de la presse sportive (je note que j’ai choisi un corpus de journaux arabisant qui sont : El Heddaf, El khabar Riadhi et Chibak) et j’ai conclu que ces mécanismes de compréhension sont très complexe, et ne peuvent être expliqué que par des explications local .